



زكريا

زكريا

مجلت فصلية وثائقية مخصصة للتراث والتوثيق تصدر عن العتبة المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العدد الثالث والعشرون - السنة السادسة (١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م) - الإعتاد في نقابة الصحفيين العراقيين ١٧٥٧



العتبة الكاظمية المقدسة - شارع باب المراد في تسعينيات القرن الماضي

٢٢

مجلت فصلية وثائقية مخصصة للتراث والتوثيق تصدر عن العتبة المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية



السقاؤون في صحن مرقد الامام الكاظم عليه السلام في الخمسينيات

ذِكْرُ الْأَمْرِ شَرِيفِ الزُّنَائِقِي

مَجَلَّتْ فَصْلِيَّةٌ وَثَائِقِيَّةٌ مُصَوَّرَةٌ تُعْنَى بِالْأُتْرَاقِ وَالتَّوْثِيقِ
تَصَدَّرَ عَنِ الْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ قِسْمُ الشُّؤُنِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ

المُشْرِفُ الْعَامُّ
سَيِّدُ الْحَسَنِاتِ أَحْمَدُ الصَّافِي

رئيسُ التَّحْرِيرِ
عَقِيَّةُ عَبْدِ الْحَسَنِ عِلِّيِّ

مُدِيرُ التَّحْرِيرِ
حُسَيْنُ عَلِيِّ الْجَوَادِي



الجمعية العلمية الإسلامية

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مركز الدراسات والبحوث العلمية



مركز الدراسات والبحوث
والأبحاث العلمية



اسم المجلة:

ذاكرة الأرشيف الوثائقي.

العدد:

٢٣.

الناشر:

قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.

مراجعة:

مركز الدراسات والبحوث والمراجعة العلمية.

المطبعة:

دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.

التدقيق اللغوي:

مصطفى كامل محمود - أحمد كاظم الحسناوي.

تصميم وإخراج:

حيدر مهدي.

السنة:

٢٠٢٣ م.

عدد النسخ:

٢٥٠ نسخة.



كيف تأسّست

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي؟

إيمان مصطفى المحمدي

ورث التعليم العالي، بعد عام ١٩٥٨، تركة ثقيلة من المشاكل المزمنة في مجال الإدارة والتنظيم والأهداف، ومحتوى الدراسة والأساتذة والطلبة، وكان المأمول أن يصاحب التغيير الكلي في أعداد الطلبة وزيادة الانفاق على التعليم العالي بعد الثورة، تغيير جذري في نوعه ومحتواه، وعلى الرغم من انبثاق (جامعة بغداد) ظلت الجامعة تتألف من مجموع كليات متناثرة ومعاهد علمية متفرقة نشأت في ظروف خاصة لتؤدي وظيفة خاصة، والجامعة في العام الدراسي ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ما زالت في أول تكوينها، وما تزال كلياتها محتفظة بكياناتها القديمة، يغلب عليها طابع الاستقلال، وما تزال قائمة في بنايات متفرقة متباعدة.

ومن الخطوات التي تم اتخاذها المباشرة بإنشاء البنايات الموحدة لجمع شتات الكليات والمعاهد على صعيد واحد، فاخترت ناحية الجادرية موقعاً لبناء الجامعة.

وفي عام ١٩٦٣م صدر القانون ذو الرقم (٥١) لعام ١٩٦٣م، ووضعت الأنظمة والتعليمات اللازمة لمعالجة الوضع المرتبك الذي عاشته الجامعة بعد ربط المعاهد بها، وطبيعة العلاقات بين كلياتها، وبينها والمجتمع، وبموجب القانون حُدِّدت مسؤولية الجامعة، ووضع هيكل جامعي لكلياتها ومعاهدها، لمنع البعثرة وضياع الجهود والأموال، تلا ذلك تأسيس المجلس الأعلى للبحوث، والمركز الوطني لحفظ الوثائق، ثمَّ شُرِّع قانون الخدمة الجامعية.

تأسس مجلس التخطيط للتربية والتنمية الاجتماعية بموجب القانون ذي الرقم (١٦٧) لعام ١٩٦٤م، ومهمته: تحقيق التنمية التربوية والاجتماعية، وتنسيقها وتكاملها مع التنمية الاقتصادية، لدعم الجهود القومي في تحقيق وضمان الحياة الكريمة لأبناء الشعب، وذلك بإيجاد السبل الكفيلة بحسن استثمار الطاقات البشرية في البلاد، عن طريق تربية الناشئين، وإعداد المختصين

والفنيين، وتدريب الأيدي العاملة، والتوجيه الاجتماعي.

يرأس المجلس رئيس الوزراء، أو من ينوب عنه، ويضم:

أ- خمسة عشر وزيراً، وهم: وزراء الدفاع، والتخطيط، والتربية، والنفط، والصحة، والزراعة، والمواصلات، والصناعة، والمالية، والإصلاح الزراعي، والبلديات، والأشغال، والاقتصاد، والثقافة، والإرشاد، والعمل والشؤون الاجتماعية، والداخلية.

ب- رئيس جامعة بغداد، ورئيس المجلس الأعلى للبحوث العلمية، وخمسة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة من ذوي الاختصاص ينتخبهم مجلس الجامعة.

ج- عضو من الأعضاء المتفرغين في مجلس التخطيط.

د- أعضاء آخرين يختارهم مجلس الوزراء.

وبعد تأسيس جامعتي الموصل والبصرة، ارتأت الحكومة ضرورة استحداث «المجلس الأعلى للجامعات» ليخطط للتعليم الجامعي والعالي، والتنسيق بين الجامعات العراقية الرسمية الثلاث، وليسهم في تركيز التعليم الجامعي وتعزيزه. فصدر القانون ذو الرقم (٢) لعام ١٩٦٧م، في (٤) كانون الثاني ١٩٦٧م، وجاء في الأسباب الموجبة للقانون: «إن إنشاء أكثر من جامعة رسمية في العراق يتطلب وجود تنظيم يضمن التنسيق بين أعمالها، ويحقق التعاون الكلي بينها، ويمكن من وضع تخطيط مشترك لها، كما أن ظهور عدد من المؤسسات الجامعية الأهلية يتطلب وجود جهة تشرف عليها، للتأكد من توافر المستوى الجامعي والأسس والإمكانات اللازمة له، فضلاً عن إن التخطيط للتعليم الجامعي يتطلب وجود هيئات عليا تتولى تحقيق هذه الغايات، إلى جانب جهود الجامعات المنفردة».

يؤلف مجلس للتعليم في العراق يُدعى بـ (المجلس الأعلى للجامعات)،

يتكوّن من رؤساء الجامعات الرسمية في العراق، وممثل عن كلّ منها يرشحه رئيسها ويوافق عليه مجلسها، يتولّى رئاسة المجلس أقدم رؤساء الجامعات، وُحدّدت اختصاصات المجلس، وهو السلطة العليا للجامعات، وتخطيط التعليم الجامعي والعالي في العراق.

وعُدّل قانون المجلس الأعلى للجامعات مرة أخرى، فصدر القانون ذو الرقم (١٧١) لسنة ١٩٦٨م، الذي نصّ على أن يكون وزير التربية من ضمن أعضائه، وأعقب ذلك صدور نظام الإشراف على التعليم الجامعي والعالي والأهلي ذو الرقم (١٢) لسنة ١٩٦٩م، الذي حدّد شروط إجازة تأسيس الجامعات والكليات الأهلية.

درس المجلس الأعلى للجامعات - بعد تأسيسه - تطوير التعليم الجامعي وتوسيعه، وإجازة الكليات الأهلية والإشراف عليها، وشكّل المجلس عدّة لجان لدراسة وضع التعليم العالي وبيان أهدافه وأسس منهجه، وقد اقترحت هذه اللجان تأسيس وزارة خاصة بإسم «وزارة التعليم العالي والبحث العلمي»، وإلحاق الجامعات العراقية القائمة ومؤسسة البحث العلمي بالوزارة الجديدة. وبهذا يصبح الكيان العام لمؤسّسات التعليم العالي والبحث العلمي، بحسب المقترح، على الشكل الآتي:

١ - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (ديوان الوزارة الذي ما زال في مرحلة التكوين).

٢ - الجامعات (جامعة بغداد، وجامعة الموصل، وجامعة البصرة، وجامعة السليمانية).

٣ - مؤسسة البحث العلمي (معهد بحوث الموارد الطبيعية، ومركز البحوث البايولوجية، ومركز بحوث التمور والنخيل، ومركز البحوث الزراعية،

ومركز بحوث النفط).

وتصبح وزارة التعليم العالي والبحث العلمي هي الجهة المشرفة والمنفذة الوحيدة، وهي المسؤولة عن توسيع التعليم العالي، وتنفيذ السياسة العلمية والتكنولوجية للدولة، كما إنها تتولى رسم السياسة المالية للتعليم العالي والبحث العلمي في ضوء السياسة المالية العامة للدولة، والإشراف على صرف الميزانيات التابعة لمؤسساتها.

تأسيس وزارة التعليم العالي والبحث العلمي:

أنشئت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي نتيجة حاجة فعلية استلزمها واقع التعليم العالي في القطر، وما يعاني منه من التشتت وانعدام التنسيق بين الجامعات المختلفة، ومن ضعف الارتباط بينه ومستلزمات التنمية الاقتصادية، ومن انخفاض إنتاجيته ومردوده الداخلي والخارجي، ومن عدم وفائه بكثير من الأغراض الاجتماعية المهمة التي وجد من أجلها، غير أن ضمان الأغراض التي أنشئت الوزارة من أجلها رهن بوضع الشروط العملية والموضوعية التي تمارس من خلال عمليات التوجيه والتنسيق وفق الأهداف الموضوعية لها، لتكون قادرة على بث رياح التجديد في البنى الجامعية، وتخرج بها من مؤسسات تجعل غاياتها في ذاتها ونظمها القائمة إلى مؤسسات تجعل غاياتها تحقيق أهداف المجتمع، وتستطيع الوزارة ممارسة دورها هذا بالتعاون مع الجامعات والمعاهد العليا، ويكون لها دورها التخطيطي في المقام الأول، الذي يتم عن طريق التخطيط العلمي، وعن طريق الجهود العلمية والفنية التي تقوم بها، والتي من شأنها أن تحدث تغييراً عميقاً في سير التعليم.

صدر في عام ١٩٧٠م القانون ذو الرقم (١٣٢) الذي نصّ على تأسيس وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وجاء في الأسباب الموجبة لصدور

القانون: أن تستهدف وزارة التعليم العالي توحيد مسيرة مختلف المؤسسات العلمية والتعليمية العالية، من خلال منهج عام تضعه الدولة، وتتولى الوزارة تطبيقه وتحقيقه، عن طريق إشراف عام لا يخلُ بما تتطلبه طبيعة هذه المؤسسات من حرمة وحصانة واستقلال في العمل والمبادرة والإبداع، وتأكيد الارتباط العضوي بين الحركة العلمية ومؤسساتها ومجمل نشاطات الحياة في المجتمع ومناهج التطور والتنمية فيه.

تتولى وزارة التعليم العالي - بحسب قانونها - تنفيذ سياسة الدولة التربوية والثقافية والعلمية والتكنولوجية، وتستهدف إحداث تغيير نوعي في الحركة العلمية والتعليم العالي، وتنويع الدراسات والبحوث العلمية العليا والاختصاصات الفنية والتكنولوجية في الجامعات والمعاهد ومراكز البحث في ضوء مشاريع التنمية والتطوير، والعناية بالبحث العلمي ورعاية مواهب الإبداع والابتكار وتشجيعها ودعمها، والعمل على توفير الأسباب الفنية والمادية التي تساعد الباحثين والمعيدين والمخترعين على متابعة رسالتهم، ومنح مخصصات كافية للفرع العلمي ومكافآت مادية تتناسب مع قيمة وجودة الإنتاج والابتكار.

وقد أشغلت منصب وزير التعليم العالي والبحث العلمي الدكتورة سعاد خليل إسماعيل في ٣ حزيران ١٩٧٠م. وسعاد خليل إسماعيل (١٩٢٨-١٩٩٥) ولدت في بغداد، وفيها أكملت الابتدائية والثانوية، ثم التحقت بالجامعة الأمريكية ببيروت فحصلت على بكالوريوس في التربية وعلم النفس، مارست التدريس في الثانوية مدة، ثم رحلت إلى أمريكا لمواصلة دراستها العليا، فحصلت على الدكتوراه في التربية من جامعة كاليفورنيا، عُيِّنت مدرّسة في (كلية البنات)، فعميدة لها في عام ١٩٥٧م، وفي عام ١٩٦٧م عُيِّنت مديراً لمركز البحوث

العلمية والتربوية والنفسية التابع لجامعة بغداد، وفي عام ١٩٧٠م عُيِّنت وزيرة للتعليم العالي والبحث العلمي، لها: التقرير السنوي لمركز البحوث التربوية والنفسية العام الأول ١٩٦٦-١٩٦٧م وهو تأليف مشترك طبع عام ١٩٦٧م، ودراسات في التعليم الطبي في جامعة بغداد عام ١٩٦٨م، ولها مؤلفات خطية. وتتولى وزارة التعليم العالي - بموجب هذا القانون - القضايا التنظيمية الآتية:

- ١- الإشراف على الجامعات ومؤسسة البحث العلمي ولجنة الطاقة الذرية.
- ٢- تنظيم العلاقات الثقافية الخارجية، وإدارة البعثات في نطاق اختصاصاتها، مستهدفة تطوير الحركة العلمية والتعليمية ومؤسساتها ومناهجها في الجمهورية العراقية، والعمل على عقد اتفاقيات للتعاون العلمي والفني والثقافي مع الدول العربية والأجنبية، والإشراف على تنفيذ هذه الاتفاقيات، وتبادل العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات مع البلدان العربية على أوسع نطاق، ومع الدول الأجنبية بقدر ما تدعو الحاجة، وإيفاد البعثات العلمية، وإعطاء المنح والإجازات الدراسية وفق الاحتياجات الراهنة، وكذلك قبول الطلاب العرب والأجانب واعطاؤهم المنح الدراسية، وتحديد نسبة قبولهم والإشراف على توزيعهم في الجامعات والمعاهد، والإشراف على الملحقيات الثقافية المختصة بشؤون التعليم العالي في الخارج.
- ٣- الإشراف على المؤسسات الأهلية، بغية إرشادها في الاحاطة بالسياسة العامة للدولة والتقيدها، ومساعدتها عن طريق إمدادها بأعضاء الهيئة التعليمية.
- ٤- لوزارة التعليم العالي تقديم الاقتراح للسياسة المالية للتعليم العالي والبحث العلمي بما في ذلك وضع ميزانيتها العادية، والاستثمارية.
- ٥- معادلة الدرجات والشهادات العلمية الصادرة عن مؤسسات جامعية أو علمية عربية أو أجنبية.

٦- دراسة طلبات رؤساء مجالس المؤسّسات الرسمية واقتراحاتهم، واتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة بشأنها.

ونصّ القانون على تأسيس (مجلس التعليم العالي والبحث العلمي)، وهو الهيئة العلمية العليا في الجمهورية العراقية، وتكون برئاسة رئيس الجمهورية، وعضوية كلّ من وزير التعليم العالي، ووزير التربية والتعليم، ورؤساء الجامعات الرسمية والأهلية، ورئيس مؤسسة البحث العلمي، ورئيس لجنة الطاقة الذرية، ورؤساء الدوائر العلمية بالوزارة، ونقيب المعلمين، وأعضاء من الهيئات التدريسية في الجامعات الرسمية والأهلية بنسبة ممثل واحد من كل ثلاث كليات، على ألا يقل تمثيل الجامعة عن عضو واحد، ويمثل اتحاد الطلبة والأمين العام للمجلس وكبار العلماء والمفكرين والاختصاصيين من المواطنين العراقيين والعرب.

ويتولّى هذا المجلس اقتراح السياسة التربوية والثقافية والعلمية والتكنولوجية العليا للدولة، ووضع الخطط اللازمة لرفع المستويات العلمية، وتطوير المناهج، وتحديد الشروط العامة للقبول في الجامعات، وتحديد الدرجات والألقاب والشهادات العلمية، وتعيين شروط منحها، ودراسة التقارير السنوية لمجالس المؤسّسات الرسمية، ووضع تقرير سنوي شامل عن الحركة العلمية ومسيرة مؤسّساتها الرسمية والأهلية.

عن رسالة (التعليم العالي في العراق
١٩٥٦-١٩٧٠م).





تاريخ مطبعة الحكومة في الموصل

رفائيل بطي

أسست مطبعة الحكومة في الموصل - وكانت تسمى مطبعة الولاية في العهد العثماني - سنة (١٨٧٥م - ١٢٩٢هـ) في زمن والي الموصل تحسين باشا الذي جلب أدواتها وآلاتها من الأستانة، وقد ساعد الآباء الدمنكيون على ترويج أشغالها فأنيطت إدارتها بموظفي دائرة الولاية المركزية كالمكتوبجي وكتاب المجالس الإدارية، ومن الذين تولوا إدارتها رؤوف أفندي الشربتي وعلي بك كاتب مجلس الإدارة ورؤوف أفندي ابن محمد أفندي والمكتوبجي طاهر بك وأحمد أفندي رئيس كتاب المحاسبة الخصوصية ونظمي بك وحسن فائق بك رئيس بلدية الموصل السابق، وعلي بك وخير الدين أفندي العمري نائب الموصل في المجلس النيابي الآن وأرسلان بك.



وقد اشتغلت المطبعة الرسمية من يوم تأسيسها بطبع الأوراق الرسمية والأشغال التجارية ودفاتر دواوين الحكومة والتقاويم السنوية باللغة التركية المسماة (موصل سالنامه سي) وفيها طبعت جريدة (موصل) الرسمية وهي جريدة أسبوعية أخلاقية إخبارية ظهرت سنة (١٨٧٩م - ١٢٩٧هـ) وقد كانت

في أوّل صدورها تنشر باللغتين العربية والتركية ثُمَّ اقتصرَت على اللغة التركية وأعيد القسم العربي إليها في آخر العهد العثماني بالموصل.

فلما دخل البريطانيون الموصل في اليوم الثاني عقيب إعلان الهدنة سنة (١٩١٨م-١٣٣٧هـ) استأنف الكولونل لجمن الحاكم العسكري للموصل إصدار الجريدة الرسمية باللغة العربية فقط، فكانت تصدر مرتين في الأسبوع وعهد بإنشائها في أوّل الأمر إلى القس سليمان الصائغ الكلداني الموصل مؤلف (تاريخ الموصل)، ثُمَّ تسلم إنشاءها الأستاذ أنيس الصيدأوي الصحفي البيروتي ورئيس الثانوية في يافا (فلسطين) ألان، وأعقبه في القيام بشؤون هذه الجريدة التحريرية يونان عبو اليونان من كتاب الموصل الذي تركها أخيراً وانخرط في سلك طلاب معهد الطب المؤسس حديثاً في بغداد، وأخذت تصدر بعد ذلك أربع مرّات في الأسبوع.

وفي مطبعة الولاية هذه طبعت حيناً جريدة نينوى لسان حال الاتحاديين العثمانيين باللغتين العربية والتركية، وجريدة نجاح لسان حال حزب الائتلاف باللغتين العربية والتركية أيضاً، وجريدة جكه باز الهزلية باللغة التركية فقط، ولما صودرت أموال الأجانب في الحرب الكونية العظمى وكانت مطبعة الآباء الدمنكيين في جملة ما صودر نقل إلى مطبعة الحكومة كثير من أدوات وآلات وحروف بعض ما حفظ في المطبعة، فلمّا احتل الإنكليز الموصل أدوا إلى دير الدمنكيين ومبعوثهم بعض ما حفظ في المطبعة الرسمية من منهوبات مطبعتهم ولم تمتد إليه يد السرقة أو التلف.

وفي السنة الماضية جدد في هذه المطبعة قسم مهم من حروفها وآلاتها كما أعيد إلى المبعوث الملكي بعض ما فضل فيها من آثار مطبعتهم بلا استعارة.

من مطبوعاتها :

- ١- أبهى القلائد في تلخيص أنفس الفوائد: تأليف السيد أحمد فائز ابن السيد محمود أفندي البرزنجي سنة (١٣١٥هـ - ١٨٩٧م)، ص ٢٢٦ وهو في العقائد الإسلامية والكلام، وقد طبع برخصة نظارة المعارف في الأستانة المرقمة (١١٧) وبتاريخ ذي القعدة سنة (١٣١٤هـ - ١٨٩٦م) في عهد ولاية زهدي بك الوالي العثماني على الموصل.
 - ٢- سالنات لسنوات متعددة باللغة التركية.
 - ٣- منهج التعليم الابتدائي سنة ١٩١٩م، ص ٦٤.
 - ٤- نظام بلدية الموصل (مؤقت)، ص ٢٤، سنة ١٩٢٠م.
 - ٥- إيضاحات في تدريس اللغة العربية في المدارس: سنة ١٩٢١م، ص ١٠.
 - ٦- منهج لتعليم اللغة العربية للطلاب الذين لسانهم غير العربي، ص ١٣، سنة ١٩٢١م.
- وقد طبع في هذه المطبعة بعض الكتب المدرسية باللغة التركية.

مطبعة نينوى أو سرسم أو آثور أو عيسى محفوظ في الموصل :

تغير اسم هذه المطبعة مراراً فكانت في أوّل تأسيسها مطبعة نينوى ومطبعة سرسم أحياناً فمطبعة آثور فمطبعة عيسى محفوظ، وهو اسمها الحالي وكان مؤسسها عيسى محفوظ الموصل بشركة فتح الله سرسم وذلك في سنة (١٩١٠م - ١٣٢٧هـ) وجلب آلاتها وأدواتها من باريس وحرفاً عربية ولاينية، وفيها صدرت جريدة (نينوى) باللغتين العربية والتركية وجريدة (جكه باز) الهزلية.

وفي إبان الحرب العظمى صادرها الحكومة العثمانية مدة عشرة أشهر وأخذت تطبع فيها جريدة حقه طوغرو (دعوة الحق) لبث دعوتها باللغات الأربع: التركية والعربية والفارسية والكردية. فلما كان الاحتلال البريطاني

أعيدت المطبعة إلى صاحبها وهي اليوم تصدر جريدة (صدى الجمهور) العربية مرتين في الأسبوع، واشتغلت مدة بطبع الأوراق التجارية وأغلقت أوراق (السيكارة) وصاحبها متفنن في حفر الألواح المنقوشة وطبعها فيها.

وفي هذه المطبعة طبعت مجلّة (النادي العلمي) التي كان يصدرها النادي المذكور في الموصل عقيب الاحتلال البريطاني.

من مطبوعاتها :

- ١- عنوان البيان وبستان الأذهان: كتاب لأحد المؤلفين القدماء في الحكم والآداب في جزأين صغيرين، سنة ١٩١٤ م.
 - ٢- التحفة السنوية في الهدية السنوية: لعلّي الجميل الموصل، سنة ١٨٩٥ م.
 - ٣- بدائع الأفكار ياخوذ الحكمة والأدب للترك والعرب: تأليف فاضل الصيدلي الموصل، وهي شذرات عربية أدبية مشروحة باللغة التركية، ص ٣٢ سنة (١٣٣٠ هـ - ١٩١١ م).
 - ٤- خطبة نادي المشرق: كتاب سياسي عمراني خاطب به مؤلفه الأستاذ السيد محمد حبيب العبيدي - مفتي الموصل الآن - أمم الشرق ودعاها إلى النهوض وقد أوحى إليه بهذه المعاني الحرب العثمانية البلقانية، كتب على الرسالة (ينفق ريعها في سبيل تعزيز مبدأها)، ص ٨٨، سنة (١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م).
 - ٥- الأناشيد الموصلية: ألفه محمد سعيد الجليلي الكاتب في سكرتارية المجلس النيابي في بغداد الآن، في ٢٤ ص، سنة (١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م)، ولهذا الكاتب حكاية لا بدّ من إثباتها هنا للتاريخ:
- كان مؤلف هذا الكتاب سنة (١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م) مدرساً في مدرسة (دار العرفان) الرسمية وقد أسند إليه تدريس الأناشيد، وهو التعليم المدخل حديثاً في منهج الكتابات الابتدائية والذي قصد به تدريس أناشيد (الحماسة التركية)

لخدمة القومية التركية في نفوس النشء العربي؛ فلم ير المدرس وهو من الشبان العرب المتحمسين لقوميتهم العربية أن يكون وسيلة إلى نفث الروح التركي في نفوس النشء الغض، وإماتة الحس القومي العربي، وقد كان يومئذ منحصراً في أفراد قلال يعدون على الأصابع؛ وذلك لشدة ضغط الاتحاديين فعزم على تدريس الأناشيد باللغة العربية، فلم يجد بين الأيدي كتاباً يحسن تداوله لهذا الغرض، فطلب إلى بعض الأدباء الموصليين أن يضعوا أناشيد ليعلمها الأحداث فلبى طلبه جماعة منهم: قاسم الشعار قاضي محكمة بعقوبة الشريعة حالاً وداود الملاح الذي قصفته المنون في سني الحرب الكبرى، والأستاذ محمود الملاح الذي كان متبرعاً بإلقاء دروس التاريخ والجغرافية في المدرسة المذكورة وهو الآن مدرس اللغة العربية في دار المعلمين في بغداد، ونظموا بضع أناشيد تتضمن التغني بمجد العرب التاريخي وإذكاء نار الحماسة في أفئدة النشء العربي فجمعها المدرس المذكور وطبعها في رسالة مع مقدمة له وشرح بعض الألفاظ والأعلام التي وردت فيها.

- ٦- تنوير الأذهان في بعض حقائق تاريخ الكلدان: نبذة مختصرة رتبها حنا نرسي الموصلي الكلداني، ص ٦٧، سنة ١٩٢٦م.
- ٧- برنامج الجمعية الخيرية السريانية الكاثوليكية: ص ٣٥، سنة ١٩٢٧م.
- ٨- التقرير السنوي الأول لجمعية الإحسان للسريان الارثوذكس في الموصل: لسنة (١٩٢٦-١٩٢٧م).



صرعى الكتب والمكتبات في العراق

الشيخ محمد رضا الشبيبي

لا يعرف على التحقيق الزمن الأول الذي دوّنت الكتب فيه واقتناها الناس على هذه الصورة أو ما يشبهها حسب اختلاف العصور، غير أننا نعلم أنه قد قارن عهد وجود الكتب وجود أناسٍ فتنوا بها وسحرتهم فبالغوا في جمعها وفي الضنة بها، وقد تأنقوا في نسخها ووراقتها وتجليدها وتنزيدها وتحليتها بما لا مزيد فوقه.

وربما كان بعض جماعة الكتب من غير قرّائها ولا من المتدبرين لها ولكنه أولع بها، فوجد مع جهله لذة في اقتنائها وارتياحاً إلى الازدياد منها، وطيب نفس لا للاستفادة، ولكن لمجرّد انفتاحها وانطباقها وللهو بها كما كان يفعل أحد جماعة الكتب من الفرس في النجف على عهد غير بعيد، وقد كانت اليد الطولى للفرس في بث روح المغالاة بالكتب بين أهل العراق وذلك على عهد هبوطهم هذه الديار وانتياهم إيّاها لطلب العلم أو للجوار وفيهم أولاد العلماء والملوك وأهل الجاه والثروة فحملوا إلينا خزائن الكتب من بلادهم غير ما جمعه بعد تمكنهم في هذه البلاد، وغير ما حُمّل إليهم من بلاد الهند وغيرها.

هذا غير ما كان لإيران من الفضل في طبع الكتب التي لا تقع تحت حصر من علمية على تشعب فنون العلم، ودينية على اختلاف فروع الدين وكلها تحمل إلى العراق أو إلى النجف، حيث اطمأن العلم والعلماء وشيدت المدارس وأنشئت بيوت الكتب الكبيرة فأقدم إذ ذاك عامة الناس على ابتياعها وكان قد نبغ أثناء ذلك قوم معروفون أولعوا بجمع الكتب وشغفوا بحبها وبينهم فريق من أبناء الملوك والعلماء وذوو الأسر - والبيوت الأصيل - وآخرون من الدهماء خلقوا لتصرعهم الكتب فعكفوا على نشدانها وطلبها من مظانها فتيسر لهم جمع ما ليس باليسير منها، ومن هؤلاء من أدركناهم في زماننا هذا كالشيخ (الملا باقر التستري) المتوفى في النجف سنة ١٣٢٩هـ؛ فإنه كان مفتوناً بجمع

الكتب فتنةٌ قلَّ أن تعهد في غيره وكان إذا قدم إلى (معرض الكتب) في النجف كتاب مخطوط بذل النفس والنفس في سبيله على قلة ذات يده، وربما تملق لمن ينافسه في الكتاب تملقاً لا مزيد عليه حين (المناداة) على بيعه، وقد يقبل المنافس ويتعلق به ليترك له طلبته، قال بعضهم: نافسته يوماً في كتاب و (المنادي) ينادي عليه فسألني تركه، فما كان منه إلا أن أمسكني بيده قائلاً وقد تغير: أما تخشى الله؟ وله نوادر جمة في باب اقتناء الكتب وقد جاور زماناً بمكة واتصل بالشریف هناك واقتنى قسماً من كتبه المخطوطة فيها.

وله إلى إيران رحلات كان أهم ما يحمله عليها جمع الآثار ولقد حصل باجتهاده على أمهات الكتب النفيسة القديمة على اختلاف موضوعاتها، وقد شاهدنا بينها كتب الدين والفلسفة والفلك والرياضيات والشعر والتاريخ والعربية، وكان إذا اقتنى كتاباً كتب عليه بخط بديع (للحقير محمد الباقر) وخط معروف يشار إليه عند الصحفيين، وفي أسواق الكتب ومعارضها، ولما عرضت كتبه للبيع سنة ١٣٢٩ هـ وكان فيها أكثر من ألف مجلد مخطوط نوادي عليها عدة أسابيع وكنت ممن يحضر المناذاة فشاهدت فيما شاهدت ما يدهش المتأمل من آثار نادرة في بابها، ونفائس مخطوطات قليلة الوقوع حتى في أمهات بيوت الكتب الكبيرة في العالم، وذلك مثل كتاب (مشارق الأنوار) للقاضي عياض الذي كان يظن أنه أصبح أثراً بعد عين وكتاب (العين) للخليل الفراهيدي وكتاب (الزينة) لأبي حاتم وكتاب (غريب أبي عبيدة) وكتاب (طبقات القراء) وشرح (تذكرة الطوسي) في الفلك للخفري، وشرحها أيضاً للسيد الشريف وقد ملكتهما، و (القول المأنوس) وهو وجيز حاشية على القاموس... وغير ذلك من شواذ الأسفار الكبيرة التي لم تمثل بعد للطبع ك بعض مؤلفات الثعالبي المعروف ووقفت أيضاً بين كتبه على كتاب (وفيات الأعيان) بخط مؤلفه قاضي القضاة ابن خلكان، هذا عدا ما لا أقدر أن آتي عليه في هذه العجالة، وبالجمله ذهبت

كتبه بثمان بخس وبيعت بصفقة خاسرة ولو نودي على هذه الكتب في أسواق الغرب لذهبت بزنتها لجيناً على أن مبتاعها غير مغبون.



ومن عرف في النجف من المغالين في اقتناء الكتب العالم المحدث الكبير الشيخ (ميرزا حسين النوري الطهراني) المتوفى قبل اثنتي عشرة سنة تقريباً، فقد كان متعلقاً بجمع المخطوطات متفانياً في إحراز نفائس الآثار، وله نوادر غريبة في هذا السبيل تدل على شديد افتتانه وعظيم بلائه بها، منها أنه وجد يوماً في سوق من أسواق كربلاء كتاباً كان ينشده عند امرأة فاستباعها واستامها عليه فأرضاهها، ويظهر أنه كان ذاهلاً لعثوره نبهاً على ضالته، فإنه لما أراد إيفاءها ثمن الكتاب لم يجد عنده شيئاً ولكنه بادر فخلع حلة ثمينة كانت على متنه وباعها في سوق كاسدة بثمان تافه يسير وأخذ الكتاب من صاحبتة بهذه اللجاجة الغريبة، وبالجملة كانت خزانة كتبه من أحفل خزائن الكتب الكبيرة، ويحكى أنه كان في جملة مخطوطاتها ألف مجلد عليها خطوط مؤلفيها، وهذا مما لم يتفق حتى في خزائن كتب الملوك في القرون الأخيرة، فأنا نعرف أميراً من أمراء الهند لم يجمع

غير سبعة مائة مجلد عليها خطوط المؤلفين، وقد كان رحمته مصلحاً سالكاً سبيل السلف الصالح وعالماً مؤلفاً حريصاً على نشر العلم، ولذلك لم يوصد باب خزانته في وجوه الطلاب ولم يمتنع أن يعير كتبه من يستفيد بها من الناس، كما يفعل كثير ممن كنز الكتب وقبض عليها قبضة الشحيح وخصوصاً العامة من جماعتها، فإنهم لم يذوقوا لذة العلم ولا حملوا بالمعرفة ليهون عليهم بذل أسفارهم في سبيلها، وعلى العكس من ذلك رجل صرعه الكتب وهو قد رضع أفلاويق العلم وخلصت نيته في نشره، فإننا كثيراً ما سمعنا عن السلف الصالحاء أنهم حسبوا كتبهم حسباً عاماً على من ينتفع بها من الناس، ويؤثر عن بعضهم قوله: «أن زكاة الكتاب عاريته».

ويوجد اليوم في النجف من العلماء المطبوعين على حب الكتب وتفقد الآثار الجامعين لها جماعة، منهم الشيخ الفاضل الرفيع القدر الغريب الصبر والثبات (الشيخ علي) من آل كاشف الغطاء، وهو الرجل الذي لا يرى إلا مجدداً في النسخ والتأليف أو عاكفاً على المطالعة، أو لهجاً بجمع الكتب وذكرها، يقصص عليك أحاديثها ويصف لك مظان وجودها، ويترجم لك أحوال صرعاها وجماعتها وقد كانت نفسه الكبيرة حملته على الرحلة فجاب بلاد الفرس وبلاد الترك وبلاد مصر وسوريا والحجاز، ولم تكن رحلته هذه رحلة تسلية وتفكهة، لا بل كانت أشبه برحلات منتجعي العلم والرواية من السلف الصالح؛ فإنه كان إذا حط رحله في بلد وجهه همته إلى زيارة معاهده العلمية والوقوف على دور كتبه المهمة هكذا كان في مصر والشام والأستانة، وقد ألقن في هذه العاصمة اللغة التركية فشافه كبار ساستها وعلمائها، ولم يبق فيها بيتاً من بيوت الكتب إلا زاره واستفاد منه وكان إذا أعجبه كتاب لم يكبر عليه نسخه واكتتابه، وإن كبر كما فعل يوم كان في الأستانة فإنه انتسخ فيها لنفسه بنفسه أسفاراً جمة منها كتاب (شرح أبي تمام على مهاجاة جرير والأخطل) وقد وجده منتسخاً بالخط المغربي القديم وهو

خط معمي يجهل المشاركة تهجئته، فعكف أياماً على تفهمه ومحاكاته بقلمه حتى أتقنه فلم يصعب عليه بعد ذلك انتساخ الكتاب، ونسخ أيضاً ديواني (مهيار) و(كشاجم) ولم يكونا يومئذ مطبوعين، وبفضله طبع الأخير على نسخته التي انتسخها لنفسه، وهمته في الصبر على الكتابة مشهودة حتى أنه تناول كتاب (أمالي القاضي) قبل طبعه وعكف على نسخه في عدة أسابيع وكان الوباء منتشرًا حيث أقام فلم يعقه ذلك عن مقصد.

ومما نسخه لنفسه كتاب (نسمة السحر في من تشيع وشعر) وهو كتاب نادر الوجود قلَّ من سمع به، ونسخ كتاب (رسائل ابن العميد) الكاتب المعروف وهو يقع في مجلدٍ ضخّم ونسخ غير ما رأيت بهمة غريبة وجدّ متواصل حتى أنّه لو اقتصر على ما ورّقه بيده لحصل على خزانة كتب حافلة، لكنه لم يقتصر على ذلك وأخذ يتطلب الكتب النادرة ويبتاعها وساعده على نجاح قصده تجواله في البلاد، فاشترى من الأستانة وغيرها من البلاد التي عرج عليها كتباً نفيسةً مخطوطة ومطبوعة، فاجتمعت له خزانة كتب لا تزال من أمهات خزائن الكتب العربية وفيها المخطوطات الكثيرة في كثير من الفنون وبعض نسخها قل أن يعرف لها ثابٍ مثل ديوان الشاعر المشهور (الحسين بن الحجاج العراقي) ومثل كتاب (الطراز في اللغة) للسيد علي خان الأديب المعروف صاحب سلافة العصر وأنوار الربيع، وديوان (مهيار الديلمي) تاماً أو قريباً من التمام، وديوان السيد الشريف المرتضى وعشرات من أسفار العلم والأدب الشاذة سلف ذكر بعضها، ثمّ إنه لم يقف عند جمع الكتب والتقاط آثارها أو انتساخها بقلمه فعكف على الكتابة في الأدب والتأليف فيه وقد نجز إلى الآن من مؤلفاته كتاب (فصل الخطاب في الكتابة والكاتب والكتاب) مخطوطاً في مجلدين ضخمين وهو كتاب جامع لم يسبق مؤلف إلى إفراغه بهذا القالب البديع، وقد استعان على تأليفه بما وفق لجمعه ونسخه من الكتب وبما حدث على عهده أو ما قبله بقليل

مماً يدخل في موضوع كتابه، وقد ملحه بشذرات من الكتب العلمية الحديثة فجاء كتاباً ممتعاً جامعاً لفنون المعاني، حافلاً بضروب المقاصد، وقد استماني منه فصل معجب جاء المؤلف فيه على وصف دور الكتب التي وقف عليها أو انتهى إليه وصفها سواء كانت في بلاد العراق بلاده أو في غيرها من البلاد التي جابها في رحلته، وقد كان بؤدنا أن ننقل هذا الفصل عن هذا الكتاب لمكان مناسبته لموضوع المقالة لولا أن ضيق نطاق الوقت حال دون ذلك ونحن إذا عنت الفرص فاعلون.

ومن مؤلفات هذا الشيخ الكبيرة التي وقف لها حياته كتاب (طبقات الشيعة) على اختلاف الصور وعلى تباين الأحوال، فمن طبقات روايتهم ومحدثيهم وحملتهم أخبارهم إلى طبقات علمائهم وكتابهم وشعرائهم، وطبقات ملوكهم ووزرائهم وأمرائهم، وقد نجز إلى الآن قسم كبير منه يقع في عدة مجلدات وهو دائب السعي وراء إتمامه متصل الاجتهاد في سبيل إنجازها، وإذا تم كان أكبر خدمة لهذه الطائفة الإسلامية العظيمة الشأن التي قلما انصرف رجالها وخصوصاً المتأخرين منهم إلى وجوه التاريخ وتدوين آثار أسلافهم ومعاصريهم انصراف أهل السنة من إخوانهم المتقدمين والمتأخرين، وبالجمله إن حياة هذا الرجل حياة جدّ وعمل متصلين ونعمت الحياة.

ومن صرعى الكتب في النجف اليوم الشيخ (محمد علي الخونساري) فإنه مبالغ في اقتناء الكتب وخصوصاً النادر منها، وقد جمع عدداً غير يسير منها ومن مخطوطاته قسم كبير في الفلسفة القديمة ومنهم السيد (محمد اليزدي) فإن لديه خزانة كتب خطيرة حوت كثيراً من الأمهات مثل كتاب (غريب أبي عبيدة) مخطوطاً في القرن الخامس على ما أظن، وكتاب (المجمل في اللغة) لابن فارس وغيرهما كثير.

ومن عشاق الكتب في العراق وجماعيتها السيد (حسن صدر الدين العاملي) العالم المعروف في الكاظمية، فقد أنشأ له طلبه الحثيث لها خزانة كتب مهمّة بينها قسم كبير من الآثار النادرة ككتاب (العين) وكتاب (الجمهرة) لابن دريد فيها وكتاب (طبقات القراء) ولا نعرف لمن هو، فقد ألّف جماعة من العلماء في هذا الباب، وفيها غير ذلك من نفائس المخطوطات والرجل ممن اشتهر بالتأليف وقد نجز إلى الآن على يده كتاب (تأسيس الشيعة) وهو كتاب تاريخي أدبي جم الفائدة، بعثت صاحبه الغيرة على الطائفة فألّف كتاباً دلّ به على سبقها الفرق الإسلامية في التأليف، وانبعاثها قبلها إلى تأسيس العلوم والفنون، وما يزال كتابه هذا مخطوطاً، ويسعى مؤلفه طبع كتاب (المجازات النبوية) للسيد الرضي في بغداد سنة ١٣٢٩هـ وللسيد هذا غير ذلك الكتاب مؤلفات في الموضوعات الدينية والتاريخية، ويوجد اليوم في هذه البلاد رجال آخرون من صرعى الكتب لم نذكرهم لضيق المجال.



الكاظمية توأم بغداد

وفلذة من أفلاذها

الدكتور حسين علي محفوظ

الكاظمية فهي توأم بغداد، وأخت بغداد، تجري معها، وتشترك في حوادثها، وتدور مع أحداثها.

ومنطقة الكاظمية التي يستقبل شاعر العرب (عبد المحسن الكاظمي) زوارها الذين يدخلونها بسلام.. تختص بأعلام من المشاهير في الدين والعلم والأدب والتاريخ والتراث والخلافة والسياسة.

منهم الإمام موسى الكاظم والإمام محمد الجواد عليهما السلام (وهما الكاظمان اللذان تنسب إليهما الكاظمية مدينة الكاظمين)، والإمام أحمد بن حنبل، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبو يوسف والأشعري، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار من الأئمة والعلماء ولاسيما مشهد الكاظمين وقبور الأولياء الثلاثة وفيها أيضاً قبر (زبيدة) و(الأمين).

ومن دفناء الكاظمية الزهري المدني، ويحيى الراوية بن الحسين بن زيد، وإبراهيم المرتضى، وموسى أبو سبحة، والحامض النحوي، والزاهي وابن الجعابي، والناشي، وابن قولوية، وابن الحجاج، والمفيد، والشريف الرضيان - على قول - وجلال الدولة وابن أفلح الشاعر، وابن الأنباري، وابن حندون، وحيص بيص، وابن الأثير الكاتب المنشي، والوزير الشهير، وابن أبي الحديد أخو شارح نهج البلاغة وبعض أهل بيته، وعدة من آل أبي صفرة.

وهي تعزز برفات أئمة الأعلام أمثالهم من الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء والأدباء والكتاب والشعراء.

ومن دفناء منطقة الكاظمية الكبار ابن البواب الخطاط أستاذ الكتبة والخطيب البغدادي مؤرخ بغداد الكبير، وابن الشبل الشاعر والعلاف، والجواليقي اللغوي، وأبو الفرج ابن الجوزي المؤلف المؤرخ المكثّر، وابن عبد الحق البغدادي الجغرافي... وأشباههم ونظائرهم وأمثالهم من كبراء الدفن منذ

ثلاثة عشر قرناً.

ومن خصائص الكاظمية ومشهدها المبارك أن أرضها تحتوي أحداثاً
أفاضل الناس من أصحاب المذاهب على اختلاف الآراء والمشارب.

وقبر موسى بن جعفر عليه السلام - منذ القديم - من الأمكنة المباركة والمشاهد
المقدسة، قال شيخ الحنابلة أبو علي الخلال: «ما همني أمر فقصدت قبر موسى
ابن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى ما أحب»، وقال الإمام الشافعي: «قبر
موسى بن جعفر ترياق مجرب لإجابة الدعاء».

والكاظمية من مراكز العلم والأدب والدين واللغة والتراث - من قبل
ومن بعد - خدمت المعارف والعلوم والآداب فيها عشرات البيوتات العلمية
ينيف المعروف منها على السبعين بيتاً وأسرة خرجت مئات العلماء والأدباء
والشعراء والمفكرين والمؤلفين.

ضمّ تراها أجداثهم، وأقلّ تراها أولادهم وأعقابهم، إضافة إلى البيوتات
والعشائر العربية المعرّقة.

ومن مآثر الكاظمية شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي النخعي
الذي فارق العراق سنة ١٨٩٧م، ودخل مصر سنة ١٨٩٩م وتوفي هناك سنة
١٩٣٥م وهو يشواق العراق، ويحنّ إلى العراق وهو الذي قال: «ما عنك يا
أوطاننا بدل» و«وطني أنت كل ما أتمنى»، و«ألا خبر من ثنایا العراق»، و:

«يا أحبابي والمـزار بعيد قربوا للمحب ذاك المزارا»
«أيها القلب كم تحن إلى الكر خ وتهفو لساكني الزوراء»
و:

وقائلة سر نحو مصر تر المنى وأنت على كل البلاد أمير

فقلت لها والدمع مني مطلق أسير وقلبي بالعراق أسير
وهو (شاعر العرب) الذي قال: «ليت الأنام جميعهم عرب»، و«ليس
بين الأنام كالعرب قوم»، و«وليس سواكم أيها العرب لي فخر»، و«أنتم خيرة
الأمم»، و:

إنما الشام والعراق ومصر أخوات وإن تفرقن حيناً
و:

يا أيها العرب الكرام ثقوا أنتم لباب الناس إن نخلوا
كانت الكاظمية - طول تاريخها - مثابة، وهي مقصد الزوار قديماً وحديثاً،
ولأهميتها كان الخلفاء والحكام يستثنونها من بعض الأحكام التي كانت تفرض
على بغداد وتلك مزية فائقة تختص بها هذه المدينة، ولسان حال الكاظمية أبداً
قول ابنها شاعر العرب: «وطني أنت كل ما أتمنى»، ها هي ذي (الكاظمية) التي
يستقبل شاعر العرب في (ساحة الكاظمي) زوارها الكرام من كل الجهات.



وسيلة النقل الجماعي الوحيدة داخل بغداد (الكاري) وهي عربة من طابقين تجرها الخيول بين
ساحة الميدان والكاظمية

و(الحريم الطاهري) المنسوب إلى طاهر بن الحسين الذي كان من عظماء «دولة بني العباس».

ولا يعلم أحد بلغ مبلغه فيها حديثاً ولا قديماً كما قال الحموي: وكان أوّل من جعلها حرباً عبد الله بن طاهر بن الحسين، وكان أديباً شاعراً جواداً وكانت إليه الشرطة ببغداد، وهي أجل ما يلي يومئذ، وكان يلي خراسان والجبّال وطبرستان والشام ومصر، وكان قصر ببغداد وهو الحريم، وكانت منازل آل طاهر في الحريم، وهو من مرافق شمالي بغداد المعروفة.

وكان في الحريم الطاهري رباط الحريم، من عمارات الخليفة الناصر لدين الله الذي أسسه سنة ٥٨٩هـ وموضعه شمال قصر عبد الحسين الجلي كما قال المرحوم مصطفى جواد، وكان في الحريم دار الصنعاني العمري العدوي القريشي اللغوي الأديب المحدث النحوي الفقيه (٥٧٧-٦٥٠هـ) تولى أصحاب وزير بغداد تجهيزه ودفنه فقبر في داره بالحريم الطاهري في العطيفية اليوم، بالقرب من شارع المحامين (زقاق ٦٤ محلة ٤١١ حي الزهراء).

وفي دار طاهر بن الحسين قبر المعتضد والمكتفي والمتقي من الخلفاء، وقد نقل رفات هؤلاء على إثر الغرق في سنة ٦٤٦هـ إلى تربة العباسيين بمحلة الرصافة، وذلك بعد أكثر من ثلاثة قرون من وفياتهم.

ولا أنسى أن الناصر كان رتب طعاماً للصوفية ولغيرهم في رباطه بالحريم وكان يتردد إلى الرباط فإذا لم يحضر يوماً من الأيام يحمل طعامه إلى الصوفية.

وينسب إلى الحريم كثير من العلماء والمشاهير.

وأما (الحربية) عند باب حرب ببغداد، فهي محلة كبيرة مشهورة تنسب إلى حرب بن عبد الله أحد قوّاد المنصور، وكان يتولى شرطة بغداد وولي شرطة

الموصل، وقد قتل سنة ١٤٧هـ.

والحرية كالبدة لها أسواق من كل شيء جميع وهي من محال بغداد الكبيرة المعروفة في خطط مدينة السلام.

وينسب إلى الحرية طائفة من أهل العلم، منهم: إبراهيم بن إسحق الحربي، الزاهد العالم النحوي اللغوي الفقيه المتوفى سنة ٢٨٥هـ، وهو صاحب التصانيف الكثيرة، و(باب التبن) محلة كبيرة على الخندق بإزاء قطيعة أم جعفر وبها قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل، دفن هناك بوصية منه؛ وذلك لأنه قال: «قد صح عندي أن بالقطيعة نبياً مدفوناً ولأن أكون في جوار نبي أحب إليّ من أن أكون في جوار أبي» والمأثور المسموع المروي «ابن نبي» أي موسى بن جعفر الكاظم من أهل البيت عليه السلام وهو موضع مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم عليه السلام الذي كان يعرف قبره باسم (مشهد باب التبن) و(المشهد) و(المشهد الكاظمي) و(مشهد موسى الكاظم) و(المشهد بمقابر قريش) ومقابر قريش بباب التبن و(مشهد موسى بن جعفر بالجانب الغربي)... إلخ.

و(القطيعة) قطيعة أم جعفر، وهي زبيدة بنت جعفر بن المنصور أم الأمين هي محلة كبيرة كانت عند باب التبن وفيها (الزبيدية) التي كان يسكنها خدام زبيدة أم جعفر.

كانت قطيعة أم جعفر زبيدة أعلى البلد ودونها الخندق والخندق الطاهري أو خندق الطاهرية، نسبة إلى طاهر قائد جيش المأمون، وإليه كذلك نسب الحريم القريب من هذا الخندق فقيل الحريم الطاهري.

كان الخندق الطاهري يقطع بين القطيعة وبين البناء المتصل بالمدينة من الغرب والشمال وكانت قطيعة الزبيدية في الأصل لجعفر بن المنصور ثم انتقلت فيما بعد إلى زبيدة فسميت الزبيدية كما قال المرحوم مصطفى جواد.

وقد نسب إلى القطيعة أبو عيسى الناقد وأبو محمد القطيعي وآخرون.
 أنا ما زلت أسمي شاطئ دجلة تجاه شارع المحامين (زقاق ٦٤ موضع شارع
 ١٥٨) في العطيفية بالربع (مشرة الروايا) وأعتز أن بيتنا الآن في أطرافها.
 هذا وقد عقد بين مشرة الروايا في الجانب الغربي ومشرة الخطابين في
 الجانب الشرقي (الأعظمية) جسر في سنة ٤٤٨ هـ ثم عطل في سنة ٤٥٠ هـ وهو
 الجسر الذي كان بمشرة القطنين من قبل ثم حوّل.
 وجسر بغداد طرازها - كما كانوا يقولون - وقد كانوا يختارون أفضل
 الأمكنة لعقده، وقد قال في الجسر علي بن الفرج والمحسن التنوخي ما يستحسن
 من الكلام.
 وكانت دجلة زاهية بالزوارق (السميريات المعبرانيات) وكانت عدتها في
 أيام الخليفة الناصر (٣٠٠, ٠٠٠).
 هنا وجه من وجوه تراث بغداد الذي تحمل ذكره ساحة عبد المحسن
 الكاظمي في مدخل الكاظمية شمالي مدينة السلام بغداد، إن (ساحة الكاظمي)
 التي يقف بها تمثال (شاعر العرب) المرحوم (الشيخ عبد المحسن الكاظمي) هي
 فلذة من أفلاذ بغداد، وهي قطعة من أديم بغداد الجميل.



١٠٠ عام على تأسيس الشرطة العراقية

بريطاني يكتب عن بدايات الشرطة في العراق

ترجمة الدكتور أكرم عبد الرزاق المشهدي

عند احتلال البصرة، قام الضابط السياسي الأقدم (السير بي. زد. كوكس) قائد الحملة البريطانية القادمة من بومباي باستصحاب عدد من ضباط وأفراد الشرطة الهنود المتمرسين مع عدد آخر من المساعدين القديرين أغلبهم سحبوا من مقاطعات الشمال الغربية، لكونهم على مقدرة بالتكلم بالعربية والفارسية الدارجة.

وخلال أسبوع من احتلال البصرة، أصدرت قيادة قوات الاحتلال أمراً بتعيين الرائد غريغسون مديراً عاماً للشرطة في المناطق العراقية المحتلة، وتم تحويله صلاحية تعيين أفراد شرطة (كونستابل) وتشكيل مخافر شرطة في جميع النقاط المهمة.

وقد اعترضت دائرة الشؤون الخارجية البريطانية على إطلاق تسمية (القوموسير) (الكومشنور commissioner) على مدير شرطة المناطق المحتلة؛ لأن هذه التسمية وفقاً للأعراف البريطانية لا تطلق إلا على (مدير الشرطة) في المدن الكبرى (في بريطانيا حالياً يطلق اللقب هذا فقط على مدير شرطة العاصمة الميتروبوليتان لندن وعلى مدير شرطة أيرلندا الشمالية فقط) ويعادل رتبة فريق، بينما باقي مدراء شرطة المقاطعات (الشاير) هم جيف كونستابل ويعادل لواء.

لقد كان المبدأ الذي تبنته سلطات الاحتلال هو تشكيل وتوحيد وضبط قوة الشرطة في المدن الكبيرة فوراً بعد الاحتلال من قبل الجيش البريطاني، أما المدن الصغرى فتم تعيين مجندين محليين (قوات اليفي) لهذا الغرض مستقلين عن الشرطة النظامية.

كان مديرو الشرطة خلال السنوات الثلاث الأولى من البريطانيين والهنود وعند احتلال بغداد أضيفت أعداد من الجنود البريطانيين مع شرطة متمرسين من بريطانيا إلى القوة كمعلمين، وكضباط مراكز، وقد تألف الناس معهم؛

لأنهم وجدوهم أفضل منطقاً واحتراماً من ضباط الشرطة العثمانيين الذين كانوا يضربون الناس ويضطهدونهم.

لقد وجد ضباط الصف العرب أنفسهم منساقين للالتزام بالزي الرسمي الموحد للشرطة وخاصة من حيث السراويل القصيرة والركب العارية التي كانت مصدراً للمرح الممزوج بالاشمئزاز، وسرعان ما استوعب العرب الإيعاز والحركات مثل زملائهم البريطانيين والهنود، وانعكس ذلك في تصرفهم مع الجمهور ونظرة الاحترام التي يلقونها منهم.

وكان أهم نتيجة مباشرة لهذه البداية الطيبة أنه في مستهل سنة ١٩١٩م صار من الممكن إدراج قليل من العرب المناسبين المتحدرين من أسر كريمة للتدريب في سلك الشرطة الجديدة ليكونوا ضباط شرطة، وتم تأسيس مدرسة لتدريب المفوضين تدرس فيها مواد القانون وأنظمة الشرطة والتدريب العسكري وركوب الخيل واستخدام السلاح... وغيرها.

كما تم إرسال عدد من العراقيين إلى الهند لدراسة نظام طبقات الأصابع، وقد أثبت هذا التطور نقطة انعطاف إيجابية في نمو منظمة الشرطة العراقية، لقد كانت للشرطة العثمانية سمعة سيئة لذا كانت الأسر المرموقة لا ترسل أبناءها للخدمة في الشرطة، كما أنه لم ينصح باعتماد عناصر شرطة ممن كانوا مستخدمين لدى الشرطة التركية.

ولقد استعانت سلطة الاحتلال بأعداد من رجال الشرطة الصوماليين المدربين سابقاً لدى الشرطة البريطانية في (محمية عدن)، وإلى حد عام ١٩١٨م كان الهرم المسؤول عن قوة الشرطة هم من البريطانيين والهنود بصورة كلية تقريباً، وفي عام ١٩١٩م بدأت العناصر العربية بالدخول في مسؤوليات الشرطة، ومع قدوم عام ١٩٢٠م بدأت قوة الشرطة تفتح سجلاتها باللغة العربية، وبدأ ممثلو

الإدعاء العام من الشرطة يظهرون في المحاكم دون مساعدة من البريطانيين، وتم خفض عدد عرفاء الشرطة البريطانيين وحل محلهم العرب المدربون.

أمّا مديرية شرطة التحقيقات الجنائية (السي آي دي) فقد تأسست عام ١٩١٧م بالبصرة ابتداءً، وكانت تدعى مكتب طبعات الأصابع، ثمّ نقلت إلى بغداد، وكانت تضم قسم طبعات الأصابع، ومديرية للجوازات وكان البلد يدين لأنشطتها كثيراً، أمّا شرطة السكك التي تمتد أنشطتها إلى جميع منظومة قطارات سكك الحديد، فإنها جزء لا يتجزأ من المنظومة، وتتمتع بثقة معروفة ولدرجة ملحوظة وكان لرجال شرطة السكك دور مهم في حماية خطوط السكك، وكان وجودهم في القطارات يبعث على الارتياح والطمأنينة خوفاً من تعرّض القطارات للسلاية وقطاع الطرق.

عند احتلال البصرة عام ١٩١٦م كان إجمالي قوة الشرطة العراقية الجديدة (٤٠٠) عنصر، وعند احتلال الموصل أصبح العدد (٩٥٠)، وعند اكتمال احتلال العاصمة بغداد بلغ عدد أفراد الشرطة العراقية (٢٠٠٠) عنصر تقريباً، وجرت إضافات أخرى عام ١٩٢٠م على مهمات وواجبات الشرطة وأصبح حجم قوتها يبلغ (٢٦٢٨) فرداً.

تعيين نوري السعيد أول مدير عام للشرطة العراقية عام ١٩٢١م:

وفي عام ١٩٢١م تم تعيين (المقدم بريسكوت) مفتشاً عاماً للشرطة خلفاً للمقدم غريغسون، ودعا بريسكوت إلى تطوير حجم قوة الشرطة فوصل إلى قرابة (٦٠٠٠) فرداً عام ١٩٢٢م مع تنصيب مدير عام عربي لرئاسة الشرطة هو (العقيد نوري السعيد).

وفي عام ١٩٢٨م وصل عدد قوة الشرطة (٦٨٠٠) بضمنهم (٤٠) مديراً ومعاون شرطة، و(١٨٢) مفوضاً عربياً و(٦٥٠٠) فرد شرطة نصفهم تقريباً

من الخيالة، وكان عدد المفتشين الاستشاريين البريطانيين (١٢) شخصاً.

عدد نفوس العراق كان آنذاك (٢,٧٥٠ مليونين وسبعمائة وخمسين ألفاً) نسمة ومساحته (١٦٦) ألف ميل مربع، وذو طبيعة جغرافية صعبة ومتنوعة مما فرض ضريبة ثقيلة على عمل الشرطة، خاصة في مجال حماية خطوط الاتصال والتجارة داخل البلد، فلدى العراق زهاء (٦٠٠) ميل من الأنهر الصالحة للملاحة و(٦٠٠) ميل من خطوط سكك الحديد وحوالي (١٠٠٠) ميل من طرق السيارات الداخلية، خاصة أنّها تستعمل بصورة واسعة من قبل (٢٠-٤٠) ألف حاج من ست جنسيات سنوياً يعبرون العراق من الشمال والشرق باتجاه نجد والحجاز.



أمّا شرطة الكمارك لحماية الحدود الغربية، فقد جهزت بـ (٣) سيارات مسلحة تحمل اللاسلكي تعمل من قبل مشغلين عراقيين تم تدريبهم في القوة الجوية الملكية raf، واستخدمت هذه السيارات بمصاحبة الشرطة الراكبة المصاحبين لموظفي الكمارك، وكان هناك طريقان رئيسيان للتجارة الخارجية والمسافرين،

الأول (طريق موصل - حلب) والثاني (طريق بغداد - دمشق) يغطيان مسافة (١٢٠٠) ميل من طريق الصحراء يسافر عليهما ما يربو على عشرة آلاف مسافر سنوياً بالسيارات أو على الجمال.

التشابه بين نظامي الشرطة في العراق والهند في فترة التأسيس:

كان نموذج نظام شرطة العراق قريب الشبه بالنظام الهندي ولعلّ الشرطة هي المديرية الوحيدة من بين مديريات الحكومة في العراق من حيث اكتمال بنائها على الخبرة العراقية الجديدة، وبدأ المستشارون البريطانيون يغادرونها عاماً بعد عام وبدأ العمل بنظام إدارة مركزي مسيطر من بغداد، وأصبحت مديرية الشرطة العامة قادرة على الدخول في تعاون ثنائي مع الإدارات المقابلة لها في الهند وفلسطين وإيران وسوريا وتركيا وبتائج بالغة الرضا.

عدم تدخل السلطات السياسية في مهمات الشرطة الإدارية:

وفي العراق بالذات كانت الشرطة تقوم بواجباتها بصورة حرة دون أي تدخل في أمورها الإدارية من قبل السلطة السياسية.

يجب أن لا يغيب عن البال أن ضباط الشرطة البريطانيين الذين أرسلوا من الهند لم يتم اختيارهم بشكل خاص لزمّن السلم، إنّما أغلبهم لم يكن راغباً لسحبه من كتائب المشاة، ولكن لا بدّ لنا من القول إنّنا فخورون تماماً عن الخدمة التي صنعت رجالاً قادرين في مثل هذه الظروف على قلب الأمور نحو الأحسن لتحقيق هذه النتائج.

إن سجل شرطة العراق قد وجد نظاماً جيداً ونموذجاً فريداً أوجده الموظفون البريطانيون على خطوط ومسارات بريطانية ونجحوا بأن يجعلوه عربياً، وبذلوا جهوداً ملحوظة في صنع خدمة أكثر تحرراً من الفساد وسوء

التصرف اللذين كانا منتشرين في أقطار الشرق آنذاك على حد علم الكاتب.

ويختتم كاتب المقال بالقول: أقدم الشكر لضباط الصف العراقيين الذين أثبتوا أن منح راتب المعيشة (رغم ضآلته)، والدعم الرسمي، والتدريب المنظم، جعلهم قادرين على أداء الواجب دون خوف أو محاباة أو تصنع، وأنه مع هذه الصفات الموسومة مع التطور فإن هناك أملاً للمستقبل أمام عراق عريق ذي جذور ضاربة في عمق التاريخ ومملكة فتية.





الوثائق العربية وتحديات العصر الإلكتروني

أ.د. أوديت مارون بدران

م.م. عبد اللطيف هاشم خيري

المستخلص :

استعرضت الدراسة تاريخ الوثائق ومعناها وأنواعها واستخداماتها قديماً وحديثاً، وتمّ شرح طرائق حفظها وتكثيفها وتصنيفها باعتماد الجهات المنتجة لها كأساس للتصنيف، وتناولت كميّة خزن واسترجاع الوثائق تقليدياً وآلياً. واقتُرحت أيضاً استخدام مصطلح الوثائق بدلاً من الأرشيف في مؤسّسات المعلومات ودور الوثائق، فضلاً عن استثمار إمكانات النظم الرقمية في خزنها واسترجاعها في ظلّ ما يسمّى بالعصر الإلكتروني.

Abstract:

This study reviews the history and meaning of archives as well as their kinds and uses in past and present. it also tackles the methods of storing and indexing of the archives. the classification storing and retrieval of archives are tackled traditionally and currently.

The study suggests exploiting the computer for storing and retrieving under the umbrella of what is called the electronic age.

المقدمة :

لقد عرف التاريخ الإنساني في فترات مختلفة كوارث كبيرة أدّت إلى تدمير أجزاء كبيرة ومهمّة من التراث الوثائقي العالمي، وفي بلادنا العربية على سبيل المثال - كان حريق مكتبة الإسكندرية في مصر القديمة قد دمرّ المخزون التراثي الهائل في ذلك العصر بحيث أصبحت الوثائق بعد الحريق شبيهةً بقصاصات

ورق يتعذر تمييزها.

وعندما كانت بغداد عاصمة الدولة العربية الإسلامية قذف المغول بالكتب والوثائق التاريخية في نهر دجلة بحيث يروى أنّ مياهه اسودّت لعدة أيام من جراء ذلك^(١)، واستمرّ إتلاف الوثائق في الحقب التاريخية المختلفة بدون حساب ولم يبقَ منها إلّا القليل، واستمرّ هذا الخطر الحادق الذي أحاط بوثائق الدولة إلى أن تنبه بعض حكام الشعوب القديمة إلى أهميّة الوثائق وضرورة الاهتمام بها، فأصبح حفظ الوثائق والاهتمام بها من المهام الرئيسة الملقاة على رجال الدولة على مرّ العصور السابقة، وقاموا بحفظ تلك الوثائق الرسمية للأجيال القادمة وذلك عندما نظروا إليها بأنّها أحد المظاهر المهمّة لهيبة الدولة وسيادتها وقوّتها وسيطرتها، وحاولوا من خلال هذه الوثائق تسجيل الوقائع التي يرونها هامة في تاريخ دولتهم وتدوين مدى النفوذ الذي حققوه، وفي الحضارات القديمة في بلاد الرافدين ومصر وسوريا سجّل رجال الدولة أهمّ الوقائع التاريخية والشرائع والقوانين والآداب والأساطير وحفظوها بطريقة يسهّل وصولها إلى أيدينا.

وعندما ننظر إلى تاريخنا القديم نجد أنّ الوثائقين تقلّدوا أحسن المناصب في الإدارة الحكومية، وإنّ الدول المتقدمة في عصرنا الحاضر تنظر باحترام كبير إلى العمل الوثائقي وتعطيه مكانة ديناميكية متكاملة^(٢)، وهذا بعكس ما هو متعارف عليه في البلدان العربية اليوم حيث ينظر إلى العمل الوثائقي نظرةً متدنيّة، حيث تنظر معظم المؤسّسات الرسمية والخاصّة إلى العمل الوثائقي

(١) النادي العربي للمعلومات نظم المعلومات الحديثة في المكتبات والأرشيف.. دمشق: النادي العربي للمعلومات، ٢٠٠٠.

(٢) الرمضاني، فرقد: الوثيقة بين الماضي والحاضر والمستقبل.. محاضرات ندوة المعلومات الرابعة دمشق: مركز المعلومات القومي للفترة ١٤-١٩/١٠/١٩٩٧.

وكأنه عمل ثانوي، وإن الجمهور غير المتخصص يعتقد أن العمل الوثائقي يبدأ عندما تنتفي الحاجة إلى الوثيقة الرسمية، ومن المؤسف أن نرى أن الكثير من المسؤولين في مؤسساتنا العربية يتبنون هذه النظرة، ويؤكدون عليها بنقل الموظف من وظيفته للعمل في تنظيم الوثائق عند معاقبته.

إن للوثائق أهمية كبيرة إذ يُعتمد عليها لمعرفة أحداث الماضي والإشارة إليها في أحداث الحاضر والمستقبل وإن العمل الوثائقي لا ينتهي فهو عمل للأجيال كلها، لأن عدد الوثائق لا يمكن تحديدها أو وضع نهاية لها، إذ كلما كبرت الدائرة المنتجة للوثائق اتسعت معها الحاجة إلى التنظيم والتحليل والتخطيط.

وفي هذه الدراسة يتناول الباحثان معنى الوثائق ومتطلبات التنظيم الحديث لها وكيفية تحليلها واعتماد المعايير المناسبة لمواكبة التطورات التكنولوجية الحديثة وتليتها ولاسيما عند تحويل الوثائق من وضعها التقليدي إلى وضعها الإلكتروني.

الوثائق وليس الأرشيف:

لقد كثر استعمال مصطلح (الأرشيف) ولاسيما في السنوات الأخيرة بحيث استخدمه البعض للإشارة إلى قسم المعلومات الصحفية فأطلقوا عليه تسمية (الأرشيف الصحفي) وأخذ البعض الآخر يستعمل هذا الاسم في قسم الأوراق والمحفوظات في الدوائر والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية فسمّوه أرشيف الوزارة أو أرشيف الدائرة، وكثيراً ما نسمع من بعض العاملين في المؤسسات الإذاعية والتلفزيونية عبارة (أرشيف الإذاعة) أو (أرشيف التلفزيون) وهذه تعابير خاطئة من الأفضل استبدالها بتعابير أخرى وهي قسم الوثائق أو قسم المعلومات^(١).

(١) قنديلجي، عامر إبراهيم: موسوعة التوثيق والمعلومات الصغيرة.. بغداد: مركز التوثيق

بالإضافة إلى ما تمّ ذكره أعلاه أنّ كلمة أرشيف تختلف عند استعمالها في الصحف والقصاصات الصحفية والإعلامية، إذ لا يجوز هنا تسميتها بالأرشيف الصحفي؛ لأن استخدامهما هنا باللغة العربية لا يعطيها المعنى نفسه باللغة الإنكليزية ومما يؤكّد ذلك تسمية المراكز الخاصّة بالوثائق في واشنطن (archival institutions) وفي باريس (archive nationale) أمّا بالنسبة للإعلام والقصاصات والصحافة فتسمى (media, clippings, journalism)، وأنّ الدائرة التي تحتفظ بها وتنظّمها تسمّى مركز أو قسم الإعلام أو المعلومات. وأنّ التنظيم والحفظ فيها يختلف عن التنظيم المتعارف عليه في الوثائق.

إن كلمة الأرشيف المتداولة دخلت إلى العربية من الكلمة الفرنسية أو الإنكليزية archives وهي تكتب بالطريقة نفسها في كلتا اللغتين ولكنها تلفظ بطريقة مختلفة، وكلمة الأرشيف مشتقة أصلاً من الكلمة اليونانية (archeion) وتعني المكتب، ومن الكلمة اللاتينية (archivum) والتي تعني الورقة، وتعدّ كلمة أرشيف دخيلة إلى اللغة العربية مثل كلمتي بليوغرافيا وببليومتريز... ولو أنّ هذين الكلمتين تعطيان المعنى الوظيفي نفسه لها، إذ إنّ الكلمة الأولى تعني: (قوائم المؤلّفات) والكلمة الثانية تعني: (قياس العلاقات بين المواد وتقييمها من خلال القوانين الببليومترية والإشارات الببليوغرافية). ويجب الإشارة هنا إلى أنّ هاتين الكلمتين هما دخيلتان أيضاً ولا يمكن صياغتهما أو تعريفهما باللغة العربية.

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ الأستاذ الدكتور حسن علي الحلوة^(١) لم يتطرّق مطلقاً إلى كلمة وثائق عند ترجمته الفصل الحادي عشر من كتاب «الأرشيف

الإعلامي لدول الخليج العربي، ١٩٨٣.

(١) شلنبرج، ت. ر: الأرشيف الحديث: مبادئه، وتقنياته، ترجمة حسن علي الحلوة.. مجلّة المكتبات والمعلومات العربية، س ١٤، ع ١، (يناير ١٩٩٤).

الحديث مبادؤه وتقنياته»، وإنَّما استخدم كلمة أرشيف عندما تطرَّق إلى (نظم أرشيفية، مؤسَّسات أرشيفية، الأرشيفي، والأرشفة... إلخ) لكونها كلمات ليست عربية وإلَّا كان بإمكان الكاتب ترجمتها إلى العربية كوثائق. وبالإضافة إلى ذلك فقد اعتمد هذا الفصل المترجم بدلاً من الكثير من المصادر التي تحمل كلمة (records) أو (archives) لأن الكلمتين تعينان وثائق.

هناك عدَّة تعاريف للوثيقة، ومنها التعريف الذي يميِّز بين الوثيقة العادية والوثيقة الدبلوماسية والتي هي: عبارة عن مستند مكتوب وفقاً لصياغة معينة ويشتمل على فعل قانوني. أمَّا الوثيقة العادية فأتمَّها تعني: المستند المكتوب قانونياً أو غير قانوني. أمَّا الوثيقة الورقية فتعني: الورقة العادية أو الدبلوماسية وهي الوثيقة الصادرة من جهة حكوميَّة رسميَّة أو شبه حكوميَّة أو من قبل أفراد، وتحتوي على معلومات علميَّة وتاريخيَّة وحضاريَّة وغيرها^(١).

وتعرِّفها الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات^(٢) أنَّها: «سجل أو مستند مرسوم أو مكتوب عليه، ينقل المعلومات، ويعتمد عليه لإثبات حقائق ويشتمل على الصور والسمعيَّات والتسجيلات المحسوسة - كالكتب والقصاصات والخرائط والمخطوطات والرسومات والدوريات.. إلخ» إنها: «أيَّ شكل من المعلومات المسجَّلة، سواء كانت في قالب كتابي مكوَّن من حروف وأرقام ورموز، أو مصور أو مسموع والاتجاه في الوقت الحالي هو اعتبار جميع محتويات المكتبة أو مركز التوثيق كوثائق ويقصد بالوثيقة أيَّ نوع من السجلات دون النظر إلى بياناتها أو شكلها المادي سواء

(١) المهدي إبراهيم أحمد: دراسات في الأرشيف والمعلومات. بنغازي: جامعة قاريونس، ١٩٩٨.

(٢) الشامي، أحمد محمد؛ سيد حسب الله: الموسوعة العربية لمصطلحات علم المكتبات والمعلومات والحاسبات، مج ١، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠١.

كانت على ورق أو فيلم أو رق أو آية مادة أخرى».

وفي الآونة الأخيرة، ولأول مرة في الوطن العربي، ابتداءً الاهتمام بالوثيقة العربية وذلك لما لها من أهمية كبيرة حيث خُصص يوم للوثيقة العربية في ١٧ تشرين الأول من كل عام، وتمّ اعتباره عيداً للموثّقين العرب^(١).

أمّا مركز أو دار الوثائق فقد تمّ تعريفها أنّها: «تلك المؤسسة التي تُعنى باستقبال وجمع الوثائق وأوعية المعلومات من إنتاج النشاط البشري سواء كان هذا الإنتاج من قبل منظمة أو هيئة رسمية أو شبه رسمية أو كان بشكل فردي - وتقوم هذه المؤسسة بتصنيف هذه الأوعية وتنظيمها وحفظها وتبثّتها للمستفيدين منها بأحسن أسلوب وبأقلّ كلفة وذلك بتطبيق الاقتصاد الأمثل للموارد والامكانيات المتاحة»^(٢). وتعدّ دور الوثائق من أولى المؤسسات المعلوماتية التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ وإلى حد الآن، من ثمّ انبثقت منها مؤسّسات المعلومات على مختلف أشكالها ومسمّياتها، في عصر ثورة المعلومات الراهنة.

أنواع الوثائق:

اعتمد مفهوم إدارة الوثائق في البلدان المتقدمة لرعاية الوثائق منذ إنشائها في سائر الإدارات والجهات الحكومية والعامة ومتابعة هذه الوثائق إلى أن يتقرر مصيرها النهائي سواء بحفظها دائماً أم بإتلافها^(٣)، ويتمّ تسمية أنواع الوثائق بالنسبة إلى عمرها أي: منذ إنتاج الوثيقة، والذي ينقسم إلى ثلاث مراحل^(٤):

- (١) النادي العربي للمعلومات: يوم الوثيقة العربية. عرين، ٢٤، (تشرين الأول ٢٠٠١).
- (٢) محمد حسن جاد الله: رؤية عامة للمؤسّسات الأرشيفية ودورها في عصر العولمة العربية، ص ٢، ع ٣، ٢٠٠١.
- (٣) بوتيمان وولف: المعايير والأرشيف، ترجمة سوسن الجزائري. العربية ٣، ص ٢، ع ١، ٢٠٠١.
- (٤) النادي العربي للمعلومات: نظم المعلومات الحديثة، مصدر سابق.

١. المرحلة الأولى: وتنطبق على الوثائق الجارية أو النشطة، أي المستخدمة باستمرار، وتسمى بالوثائق الجارية (أو النشطة).

٢. المرحلة الثانية: وهي التي تبتدئ عندما تغلق الملفات وتنتهي معالجة القضايا المتعلقة بها ويصبح استخدامها بشكل عرضي وعندئذ تسمى الوثائق الوسيطة.

٣. المرحلة الثالثة: وتبتدئ عندما تنتهي فترة اعتبار الوثيقة وسيطة، وعندها تنتهي كل حقوق المؤسسة المعنية بالتصرف بوثائقها، ثم تُرسل هذه الوثائق إلى مراكز الوثائق وذلك ليتقرر إما حفظها بصورة دائمية أو إتلافها بعد انتفاء حاجة الإدارة لها وعندئذ تسمى بالوثائق الثابتة أو النهائية.

وهنا نودّ التأكيد على أن المعلومات الواردة في المصدر (نظم المعلومات الحديثة في المكتبات والأرشيف الصادر عن النادي العربي للمعلومات) هي مناسبة ولكن كلمة أرشيف لم تعالج ولم تناقش وإنما استخدمت كما هي، واعتُبرت دخيلة إلى العربية ولكن كلمة وثائق هي الدالة على المفهوم هنا، وهي التي استخدمت في هذه الدراسة.

وتقوم مراكز الوثائق في البلدان المتقدمة بالإشراف على الوثائق في مراحلها الثلاثة النشطة (أو الجارية) والوسيطة والنهائية، في حين أن عمل مراكز الوثائق العربية ينحصر بالمرحلة الثالثة فقط وفي بعض الأحيان لا تتمكن من السيطرة الكاملة في هذه المرحلة، إذ إن بعض المؤسسات لا تلتزم بإرسال وثائقها إلى هذه المراكز.

وعليه يتوجب على الوثائقيين والمراكز العربية للوثائق أن يقوموا بتطبيق المفهوم المتكامل للوثائق في مراحل الثلاث، وبذلك يمكن أن يرتبط عمل الوثائق بشكل ديناميكي بالعمل اليومي في الدوائر الحكومية، وأن يساهم الموظفون في تطوير العمل، وتلبية رغبة المسؤولين في استرجاع المعلومات وأي

عنصر منها بسرعة وذلك بالاعتماد على الوثائق الرسمية الجارية والمنظمة بصورة صحيحة قدر الإمكان.

إنّ الوثائق العربية تواجه تحديات كبيرة على مشارف الألفية الثالثة أهمّها تحديات إثبات موقعها المتميّز في الدولة والمجتمع وترسيخ وتطبيق مفهوم الوثائق المتكامل بمراحله الثلاث إلّا أنّ التحدي الأهم يكمن دون شكّ في استيعاب التطوّرات التكنولوجية الجديدة في العالم ولاسيّما في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، واختيار ما يناسب من هذه التكنولوجيا وما ينطبق على ظروف عمل مراكز الوثائق العربية.

طرائق حفظ الوثائق:

لقد تطوّرت طرائق حفظ الوثائق من العمل التقليدي إلى الأعمال الإلكترونية، وكما يلي:

١. الطريقة التقليدية (اليدوية): وهي الطريقة المألوفة والمتعارف عليها لدى منظمي الوثائق والتي تشمل باختصار عمليات نقل الوثائق من الدوائر التي تنشأ فيها إلى مراكز حفظها أو المركز الوطني الخاص بها حيث توضع هذه الوثائق بشكل غير منسّق أو مرتّب في داخل ملقّات تحمل أرقاماً عامّة فقط، وحسب اجتهاد الموظّف المختصّ والمسؤول عنها، بذلك تكون السيطرة عليها ضعيفة ولا يمكن إيجاد الوثيقة المعنية عند الحاجة إليها بسبب الكمّ الكبير والمتنامي من الوثائق فضلاً عن أنّها تشغل مساحات واسعة.

٢. تحويل شكل الوثائق إلى الأشكال المصغّرة المايكروفورم (microforms)^(١): لتقليص مساحة الخزن بتحويل الوثائق إلى الأشكال المصغّرة مثل المايكروفيش (microfish) والمايكروفيلم (microfilm)

(١) الشامي، أحمد محمد؛ سيد حسب الله: الموسوعة العربية، مصدر سابق.

والميكروكارد (microcard) ويتم ذلك بعد تصوير الوثائق على أفلام أو شرائح أفلام مصغرة ولكن يبقى تنظيم الوثائق كما هو في الفقرة (١) أعلاه وبشكل يصعب السيطرة عليه وذلك لعدم إمكانية إيجاد الوثيقة المعنية بسهولة فضلاً عن أن هذه الطريقة تحتاج دائماً إلى جهاز قراءة أو توجب إعادة طبع الوثيقة أو استنساخها على الورق الاعتيادي بواسطة أجهزة القراءة والطبع.

ومن مميزات هذه الطريقة هو إمكانية تخزين الوثائق لفترات طويلة من دون أن تتلف وذلك إذا تم توفير ظروف مناخية ملائمة لها وفق مواصفات معينة.

٣. حفظ الوثائق على أدوات الخزن المغنطة: كالأشرطة أو الأقراص المغنطة magnetic tape or magnetic disk ومن الملاحظ أن هذه الطريقة قليلة الاستعمال حيث انتقل المتعاملون بالوثائق إلى استعمال الطرق الأحدث وهي استخدام الحواسيب والأدوات المليزة كما سنرى في أدناه.

٤. حفظ الوثائق في الحواسيب: ويعني ذلك خزن الوثائق:

(أ) إمّا بشكلها الكامل (أي النص الكامل) وذلك باستخدام جهاز المسح الضوئي (scanner) وتعدّ هذه الطريقة مكلفة كثيراً وتشغل مساحة خزن كبيرة كونه ينقل النص على شكل صورة، وتخزن داخل الذاكرة الخاصة بجهاز الحاسوب وعندئذ لا يمكن نقلها من مكان إلى آخر بل تعرض على الحاسوب ذاته (وهذا كان قبل تطوّر تقنيات الاتصال وظهور شبكات المعلومات).

(ب) وإمّا بواسطة إدخال أرقام ورموز أو مصطلحات تمثل محتوى الوثائق.

كما يتم حفظ الوثائق داخل أدوات الخزن الإلكتروني أو ما يسمّى بالذاكرة الخارجية مثل الأقراص المكتنزة أو المترصّة (cd: compact disk) أو الأقراص المرنة (floppy disk) بمختلف أنواعها وأحجامها. وبالإمكان نقل

هذه الأوعية من مكان إلى آخر وكذلك استنساخها واستخدامها في أنواع مختلفة من الحواسيب^(١)، وهذا كله يسرع عملية الخزن والاسترجاع مهما يكن عدد الوثائق، فضلاً عن ذلك استخدام ما يسمّى بأبراج الأقراص الضوئية والتي تضمّ فيها عدّة أقراص ضوئية وإنّ سعتها كبيرة وقد تصل إلى ما يتسع لحوالي ٦-٨ مليار صفحة على شكل صورة^(٢).

كما ساعدت التطورات التكنولوجية على ظهور شبكات الاتصال أو شبكات المعلومات عن بعد والتي وفرت أسلوباً أفضل لنقل الوثائق بين الحواسيب مباشرة حيث أصبح بالإمكان استخدامها بدون الحاجة إلى نقلها بواسطة الأقراص المرنة أو المليزرة والتي قد تعرضها إلى التلف.

النظم الرقمية:

انتشرت النظم الرقمية في جميع مجالات العمل والحياة الاجتماعية والثقافية، وأبتدأت مراكز التوثيق والمؤسسات المعلوماتية والإعلامية الأخرى باستخدام هذه النظم بعمليات واسعة تتمثل بعمل نسخ رقمية (إلكترونية) طبق الأصل من الوثائق والتسجيلات والصور التي تحفظ التراث الثقافي للبشرية لما تحتويه من معلومات مهمّة، حيث أتاحت هذه النظم الرقمية إمكانيةً اطلاع الباحثين على التراث الثقافي في مواقع عملهم والحصول على الوثائق التي يحتاجون إليها بدون اللجوء إلى تلك المؤسسات التي تحتفظ بها.

ومن التجارب العالمية في هذا المضمار قيام المكتبة البريطانية بالمسح الضوئي

(١) السامرائي، إيمان فاضل توفيق: التطبيقات الآلية في المكتبات ومراكز المعلومات في العراق. (أطروحة دكتوراه)، بغداد: الجامعة المستنصرية، ١٩٩٥.

(٢) قنديلجي، عامر إبراهيم: البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، عمان: دار البيازوري للنشر، ١٩٩٩.

للمخطوطات القديمة التي تعود إلى القرون الوسطى لغرض حفظها، كما أصبح اليوم بإمكان رواد المكتبة الوطنية الفرنسية استخدام النظم الرقمية للحصول على كلّ ما يحتاجونه من الوثائق وأوعية المعلومات الأخرى من مئات المحطات الطرفية (terminal) والتي تحتزن ما يزيد على (١٠.٠٠٠) مجلد والتي تحتوي جميعها على معظم التاريخ والثقافة الفرنسية^(١).

التنظيم:

ويقصد به تفحص الوثيقة وتحليل محتواها واختيار الكلمات الدالة التي تمثلها ومن ثمّ وضع رقم تصنيف لها يدلّ على مكانها داخل الملف الذي تحفظ به وكلّ ذلك بعد أن يعطى رقم لتصنيف الملف حسب النظام المتبع في المركز، وتتضمّن عملية التنظيم عمليتين هما:

١. التحليل أو (التكشيف).

٢. التصنيف، وكما يلي:

التحليل أو التكشيف:

يتمّ ذلك بتحليل محتوى الوثيقة بدقّة وهذا ليس صعباً؛ لأن أغلب الوثائق ليست كبيرة الحجم مقارنة بمقالات الدوريات أو الكتب.

ومن الصعوبات التي يواجهها المحلّل هي كيفة تحديد أهم المصطلحات وهل ستكون حرة أم مقنّنة (أي: تدقيقها ومطابقتها بمكنز أو قائمة رؤوس موضوعات وما هو عددها) علماً أنّه لا توجد معايير ثابتة لذلك، وتباين بالنسبة إلى محلّلي المعلومات وذلك حسب اجتهاداتهم وخبراتهم بأساليب التحليل أولاً، وبموضوع الوثيقة ثانياً. ومن الجدير بالذكر هنا هو أنّه عندما يكون الوثائقي له

(١) النادي العربي للمعلومات: نظم المعلومات الحديثة، مصدر سابق.

خبرة ومعرفة بالوثائق ومحتوياتها وترتيبها وفوائدها في إنتاج البحوث، عندئذٍ يساعد الباحث للحصول على دقة عالية بالاسترجاع، أي: أن الملائمة تكون بدرجة عالية بين الطلب وبين ما استرجع من وثائق.

التصنيف:

إنَّ الغرض من التصنيف هو جمع المواد المتشابهة معاً، أي: المواد التي تعالج موضوعاً معيناً في مكان واحد، وهذا ما هو مطبَّق في المكتبات والمؤسسات المعلوماتية كافة التي تتعامل مع أوعية المعلومات على اختلاف أشكالها، ولو اختلفت أنظمة التصنيف فيها إلاَّ أنَّها تهدف إلى الغرض نفسه وذلك باعتماد الموضوع المشترك بين المواد.

أمَّا بالنسبة للوثائق فهناك احتمالان:

الأوَّل: التصنيف حسب موضوع الوثيقة وبتطبيق نظام تصنيف عام كنظام تصنيف ديوي العشري أو غيره من الأنظمة.

الثاني: نظام متخصص بالوثائق باعتماد الجهة المصدرة أو المنتجة للوثيقة وذلك يعني الدائرة المنتجة لها نتيجة تادية وظيفة معينة لموضوع معيّن فيكون أساس رقم التصنيف هو اسم الدائرة الأمَّ أولاً ومن ثمَّ الدائرة الأصغر، وبعد ذلك يدوّن رقم الموضوع ويليه رقم تسلسل الوثيقة داخل الملفَّ أي: أنَّ هناك ثلاثة رموز الأوَّل: يمثِّل الدائرة المنتجة، والثاني: رقم الموضوع، والثالث: رقم التسلسل، وبالتالي سيكون ترتيب الملفَّات حسب أرقام الدوائر، أمَّا بالنسبة لرقم الموضوع فتعدّ قائمة بالموضوعات المستخدمة في كلِّ دائرة حسب وظائفها (لتفصيل إعداد القائمة يحتاج إلى دراسة مستقلة) وتكون أرقام الموضوعات ثابتة وذلك يعني أنَّه في حالة تكرار الموضوع في أكثر من ملفَّ سيكون الاختلاف بين الملفين هو رقم الدائرة المنتجة، أمَّا داخل الملف فلائتان يحملان رقم الموضوع

نفسه. وعليه سيكون الاسترجاع سهلاً سواء كان عن طريق رقم الملف أم رقم الموضوع، ومن المفترض أن يتم ذلك في الدوائر الرسمية بالنسبة للوثائق الجارية وقبل أن تتحول إلى المرحلة الوسيطة أو يتم ترحيلها إلى مركز الوثائق ففي هذه الحالة تحافظ الوثيقة على رقمها أولاً في الدائرة وعند ترحيلها تحمل الرقم نفسه معها والذي يبقى ثابتاً، وهذا يتطلب دائماً وجود اتصال مستمر بين الدائرة ومركز الوثائق للمحافظة على تطابق أرقام الملفات والموضوعات في الدائرة وفي مركز الوثائق.

وعلى سبيل المثال أن تصنيف الوثائق الصادرة عن الجمعية العامة في الأمم المتحدة يكون كالتالي أولاً: رمز الجمعية ثم رقم الموضوع ثم رقم البيع لكل سنة.

الآليات والتقنيات المستخدمة:

إنّ الوثائق يجب أن تخزن في خزانات خاصة بها وأن يتم ترتيبها حسب أرقام التصنيف التي تحملها. أمّا عند طلب استرجاع أية وثيقة فيكون عن طريق البطاقات المذكورة في الفهرس الخاص بها، ويكون البحث عنها بموجب الموضوع أو العنوان أو رقم الوثيقة أو اسم الجهة التي أصدرتها.

إنّ هذه الطريقة قد تغيّرت كثيراً بعد التطورات التكنولوجية الحديثة واستخدام الحواسيب حيث تخزن الوثيقة في الحاسوب بموجب نظام معين وبواسطة ما يمثلها من رموز وأرقام تصنيف بالإضافة إلى الكلمات أو الواصفات التي تمثل المحتوى، وأمّا أن تخزن بواسطة عملية التصوير الضوئي (scanning) وبهذه الطريقة يتطلب تصوير كلّ صفحة أولاً وثم تحويلها من الشكل التقليدي إلى الإلكتروني، الاسترجاع هنا يكون بواسطة الكلمات أو الواصفات واستخدام إستراتيجيات البحث المعروفة بالعوامل البوليانية (و،

أو، كلاً، مع، قرب).

وهنا فإن الوثائق العربية تعاني أشد المعانات وذلك كون تقنية التعرّف على الحروف بصرياً أو ما يعرف بـ (ocr) لا تزال غير متلائمة مع الحروف العربية فهي لا تميّز الحروف العربية كما هو عليه الحال بالنسبة للحروف والخطوط الإنكليزية - على سبيل المثال - والتي تزيد فيها نسبة التعرّف على تلك الحروف على آل ٩٤ ٪، بينما لا تزال الحروف العربية أقصى محاولات تطبيق تلك التقنية عليها لا تتجاوز نسبة آل ٣٥ ٪ في حدودها القصوى.

ومن الممكن أن يكون الاسترجاع بواسطة نظام النصّ المترابط (الهابير تكست hyper text) هنا يتمّ الربط بين وثيقة وأخرى داخل الملفّ أو بين ملفّ وآخر أينما وجد وذلك كلّ بواسطة الكلمات التي تمثّل أدوات الربط إمّا كحلقة وصل أو كعقدة توصيل فيما بين الوثائق سواء كانت في مركز الوثائق نفسه أم فيما بينها وبين الوثائق الجارية في الدائرة المنتجة لها. ويعتمد هذا كلّ على كيفية تطبيق نظام النصّ المترابط.

المواصفات الدولية :

توجد كثير من القواعد والتعليقات التي تتعلّق بوصف الوثائق وتنظيمها بموجب المواصفات الدولية (آيزو: iso) ومن أحدثها المواصفات رقم ١١١٠٨ لسنة ١٩٩٦ والمواصفة ٦٩٠ - ٢ لسنة ١٩٩٧ ومواصفة رقم ١ - ١٥٤٨٩ لسنة ٢٠٠١ وكذلك المواصفة ٢ - ١٥٤٨٩ لسنة ٢٠٠٢ ولكن من الملاحظ أن هذه المواصفات هي حول إدارة الوثائق ولا تتضمن أيّ جديد عن التكشيف أو الاستخلاص أو البيئة الرقمية للوثائق.

مزايَا النظم الرقمية واستخدامها:

هنالك عدّة مزايَا وفوائد في استخدام النظم الرقمية وتوجز بالآتي:

١. المساعدة في الحفاظ على الوثائق المهمّة والنادرة وسهولة حصول المستخدمين عليها.

٢. إظهار بعض التفاصيل الدقيقة على الوثيقة الأصلية (ولاسيّما التاريخية منها) التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وذلك من خلال استخدام أجهزة دقيقة للتصوير وبإمكانها تكبير الحروف والرموز والصور... إلخ.

٣. سهولة الاسترجاع وفقاً لموضوع الوثيقة أو نوعها أو مضمونها.

٤. سرعة الاسترجاع وسهولة الاستخدام.

٥. الاقتصاد الكبير في مكان التخزين والحفظ.

ومن الجدير بالذكر أن مهام مراكز الوثائق هي الحفاظ على الوثائق بأنواعها الثلاث (الجارية والوسيلة والنهائية). وبالطبع أنّ المقصود بالوثائق هنا هي الوثائق الورقية. ولكن الكثير من المؤسسات في الوقت الحاضر تستخدم النظم الرقمية في حفظ الوثائق، والتي تتوفر بكثرة في مثل هذه الدوائر التي حولت الإجراءات اليدوية إلى رقمية من ضمنها العمليات والأعمال والمعلومات الجارية التي تدخل مباشرة بالحاسوب (على القرص الصلب) أو تحفظ في الأقراص المرنة أو الأقراص المكنزة أو المضغوطة، ويتمّ ذلك بانتظام بعد انتهاء كلّ عملية من العمليات الجارية، إن بعض الوزارات مثل وزارتي الدفاع والخارجية في البلدان المتقدمة تستخدم الأنظمة الرقمية، وتطبع ورقياً جزءاً يسيراً من وثائقها ممّا يجعل أغلب أصول الوثائق الرسمية متوفرة بالشكل الرقمي، بينما لا تشكّل الوثائق الورقية سوى جزءاً يسيراً من مجموع الوثائق^(١).

إن النظام الرقمي الجديد يعقّد مهمّة السيطرة على الوثائق الورقية القديمة،

(١) محمد حسن جاد الله: رؤية عامّة للمؤسسات الأرشيفية ودورها، مصدر سابق.

ولكن يجب مواكبة التطورات التكنولوجية ولو أن ذلك يتطلب الكثير من الوقت والجهد والتكاليف ومتابعة الأنظمة الحديثة للمعلومات والبرامجيات المستخدمة في خزن الوثائق واسترجاعها.

الوثائق والإنترنت:

اتجهت أغلب المؤسّسات في عصرنا إلى استخدام الإنترنت ونشر معلوماتها الأساسية فيه، كما أنّ كثيراً من المؤسّسات بدأت أيضاً باستخدام الإنترنت لمخاطبة موظفيها وفروعها كافة والزبائن والمصارف وغيرها، ممّا يجعل معظم أنشطة المؤسسة الفعلية موجودة على الإنترنت، وساعدت النظم والبرامجيات المعلوماتية الحديثة على تحويل الوثائق في مركز الوثائق إلى مخزون الإنترنت، وهكذا بدأت طريقة العمل هذه تدخل المؤسّسات الرسمية من أوسع الأبواب، ولا يستثنى من ذلك بعض الوثائق الخاصة بأهمّ الوزارات والتي هي أكثرها خوفاً على أسرارها مثل وزارة الدفاع الأمريكية^(١).

ونشاهد اليوم أوّل محاولة جادة لإنشاء موقع للوثائق (archives) على الإنترنت من قبل مجموعة صغيرة من المختصّين في جامعة كاليفورنيا، حيث عملوا مع بداية عام ١٩٩٨ على تتبّع الوثائق الموجودة على الإنترنت وعملوا نسخاً فيها على حاسوب في جامعة كاليفورنيا، واستطاعوا تجميع أكثر من ٢ تيرابايت (٢ تريليون حرف) من الملفّات النصّية أو الصوتيّة أو من الصور المنشورة على الإنترنت وجعلوها قاعدة جاهزة للاستخدام^(٢).

إن استخدام الإنترنت في البلدان العربية سوف يشهد تطورات مماثلة في

(١) مراياتي، محمد: الأرشفة الإلكترونية وتحديات القرن الحادي والعشرين، محاضرات ندوة المعلومات الرابعة، دمشق: مركز المعلومات القومي للفترة ١٤-١٩ / ١٠ / ١٩٩٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.

المؤسّسات العربية خلال السنوات القليلة القادمة وأنّ هذا التوجه مهما يعتقد المرء بعيداً فإنّه قريباً سيتحقق في النهاية وقد تمّ فعلاً افتتاح موقع للوثيقة العربية على الإنترنت بأربع لغات هي الإسبانية والإنكليزية والفرنسية والعربية، وذلك ليتاح لجميع المهتمين بالوثيقة العربية التواصل والاستفادة من خلاله^(١)، كما أن بعض الدول العربية بدأت منذ اليوم العمل بما يسمّى مفهوم (الحكومة الإلكترونية) كما هو موجود في عمان ودبي والقاهرة، وعلى مراكز الوثائق العربية والمؤسّسات المعنية بالوثائق أن تستعد من الآن لمواجهة احتمالات المستقبل، وعليها أن تعدّ أبحاثاً جديدة تحدد فيها معايير الوثائق في الألفية الثالثة ومعايير السّرية وطرق إتاحة الوثيقة وحقوق استرجاعها.

الخاتمة :

مما سبق ذكره نرى أن مؤسّسات الوثائق والوثائقيين يواجهون تحدياً كبيراً من قبل ما يسمّى العصر الإلكتروني وعصر ثورة المعلومات وأنّه من المناسب أن يتمّ تحقيق الآتي:

- (١) تطوير أداء مراكز ودور الوثائق وذلك بوضع خطط ملائمة تتناسب مع التطورات التكنولوجية الحديثة الحاصلة في هذه الميادين.
- (٢) استثمار الوقت في تصميم النظم المعلوماتية الحديثة من أجل السيطرة على تتبّع الوثائق منذ لحظة إنتاجها في المؤسسة الخاصّة بها إلى لحظة تحويلها إلى المركز الخاصّ بحفظها واعتبارها وثائق دائمية ونهائية.
- (٣) معرفة محتوى الوثائق ومعالجتها وتخصيص نظام تصنيف خاص بها وليعتمد كأساس للدائرة المنتجة أولاً، والموضوع ثانياً، وتسلسل الوثيقة ثالثاً والذي يكون رقمياً أو زمنياً.

(١) النادي العربي للمعلومات: يوم الوثيقة العربية، عرين.. مصدر سابق.

- (٤) بعد معرفة وتحليل المحتوى يتم اختيار الواصفات المناسبة للوثيقة على أن يكون عددها ليس كبيراً (إذ ليس بالإمكان تحديد العدد).
- (٥) أن يكون هناك تطابق بين أرقام الملفات في الدائرة المنتجة وفي المركز.
- (٦) من الأفضل بناء قاعدة بيانات خاصّة بالوثائق في الدائرة المنتجة لها، وبالإمكان الاستفادة من نظام CDS/ISIS أو النظام الذي يعمل بموجب نظام الويندوز وهو WIN/ISIS والذي وضع من قبل منظمة اليونسكو عام ١٩٩٨ والذي تعمل بموجبه حالياً والذي سوف تعمل به أغلب المكتبات والمؤسسات المعلوماتية العربية، وعند استخدام هذا النظام بالإمكان اختصار عدد الحقول بشكل يفني بالغرض لوصف الوثيقة والذي يختلف عن الوصف المادي أو الموضوعي للأوعية الأخرى، بالإضافة إلى أنّه نظام سهل الاستخدام والحزن والاسترجاع.
- (٧) عند بناء القاعدة في مؤسسة ما يجب أن تعمم على المؤسسات الأخرى ل يتم استحداث شبكة تعمل فيما بينها ممّا يساعد كثيراً على تصفية الوثائق لمعرفة ما يجب أن يهمل منها وما يجب الاحتفاظ بها لفترة حتى يتقرر ما يجب تحويله منها إلى مركز الوثائق.
- (٨) إن هذه القاعدة تساعد كثيراً على تنظيم الوثائق الدائمة في المركز الخاص بها وبالإمكان ربط هذه القاعدة مع القواعد الأخرى الخاصّة بالأوعية الأخرى والمتوفرة في المكتبات لتكون شبكة محلية أولاً.
- (٩) من الجدير بالذكر أنّه بالإمكان بناء قاعدة خاصّة بالملفات السريّة أو النادرة وهذا حسب سياسة وقرار المركز ذلك.

أمالى مصطفى جواد
قواعد فى تحقيق المخطوطات
(دراسة تاريخية)

أ.د. طارق زيدان خلف

ملخص البحث:

يتناول البحث جهود مصطفى جواد وأماليه في قواعد تحقيق المخطوطات كدراسة تاريخية. ولمصطفى جواد مجموعة من الكتب الخطية، وأظهر بارعاً طويلاً في هذا المضمار في وقت لم يكن يخوض هذا الجانب إلا عددٌ قليل من الباحثين المحققين.

اهتم مصطفى جواد بتاريخ الأمة العربية الإسلامية في مشرقه ومغربيه وأسدى خدماته الجليلة لهذا التاريخ الذي حاول الأعداء طمس الكثير من معالمه وتشويه صورهِ فقد أولى اهتماماً كبير في موضوع بالغ التعقيد ألا وهو تشابه الأسماء والألقاب والتباس الأنساب والكنى ما وضعت فيه الأشباه والنظائر المختلف والمؤتلف والمتفق والمفترق فضلاً عن الأحداث المنسبة والأمور المغمورة في بطون التواريخ والسير فجلا الكثير من طلاسمها وصحح الكثير من مواضعها وعقب على ما ضاع منها.

كانت لمصطفى جواد جهود مميزة بالتحقيق أظهر فيها موهبته وسعة علمه في هذا الميدان، فبدلاً من أن يؤلف كتاباً، يحرّر نصاً من كتب التراث ثم يغنيه بما يراه ضرورياً في تبرئة النسخة المحققة من أخطاء النساخ وأوهامهم أو ما يراه مناسباً لزيادة القاعدة العلمية.

كان في تحقيقاته يستدرك على المؤلف ويضيف إلى النسخة المحققة ما يزيد من فائدتها العلمية؛ فيحقق في أسماء الأعلام، ويجنبها التصحيف أو التحريف ويدقق في أسماء الأماكن متابعاً موقعها وما طرأ عليها من أحداث تاريخية حتى لتغدوا النسخة المحققة عملاً علمياً كاملاً بعد أن أضاف إليها من حواشيه وتعليقاته الكثير ربّما تعادل المتن إن لم تزيد، وإنّ مردّ ذلك يعود إلى اطلاعه الواسع في التاريخ واللغة، فضلاً عن معرفته بالأعلام والرجال والخطط وكتب

المراجع؛ فكان ذلك سبباً في تنامي وتكامل مهنة التحقيق لديه، ممّا أسهم في كشف أوهام وتناقضات وأغاليط وتصحيفات اللغة وأسماء الرجال والمواضع وتاريخ الوفيات وكان هذا واضحاً في كثير من جهوده التحقيقية.

Abstract:

The research deals with mustafa jawad's efforts and hopes in the rules of manuscript verification as a historical study. mustafa jawad has a set of written books, and he showed a long experience in this field at a time when only a few investigative researchers were involved in this aspect.

Mustafa Jawad was interested in the history of the arab islamic nation in its east and west, and rendered his great services for this history, which the enemies tried to obliterate many of its features and distort an image. in addition to the forgotten events and the matters submerged in the bellies of dates and biographies, many of their incantations were revealed and many of their places were corrected, and he followed up on what was lost of them.

Mustafa jawad had distinguished efforts in investigation, in which he showed his talent and knowledge in this field. instead of writing a book, he edits a text from the heritage books and then enriches it with what he deems necessary to clear the verified copy of the scribe's mistakes and illusions,

or what he deems appropriate to increase the scientific base.

In his investigations, he redressed the author and added to the verified copy what increased its scientific usefulness. he investigates the names of the media, avoids misrepresentation or distortion, and scrutinizes the names of places, following up on their location and historical events, until the verified copy becomes a complete scholarly work after adding many notes and comments to it. he has extensive knowledge of history and language, as well as his knowledge of flags, men, plans, and reference books; it was that his investigation profession grew and became integrated, and he contributed to exposing illusions, contradictions, inaccuracies and corrections in the language, the names of the men, the locations and the date of deaths, and this was evident in many of his investigative efforts.

المبحث الأول

الولادة والنشأة

ولد مصطفى جواد في محلة (عقد القشل)^(١) بالجانب الشرقي من مدينة بغداد في عام ١٩٠٤م وكان والده جواد بن مصطفى بن إبراهيم البياتي يعمل

(١) عقد القشل: هي محلة المأمونية وتشمل (الهيثاويين) الدهانة صبايغ الآل، الشارع الأعظم درب عقد القشل وسميت بالمأمونية نسبة إلى قصر المأمون، ينظر، مصطفى جواد: دليل خريطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٩٥٨م، ص ١٢٤.

خيّاطاً في سوق الخيّاطين المجاور لخان مرجان المعروف عند أهل بغداد بخان (اورتمة)^(١).

وقد أخذ هذا الخان متحفاً للآثار العربية فيما بعد^(٢). وترجع أصول عائلته إلى (قرة تبه) إحدى نواحي محافظة ديالى في وسط العراق وهو تركماني من عشيرة (سرايلي) وهم قلة من التركمان^(٣). انتقل مع عائلته إلى منطقة (دلتاوة) قضاء الخالص اليوم. أبدى اعتزازه الكبير بمنطقته حتّى كان يوقع باسم مصطفى جواد الدلتاوي^(٤). دخل كتاتيب الملا وأبدى تفوقاً في تعلّمه السريع للأبجدية العربية وحفظه القرآن ثم دخل المدرسة الابتدائية وتعلّم فيها القراءة والكتابة، والخطّ تنبأ معلمو مدرسته الابتدائية بمستقبل مشرق لهذا التلميذ.

في عام ١٩٢٠ دخل الامتحان للقبول في دار المعلمين الابتدائية وأبدى تفوقاً في هذا الامتحان وفي عام ١٩٢١ أصبح طالباً في دار المعلمين^(٥).

(١) خان اورتمة: هو (خان مرجان) الذي شيّده أمين الدين مرجان سنة ٧٦٠هـ / ١٤٥٩م وتعني الخان المسقوف خلافاً لما هو مألوف في الخانات هو عبارة عن نشاعة بهو مسقوف مرتفع عقادته ١٤ متر عن أرضيته وتميز بنقوش كتابية تزين البوابة ويتألف الخان من طابقين الأول يحتوي على (٢٢) غرفة والثاني على (٢٣) غرفة. التفاصيل ينظر: محمد مكية: خواطر السنين، بغداد، مطبعة دار الوراق، ط ١، لندن، ٢٠٠٥، ص ٢٤٣.

(٢) أخضر الكيلاني: شعراء ديالى، ج ١، بغداد، ١٩٦٣، ص ٧٧.

(٣) ينظر رسالة مصطفى جواد المؤرخة في ٣/ ١٠/ ١٩٤٩ في كتاب وحيد الدين بهاء الدين، مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية وخطط بغداد الفرد، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧١م، ص ١٠٠.

(٤) صباح مهدي وميض: ديالى سيرة إعلام ومسيرة أحداث، دراسات تاريخية معاصرة، مؤسسة مصر والمترضى، بغداد، ٢٠١٠م، ص ٢١.

(٥) جعفر الخليلي: هكذا عرفتهم، مطبعة دار الكتب، بيروت، بلا، ج ٣، ص ٧٩.

وكان من أساتذة الدار الأستاذ طه الراوي^(١) ومدير الدار يوسف عز الدين الناصري^(٢) والذان اهتماً بالطالب مصطفى جواد بعد أن وجدوا عنده ميلاً قوياً إلى اللغة العربية فضلاً عن تميزه في حفظ النصوص الشعرية والرواية والنصوص الأدبية، وحُبُّ إليه تتبّع التاريخ الإسلامي والتعمّق في التاريخ العربي وتاريخ العراق بصورة خاصّة^(٣)، عمل في وزارة المعارف ثمّ نقل منها إلى المدرسة المأمونية بدلاً من الشاعر محمد مهدي الجواهري^(٤).

(١) طه الراوي (١٨٩٠-١٩٤٦): أديب، باحث، تربوي هو صالح الفضيل الراوي ولد في راوه بالعراق وتلقّى دراسته الأولية فيها، عُيّن مدرّساً في دار المعلمين سنة ١٩١٨ م وقبل في كلية الحقوق وتخرّج فيها سنة ١٩٢٥ ثمّ عُيّن مدرّساً في جامعة آل البيت ولضبطه وصرامته عُيّن خبيراً في وزارة الداخلية ورقياً على إعلام النشر في العراق سنة ١٩٢٦ م وعضوا مراسلاً في المجمع العربي في سوريا وفي عام ١٩٤٥ م عين رئيساً للجنة التأليف والترجمة في وزارة المعارف، من مؤلّفاته أبو العلاء المعريّ ١٩٤٤ م، بغداد مدينة السلام ١٩٤٥ م، نظرات في اللغة والنحو. ينظر: الدكتور حميد مجيد هدو: موسوعة أعلام العرب، بيت الحكمة، ج ١، ط ١، سنة ٢٠٠٠ م، ص ٢٧٤.

(٢) يوسف عز الدين: ولد في مدينة تكريت ١٨٩٠ وبقي فيها حتّى بلوغه الثامنة من عمره ثمّ انتقل مع عائلته، بغداد وأكمل تعليمه فُعِيّن مستشاراً في وزارة المعارف ثمّ مفتشاً لمدينة بغداد ومدينة الموصل، قدّم كثير من الدراسات والمقترحات بشأن تطوير المعارف في العراق، ينظر: عماد الجواهري، صباح مهدي وميض: من أعلام التربية والتعليم يوسف عز الدين الناصري، ١٨٩٠-١٩٥٦ / بحث منشور مجلّة القادسية، جامعة القادسية، (المجلّد الأوّل) العدد الثالث أيلول، تشرين الأوّل، ٢٠٠١، مطبعة السعد، بغداد، ١٩٦٩.

(٣) يوسف عز الدين: شعراء العراق في القرن العشرين، ج ١، ص ١٦٦.

(٤) محمد مهدي الجواهري: محمد مهدي عبد الحسن عبد علي الجواهري، شاعر مجدّد انشغل بشعره ومنهجه الكثير من الباحثين والدارسين ولد في مدينة النجف (١٨٩٩ م) درس البلاغة والمنطق على يد أركان أسرته العلمية والدينية، كتب جملة من القصائد في الصحف وهو بعمر العشرين عاماً وكان من المقرّبين للملك فيصل الأوّل، اشتغل في سلك المعارف انتُخِبَ أكثر من مرة في المجلس النيابي العراقي توفّي في سوريا. للمزيد ينظر: حميد المطيعي: موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، ج ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٥، ص ١٩٦.

استقرّ مصطفى جواد في بغداد وتعرف على الأب أنستاس ماري الكرملي (١٨٦٦-١٩٤٧)^(١) فلأزمه وكتب في مجلّته (لغة العرب)^(٢) فاستفاد من علمه وفضله فضلاً عن استفادته من مكتبته العامرة بالكتب والمخطوطات والمطبوعات النادرة، وتقديراً منه للعلامة الراحل أنستاس الكرملي، شارك في اليوبيل الذهبي الذي أقيم بمناسبة مرور خمسين عاماً على اشتغال الأب الكرملي باللغة العربية وآدابها وذلك في عام ١٩٤٨^(٣).

كانت حياة مصطفى جواد بعد تخرّجه واشتغاله بالتعليم متجهة نحو طلب العلم وتحصيله، فحقّق ونقّب، وكتب، وبحث قبل سفره إلى فرنسا لإكمال دراسته العليا هناك فكان لا يعرف الكلل ولا الملل اشتغل في المراجعة والتدوين تسعفه بذلك ذاكرته القوية فلم يقرأ بحثاً إلّا حفظه، فنقد كتاب وضعه رفائيل أبو إسحق في قواعد اللغة العربية وأقرّته وزارة المعارف في تدريسه في مدارسها الابتدائية وقال في خاتمة نقده: «إنّ ثلاثين غلطة كافية لقتل لغة القرآن الكريم فكيف بكتاب بأكمله أغلاطاً».

(١) أنستاس الكرملي (١٨٦٦م-١٩٤٧م): ولد في بغداد من أب لبناني وأمّ بغدادية تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة الآباء الكرملين في بغداد ثمّ أكمل دراسته الثانوية في بغداد، وعين مدرساً (١٨٨٢) للغة العربية في مدرسة الآباء الكرملين، أصدر مجلّة لغة العرب، وله معجم يقارن بين اللغة العربية وبعض الألفاظ الأجنبية. ينظر: عبد العزيز إبراهيم: العلامة أنستاس الكرملي وما خدم اللغة العربية، مجلّة المورد، ع ٢، ٢٠٠٧م، ص ١١٩-١٤٢.

(٢) مجلّة لغة العرب: أصدرها الأب أنستاس الكرملي عام ١٩١١م وتوقّفت ثمّ عادت للصدور عام ١٩٢٦م شارك فيها كتّاب عديدون من بينهم مصطفى جواد. للتفاصيل ينظر: فاهم نعمة إدريس الياسري: مجلّة لغة العرب دراسة فكر سياسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩.

(٣) كوركيس عواد: المباحث في مؤلّفات العراقيين المحدثين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥، ص ٥٣-٧٦.

سافر مصطفى جواد إلى فرنسا ودخل جامعة السوربون بعد أن وجد منهم قبولاً حسناً وعند عرضه مستندات علمية ترجمها إلى الفرنسية ساعدت بذلك المستشرق لويس ماسينون وأكمل الدكتوراه بعنوانه (سياسة الدولة العباسية في أواخر عصورها)^(١) ثم عُيِّن مدرساً في دار المعلمين العالية والتي تسمى اليوم «كلية التربية» في عام ١٩٣٩.

وفي عام ١٩٤٢ دُعِيَ لتعليم الملك فيصل الثاني^(٢)، اللغة العربية وعلمه القراءة والكتابة ثم عاد إلى دار المعلمين العالية بطلب منه. حفلت حياة مصطفى جواد بالتأليف والبحث العلمي والتاريخي والتحقيق المتواصل الذي بدأه بصورة بارزة قبل سفره إلى باريس ثم واصله بقوة ونشاط لسعة معارفه بعد عودته من باريس ومعه خمسة آلاف صفحة من النصوص النادرة التي استنسخها من مخطوطات كانت في المكتبة الوطنية ومكتبة القزويني بباريس وعدد كبير من الصور الشمسية للمخطوطات النادرة فعمل على تحقيقها ونشرها^(٣).

بدأت تحقيقاته العلمية تحظى بإعجاب الباحثين والعلماء في الأقطار العربية والإسلامية محل الإعجاب، وما لبث أن عرفته هذه الأقطار علماً من أعلام

(١) يوسف عز الدين: شعراء العراق، مصدر سابق، ص ١٦٨.

(٢) فيصل الثاني: هو ثالث ملك من الأسرة الهاشمية التي حكمت العراق ما بين (١٩٢١-١٩٥٨م) وهو فيصل الثاني ابن غازي ابن فيصل الأول ابن حسين ملك الحجاز ابن الشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن الحسين شريف مكة، ولد فيصل الثاني في بغداد ٢ مايس ١٩٣٥ وأصبح ملكاً على العراق في عام ١٩٣٩م وفي عام ١٩٤٧ سافر إلى بريطانيا والتحق بمدرسة (ساند هيرش) وعاد في عام ١٩٥٢ إلى العراق وتولّى سلطاته الدستورية في ٢ مايس ١٩٥٣ وبقي ملكاً على العراق حتى عام ١٩٥٨. ينظر: خليل كند، العراق، أمانة دغدة، بيروت ١٩٦٦م. ص ١٢٥.

(٣) نافع عبد الجبار: الدكتور مصطفى جواد وحياته وآثاره، بغداد، بلا، ص ٢٠، مير بصري: أعلام اليقظة الفكرية، مطبعة الجمهورية، بغداد، بلا ص ١٨٧.

القرن العشرين في اللغة والتاريخ^(١).

وجاءت شهرته التي اكتسبها عن طريق البحث والتحقيق والكتابة في المجالات فقد نشر عدد كبيراً من البحوث والدراسات في مجلة المعلم الجديد، ومجلة غرق بغداد ومجلة المجمع العلمي العراقي ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ومجلة المقتطف والهلل ومجلة المعرفة المصرية ومجلة كلية الجامعة الأمريكية بيروت ومجلة الأقلام العراقية ومجلة العربي الكويتية والمناهل البغدادية والتراث الشعبي العراقية ومجلة البيان والاعتدال فضلاً عن الصحف العراقية منها، النصر، والبلاد، والأخبار، والأيام والفجر الصادق، والراعي، والهاتف^(٢).

لم يقتصر نشاط العلامة مصطفى جواد على التأليف والنشر بل ساهم في نشاطات نقابية عدة منها: عضو في نادي المعلمين عام ١٩٤١، ثم رئيس لنقابة المعلمين في العراق، عضو مؤسس لجمعية مكافحة النشوء، عضو في المجمع العلمي العراقي في عام ١٩٤٩م، ساهم في تحرير مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٠، مراسل لمجمع اللغة العربية في القاهرة^(٣) ومشارك في عدة مؤتمرات منها مؤتمر مجمع اللغة العربية الذي عقد في بغداد ١٩٥٦م وشارك في مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته (٣٢) في القاهرة ١٩٦٧^(٤).

توفي عشية الأربعاء الثامن من شوال ١٣٨٩هـ الموافق السابع عشر من

(١) يوسف عز الدين: شعراء العراق، مصدر سابق، ص ١٦٨.

(٢) خلدون الوهابي: مراجع تراجم الأدباء العرب، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٢م، ج ٥، ص ٢٣٩-٢٤٥.

(٣) إبراهيم بيومي مذكور: مصطفى جواد اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٢٧، ١٩٧١، ص ١٥-١٦.

(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي: ج ١٨، ص ٢٦٤، لسنة ١٩٥٦.

كانون الأوّل ١٩٦٩م^(١). وكان لموته أثر كبير في نفوس محبيه وتلاميذته ومن انتفع بعلمه خلال مسيرته العلمية الحافلة.

المبحث الثاني

نشاط مصطفى جواد في التحقيق

حقّق مصطفى جواد مجموعة من الكتب الخطيّة وأظهر باعاً طويلاً في هذا المضمار في وقت لم يكن يخوض هذا الجانب إلّا عدداً قليلاً من الباحثين المحققين. ولعلّ من أقدم هذه الكتب كتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) لابن الفوطي^(٢)، والمطبوع في مطبعة الفرات، ببغداد عام ١٩٣٣م ويعالج الكتاب حقبة مهمّة من تاريخ العراق وكتاب (الجامع المختصر في عناوين التواريخ وعيون السير) لمؤلفه أبي طالب علي بن أنجب تاج الدين المعروف بابن الساعي (ت ٦٧٤هـ) طبع الكتاب في المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد ١٩٣٤، وفي عام ١٩٦٠م صدر له كتابان محققان هما كتاب (الفتوة) للشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي المكارم البغداديّ الحنبليّ مطبعة شفيق بغداد وكتاب (نساء الخلفاء) المسمّى (جهات الأئمة الخلفاء في الحرائر والإماء) لتاج الدين ابن الساعي البغدادي، وفي عام ١٩٧٠م صدر كتاب ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧هـ) ووضع فهارسه سالم الآلوسي^(٣).

ويعد هذا الكتاب من التواريخ المختصرة، كما أنّ المؤلّف الكازروني هو واحد من بين المؤرّخين، في تقصّي بعض الأخبار تقصّياً لم نجده على حدّ قول

(١) محمد عبد المطلب البكّاء: مصطفى جواد، حياته ومنزلته العلمية، ص ٤٦، بغداد، ١٩٨٦.

(٢) هو عبد الرزاق بن محمد بن أحمد الصابوني المعروف بابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ).

(٣) ابن الكازروني: مختصر التاريخ، بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٠.

الأستاذ سالم الألوسي في كتاب آخر في كتب التواريخ المعروفة^(١): «وتتجلى أهمية هذا الكتاب هو أنّ مؤرخاً ثبتاً وعالمًا لغوياً من كبار الثقات، وأديباً باحثاً عزّ نظيره كالعلامة مصطفى جواد يتولّى أمر تحقيق هذا المصنّف المهمّ ويعكف عليه بشكل دقيق يتمثّل بإغنائه بصنوف التعليقات والحواشي والتعليقات التاريخية الموثقة. باحثاً في مضانها، مدققاً في أصولها فضلاً عن تحقيق كتاباً آخر في علم الرجال الموسومة (تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب) لجمال الدين أبي حامد محمد بن علي المحمودي ابن الصابوني (ت ٦٨٠هـ) طبع في بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٧م».

كما حقّق كتاب (مجمع الآداب في معجم الألقاب) لجمال الدين ابن الفوطي الشيباني أربعة أجزاء طبع في دمشق ١٩٦٢-١٩٦٧م.

اهتمّ مصطفى جواد بتاريخ الأُمّة العربية الإسلامية في مشرقه ومغربيه وأسدى خدماته الجليلة لهذا التاريخ الذي حاول الأعداء طمس الكثير من معالمه وتشويه صورته فقد أولى اهتماماً كبيراً في موضوع بالغ التعقيد ألا وهو تشابه الأسماء والألقاب والتباس الأنساب والكنى ما وضعت فيه الأشباه والنظائر، المختلف والمؤتلف والمتفق والمفترق فضلاً عن الأحداث المنسوبة والأُمور المغمورة في بطون التواريخ والسير فجلا الكثير من طلاسمها وصحّح الكثير من مواضعها وعقّب على ما ضاع منها^(٢) وهذا بحث القيم عن (الضائع من معجم الأدباء) لياقوت الحموي بيّن فيه النقصان في مواضع يتنبه لها ناشره (مرغليون) وفقدان القسم الثاني من الجزء الثالث، والشك في كون الجزء الرابع أصلاً أو مختصراً فقط وأنّ السابع مختصر فقط وشكله في أن يكون كلٌّ من

(١) مقدمة كتاب مختصر التاريخ للكاظمي: سالم الألوسي، ص ١.

(٢) سالم الألوسي: في ذكرى مصطفى جواد، كلمة عبد الهادي التازي، مطبعة الحكومة، ١٩٧٠

الجزأين الرابع والسابع متفرعين من معجم الشعراء إن لم يكونا جزأين منه^(١).

اهتمّ مصطفى جواد بالتحقيق وأظهر فيها موهبته وسعة علمه في هذا الميدان، فبدلاً من أن يؤلّف كتاب، يحرّر نصّاً من كتب التراث ثمّ يغنيه بما يراه ضرورياً في تبرئة النسخة المحقّقة من أخطاء النساخ وأوهامهم أو ما يراه مناسباً لزيادة القاعدة العلمية كان يستدرك على المؤلّف ويضيف إلى النسخة المحقّقة والكشف غموضاً وما يزيد من فائدتها العلمية فيحقق في أسماء الأعلام ويجنبها التصحيف أو التحريف ويدقق في أسماء الأماكن متابعاً موقعها وما طرأ عليها من أحداث تاريخية، حتّى لتغدوا النسخة المحقّقة عملاً علمياً كاملاً بعد أن أضاف إليها من حواشيه وتعليقاته الكثير ربّما تعادل المتن إن لم تزيد^(٢)، وإنّ مردّد ذلك يعود إلى اطلاعه الواسع في التاريخ واللغة، وكما أنّ معرفته بالأعلام والرجال والخطط وكتب المراجع فكان ذلك سبباً في تنامي وتكامل مهنة التحقيق لديه، ممّا أسهم في كشف أوهام وتناقضات وأغاليط وتصحيفات باللّغة وأسماء الرجال^(٣) والمواضع وتاريخ الوفيات وكان هذا واضحاً في تحقيقه لكتاب (تكملة إكمال الإكمال) لابن الصابوني^(٤).

وفي تحقيق (ضريرة النصر وجريز العصر) للعماد الاصفهاني في الجزء الأوّل استدرك مصطفى جواد أربعين كلمة كان المحقّق قد توهم بها ممّا استدرك عن ترجمة خمسة عشر رجلاً من الأعلام الذين ورد ذكرهم ونقل الشيء نفسه في الجزء الثاني^(٥) على أنّ جهد مصطفى جواد لا يمكن إنكاره في هذا الجانب من

(١) مصطفى جواد: في التراث العربي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥، ص ٢٦٨.

(٢) سالم الآلوسي: في ذكرى مصطفى جواد، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٨٠.

(٤) ينظر: في التراث العربي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٥) المصدر نفسه: ص ٢٩٩.

تصحيح نسبة بعض الكتب التراث أو الاهتداء إلى معرفة مؤلفها الحقيقي مثل كتاب (شفاء القلوب في مناقب بني أيوب) إذ جاءت المخطوطة بدون اسم مؤلفها. كما صحّح نسب كتاب (نساء الخلفاء) المنسوب لابن الفوطي والأصحّ لابن الساعي وقدّم أدلة علمية في ذلك. إنّ منهج مصطفى جواد في التحقيق منهج علمي متميّز وله في هذا الجانب أمالي سهاها (أمالي مصطفى جواد في فنّ تحقيق النصوص)^(١).

المبحث الثالث

منهج وقواعد مصطفى جواد في التحقيق

أمالي مصطفى جواد في فنّ التحقيق:

يذكر لنا عبد الوهاب محمد علي^(٢) أحد تلامذة مصطفى جواد يقول: «كنا طلبة الماجستير في اللغة العربية جامعة بغداد ولسنة ١٩٦٥ دوّنت من محاضرات «فنّ التحقيق لأستاذي مصطفى جواد وأسلوب التدريب عليها لمعرفة التصحيف»، ويضيف قائلاً: «ودرست على يده نسخة مصوّرة من كتاب المجموع اللطيف لابن الدولة أبي جعفر محمد بن محمد هبة الله العلويّ الحسينيّ (ت ٥١٠هـ) فنسقط فيها مواقع الزلل ونجتهد في تصحيحها، كما قرأنا كتاب (مختصر التاريخ) لظهير الدين ابن الكازروني (ت ٦٩٧هـ) وكان يعمل على تحقيقه وصدر فيما بعد، بعد وفاته عام ١٩٧٠ وأشرف عليه الأستاذ سالم الآلوسي»^(٣).

(١) ينظر: مجلّة المورد: مج ٦، ع ١٤، ١٩٧٧، ص ١١٧.

(٢) مجلّة المورد: وزارة الإعلام، مج ٦، ع ١٤، ١٩٧٧، ص ١١٧.

(٣) المصدر نفسه: ص ١١٧.

وفيما يلي قواعد فنّ التحقيق عند مصطفى جواد هي:

١ - تعريف النص:

النصوص: جمع نص، وهو في الأصل مصدر بمعنى الرفع والإسناد إلى الرئيس الأكبر، ثم نقل من المصدرية إلى الاسمية، ولذلك جمع على نصوص، والنص أيضاً التعيين، ونصّ القرآن والسنة، هو ما دلّ ظاهر لفظها عليه الأحكام^(١)، وإن النص هو الحديث الصحيح وهو الحديث المتواتر، وبمعنى آخر هو القول الموثوق به والنصوص أقوال المؤلف الأصلية تذكر بهذا اللفظ لتمييزها عن الشروح والتفسير والإيضاح ويقال ما ذكر فلان ما نصّه كذا وكذا ويقال نص فلان الحديث نصاً أي: رفعه إلى قائله ومنه نص الحديث الشريف أي إسناده إلى النبي ﷺ ونصّ القرآن المجيد أي: نقله بالروايات المسندة إلى القراء الثقات الأثبات.

٢ - تحقيق النصوص^(٢):

يراد بتحقيق النصوص، الاجتهاد في جعلها ونشرها مطابقة لحقيقتها، كما وضّحها صاحبها ومؤلفها من حيث الخطّ والمعنى وذلك بسلوك الطريقة العلمية الخاصّة بالتحقيق، وهي البحث في الأصول الخطيّة للنصوص، وأصحّها وأصدقها وما كتبه المؤلف بخطّه، فأن وجد المخطوط الذي كتبه المؤلف دون نقص أو ضرر أو بعض التلف كالرطوبة، فالإسناد في التحقيق إليه، والاعتماد في النشر عليه، والأوجب حشد جميع النسخ الممكنة جمعها من الكتاب بأعيانها، أو بتصاويرها أو بنسخها ووجب اتخاذ أصحّ النسخ وأتمها من الكتاب المزمع نشره ومقابلة نصوصها بالنسخ الأخرى والتنبيه على الاختلافات والزيادات والنقصان في الحواشي برموز حرفية فإن كان النقصان محلاً بالمعنى فإنه ينبغي

(١) مجلّة المورد: مصدر سابق، ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٢٠.

إضافة التتمة إلى النص وحصرها بين عضادتين.... والإشارة في الحاشية إلى مرجع الزيادة ويقال في الحاشية «زيادة اقتضاها السياق ولا يصلح المعنى إلا بذكرها»^(١).

ولمعرفة نسخة أو نسخ من الكتاب الخطّي هو البحث في فهارس المخطوطات المؤلفة لخزائن الكتب ودورها في العالمين كفهارس دار الكتب المصرية بالقاهرة، فهارس كتب المتحف البريطاني، وفهارس دار الكتب الوطنية بباريس، وفهارس دار الكتب الوطنية ببرلين، وفهارس كتب السلیمانية والبايزدية وغيرها في إسطنبول وفهرس المخطوطات في مكتبة أوقاف بغداد، وفهرس المتاحف العراقية، وفهارس كتب الاسكوريال لغرب مدريد^(٢).

ويضيف مصطفى جواد قائلاً: «من الذين عنوا بذكر المخطوطات العربية ومعناها في عصرنا الأستاذ الراحل كارل بروكلمان الألماني في كتابه تاريخ الأدب العربي، وجرجي زيدان (ت ١٩١٤) والشيخ اغا بزرك الطهراني (ت ١٢٨٩ هـ) في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) ومن الذي عنوا بالاعتباس من المخطوطات العربية النادرة الشيخ حبيب الزيات (ت ١٩٥٤ م) بكتابه (الخزانة الشرقية) أربعة أجزاء، وينبغي لإكمال البحث عن المخطوطات ألا يكتفي بالفهارس المطبوعة، بل يسأل العارفين بخزائن الكتب الخاصّة. سواء كانت لهم أم لغيرهم. وإذا عثر الباحث المحقّق على أصل الكتاب بخطّ مؤلّف أو نسخة مضبوطة ألّف كتابه منه فلا يقنع بذلك فإن المؤلّفين من مرّتين وثلاث مرات. وينبغي على المحقّق ألا يغفل من الاستفادة من مختصر الكتاب الخطّي إن وجد له مختصر.

(١) المصدر السابق: ص ١٢١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢١.

٣. كَيْفِيَّةُ مَعْرِفَةِ قَدَمِ النُّسخةِ :

النسخ الخطيَّةُ يَفْضَلُ بعضها بعضاً بحسبِ قَدَمِ النسخةِ وصحَّتِها وأوثق نسخة نسخة المؤلِّف أو النسخة المضبوطة. والضبط يكون إمَّا بإملاء النسخة على الطلاب أو يقرأها عليهم أو يقارئهم وفي آخرها يوقع الحضور عليها ويصادق المؤلِّف على السند وهذا ما يسمَّى (السماع) وتسمَّى النسخة المسموعة أو المروية. فإن لم يحز المحقِّق على النسخة الأصلية^(١) ولا على النسخة المضبوطة يبحث المحقِّق عن نسخة كتب في نفس عصر المؤلِّف وعليها سماعات وشهادات الشيوخ الرواة الثقات، فإن لم يكن على النسخة سماع فَقَدَمَها يشفع لها في أن تكون مختارة على غيرها، وإلى أنَّ المحقِّق مضطر أن يعتمد على أقدم نسخة أو المتأخرة الوحيدة ينشرها بحالها، ويشير إلى الأوهام التصحيفية والنسخية الواردة فيها. وإذا تعارضت نسختان إحداهما قديمة كثيرة التصحيحات والنقصان والأخرى حديثة تغلب عليها الصحَّة والسلامة من التصحيف والنقصان فالاعتماد يكون على الحداثه وهذا الأمر يرجع إلى:

- أ- أن تكون هذه النسخة منسوخة على أخرى قديمة صحيحة ولكنها تلفت أو فقدت.
- ب- أن تكون مكتوبة بقلم عالم أو أديب محقِّق صحَّح الخطأ أثناء استنساخه لها.

٤- لَمَّاتُ النسخ (نشر وتحقيق المطبوعات المحرَّفة) :

إذا تحرَّفت النسخ تصنف إلى لَمَّات تشابه تقاربه ويشار إلى اختلاف كلِّ لَمَّة مع الأخرى اختلافاً فردياً أو كلياً والتحقيق ان لا يختص بالمخطوطات فقط فكثير من المطبوعات طبعت بتصحيح أو تحريف تحقيقها وتقويمها أمر ضروري^(٢).

(١) المصدر السابق: ص ١٢١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٣.

٥- صفات المحقق العلمية والفنية :

يختلف المحققون للكتب حسب موضوعات العلوم التي يحققون كتبها، فينبغي للمحقق أن يكون عالماً في علم من العلوم أو ضرب من الآداب أو عارفاً بمصطلحاته أو مطلعاً على أنواع الكتب وتاريخ تطورها في مختلف عصورها ونوع الورقة فضلاً عن المعرفة باللغة العربية فالذي يريد أن ينشر كتاباً باللغة عليه أن يكون عالماً بشروطه العامة للنشر. عارفاً بمفردات اللغة العربية، وكذا الحال مع من ينشر كتاباً في التاريخ أو الأخبار أن يكون عارفاً بالمصطلحات التاريخية وبأسماء الرجال وأسماء الأمكنة والأنساب والألقاب.

٦- الكتب المتحوّلة والكتب الضائعة وأسماء مؤلفيها :

أ. شرح ديوان المتنبي المنسوب إلى أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ).

ب. اختلاف الفقهاء المنسوب إلى الشعراني (ت ٩٧٢هـ).

ج. التاريخ المنسوب إلى أبي الفضل عبد الرزاق ابن الفوطي. المسمّى اعتماداً على هذه النسبة الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة.

د. حكاية أبي القاسم البغدادى المنسوبة إلى محمد بن أحمد الأزدي.

هـ. جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء.

و. رسائل ديوانية وإخوانية من القرن الرابع الهجري^(١).

٧- إعجام حروف المخطوطة وشكل كلماتها :

ينبغي لناشر المخطوطة أن يعنى بإعجام حروفه غير المعجمة مع استحقاقها الإعجام والإهمال أي: عدم الإعجام مع وجوبه ناشئ عن سببين أحدهما: أن من الكتب العتيقة القديمة الزمان ما ليس فيه إعجام أصلاً، وقد مرّت برهة على دار الخلافة العباسية كانت تمنع إعجام كتبها، والكتب المرسل بها إليها كما

(١) مجلة المورد: المصدر السابق، ص ١٢٣.

ذكر هلال الصابي (ت ٤٤٨هـ) في كتاب رسوم دار الخلافة العباسية لأنهم كانوا يعدّون الإعجام من عادة الأعجام معتمدين على فهم القارئ والناسخ وهذا معروف وشاهد في الكثير من المخطوطات أمّا شكل الكلمات فمعناه وضع الحركات الثلاث السكون والشدة والهمزة والوصلة في أماكنها والشكل يكون بحسب الحاجة إليه فالشعر والكلمات الغريبة والأسماء الغريبة والأنساب والأمثال فضلاً عن الآيات الكريمة أحوج الأشياء إلى الشكل^(١).

٨- اختصارات ورموز خطيّة:

يكون الاختصار والرمز الخطي في العادة جارين على الكلمات والجمل المكررة كثيراً كما ذكر القدامى في ذلك.

أ. رحه - رحمه الله.

ب. تع - تعالى.

ج. رضه - رضي الله عنه.

د. ع - عليه السلام.

هـ. آه - انتهى.

و. إلخ - إلى آخره.

ز. ننا - حدثنا.

ح. أنا - أخبرنا.

ط. أنبا - أنبأنا^(٢).

* وفي الكتب الحديثة اختصارات خطيّة مثل:

خ. جامع البخاري.

م. جامع مسلم.

(١) مجلّة المورد: مصدر سابق، ص ١٢٣.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٤.

- ت. جامع الترمذي.
 د. سنن أبي داود.
 ن. سنن النسائي.
 ق. ابن ماجة القزويني.

٩ - العلامات والإشارات والأقواس والخطوط والنقط:

ابتدع الغرب حديثاً والعرب قديماً علامات وإشارات تعين على فهم المكتوب والمطبوع، وذلك بالفصل والتنبيه والتعليم والتوجيه، كوضع النقطة في آخر الفقرة ووضع الفاصلة أي الواو المقلوبة وعلامة الاستفهام والتعجب وكالفصل بالخطين القصيرين الأفقيين والحصص بين القوسين، والقوسين المضاعفين، والحاصرتين والعاضدتين وغير ذلك مما يضاف إلى المكتوب والمطبوع وأدناه التفصيل:

- أ- القوسان المنقوشتان لخصر الآيات (*...*).
 ب- القوسان الكبيرتان لخصر رقم الصفحة من الخطوط، أو رقم الورقة وهو الغالب في الاستعمال فوجه الورقة يكتب له مع الرقم: والظهر يكتب له مع الرقم: ظ: (...و)، (...ظ).
 ج- الحاصرتان كالسبعيتين المحرقتين لخصر ما يضيفه الناشر من عنده حرفاً كان أو كلمة أو جملة يقتضيها السياق «.....».
 د- العضاادتان لخصر ما يضاف من نصوص أخرى [.....].
 هـ- الخطان الأفقيان القصيران لخصر الجمل المعترضة كجمل الدعاء.....
 و- الخطان القصيران العموديان المتقابلان لخصر ما يضاف من نسخ أخرى غير النسخة المعتمدة للطبع ||.....||.
 ز- كذا محصورة بين قوسين كبيرتين، تشير إلى المستبهم قراءته فيثبت كما ورد، وبعضهم يضع علامة الاستفهام بدلاً من ذلك والأوّل أشهر:

(كذا) (؟).

ح- النقطتان المتراكبتان هما للشرح والقول، بشرط أن يليهما القويستان المضاعفتان الصغيرتان: «.....».

١٠- الحواشي والملحقات:

إن تحشية الكتب المنشورة بعد كونها مخطوطة هي من الواجب على الناشر المحقق، وهي مع احتوائها على اختلاف النسخ واختلاف النصوص، تحوي تعليقات إيضاحية وإكمالية وغير ذلك، فإذا وردت آية من القرآن الكريم مثلاً أشار إلى سورتها، أو إلى رقم السورة ورقم الآية وإذا ورد حديث منقول من بعض كتب الحديث، فإنه يشار إلى موضعه من الكتاب المذكور، ومع ذكر الجزء الذي هو فيه، وإذا ورد نقل من الكتب وكانت مطبوعة يشار إلى الصفحات المنقول والأجزاء، إن كان للكتاب أجزاء، وإذا ورد شعر، فإنه ينبغي أن يجتهد في ذكر قائله مع المرجع الذي يؤيد ذلك كالدواوين الشعرية والمجاميع الأدبية، والتواريخ الأدبية ككتاب: تاريخ الطبري (ت ٢١٠هـ) ومروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦هـ)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٠٨هـ).

وينبغي أن تشرح الكلمات الغريبة والمصطلحات المجهولة بتطبيقات كافية أمّا المراجع المطبوعة فيشار إلى صفحة الفارزة المستفادة منها وإلى موضع طبعها وتاريخه.

ومن المحققين للمخطوطات من يقصر الحواشي على اختلاف النسخ حسب التعليقات ويؤخر التعليقات مفرداً لها ملحقات في آخر الكتاب ومنهم من يثبت اختلاف النسخ ويكتب التعليقات بعدها مفصلاً بينهما، ومنهم لا يثبت إلا النص، ويرقم لكل موضع يستوجب التعليق رقماً، ويؤخر ذلك إلى آخر الكتاب أيضاً^(١).

(١) المصدر السابق: ص ١٢٤.

١١ - الاستدراكات والإجازات والسماعات:

قد يكون في طائفة من الكتب استدراك من الناسخ، كتبه العلماء الذين قرأوا الكتاب. أو المقابلون بين نسخته الجديدة ونسخته العتيقة، وقد تكون الاستدراكات متحيفة بالبلى أو الإلصاق أو القطع فينبغي للمحقق أن ينتبه لذلك حق الانتباه ولا يفرط في شيء من المستدراكات، وعليه أن يميز بين المستدراكات التي هي من صميم الكتاب ومنتنه، والتعليقات التي تبين آراء قراء الكتاب، فمثال التفريط ما جاء في الجزء الأول من كتاب: الخريدة - أعين خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ)، ج ١، ص ٩٥.

١٢ - الفهارس:

جمع الفهرس والفهرست، وهي كلمة فارسية معربة بمعنى الثبت والقائمة وجريدة المضامين ومرصداً وما أشبهها وقواعد النشر الحديثة توجب على الناشر صنع فهارس لمواد الكتاب، للأبواب والفصول، والفوائد، والفرائد، ولأسماء الناس، والامكنة، والأجيال (أي الأمم) والطوائف، والقبائل والفرق، يعمل كل ذلك من أجل تيسير الاستفادة من الكتاب وأغلب الفهارس تكون على حسب حروف المعجم (أي: ألف باء) على ترتيبها الشرقي في التهجي والقراءة، وأولها الألف وآخرها الياء.

ومن الناشرين من يفتن أفتناناً في وضع الفهارس، كما فعل الأب أنستاس الكرمل (ت ١٩٤٧م) في الجزء الثامن من كتاب: الأكليل في تاريخ اليمن للحسن بن أحمد الهمداني (ت ٣٣٤هـ). وقد طبعه بمطبعة السريان الكاثوليك (أي الكثالكة) ببغداد سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة وألف، أنه قد وضع للكتاب ثمانية عشر فهرساً للفصول، والقواعد العربية، وللمعمرين من العرب وللشعراء والقوافي، وللمحدثين والرواة وللعمران، وللأسداد (أي السدود) وللقبور والمدافن وللجبال وللحصون والقلاع وللقصور وللألفاظ الغريبة،

وللتأليف والمطبوعات وللألفاظ الخاصّة بالمؤلف، وللأمثال والأقوال المأثورة، ولأسماء المواضع ولأسماء الرجال. ولقد استوعبت الفهارس مائة وسبعاً وخمسين صفحة بالحروف الصغار، مع أنّ نصّ الكتاب (أي: متنه) كان مائتين وستاً وتسعين صفحة بالحروف الكبار، وهذا إفراط في الفهرسة وتفريط في رعاية الوقت فالفهارس المألوفة هي:

١. فهرس لأعلام الناس، وفيهم الرجال والنساء والقبائل والطوائف.
٢. فهرس للأمكنة، وفيه المدن والبلدان والقرى وتلحق به: الأنهار والبحار والجبال والأودية.
٣. فهرس للعميران وفيه إشارات إلى الفرائد الفريدة الواردة في الكتاب.
٤. فهرس للكتب المذكورة في نصّ الكتاب؛ لأنّها مراجع المؤلف ذكرها تأييداً أو تفنيدياً، فهي مسطورة على سبيل النقل ثمّ تصنع الفهارس لكل كتاب بحسب ما يستوجب موضوعه كديوان الشعر، وكتاب الأدب، وكتاب الأحاديث، ومن المفهرسين من يجمع كلّ الأسماء المهمّة في فهرس واحد، وليس ذلك بالعظيم الفائدة.

١٣- البحث عن اسم الكتاب أو اسم المؤلف:

ينبغي للمحقّق قبل كلّ شيء أن يكون كامل أدوات التحقيق عارفاً بالخطوط وأنواعها وأطوارها وعصورها وخبيراً بأنواع الورق عالماً بأسماء المؤلفين وألقابهم وأنسابهم وأسماء الأمكنة وعارفاً بمفردات اللغة، وربّما يصادف المحقّق مخطّطاً وضع عليه اسم لا ينطبق على موضوعه أو بعيداً كلّ البعد عن موضوعه أو مخطّطاً كتب عليه اسم غير مؤلّفه وأسباب ذلك أن بعض الناس كان يبعث خبثه على محو اسم الكتاب واستبداله باسم آخر ومنهم من يضع اسم على هواه؛ لأنه وجد الكتاب ليس فيه اسم ظناً منه أنّه على صواب. فتحقيق اسم المؤلف يكون بالدراسة الداخليّة والخارجيّة.

فإن الداخلية هي انطباق الموضوع المسمّى على الاسم.
والخارجية: هي البحث عن اسم الكتاب في فهرس الكتب القديمة.

الخاتمة:

توصّل البحث إلى:

- ١- تبنى العلامة مصطفى جواد منهجاً علمياً دقيقاً في دراسة التاريخ والأسماء والأنساب والألقاب بروح حيادية علمية وبذلك قدّم سلوكاً منهجياً متقدماً في أساسيات البحث العلمي.
- ٢- أدرك مصطفى جواد علم الدبلوماسية (تحقيق المخطوطات) مشيراً إلى أنّ من يتولّى هذه المهمة العسيرة أن يكون صبوراً متأملاً دقيقاً بالتعامل مع المخطوطة الأم من حيث التاريخ والموضوع، وكان هذا واضحاً في أمله في تحقيق المخطوطات.



تحقيق النصوص بين

عبد السلام هارون وصلاح الدين المنجد

(دراسة مقارنة في منهجية التحقيق)

الأستاذ عصام محمد الشنطي

م. عمر عبد عواد الدليمي

المستخلص :

لقد وضع العلماء كثيراً من المؤلفات حول قواعد تحقيق المخطوطات ونشرها، وتنوعت المقاصد منها، ومن بين تلك المؤلفات، كتاب (تحقيق النصوص ونشرها) للدكتور عبد السلام هارون، وكتاب (قواعد تحقيق المخطوطات) للدكتور صلاح الدين المنجد. ونظراً لأهمية هذين الكتابين، قررت دراستهما والبحث فيهما، وسميت بحثي فيهما: (تحقيق النصوص بين الدكتور عبد السلام هارون والدكتور صلاح الدين المنجد).

وقد بينتُ في هذا البحث معالم من حياة الدكتور عبد السلام هارون، والدكتور صلاح الدين المنجد، كما وقد بينتُ معالم من الكتابين، مع بيان مناسبة تأليف كلٍّ منهما، وبيان موضوعاتهما، وأهميّة كلٍّ منهما ومعالجته، وبعد ذلك كلّهُ بينتُ سبب الصدام بين الدكتور عبد السلام والدكتور المنجد، مع بيان مميزات وإيجابيات كلٍّ من الكتابين ثمّ ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهمّ نتائج البحث.

Abstract:

Scholars wrote many books on the rules of manuscripts editing and publishing. but these works differ greatly. major among these works are manuscripts editing and publishing by dr. abdul-salaam haroun and rules of manuscripts editing by dr. salah-eldin al-munjid. in view of the great importance of these two books. this paper studies them comparatively.

This paper deals with biographical aspects of these two authors, their two books, occasion of composition, subjects,

and methodologies. the paper also deals with the clash between these two authors as evident in these two books. a comparative analysis is conducted to clarify their methodologies and their strengths and drawbacks.

المقدمة :

الحمد لله الذي بفضل هدايته تحقّق الإيمان وبواسع رحمته نشر العدل والإحسان، فكانت نصوص الكتاب هداية لكلّ عبد يبتغي الرضا والخوف من الرحيم الرحمن، لك الحمد يا ربّ على نعمائك وأفضالك أن وهبتنا الصحة والتمكن للسير في طريق العلم، الذي تضع الملائكة أجنتها رضىً لطالبه ومبتغيه، والصلاة والسلام على محمد سيّد البشر ﷺ،... أمّا بعد:

فإن علم تحقّق النصوص من العلوم القائمة بذاتها، ويعد من أهم العلوم وأدقّها، إذ لا يبرع فيه أي شخص إلّا من تحصّلت لديه مواصفات خاصّة تؤهله للقيام بهذه المهمة النبيلة، التي تمتاز بإحياء التراث المكنون، ممّا خلفه لنا أجدادنا وأسلافنا العظام.

ومن هنا تأتي أهميّة الاشتغال بهذا العلم، علماً وعملاً، ولعلّ أهميّة التحقيق تمكن أيضاً في كونه وسيلة للحفاظ على التراث، وصدّ التحريف والانتحال عنه، ووسيلة وصل الحاضر به وإخراجه متعانقا فيه المضمون مع الثوب الزاهي.

وهذا ما يؤكّد شرف هذا العلم، الذي لا يتجاهل فضله إلّا الجاهلون ولا ينتقص من قدره إلّا المتنطّعون، بل هو قرين للفكر الحرّ، وملازم له، يقول الجاحظ عنه: «ولربّما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حرّ اللفظ وشريف المعاني، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتّى يردّه إلى موضعه من اتّصال الكلام». وهذا إن دل على شيء

فإنَّه يدلُّ على مدى أهميته وشرفه، بل وصعوبته.

ومن الجدير بالذكر هنا أن جهوداً ضافية قدمت لبيان الخطوات المنهجية التي ينبغي اتباعها، والاهتداء بها في خوض غمار هذا العلم من أجل الوصول إلى نصٍّ محقَّقٍ تحقِّقاً علمياً رصيناً، فضلاً عن دراسته دراسة علمية ودقيقة ومستوعبة.

وكان من بين تلك المحاولات ما قدَّمه العلامة الدكتور (عبد السلام محمد هارون) الذي قام بجهود رائعة في تدعيم هذا العلم ومحاولة تأصيله، في كتاب سَمَّاه (تحقيق النصوص ونشرها) الذي وُصِفَ أنَّه الكتاب العربي الأوَّل الذي يوضِّح مناهج هذا العلم ويعالج مشكلاته.

وفي هذه الصفحات القادمة دراسة تحتوي على مفردات تتعلَّق بدراسة هذا الكتاب، مع مقارنته بغيره من الكتب التي عالجت مواضيع هذا العلم أيضاً.

وقد قسمت تلك الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة تضمَّنت أهم النتائج والاستنتاجات. وكلُّ مبحث من تلك المباحث الثلاثة يحتوي على مطالب، يحتوي كلُّ مطلب منها على فروع تلتها موضوعات عديدة، ممَّا يتعلق بكتابي الدكتور عبد السلام محمد هارون، والدكتور صلاح الدين المنجد.

سائلاً الباري جلَّ جلاله أن يكرمنا بالإخلاص في القول والعمل، وأن يتقبَّل ما نقدِّمه، وأن يبارك لنا فيه، وأن ينفع به، إنه سميع مجيب.

المطلب الأول

معالم من حياة عبد السلام هارون

في هذا المبحث نريد أن نركّز فيه على ترجمة الأستاذ الدكتور عبد السلام هارون موضحين فيها بعض التفاصيل التي تخصّ ملامح حياته، مبتغين فيها الاختصار، وعدم الإطالة، وذلك وفق العناوين الآتية:

المولد والنشأة:

ولد عبد السلام هارون في مدينة الإسكندرية في (٢٥ ذي الحجة ١٣٢٦هـ الموافق ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩م)، ونشأ في بيت كريم من بيوت العلم، فجدّه لأبيه هو الشيخ هارون بن عبد الرازق عضو جماعة كبار العلماء، وأبوه هو الشيخ محمد بن هارون الذي كان يتولّى عند وفاته منصب رئيس التفيتش الشرعي في وزارة الحقانية (العدل) وعمه هو الشيخ أحمد بن هارون الذي يرجع إليه الفضل في إصلاح المحاكم الشرعية ووضع لوائحها، أمّا جدّه لأُمّه فهو الشيخ محمود بن رضوان الجزيري عضو المحكمة العليا.

وقد عني أبوه بتربيته وتعليمه، فحفظ القرآن الكريم وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، والتحق بالأزهر سنة (١٣٤٠هـ - ١٩٢١م) حيث درس العلوم الدينية والعربية، ثمّ التحق في سنة (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م) بتجهيزية دار العلوم بعد اجتيازه مسابقة للالتحاق بها، وكانت هذه التجهيزية تعدّ الطلبة للالتحاق بمدرسة دار العلوم، وحصل منها على شهادة البكالوريا سنة (١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م) ثمّ أتمّ دراسته بدار العلوم العليا، وتخرج فيها سنة (١٣٥١هـ - ١٩٤٥م).

الوظائف العلمية :

وبعد تخرّجه عمل مدرساً بالتعليم الابتدائي، ثم عُيّن في سنة (١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م) مدرساً بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وهذه هي المرة الوحيدة في تاريخ الجامعات التي ينتقل فيها مدرس من التعليم الابتدائي إلى السلك الجامعي، بعد أن ذاعت شهرته في تحقيق التراث، ثم عُيّن في سنة (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م) أستاذاً مساعداً بكلية دار العلوم، ثم أصبح أستاذاً ورئيساً لقسم النحو بها سنة (١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م) ثم دُعي مع نخبة من الأساتذة المصريين في سنة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) لإنشاء جامعة الكويت، وتولّى هو رئاسة قسم اللغة العربية وقسم الدراسات العليا حتى سنة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م)، وفي أثناء ذلك اختير عضواً بمَجْمَع اللغة العربية بالقاهرة سنة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

النشاط العلمي :

بدأ عبد السلام هارون نشاطه العلمي منذ وقت مبكر، فحقّق وهو في السادسة عشرة من عمره كتاب «متن أبي شجاع» بضبطه وتصحيحه ومراجعته في سنة (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م)، ثم حقّق الجزء الأوّل من كتاب (خزانة الأدب) للبغداديّ سنة (١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م)، ثم أكمل أربعة أجزاء من الخزانة وهو طالب بدار العلوم.

كانت هذه البدايات تشير إلى الاتجاه الذي سيسلكه هذا الطالب النابه، وتظهر تعلقه بنشر التراث، وصبره وجلده على تحمل مشاق المراجعة والتحقيق، وبعد تخرّجه في دار العلوم اتجه إلى النشر المنظّم، فلا تكاد تخلو سنة من كتاب جديد يحقّقه أو دراسة ينشرها.

ولنبوغه في هذا الفن اختاره الدكتور طه حسين سنة (١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م) ليكون عضواً بلجنة إحياء تراث أبي العلاء المعريّ مع الأساتذة: مصطفى السقا،

وعبد الرحيم محمود وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، وقد أخرجت هذه اللجنة في أول عهدها مجلداً ضخماً بعنوان: «تعريف القدماء بأبي العلاء»، أعقبته بخمسة مجلدات من شروح ديوان (سقط الزند). وتدور آثاره العلمية في التحقيق حول العناية بنشر كتب الجاحظ، وإخراج المعاجم اللغوية، والكتب النحوية، وكتب الأدب، والمختارات الشعرية.

أمّا كتب الجاحظ - أمير البيان العربي - فقد عني بها عبد السلام هارون عناية فائقة، فأخرج كتاب «الحيوان» في ثمانية مجلدات، ونال عن تحقيقه جائزة مجمع اللغة العربية سنة (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م)، وكتاب «البيان والتبيين» في أربعة أجزاء، وكتاب «البرصان والعرجان والعميان والحوالان» و«رسائل الجاحظ» في أربعة أجزاء، وكتاب «العثمانية».

وأخرج من المعاجم اللغوية معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس في ستة أجزاء، واشترك مع أحمد عبد الغفور العطار في تحقيق «صاحاح العربية» للجوهري في ستة مجلدات، و«تهذيب الصحاح» للزنجاني في ثلاثة مجلدات، وحقّق جزأين من معجم «تهذيب اللغة» للأزهري، وأسند إليه مجمع اللغة العربية الإشراف على طبع «المعجم الوسيط».

وحقّق من كتب النحو واللغة كتاب سيبويه في خمسة أجزاء، و«خزانة الأدب» للبغداديّ في ثلاثة عشر مجلداً، و«مجالس ثعلب» في جزأين، و«أملّي الزجاجي»، ومجالس العلماء للزجاجي أيضاً، و«الاشتقاق» لابن دريد.

وحقّق من كتب التاريخ: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم، و«وقعة صفين» لنصر بن مزاحم، وكان من نتيجة معاناته وتجاربه في التعامل مع النصوص المخطوطة ونشرها أن نشر كتاباً في فنّ التحقيق بعنوان: «تحقيق النصوص ونشرها» سنة (١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م)، فكان أول كتاب عربيّ في هذا

الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته، ثم تتابعت بعد ذلك الكتب التي تعالج هذا الموضوع، مثل كتاب (مقدمة في المنهج) للدكتورة بنت الشاطي، و(منهج تحقيق النصوص ونشرها) لنوري حمودي القيسي وسامي مكّي العاني، و(تحقيق التراث العربي) لعبد المجيد دياب.

أمّا عن مؤلفاته فله: (الأساليب الإنشائية في النحو العربي)، و(الميسر والأزلام)، و(التراث العربي)، و(حول ديوان البحري)، و(تحقيقات وتنبهات في معجم لسان العرب)، و(قواعد الإملاء)، و(كناشة النوادر)، و(معجم شواهد العربية)، و(معجم مقيدات ابن خلكان). وعمد إلى بعض الكتب الأصول فهذبها ويسرّها، من ذلك (تهذيب سيرة ابن هشام)، و(تهذيب إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي، و(الألف المختارة من صحيح البخاري)، كما صنع فهارس لمعجم (تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهري في مجلد ضخم.

وخلاصة القول أن ما أخرجّه للناس من آثار سواء أكانت من تحقيقه أم من تأليفه تجاوزت (١١٥) كتاباً، وقد توجّ عبد السلام هارون حياته بأن نال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م)، وانتخبه مجلس مجمع اللغة العربية أميناً عاماً له في (٣ ربيع الآخر ١٤٠٤هـ الموافق ٧ كانون الثاني «يناير» ١٩٨٤م)، واختاره مجمع اللغة العربية الأردني عضواً شرف به.

وظلّ الشيخ يعمل في خدمة التراث في صبر وجلد ينجز بهما الأعمال العلمية المضنية على اختلاف مناحيها وكثرة تشعبها، تمده ثقافة عربية واسعة، وبصر بالتراث، ونفس وثابة، وروح إسلامية عارمة تستهدف إذاعة النصوص الدالة على عظمة التراث العربي، وتكشف عن نواحي الجلال فيه.

وإلى جانب هذا النشاط في عالم التحقيق كان الأستاذ عبد السلام هارون أستاذاً جامعياً متمكناً، تعرفه الجامعات العربية، أستاذاً محاضراً ومشرفاً ومناقشاً

لكثير من الرسائل العلمية التي تزيد عن (٨٠) رسالة للماجستير والدكتوراه.

وفاته:

توفي عبد السلام هارون في (٢٨ شعبان ١٤٠٨ هـ الموافق لـ ١٦ نيسان ١٩٨٨ م) بعد حياة علمية حافلة، وخدمة للتراث جليلة^(١).

المطلب الثاني

معالم من كتاب (تحقيق النصوص ونشرها)

الفرع الأول: مناسبة تأليف الكتاب:

يؤكد الأستاذ الدكتور عبد السلام هارون على مناسبة تأليفه لهذا الكتاب، إنَّما اختمرت عنده بعدما ظفر كتابان من كتبه التي حققها بالجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي سنة (١٩٤٩ - ١٩٥٠ م). يقول الدكتور عبد السلام هارون كنت منذ ذلك الحين أعاود الكتابة بين الفينة والأخرى إلى أن كان صيف هذا العام (١٩٥٤ م) إذ اقترح الزميل الجليل الأستاذ أحمد الشايب أن أقوم بإلقاء عدَّة محاضرات في هذا الفن على طلبة (الماجستير) بكلية دار العلوم، فكانت أوَّل مرة في جامعاتنا المصرية الحديثة يعالج فيها هذا الضرب من تلك الدراسة

(١) ينظر في ترجمة الدكتور عبد السلام هارون ما يأتي: «المجمعون في خمسين عاماً»، محمد مهدي علام، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، و«مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي»، محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م)، و«تتمة الأعلام» للزركلي، محمد خير رمضان يوسف دار ابن حزم ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)، و«كلمة في استقبال عبد السلام هارون»، محمد محيي الدين عبد الحميد، مجلَّة مجمع اللغة العربية، العدد (٢٥)، القاهرة، (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م)، و«الجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام» السيد الجميلي مجلَّة الأزهر، الجزء العاشر، السنة الثامنة والستون (١٤١٦ هـ - ١٠٩٦ م).

الفنية، وكان للأستاذ الشايب بذلك فضل كبير في أن يرى كتابي النور^(١).

ولعلّ تأليف هذا الكتاب يأتي بعد مناشدات طالما ناشدها الدكتور عبد السلام هارون، ورفع صوته صارخاً بها، من أجل تحقيقها، وبالتالي جاء هذا الكتاب بعد أن تحققت أمنية - طالما تمنّاها - رحمه الله تعالى وقد كان يقول: «وقد ناديتُ في مقدمة إحدى منشوراتي^(٢) أن تلتزم كليتنا الجامعية ذات الطابع الثقافي الإسلامي تكليف طلبة الدراسات العالية أن يقوم كلّ منهم بتحقيق مخطوطات يمت بصلة إلى الموضوع الرسالة التي يتقدّم بها.... وعسى أن يأتي اليوم، فننعم بكثير من المتع الثقافية التي حالت بيننا وبينها هذه الحرب العلمية الظالمة»^(٣).

الفرع الثاني: أهمّ موضوعات الكتاب:

احتوى كتاب الدكتور عبد السلام هارون على موضوعات متعددة، تناول من خلالها نقاطاً عديدة، وأريد هنا أن ألخص أهمّ موضوعات الكتاب الأساسية، حتّى يكون ذلك مسلكاً واضحاً لمعرفة أهميّة الكتاب، التي ستأتي في الفرع القادم إن شاء الله تعالى:

- لقد تناول المؤلّف الشيخ عبد السلام هارون أوّل ما تناول في كتابه كيفيّة وصول الثقافة العربية إلينا، مشيراً إلى أن الثقافة العربية اقترنت منذ اللحظة الأولى بالحرص الدقيق، والدقّة الكاملة والأمانة البالغة، على اعتبار أن الدين كان يدعو إلى ذلك، ولأن كثيراً من نصوص الكتاب والسنة كان شاهداً على شواهد التشريع، حيث كان القوم يلتزمون الأمانة والحرص في الرواية والتبليغ

(١) ينظر تحقيق النصوص ونشرها: الدكتور عبد السلام هارون، ط ٥، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٠هـ، ص ٦-٧.

(٢) يقصد به كتابه (نوادير المخطوطات) ٣/١ الذي ألفه وطبعته لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥١م.

(٣) تحقيق النصوص ونشرها: مصدر سابق، ص ٦.

والتدوين. وفضلاً عن ذلك فقد فصل الدكتور عبد السلام هارون القول في معرفة أوائل النص المكتوب، وأوائل التصنيف في فترة الإسلام^(١).

- وتناول المؤلف أيضاً موضوع (الورق - الوراقون) وفصل القول فيه، ونقل نقولات متنوعة عن الأئمة الكبار الذين اعتنوا بهذا الموضوع، ممن أولاه أهمية في مؤلفاتهم ودراساتهم، فقد نقل عن ابن النديم، والعلامة ابن خلدون، والجهشياري، والقلقشندي، والجاحظ، وغيرهم. وتوصل المؤلف من خلال تلك النقولات إلى أن الجلود كانت مستعملة في العراق وما جاوره من كتابة دواوين العلم، حتى القرن الثالث الهجري، أما في مصر فقد كان ورق البردي هو المادة الشائعة في الكتابة إلى أن حلت الجلود ثم الأوراق^(٢).

- وتطرق المؤلف إلى موضوع الخطوط، وأكد بأن الخط الذي كان غالباً عند أهل القرون الثلاثة الأولى هو الخط الكوفي، وأنه قد مزج الخط الكوفي بالخط الحديث في أواخر خلافة بني أمية، وصدر الدولة العباسية.

- ثم ينتقل العلامة عبد السلام هارون إلى موضوع تحقيق النصوص، وقد أسهب فيها وفصلها تفصيلاً جيداً، ويوضح أن أعلى النصوص وأفضلها إنما هي (النسخة الأم) التي يكتبها المؤلف بخط يده، أو التي أملاها أو أجازها، ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها أو إقراره لها ثم تلي النسخة (الأم) النسخة المأخوذة منها، ثم فرعها، ثم فرعها، وهكذا.. ويوضح المؤلف أيضاً النوع الآخر فيما يتعلق بهذا الموضوع، ويصفه بالأبناء الأدعياء، وهي الأصول القديمة المنقولة في أثناء أصول أخرى.. وتليها النسخة المطبوعة التي فقدت أصولها أو تعذر الوصول إليها، وهي التي يهدرها كثير من المحققين، في

(١) ينظر المصدر السابق: ص ١١-١٤.

(٢) ينظر المصدر السابق: ص ١٩.

حين يعدّها بعضهم أصولاً ثانوية في التحقيق.. وأمّا المصوّرات من النسخ فهي بمنزلة أصلها، ما كانت الصورة واضحة تامّة تؤدّي أصلها كلّ الأداء، فمصوّرة النسخة الأولى هي نسخة أولى، ومصوّرة الثانوية ثانوية، وهكذا.

- ثمّ يتناول المؤلّف (رحمه الله تعالى) كيفيّة جمع النصوص، وفحص النسخ، ويؤكد في المسألة الأولى على أنّه من غير المضمون أن يعثر المحقّق على جميع المخطوطات التي تخصّ كتاباً واحداً إلّا على وجه تقريبي، فمهما أجهد المحقّق نفسه للحصول على أكبر مجموعة من المخطوطات، فإنّه سيجد وراءه معقّباً، يستطيع أن يظهر نسخاً أخرى من كتابه أمّا في المسألة الثانية، فإن فاحص المخطوطة يستطيع بدراستها أن يزن المخطوطة ويقدرها قدرها، من حيث دراسة ورقها ليتمكّن من تحقيق عمرها، ودراسة المداد الذي كتبت به، فيتّضح له قرب عهده أو بعده، وكذلك دراسة الخطّ؛ لأنّ لكلّ عصر نهجاً خاصّاً في الخطّ، ونظام كتابته، يستطيع الخبير الممارس أن يحكم في ذلك بخبرته.. ومما يجب على فاحص المخطوطة أن ينظر إلى أبواب الكتاب وفصوله وأجزائه، حتّى يستوثق من كمال النسخة وصحّة ترتيبها، وأن ينظر كذلك في خاتمة المخطوطة لعله يتبيّن اسم الناسخ وتاريخ النسخ وتسلسل النسخة.

- ثمّ ينتقل المؤلّف ليوضح ما يتعلق بالتحقيق، وهنا يوضّح أن (مصطلح التحقيق) مصطلح معاصر، ويقصد به بذل عناية خاصّة بالمخطوطات، حتّى يمكن الثبّت من استيفائها لشرائط معينة.. فالكتاب المحقّق هو الذي صحّ عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان منه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه.. وعلى هذا فإن التحقيق ينبغي أن يتناول أربعة أمور: (الأول): تحقيق عنوان الكتاب. (الثاني): تحقيق اسم الكتاب (الثالث): تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه. (الرابع): تحقيق متن الكتاب حتّى يظهر مقارباً لنصّ

مؤلفه.

- ويتحوّل المؤلّف بعد ذلك إلى موضوع (التصحيح والتحريف) اللذين يعدان أكبر آفة علمية منيت بها الآثار العلمية، إذ لا يكاد يسلم منها كتاب، وينقل أقوال بعض العلماء في التفريق بين المصطلحين، في كون المصحّف هو المخالفة التي تحصل في النقط مع بقاء صورة الكلمة، والمحرف أن تقع المخالفة في شكل الكلمة. ويبيّن الدكتور أنّ أقدم كتاب وضع في توضيح هذين المصطلحين هو كتاب أبي أحمد العسكري.

- أمّا موضوع معالجة النصوص، فتشتمل على موضوعات كثيرة من أهمّها (ترجيح الروايات) وذلك حينما تجلب إلينا النسخ صوراً شتى من الروايات، وفي كثير من الأحيان نجد بعض النسخ قد انفردت بزيادات لا نجدها في النسخ الأخرى. وهذه الزيادات ينبغي أن يوضع تحت الفحص والخبرة، ليحكم المحقّق بمدى صحّتها وانطباقها على سياق النسخة وأسلوب المؤلّف.

- و(تصحيح الأخطاء) من الموضوعات المهمّة في معالجة النصوص، غير أنّ الأمانة العلمية تقتضي أن يشير المحقّق في الحاشية إلى النصوص التي عالجها لينتزع الصواب من بينها، وأن لا يغفل الإشارة إلى الروايات الأخرى التي قد يجد القارئ فيها وجهاً أصوب من الوجه التي ارتآه^(١).

- ثمّ ينتقل العلامة عبد السلام هارون إلى الحديث عن (الزيادة والحذف)، ويبيّن أنهما من أخطر ما تتعرّض له النصوص، ويؤكد أنّ مذهب الأقدمين هو أن يلحق بالكتاب ما هو ضروري متعين لإقامة النص، وخاصّة في نصوص الأحاديث الشريفة.. غير أنّ الضروري معرفة أن الزيادات الخارجية التي يقصد بها توضيح الكلام وإشباعه لا يصحّ أن تكون في منهج أداء النص، وللمحقّق

(١) ينظر المصدر السابق: ص ٧٢.

أن يشير في الحاشية إلى ذلك الضرب من الزيادة، فما هو إلا ضوء جانبي يعين على تجلية الصورة وتضويئها، وليس من حقيقة الصورة في شيء^(١).

- ثم يأتي موضوع (التغيير والتبديل) ويؤكد الدكتور عبد السلام هارون في مؤلفه أن إحداثهما في النسخة العالية يخرج بالمحقق عن سبيل الأمانة العلمية، ولا سيما التغيير الذي ليس وراءه إلا تحسين الأسلوب، أو تنميق العبارة، أو رفع مستواها في نظر المحقق، فهذه تعدّ جناية علمية صارخة، إذا قرنها صاحبها بعدم التنبيه على الأصل، وهو أيضاً انحراف جائر عما ينبغي إذا قرّر ذلك بالتنبيه^(٢).

- أمّا المكملات الحديثة للتحقيق، فيشير المؤلف إلى توضيحها من خلال الآتي:

أولاً: تقديم النص: ويقتضي ذلك التعريف بالمؤلف، وبيان عصره ويقتضي كذلك عرض دراسة خاصة بالكتاب وموضوعه وعلاقته بغيره، وكذلك تقديم دراسة فاحصة لمخطوطات الكتاب، مقرونة بالتحقيق العلمي الذي يؤدي إلى صحّة الكتاب والاطمئنان إلى متنه.

ثانياً: العناية بالإخراج الطباعي: ويتناول ذلك القول في إعداد الكتاب للطبع ومعالجة تجارب الطبع معالجة دقيقة، ويشمل مراجعة دقيقة ومنسقة تنسيقاً تاماً، ومعلماً بعلامات الترقيم.

ثالثاً: صنع الفهارس الحديثة: وهي في غاية الأهمية؛ إذ بدونها تكون دراسة الكتب عسيرة كلّ العسر، فالفهارس تفتّش ما في باطنها من خفيّات يصعب التهديّ إليها، كما أنّها معيار توزن به صحة نصوصها بمقابلة ما فيها من نظائر، قد تكشف عن خطأ المحقق أو سهوه.

رابعاً: الاستدراك والتذييل: ولا يعدو الأمر مهما أجهد المحقق نفسه وفكره

(١) ينظر المصدر السابق: ص ٧٦.

(٢) ينظر المصدر السابق: ص ٧٧.

في إخراج الكتاب أن تفوته بعض التحقيقات أو التوضيحات، أو يزل فكره أو قلمه زلة تقتضي المعالجة.

- ثم يوضح المؤلف ﷺ في آخر كتابه موضوع صعوبات تحقيق النص، والعناء الذي قد يواجهه المحقق بسبب رداءة المخطوط، التي قد تكون في بعض الأحيان بسبب نوع الخط الذي كتب به، أو من حيث التحريف، والتصحيح، أو من حيث تعرضه لعوامل البلى والتآكل، أو انطماس بعض كلماته. وهكذا.

الفرع الثالث: أهمية الكتاب ومعالجته :

تأتي أهمية هذا الكتاب الذي كتبه الأستاذ الدكتور عبد السلام هارون كونه يمتاز بمجموعة من النقاط التي تجعله كتاباً يحتوي على أهمية بالغة، منها:

١- كونه يأتي ثمرة لكفاح طويل، وجهاد صادق، وتجارب طال عليها المدى ساعفتها عين طلعة ناظرة إلى ما يصنع صاحبها وما يصنع الناس، فكان له من ذلك دخر أمكنه أن يفتشه ويبحث في جنباته، ليرى وجه الحق فيما يرى، وأن يؤلف من ذلك كتابين يعتز به ويغبط اغتباطاً، إذ هو (أول كتاب عربي) يظهر في عالم الطباعة معالجاً هذا الفن العزيز: فن تحقيق النصوص ونشرها.

٢- إن هذا الكتاب يمثل خلاصة لفكر طويل وعريض، قضى صاحبه مشواراً يمتد إلى سنين عديدة محققاً ومؤلفاً لشتى أنواع المخطوطات التي تتنوع إلى علوم متعددة. وبالتالي كان هذا الكتاب ما يشبه الملخص الفعلي لعلم التحقيق الذي يحتاج تأصيله إلى رجل محقق ومدقق يمتلك خبرة طويلة، تؤهله للقيام بهذه المهمة التي لا يرتقي لها إلا أهلها.

٣- ولعل ما يزيد من أهمية الكتاب أنه يحتوي على ترجيحات وآراء المؤلفه الراحل، الذي خاض غمار هذا العلم، ومن ترجيحاته التي ضمّنها كتابه وبالتالي يعطي هذا البعد تأثيراً مهماً، تتضح من خلالها عصاراة الفكر الذي

ضمّنه الدكتور عبد السلام هارون في كتابه هذا.
٤- ومّا يزيد من أهميّة الكتاب أنّه كان مفتاحاً لهذا الفنّ والولوج في دواخله،
وخوض غمار التّأليف فيه، إذ كانت محاولة المؤلّف - رحمه الله تعالى - محاولة
جادة لإبراز معالم هذا العلم، الذي يعدّ هذا الكتاب طريقاً مستقيماً يمكن
السير فيه، والوصول من خلاله إلى جادة إخراج النصّ محقّقاً ومدقّقاً.

المبحث الثاني

الدكتور صلاح الدين المنجد وكتابه

(قواعد تحقيق المخطوطات)

المطلب الأول

معالم من حياة صلاح الدين المنجد

لعلّ أفضل طريق لمعرفة تفاصيل حياة الشخص هو استقائها من الشخص
نفسه، وهذا ما يزيد في دقّة المعلومات، تجنباً لأيّ هفوة قد يقع فيها الباحث أو
الكاتب.

وقد تحدّث الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد عن حياته وساق كثيراً
من التفاصيل الدقيقة في هذا الجانب. وبغية للاختصار أورد جملاً مهمّة من
تلك النصوص التي سطرّها عن نفسه: قال الدكتور صلاح الدين المنجد عن
نفسه: ولدت في دمشق، في حيّ مشهور جداً هو حيّ القيميرية جنوب المسجد
الأموي، في زقاق الصواف وأسرتنا قديمة جداً بدمشق.

وقد نشأت في بيت يرفرف عليه القرآن الكريم وتجودون ترجمة كاملة لسيدي
الوالد وشيوخه وتلاميذه في ذيل كتاب دور القرآن بدمشق، الذي حققته ونشرته

ذكرى له.

وكانت دراستي الابتدائية في مدرسة (البحصة) وهي مدرسة مشهورة. أما الثانوية فقد بدأت فيها في (مكتب عنبر) ثم انتقلت إلى الكلية العلمية الوطنية. وبعد نيلي الشهادة الثانوية انتسبت إلى دار المعلمين العليا، فلما تخرجتُ فيها عُيِّنْتُ سكرتيراً للتعليم العالي والفني في وزارة المعارف وطمحت نفسي إلى ما هو أعلى من التعليم والسكرتارية، فانتسبت إلى معهد الحقوق، كي أدرس القانون ففعلت.

وقد تدرجتُ في وظائف مختلفة وكنت في بادئ الأمر سكرتيراً للتعليم العالي، ثم رئيساً لديوان وزارة الإعاشة، ثم رئيساً لديوان مديرية الآثار القديمة، بعد مسابقة أجريت وكنتُ الأول فيها، ثم مديراً للآثار بالوكالة، ثم مديراً للعلاقات الثقافية والبعثات في وزارة المعارف. وتاقت نفسي إلى نيل الدكتوراه. فأوفدتُ في بعثة إلى باريس وهناك حصلتُ على الدكتوراه في القانون الدولي العام، وفي التاريخ.

وتابعتُ دروساً في علم المكتبات وعلم الخطوط (الباليوغرافيا)، وترددت على متحف اللوفر لدراسة الفن الإسلامي.

وعندما عدتُ رُشِّحتُ للعمل في جامعة الدول العربية فكنتُ مديراً للمعهد المخطوطات العربية ثم مستشاراً، وكانت السنوات التي قضيتها في المعهد من أخصب السنوات في حياتي عملاً، وإنتاجاً، وقد أتاحت لي زيارة مكتبات العالم التي تحتوي مخطوطات عربية وانتقاء الجيد منها، وتصويره بالميكرو فيلم ليكون في المعهد يرجع إليه العلماء والباحثون. وبقيتُ في الجامعة العربية حتى عام (١٩٦١م) وقد أصبح لمعهد المخطوطات شهرة عالمية في البلاد العربية والغربية.

وكان في القاهرة معهد للمخطوطات العربية، وكان مديره الدكتور يوسف

العش، وهو عالم سوري، قد أنهى عمله فيه. فُرِشَتْ أن أكون مديراً. وأيد الترشيح الرئيس فارس الخوري رئيس الوزراء، وسفيرنا في مصر الدكتور نجيب الأرمنازي فوافق عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية على ذلك. وكانت مهمّة المعهد عظيمة وواسعة وثقيلة.

ووضعت قواعد لتحقيق المخطوطات العربية بعد أن رأيتُ أن المحققين لا ينهجون نهجاً علمياً صحيحاً، وقدمت هذه القواعد إلى مؤتمر المجامع العلمية المنعقد بدمشق عام (١٩٥٦م) وأقرتها لجنة تحقيق المخطوطات، وقد تُرجمت هذه القواعد فيما بعد إلى لغات كثيرة منها الفرنسية والإنكليزية والإيطالية، والإسبانية، والتركية، والفارسية.

وفي خلال عملي في معهد المخطوطات انتخبتُ عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة، في (٢٣ إبريل ١٩٥٦م)، وكان أمين عام المجمع يومئذ العلامة المرحوم الدكتور منصور فهمي.

وحاضرتُ في معهد الدراسات العربية العليا في عام (١٩٥٧م)، وكان مديره الأستاذ الكبير شفيق غُرّبال.

ودُعيتُ إلى إلقاء محاضرات في جامعة فرانكفورت وكان مدير الدراسات العربية فيها المستشرق الكبير هلموت ريتز.

وانتُخبتُ عضواً في المعهد الألماني للآثار في برلين عام ١٩٥٨م. وفي عام ١٩٥٩م طلبتُ جامعة برنستون (Princeton) في نيوجرسي، في الولايات المتحدة، من جامعة الدول العربية إعارتي لها كأستاذ زائر خلال العام الدراسي (١٩٥٩-١٩٦٠م)، فأتيتُ لي خلال عام، الاطلاع على المخطوطات في جامعة برنستون، وفي مكتبات الجامعات الأمريكية، وفي المتاحف والمكتبات الخاصة، ووضعت لكثير منها فهرس لم تُنشر بعد.

المطلب الثاني

معالم من كتاب (قواعد تحقيق المخطوطات)

الفرع الأول: مناسبة تأليف الكتاب:

يعود تاريخ تأليف الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد مؤلفه الذي سَمَّاه (قواعد تحقيق المخطوطات)^(١) إلى منتصف القرن الماضي، وبالتحديد في عام (١٩٥٥م)، حينما كان مديراً لمعهد المخطوطات العربية في القاهرة.

وجدير بالذكر هنا أنَّ الدكتور صلاح الدين المنجد عمل مديراً لمعهد المخطوطات العربية، وكان له الأثر الضخم في إقامة صرح المعهد، وكان المعهد في أيامها شعلة نشاط وخلية نحل ومنازة علم، وكان خبيراً بالمخطوطات، ممَّا جعله مؤهلاً لأنَّ يجلب للمعهد نفائس ونوادير وكانت له مهابة عند الناس وقدر، لاشتغاله بعلم المخطوطات وتحقيق الكتب، وطارَت للمعهد في أيامه شهرة، وقصده الناس وهذه من السنن التي لا تتخلف، حيث يكسب الرئيس النابه العارف عمله مهابة مستمدة من مهابته هو، وموصولة بها.

وقد كان مجيء المنجد حلقة من سلسلة متعاقبة من العلماء الكبار الذين كان لهم الفضل في صلابة المعهد وقوّته، فقد جاء بعد المدير الأوّل للمعهد وهو الدكتور يوسف بن رشيد العش السوري، الذي يعدّ أوّل من تخصّص في تنسيق الكتب والوثائق في سورية، وانتدب لإدارة معهد المخطوطات عقب

(١) كلمة المخطوطات فيها نظر؛ لأن المخطوطة لا تحقّق وإنّما الذي يحقق هو النصّ، ولكن ربّما جازت تلك التسمية تجوّزاً بمعنى أنّ النصّ الذي يراد تحقيقه هو المؤلفات المخطوطة التي يراد إخراجها إلى المستفيدين.

إنشائه، فمكث به نحو خمس سنوات، شارك في إرساء أساسه ووضع قواعده، وخرج في بعثاته الأولى، فكان له فضل المشاركة في انتقاء مجموعاته الأولى من المخطوطات.

وأتى بعد المنجد عالم كبير آخر وهو الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب، الذي كان آية في معرفة الكتاب العربي المخطوط والمطبوع، ويعرفهما كما يعرف الناس آباءهم، حتى قالوا عنه: إنه كان يشم رائحة المخطوط النفيس من مكان بعيد، ويقع عليه كما يقع الصائد على فريسته لا يفلتها.

وقد عمل بمعهد المخطوطات منذ إنشائه سنة (١٩٤٦م) إلى حين وفاته سنة (١٩٧٥م) وكثير من نفائس مقتنيات المعهد من صيده هو رحمه الله.

الفرع الثاني: أهم موضوعات الكتاب:

احتوى كتاب الدكتور صلاح الدين المنجد على موضوعات متعددة، تناول من خلالها نقاطاً عديدة، وأريد هنا أن أُلخّص أهم موضوعات الكتاب الأساسية، حتى يكون ذلك مسلكاً واضحاً لمعرفة أهمية الكتاب التي ستأتي في الفرع القادم إن شاء الله تعالى:

- لقد تناول الكتاب أوّل ما تناول المحاولات السابقة من أجل وضع قواعد لنشر النصوص، مؤكداً على أن فقدان دليل متّفق عليه يرشد إلى طريقة نشر النصوص دفع بعض المؤسسات العلمية أو اللجان، أو العلماء، إلى وضع نهج لنشر بعض المخطوطات، وإنّ من الواجب أن ننوّه بهم، ونذكر لهم الفضل... ويشير إلى أنّ المجمع العلمي بدمشق هو أوّل من قام بوضع نهج لتحقيق النصوص، عندما أراد نشر (تاريخ دمشق) لابن عساكر.

- ثمّ يدخل المؤلّف في الموضوعات التي تتعلّق بالتحقيق حصراً، فيبدأ بموضوع (جمع النسخ وترتيبها)، ويؤكد الدكتور المنجد على أنّ جمع النسخ

العديدة للمخطوط الذي يراد تحقيقه مهمٌ للغاية، ومعرفة المخطوطات الموجودة في أماكن متفرقة يتمُّ بالرجوع إلى كتاب «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان.. ومن ثمَّ اختيار النسخ التي يحتاج إليها إذا كانت متعددة، ثمَّ تصويرها لغرض الدراسة.. أمّا (ترتيب النسخ) فإنَّ أحسن ما تعتمد للنشر هي التي كتبها المؤلف نفسه، وتسمَّى الأمّ، وتليها النسخة التي قرأها المصنّف أو قرئت عليه، وأثبتت بخطّه أنّها قرئت عليه، ثمَّ النسخة التي نُقلت على نسخة المؤلف أو عورضت بها وقوبلت عليها، ثمَّ نسخة كتبت في عصر المصنّف عليها سماعات العلماء، ثمَّ التي ليس عليها سماعات، ثمَّ تليها النسخ التي كُتبت بعد عصر المؤلف، ويفضّل في هذه الحالة الأقدم على المتأخر.

- ثمَّ ينتقل المؤلف لما يتعلّق بتحقيق النصّ، ويتكلّم أولاً عن (غاية التحقيق ومنهجه)، ويبيّن أنّ الغاية هي تقديم نصّ المخطوط صحيحاً كما وَضَعه مؤلّفه، دون شرحه وينتقد في الوقت ذاته كثرة الناشرين الذين يثقلون الحواشي بالشروح والزيادات، من شرح الألفاظ، وترجمة الأعلام، وغيرها ممّا يشغل القارئ.. ويؤكد أنّ عمل المحقّق لا يعدو أن يتوافر فيه:

أولاً: التحقيق من صحّة الكتاب، واسمه، ونسبته إلى مؤلّفه.

ثانياً: إذا كانت النسخة أمّاً كتبها المؤلف فتثبت كما هي.

ثالثاً: إذا كان المؤلف نقل نصوصاً من مصادر ذكرها، فتعرض هذه النصوص على أصولها ويشار في الحاشية بإيجاز.

رابعاً: قد لا يذكر المؤلف مصادره، فإذا عرفها المحقّق ورَدَّ كلَّ نصٍّ إلى مصدره كان أحسن.

خامساً: إذا سبق قلم المؤلف فأخطأ أثبت كما هو، ونبه عليه في الحاشية.

- ثمَّ يتحدّث المؤلف عن موضوع الرسم وما يتّصل به، ويؤكد هنا أنّ الأصل أن يُثبت المحقّق النص كما رسمه مؤلّفه، إذا كانت النسخة بخطّ المؤلف،

غير أنّ الخطّ العربي قد تطوّر على مرّ العصور، فلا بدّ إذن أن نجعل النصّ يُرسم بالرسم الذي نعرفه.

- وبعد ذلك يتحدث عن (الألفاظ المختصرة) التي ترد أحياناً في النصّ وتُعاد كثيراً، مثل الصلاة على النبي، والترضي، والترحم، وألفاظ التحديث والأخبار، والأبناء، في إسناد الأحاديث. وكأنّ المؤلّف يرجّح هنا ما جرى عليه الأقدمون من إمكانية الاختصار، وما يراه بعض المستشرقين أيضاً، يقول المنجد بعد كلامه عن الاختصار: «ويرى بعض المستشرقين اتباع هذه الطريقة في اختصار الألفاظ التي تعاد كثيراً، ويمكن اتباع ذلك في اختصار أسماء المصادر التي يرجع إليها في الحواشي»^(١).

- أمّا موضوع شكل النصّ، فيؤكّد الدكتور صلاح الدين المنجد على أنّ الأصل إذا كان مشكولاً كلّهُ أو بعضه حُوفِظ عليه تماماً، وينبغي أن تشكل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وكذلك الأشعار التي تصعب قراءتها، والأمثال. وتشكل أيضاً الألفاظ التي يلتبس معناها من غير تشكيل، والأعلام الأعجمية، المعربة وهكذا.

- أمّا الحديث عن العناوين، فيشير المؤلّف إلى أنّها تثبت بحرف أكبر من حرف النصّ، ويتحدّث في هذا الجانب عن موضوعات متعدّدة، ويؤكّد على أنّ المحافظة على تقسيم المؤلّف وترتيبه واجب. أمّا في النصوص التي لا تقسيم لها في الأصل فيمكن تقسيمها إلى فصول لإيضاح النصّ، على أن يوضع بين قوسين. وفيما يتعلّق بالنقط والفواصل والإشارات، فإنّه يستخدمها، على أن يكون الاستخدام صحيحاً، فتوضع النقطة والفارزة وإشارة الاستفهام، والتعجب والنقطتان كلّ واحدة مكانها.

(١) قواعد تحقيق المخطوطات: ص ٢١.

الفرع الثالث: أهمية الكتاب ومعالجته:

يمتاز كتاب (قواعد تحقيق المخطوطات) للدكتور صلاح الدين المنجد بميزات عديدة، لعل من أهمها هو تركيزه على الأمور التي تخص التحقيق، دون الدخول في بعض التفرعات التي يعدها كثير من المحققين مقدّمات لعلم التحقيق، وليس عناصر أساسية فيه. ومن هنا جاء الكتاب مختصراً بحيث يمكن للمهتم الاستفادة منه، فالدكتور المنجد لم يخوض غمار التدوين، والخطوط، وعلم المصادر، وغير ذلك من الزوائد، يقول المنجد: «ولن نتحدث هنا عن نشأة التدوين، أو علم الخطوط، أو علم المصادر، أو اصطلاحات الناسخين أو مصطلح الحديث، وكل ذلك يساعد عرفانه على التحقيق، إذ المفروض فيمن يتصدى لنشر المخطوطات أن يلم بذلك من قبل، وسنقصر كلامنا على القواعد العلمية التي تعين المحقق على تحقيق النص وإخراجه»^(١).

ومن مميزات الكتاب أيضاً أنّه يعد مسيرة عملية لعلم التحقيق الذي يتقنه الدكتور صلاح الدين المنجد، الذي يعد من رواد هذا العلم والمتقدمين فيه، وصاحب القدح المعلن في نشره والاعتناء به، وأسهم في تضمين قواعد هذا العلم في تحقيقاته الكثيرة والمتنوعة، التي تعد بالعشرات، ومن هنا فإن ما جاء في هذا الكتاب يعتبر خلاصة عمل تمتد لعشرات السنين.

(١) المصدر السابق: ص ١١.

المبحث الثالث

بين الدكتور عبد السلام هارون والدكتور صلاح الدين المنجد

المطلب الأول: أسباب الصدام بين الدكتورين

يعدّ الأستاذان الدكتوران عبد السلام هارون وصلاح الدين المنجد من عمالقة علم التحقيق، ومن الذين أسهموا بشكل واضح في تأصيل هذا العلم، وتحقيق وتدقيق معالمه بشكل واضح.. وصارا قرينين من قرناء العلم، ومن المتنافسين فيه، ومن هنا فإن من المحتمل غالباً - أن يكون هناك كلام ونقد بين أمثال هؤلاء.. وهذا ما يسمّيه العلماء من أهل الجرح والتعديل بـ (الكلام بين الأقران) ويؤكدون بأنّه غير مقبول على الإطلاق؛ لأنّه غالباً ما يأتي بسبب النفس البشرية التي لا ينفك عنها الحسد والغيرة في بعض الأوقات، مهما كان القرناء من أهل الرفعة.

لقد وجدت بعض الصدام بين الأستاذين المذكورين، وقد اتهم بعضهم بعضاً بتهم متنوعة وهنا أودّ بيان ما وجهه كلّ واحد للآخر:

■ فالدكتور عبد السلام هارون انتقد الدكتور المنجد أنّه يعتمد على جهود المستشرقين كثيراً، في وقت يُتّهم فيه المنجد أيضاً بأنّ كتابه هو تلخيص لكتاب الدكتور عبد السلام هارون، يقول ناقدنا: «إنّ المستشرقين إخواننا وشركاؤنا، ولكن ليس من الحكمة ولا الكرامة في شيء أن تكون خطانا متأثرة بخطاهم في كلّ أمر من أمورنا الثقافية، وأن نستعير عقولهم في صغار الأذلاء، وقد منحنا الله القدرة وحسن الفهم والدرس لما كتب بلغتنا وبوحي نفوسنا العربية، وإنّ

أعجب فإنه ليشتدَّ عجبِي مَنْ يتغنَّى بفضل سادته هؤلاء، وينكر فضل أخيه العربي، ثم يزعم لنفسه كتاباً يستخلص مادته وألفاظه وتنسيقه من كتابي هذا!«^(١).

ويقول أيضاً: «.... وإن كان بعض إخواننا الدمشقيين ممن كنا نتوسم فيهم النجابة - زعم بضعف نفسه، وبما يشعر به أمثاله من ذلة علمية أي لم أطلع على ما كتب المستشرقون، فوضع بذلك على هامتي إكليلاً أعتز به، إذ أمكنني بعون الله وحده أن أضع علماً متكاملًا لم أسبق إليه، دون أن أتطفل على مائدة، كثيراً ما وضع فيها للعرب صحاف مسمومة، وموائد العرب حافلة بالجهود الوثيقة، والأمانة العلمية المرموقة»^(٢).

ومن هذين النصين تتضح أمورٌ عديدة، ويستطيع القارئ أن يلتبس منها بعض الأمور التي يمكن تلخيص أهمها بما يأتي:

١ - كره الدكتور عبد السلام هارون اعتماد الباحث على جهود المستشرقين في وقت توج فيه جهود يقدمها الباحثون العرب.

٢ - إن الدكتور عبد السلام هارون يعدّ ممن أقام صلب هذا العلم، وساهم في تكامل هذا العلم وتأصيل أركانه، ممّا لم يسبقه إليه أحد.

■ أمّا الدكتور صلاح الدين المنجد فهو الآخر لم يقصّر في توجيه النقد اللاذع للأستاذ الدكتور عبد السلام هارون، وكان ممّا أخذه عليه أنّه لم يعتمد على الجهود السابقة - بما فيها جهود المستشرقين - فضلاً عن اتهامه بعدم الوفاء، وقلة الأدب وسوء التعامل - حاشا علماءنا من ذلك - يقول المنجد ما نصه: «ولا بدّ أن نشير هنا إلى أمر يجب التنويه به؛ فقد كنّا ذكرنا في الطبعة الأولى،

(١) مقدمة الطبعة الثانية من كتاب تحقيق النصوص ونشرها: ص ٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٨.

أنَّ من السابقين لنا في وضع قواعد النشر الدكتور محمد مندور، والأستاذ عبد السلام هارون، وأخذنا على الأستاذ هارون أنَّه لم يطلع على الطرق التي وضعها المستشرقون لنشر المخطوطات، ومن المبادئ التي نلقنها تلاميذنا أنَّ على الباحث عندما يتصدَّى إلى بحث ما، أن يطلع على كلِّ ما كتب فيه، وهذا لم يفعله الأستاذ هارون، وأخذنا عليه أنَّه لم يميِّز قواعد تحقيق المخطوطات من العلوم المساعدة على التحقيق فجاء بحثه خليطاً من كلِّ شيء، لا منهج فيه ولا تنسيق. وقد اطلع يومئذ على ما كتبناه ووافقنا عليه، فقد كان يتردد علينا في معهد المخطوطات، فنقدّم له كلَّ عون، وكنا نوصي به خيراً لاطلاعاً على الأصول العربية وتعمّقه في معرفة اللغة، حتّى إنَّنا اقترحنا على وزارة الثقافة والإرشاد بالكويت، عندما كنّا نشرف على (سلسلة التراث العربي) التي تصدرها، أن توكل إليه تحقيق كتابين في السلسلة، قدّمناها للقراء بأنفسنا. ثمَّ استقلنا من معهد المخطوطات، وانقطعت الصلة بيننا، وكنا نظنّ أنَّ ودَّ الأستاذ هارون باقٍ، لكنّنا فوجئنا أنَّه أصدر لقواعده في نشر النصوص طبعة ثانية، وشتما في مقدّمتها شتماً يدلّ على بلاهة وقلة أدب وقلة وفاء؛ لأنّنا أخذنا عليه عدم الإحاطة بالبحث، وفقدان المنهج العلمي عنده، ونوصي القراء أن يقرأوا ما كتبه. لقد كنّا نرحب بالانتقاد، لو انتقدنا، أو نبّهنا إلى خطأ وقعنا فيه، ونكون شاكرين له فضله؛ فبالنقد البريء تعرف الحقيقة، لكنّه انزلق إلى ما يجب أن يترفع عنه العلماء، فالشتم سلاح المغيظ الحانق العاجز ومثله، وهو في شيخوخته ينبغي أن يكون أنبل خلقاً وأسمى مكانة، فالله يغفر له»^(١).

ويقول في موضع آخر: «أما الأفراد الذين كتبوا في قواعد نشر النصوص، فنجد الدكتور محمد مندور، والأستاذ عبد السلام هارون. فقد تحدّث الأوّل بإيجاز عن قواعد نشر النصوص الكلاسيكية، في مقالين ظهرا في مجلّة الثقافة،

(١) قواعد تحقيق المخطوطات: ص ٤.

نقد بهما كتاب «قوانين الدواوين» لابن مماتي، الذي نشره الدكتور عزيز سوريال عطية، وأفرد الثاني عبد السلام هارون كتاباً سماه (تحقيق النصوص ونشرها) ضمّنه محاضرات ألقاها على طلبة دار العلوم، فيها معارف كثيرة مختلفة... وقد صدر عن هذه الموضوعات في السنوات الأخيرة بحوث أكثر عمقاً وأغزر مادة لم يفد منها المؤلّف، ثمّ تحدث عن أصول النصوص والمكملات الحديثة وغير ذلك ممّا يحتاج إليه المبتدئ في النشر، ويؤخذ على المؤلّف أنّه لم يطلع قطّ على ما كُتب في هذا الموضوع باللغات الأجنبية؛ ليكون كتابه تامّاً، والمنهج الذي يدعو إليه كاملاً، وأنه خلط بين قواعد تحقيق النصوص والعلوم المساعدة على التحقيق، كعلم الخطوط، أو علم المصادر، وغير ذلك، والمعروف أن هذين العلمين يدرسان دراسة طويلة على منهج علمي، ولا يمكن إيفاءهما حقهما بصفحات^(١).

ويبدو أنّه يمكن حصر المؤاخذات التي يأخذها المنجد على الأستاذ عبد السلام هارون بنقطتين، هما:

- ١- عدم اطلاعه على الجهود التي قدّمها المستشرقون فيما يتعلّق بنشر المخطوطات، منبهاً على أن الباحث الذي يتصدّى للبحث يجب عليه الاطلاع والاعتماد والإشارة إلى الجهود السابقة في هذا الشأن.
- ٢- عدم تمييزه بين قواعد تحقيق المخطوطات من العلوم المساعدة على التحقيق.

مما دعا المنجد إلى أن يصف كتاب الأستاذ هارون بأنّه بحث جاء خليطاً من كلّ شيء، وأنه يفتقر إلى المنهج والتنسيق.

وعلى أيّة حال، فإنّ ما وقع بين هذين الأستاذين لا يعدو أن يكون كلاماً

(١) المصدر نفسه: ص ١٠-١١.

بين الأقران الذي يحدث غالباً، عندما تحدث نزعة علمية، أو تأثيرٌ نفسيٌّ، يتخلله نوع من الغيرة والحسد، كما نبّهنا على ذلك، ولذا لا ينبغي لنا إلاّ التسليم، وأن لا نميز أحد الشخصين على أحد؛ لأنّ طالب العلم مطلوب منه أن ينتفع بالفوائد والفرائد أينما وجدها، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحقّ بها، ومما لا شكّ فيه أنّ كلّ جهد من جهود الأستاذين جدير بال العناية والفائدة.

خاصّةً وأنا سنتعرّف في المطلب اللاحق على مميزات ما كتبه كلّ واحد من هذين العلمين في خدمة العلوم والمعرفة.

المطلب الثاني

مميزات وإيجابيات كلّ واحد من الكتابين

لا شكّ أنّ ما قدّمه الأستاذ عبد السلام هارون، وما قدّمه بعده الدكتور صلاح الدين المنجد يعدّ جهداً مباركاً، أسهم بشكل واضح في إثراء علم تحقيق النصوص، حتّى صار هذا العلم بعد تلك المحاولات علماً مؤصلاً بأطر وضوابط ينبغي للطالب والمحقّق أن يأخذ بها ولا يتجاوزها.

وإذا كانوا يقولون: «أبى الله أن يصحّ إلاّ كتابه» فإن الجهود البشرية لا تخلو من الهنات والمفوات، غير أنّ هذا لا يصادر ما تمتاز به تلك الجهود، ومن هنا فإنّ من الممكن أن تكون هناك مميزات لكلّ كتاب، نجملها فيما يأتي:

أولاً: مميزات كتاب الأستاذ عبد السلام هارون :

١ - يمتاز الكتاب بكونه أوّل جهد عربيّ عالٍ وقوّم موضوعات هذا العلم، فالأستاذ عبد السلام هارون طرق أبواب العلم في زمن لم يطرقها قبله أحد من الكتاب العرب، وبالتالي كان له قصب السبق في هذا النهج، حتّى اعتبره

من جاء بعده أنّه صاحب القدح المعلّى في فتح ما أغلق من مناهج هذا العلم ودقائقه.

٢- إنّ هذا الكتاب كما أوضحنا من قبل جاء نتيجة ممارسة عملية في العناية بهذا العلم بعد تحقيق عدد كبير من النصوص في علوم متنوعة، وبالتالي جاء الكتاب منضبطاً مترزناً، أقرب ما يكون إلى الدقة والضبط، لأنه بُني على منهج عملي، وليس كغيره من المنظرين الذي يؤلفون في علوم لا يتقنونها فعلياً.

٣- امتاز الكتاب أيضاً بكونه أصيلاً، لم يعتمد على جهود غير العرب من السابقين، وإذا كان بعض من عاصر الأستاذ عبد السلام هارون يأخذ عليه وينتقده بسبب ذلك؛ فإنّ التوجه الآخر يجعل مثل هذا الأمر في الاستغناء عن جهود السابقين من غير العرب ميزة.

٤- ومما يميّز الكتاب أيضاً أن كاتبه يرجّح ما يراه في ثنايا صفحاته، فضلاً عن احتواء الكتاب على بعض الآراء الواضحة التي تجعل من الكتاب جهداً طيباً، يحتوي على أسلوب علمي في الترجيح والتأصيل.

ثانياً: مميزات كتاب الأستاذ صلاح الدين المنجد:

١- امتاز كتاب الدكتور المنجد بكونه - كما قلنا سابقاً في مميزات كتاب الأستاذ هارون - بكونه جاء نتيجة ممارسة عملية لهذا الفن، الذي قضى فيه الأستاذ المنجد عشرات السنين، تحقيقاً وتعليقاً، وبالتالي فإنّ هذا الجهد يعدّ خلاصة علمية لممارسة عملية لا ينبغي الاستهانة بها، أو مساواتها مع الدراسات النظرية التي لا تدعمها الممارسة العملية.

٢- جاء كتاب المنجد مختصراً، ومقتصراً على المباحث التي تمسّ علم التحقيق وأصوله، دون الدخول في مباحث وموضوعات جانبية خارجية عن إطار هذا الفن، أو أنّها تعتبر من الموضوعات المكملّة لمنهج التحقيق، وبالتالي

يمكن الاستفادة من هذا الجهد باعتباره جهداً مختصراً لا يشتت عقل الطالب الذي يبتغي الفائدة.

الخاتمة (نتائج البحث):

١- تعرفنا في ثنايا البحث على حياة الأستاذ عبد السلام هارون وحياته العلمية وجهوده العلمية والمعرفية في خدمة علم التحقيق، فضلاً عن تطرقنا لمناسبة تأليف الأستاذ هارون لكتابه «تحقيق النصوص ونشرها» ومعرفة أهمّ موضوعات الكتاب وبسط أهمّ ما جاء فيه، مع التعرّف على أهميّة الكتاب ومعالجته.

٢- وبالوقت ذاته تعرّفنا في ثنايا البحث أيضاً على حياة الدكتور صلاح الدين المنجد وحياته العلمية وجهوده العلمية في خدمة علم تحقيق النصوص، فضلاً عن تطرقنا لمناسبة تأليف المنجد لكتابه المسمّى (قواعد تحقيق المخطوطات)، ومعرفة أهمّ موضوعات الكتاب وبسط أهمّ ما جاء فيه، مع التعرّف على أهميّة الكتاب ومعالجته.

٣- تعرّفنا أيضاً على أسباب الصدام الحاصل بين الأستاذ هارون والأستاذ المنجد، وأوضحنا أن الصدام بين الشخصين من قبيل الكلام بين الأقران الذي لا ينبغي إثارته، أو ترتيب بعض الأشياء عليه.

٤- أوضحنا مميزات الكتاين وبينّا أنّ الجهدين لا يمكن الاستغناء عن أحدهما، بل أنّهما متكاملان.

المصادر والمراجع:

اعتمدت في صياغة البحث على المصادر الآتية مرتبة حسب حروف الهجاء:

- تنمة الأعلام للزركلي: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- تحقيق النصوص ونشرها: الدكتور عبد السلام هارون، ط٥، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٠هـ.
- الجليل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام: السيد الجميلي، مجلّة الأزهر، ج ١٠، (٦٨)،

السنة (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

- قواعد تحقيق المخطوطات: للدكتور صلاح الدين المنجد، الطبعة العربية الخامسة، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، ١٩٧٦م.
- كلمة في استقبال عبد السلام هارون: محمد محيي الدين عبد الحميد، مجلّة مجمع اللغة العربية، العدد (٢٥)، القاهرة، (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م).
- المجمعيون في خمسين عاماً: محمد مهدي علام، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).



جهود الدكتور

صلاح الدين المنجد في وضع كتاب

(قواعد فهرسة المخطوطات العربية)

م. كفاح صابر رشيد

المقدمة :

كتاب المؤلّف (د. صلاح الدين المنجد) حول قواعد فهرسة المخطوطات العربية من الكتب المهمّة التي أرسى فيها القواعد العلمية وجعل الباحثين الناشئين والمعاصرين أن يتبعون السبل الصحيحة في فهرسة المخطوطات لذلك كان له الدور الأهمّ في تسليط الضوء على هذا العلم وجعل العرب والأجانب يتبعون منهجه بشكل دقيق.

ومن قوله عن المخطوطات: «المخطوطات العربية هي ينبوع الأوّل لمعرفة الثقافة الإسلامية العربية في مختلف ميادينها، وهي المرآة التي تعكس صورة الحضارة العربية بأحلى مظاهرها فلا يمكن معرفة هذه الثقافة حقّ المعرفة، ولا إبراز الصورة الواضحة لتلك الحضارة إذا لم ترجع إلى هذا التراث العربي القديم المخطوط».

وهذا ما قام به المؤلّف عندما ذكر مجموعة من الأمثلة حول اهتمام العرب بالمكتبات قديماً وحديثاً وفهرسة الكتب وتطورها عبر العصور وفي بحثنا هذا نستعرض أهم الأفكار التي تطرّق إليها المؤلّف في كتابه إن شاء الله، حيث ذكرت فيه عدّة محاور. وكما مبين أدناه:

- ١ - مناسبة تأليف الكتاب.
- ٢ - ترجمة المؤلّف.
- ٣ - أهمّ المخطوطات المنشورة.
- ٤ - مؤلفاته العربية المهمّة.
- ٥ - عرض الكتاب.
- ٦ - لمحة عن المكتبات في الإسلام.
- ٧ - تاريخ الفهارس عند المسلمين.

- ٨- فهارس الكتب الموقوفة.
- ٩- فهارس مؤلفات العلماء.
- ١٠- فهارس الكتب بصورة عامّة.
- ١١- فهارس المخطوطات في أوروبا.
- ١٢- الفهارس في العصر الحديث.
- ١٣- الشروط الثقافية لفهرسة المخطوطات.
- ١٤- كيف نفهرس المخطوطات؟
- ١٥- التحليل.
- ١٦- نقد الكتاب.
- ١٧- الخاتمة.

مناسبة تأليف الكتاب:

مناسبة تأليف هذا الكتاب جاءت عندما أقامت جامعة الملك عبد العزيز دورة المخطوطات العربية الأولى بجدة في (١٠-١٩) يوليو ١٩٧٢م جمادى الأولى ١٣٩٢هـ، ودعت المؤلف صلاح الدين المنجد ليكون مشرفاً على الدورة وكانت عبارة عن محاضرات قيّمة أُلقيت ضمن البرنامج النظري بيّن فيه للطلاب المعارف والقواعد التي يجب أن يعرفوها للقيام بالفهرسة إضافة إلى البرنامج التطبيقي الذي أعدّه حيث طُبّق الطلاب تلك القواعد على المخطوطات وحاولوا فهرسة الكثير منها.

وقد نجحت هذه الدورة وذلك لأنّها أُلقيت فيها محاضرات في اللغة العربية تعدّ الأولى من نوعها، ويمكن الاستفادة منها للراغبين في فهرسة المخطوطات

ترجمة المؤلف:

ينتسب صلاح الدين المنجد إلى مدينة دمشق العريقة مولداً ومنشأً وتعلماً

نشأ في أسرة عرفت بالعلم والتدين^(١)، ولد بحجّي القيمرية جنوب المسجد الأموي بمدينة دمشق حصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة البحصّة، أمّا المرحلة الثانوية فقد أكملها بالكلية العلمية الوطنية وكان من أساتذته فيها العلامة محمّد بهجة البيطار ولد بدمشق سنة ١٨٩٤م في أسرة دمشقية عريقة اشتهر كثير من أبنائها بالعلم والأدب والتقوى وكان جدّها الأعلى هبط دمشق مهاجراً من بليدة من أعمال الجزائر في المغرب العربي واختار لسكنائه حيّ الميدان الكبير^(٢)، ومن أساتذته أيضاً الشاعر خليل مردم بك (١٣١٣-١٣٧٩هـ) (١٨٩٥م-١٩٥٩م) من عائلة مردم بيك الثريّة دمشقي العريقة الممتدة إلى جد التركي (لالا مصطفى باشا) وكان آخر أّيّامه رئيساً لمجمع اللغة العربية بدمشق، والتحق المنجد بعد حصوله على الشهادة الثانوية بدار المعلّمين العالية في دمشق، في سنة ١٩٤٠ اتّصل بعلامة الشام محمد كرد رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق وهو الذي نصّحه بالتوجه إلى التراث العربي المخطوط^(٣) فكان كثير التردّد على المكتبة الظاهرية يطالع مخطوطاتها ويفيد من العلماء المتردّدين عليها^(٤) وفي هذه المكتبة تعرّف على:

١ - عمر رضا كحالة: مؤرخ وكاتب من أهالي دمشق هو (عمر بن رضا بن

(١) جهود المنجد في خدمة التراث: عصام الشنطي، معهد المخطوطات العربية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص ١.

(٢) مجلّة مجمع اللغة العربية: دمشق، ص ٨٠٤، عدد ٧٨٧، تشرين الأوّل سنة ١٩٧٦م، الموسوعة العربية: ج ٢، ص ٢٧.

(٣) المعروف محمد كردي علي له يد بيضاء على كثير من أعلام القرن العشرين انظر أعلام خير الدين الزركلي في مقدمة الأعلام (١-١٨) الطبعة ١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م - في فضل هذا الرجل علي الزركلي.

(٤) سندباد المخطوطات: صلاح الدين المنجد، د. حسام عبد الظاهر ١٢٢٤هـ - مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة - ص ٧.

خالد).

٢- محمد أحمد الدهان: عالم ومؤرخ سلفي العقيدة من أهالي دمشق ومن آثاره (تاريخ الثقافة الإسلامية) والموسوعة العربية وقد أفادوه كثيراً وأطلعوه على تراث دمشق^(١).

بعد تخرجه من دار المعلمين انتسب إلى معهد الحقوق بالجامعة وحصل بعد ثلاث سنوات ليسانس باللغة الفرنسية فما يعادلها باللغة العربية (حقوق)، ثم اختاره للبعثة إلى جامعة السوربون بفرنسا للحصول على شهادة الدكتوراه فحصل عليها في القانون الدولي العام وكانت رسالته للدكتوراه وموضوعها (النظم السياسية في الإسلام)، خلال وجوده في فرنسا درس أيضاً التاريخ و(علم الخطوط)، وعلم المكتبات والفن الإسلامي^(٢).

وما إن عاد من بعثته عُيِّن مديراً لمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية... فإننا نستطيع أن نعدَّ عهد المنجد فيه.. بعد أن مضى ستون عاماً على إنشائه في أزهى عهوده وأكثرها حيوية ونشاطاً... نرى فيه أزاء علم من أعلام التراث في القرن العشرين الميلادي^(٣).

ويحدثنا عنه الأستاذ د. محمود الطناحي (رحمه الله) الذي ولد بقرية كفر طبلوها بمحافظة المنوفية جمهورية مصر العربية زانتقل إلى القاهرة في الثامنة من عمره، فيقول: «لم أعرف هذا الرجل، ولم ألتق به إلى الآن، فقد التحقت بمعهد المخطوطات بعد تركه له، لكن من خلال عملي بالمعهد الذي استمر خمسة عشر عاماً كنت أحس بصماته ولسانه في جميع أرجاء المعهد، فهذه شهادة أؤديها على

(١) جهود المنجد في خدمة التراث: المصدر السابق، ص ١.

(٢) سندباد المخطوطات: د. حسام عبد الظاهر، ص ٧.

(٣) جهود المنجد في خدمة التراث: عصام الشنطي، ص ١.

وجهها»^(١).

فالموجد له رحلة طويلة مع التراث وهمومه... فارسٌ من فرسان التراث لم يترجل عنه يوماً والكلام عنه يطول فما زال في النفس الكثير عنه... إنسانٌ ذو علاقات مع علماء عصره، رحالة في عالم المخطوطات في علاقته بالأستاذ عبد السلام هارون وما جرى بينهما في كتابيهما «قواعد تحقيق المخطوطات» و«تحقيق النصوص ونشرها»، زار الدكتور الموجد الكثير من دول العالم بحثاً عن المخطوطات العربية في العالم العربي والإسلامي، وفي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية حتّى لُقّب بسندباد المخطوطات العربية^(٢).

تقلّد الموجد وظائف عديدة في حياته بعد أن عاد وكان عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضو المجمع العلمي العراقي وعضواً في المعهد الألماني للآثار، وعضواً لجمعية دار المعارف العثمانية - ميري أباد - ودعته جامعات عديدة ليكون زائراً أو محاضراً فيها منها جامعة برنستون وجامعة فرانكفورت في ألمانيا.. وغيرها^(٣).

وقد غيّب الموت العلامة الموسوعي المؤرخ والكاتب صلاح الدين الموجد في الرياض عن عمر يناهز التسعين عاماً، قضى معظمها يعمل بين المخطوطات وباحثاً علاوة على عمله الأدبي والتاريخي^(٤).

اللهم ارحمه واغفر له يا أرحم الراحمين.

(١) مدخل إلى نشر التراث العربي: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ص١٣٧.

(٢) صلاح الدين الموجد، فارس، لم يترجل يوماً: د، فيصل الحفيان، منسق برامج معهد المخطوطات العربية، مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة الخط الأخير ص١٦.

(٣) سندباد المخطوطات: المرجع السابق، ص٢٨.

(٤) صحيفة التغطيات الإلكترونية من الموقع الإلكتروني tktyAt.

ومن أهمّ تحقيقاته، المخطوطات المنشورة، نذكر منها :

١. تحقيق تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧١هـ) طبع في عدد من المجلّات.
٢. رسالة عدّة الملّات في تعداد الحّمّات ليوסף بن عبد الهادي المعروف بابن الميزد (٩٠٩هـ). صفحة المطبعة الكاثوليكية ١٩٧٤ بيروت.
٣. سِير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٧٤٨هـ) طبع في عدد من المجلّات.
٤. شرح السِير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، إملاء السرخسي، محمد بن أحمد الجزء الثالث من ص ١٠٠-٨٣٥، بالإضافة إلى الفهارس من ص ١١٠٣ مطبعة مصر - القاهرة ١٩٥٦. (مطبوعات معهد المخطوطات العربية جامعة القاهرة)
٥. مولد رسول الله ﷺ للحافظ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦١.
٦. مقدمة كتاب الحشائش والأدوية لديسقوريدس ترجمة مهراّن بن منصور بن مهراّن ٤٠ صفحة + ٤ لوحات (مطبوعات المجمع العربي، دمشق ١٩٦٥).
٧. تراجم الأعيان من أبناء الزمان البوريني الجزء الثاني ٣٦٥ ص (مطبوعات المجمع العربي دمشق ١٩٦٦).

ومن مؤلفاته العربية :

- ١- قواعد تحقيق النصوص (الطبعة الأولى والثانية)، ونقلت إلى الفرنسية والإيطالية والإسبانية والفارسية والتركية والإنكليزية.
- ٢- فهرسة المخطوطات العربية.
- ٣- الكتاب العربي المخطوط: الجزء الأوّل نماذج من مختلف مكتبات العالم تظهر تطور الخطّ العربيّ من القرن الثانيّ إلى القرن العاشر الهجريّ.
- ٤- معجم المخطوطات العربية المطبوعة بين سنتي ١٩٥٤ - ١٩٦٠.
- ٥- فهرسة المخطوط العربيّ في مكتبة فروج سلاطيان.

٦- فهرس المخطوطات العربية المنشورة ١٩٦٠-١٩٦٥.

٧- قواعد تحقيق المخطوطات ١٩٥٥.

ومن أعماله أيضاً ثلاث مخطوطات:

- دمشق القديمة :

وبلغ من الآثار والمؤلفات حتى ١٩٦٨ (٦٠ مخطوطاً قديماً محققاً و٣٧ مؤلفاً)^(١).

عرض الكتاب: ينتظم الكتاب (قواعد فهرس المخطوطات العربية) الذي طبع في (القاهرة) في عدد من العناوين البحثية القيمة التي تبحث في فهارس المخطوطات وهي كالآتي:

١- لمحة عن المكتبات في الإسلام.

٢- تاريخ الفهارس عند المسلمين:

أ. فهارس الكتب التي أوردتها العلماء.

ب. فهارس الكتب.

ج. فهارس الكتب الموقوفة.

د. فهارس مؤلفات العلماء.

هـ. فهارس الكتب بصورة عامّة.

٣- فهارس المخطوطات في أوروبا.

٤- الفهارس في العصر الحديث.

٥- الشروط الثقافية لفهرسة المخطوطات.

٦- كيف نفهرس المخطوطات؟

(١) آثار صلاح الدين المنجد حتى فبراير ٦٨ موجود في مكتبة الدومينيكان جمهورية مصر العربية.

٧- متفرقات.

٨- بطاقة فهرسة المخطوطات.

لمحة عن المكتبات في الإسلام:

انتشرت المكتبات في العالم الإسلامي منذ عهد مبكر يروى أنّ معاوية بن أبي سفيان أنشأ أول بيت للحكمة بدمشق ثمّ كان خالد بن يزيد بن معاوية (٦٣٤ - ٧٠٩م) (١٣هـ - ٩٠هـ) وهو الذي أبدع أول مكتبة عامّة في الإسلام وأول من عني بالترجمة من اليونانية والقبطية إلى العربية.

وقد حفل العصر الأموي بكثير من العلماء الذين جمعوا وحفظوا الكتب، فلمّا جاء العباسيون نجد المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب... فوضعها في بيت الحكمة... ومن ثمّ جاء الخليفة هارون الرشيد (ولد سنة ٧٦٣م وتوفي ٨٠٩م) أضاف إلى كتب المنصور كتباً كثيرة.

فلمّا تولّى المأمون وسّع نشاط الترجمة وأرسل يطلب الكتب من مختلف الأقطار يعيّن لها المترجمين الكبار لينقلوها إلى العربية.

بعد هذه المكتبة (الحكمة) نجد مكتبات كثيرة تنشأ في العالم الإسلامي باسم بيت الحكمة أو دار الحكمة مثل بيت الحكمة الذي أنشأه الأغلبة في القيروان في القرن الثالث الهجري ودار الحكمة التي أسسها الفاطميون في القاهرة وأواخر القرن الرابع ودار العلم التي أنشأها الحاكم الفاطمي في القدس وكثير من المكتبات أنشأت في العالم الإسلامي هذا إلى جانب المكتبات العامّة التي أنشأت في المدارس الكبيرة كخزانة المدرسة النظامية في بغداد.

وخزانة المدرسة العادلية وخزانة التربة الأشرية في دمشق هذا عدا المكتبات الكثيرة في العراق وأفريقيا والأندلس فهذه المكتبات التي ذكرنا أمثلة عنها كانت تحتوي على المئات والآلاف من الكتب المختلفة وكان لها فهارس تسجّل فيها

أسماء الكتب.

ذكر ابن حزم قائلاً: أخبرني تليد الخُصيّ وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان أنّ عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلّا ذكر أسماء ودواوين... وهذه الخزانة عني بتأسيسها الخليفة الحكم الثاني الأموي (٣٠٢-٣٦٦هـ / ٩١٥-٩٧٦م).

وقد ذكروا أن خزانة كتب الصاحب ابن عباد بلغت مائتين وستة آلاف مجلّد. وخزانة العزيز الفاطمي مليون وستمائة ألف مجلّد. وذكر ابن سينا فيما نقله القفطي عنه أنّه طلب من نوح بن منصور الساماني سلطان بخارى الاطلاع على ما في مكتبة صوان الحكمة.

قال: فأذن لي وطلت فهرسة كتب الأوائل. وطلبت ما أصبحت إليه.

وقد ذكرت لكم قبلاً أنّ سابور بن أردشير وزير بني بويه أسس دار العلم في بغداد ٣٨٣هـ وقد وضع المؤلّف فهرساً لها بنفسه.

وكان التاج الكندي من علماء دمشق الكبار وكان لغويّاً أديباً وكان أستاذ الملوك الأيوبيين كالأمجد بهرام شاه... وكان له في جامع بني أميّة مقصورة يدرّس بها وكانت هذه المقصورة خزانة عامرة وجد أبو شامة المؤرّخ فهرسها بخطّ التاج الكندي.

من هذا كلّه يتبيّن أنّ المكتبات كان لها فهارس تضمّ الكتب التي فيها.

تاريخ الفهارس عند المسلمين:

الفهارس (فهرست، فهرس) وهي كلمة فارسية، معناها الكتاب الذي تجمع فيه أسماء الكتب. ولم تصل إلينا جميع هذه الفهارس المتعلقة بالمكتبات المشهورة في التاريخ الإسلامي، بل وصل إلينا بعضها، كما وصل إلينا فهارس

الكتب (المخطوط)، ويتحدث الكتاب عن أنواع حسب الترتيب الآتي:

- ١ - فهارس المكتبات.
- ٢ - فهارس الكتب الموقوفة في المكتبات
- ٣ - فهارس مؤلفات العلماء.
- ٤ - فهارس الكتب بصورة عامة.
- ٥ - فهارس الكتب المرويات.

فهارس المكتبات:

وصل إلينا من هذه الفهارس نموذجان:

الأول: فهرست الخزانة الأشرفية التي كانت في تربة الملك الأشرف الأيوبي بدمشق.

الثاني: سجل مكتبة جامع القيروان.

فهرست خزانة التربة الأشرفية:

عرفت دمشق في العصر الأيوبي نهضة علمية زاهرة بفضل ملوك بني أيوب ومن هؤلاء الملوك الذين شجعوا العلم الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب فقد بنى مدرستين في دمشق، الأول دار الحديث الأشرفية المشهورة وعندما توفي سنة ٦٣٥ هـ دفن بتربته في شمال جامع دمشق بالكلاسة وجعل في تربته مكتبة كبيرة.

وقد عثر رمضان ششن وهو خبير المخطوطات التركي الأصل، الذي اشتغل في فهرسة المخطوطات وأشهر مؤلفاته نواذر المخطوطات العربية في تركيا: فهارس مكتبة في ثلاثة أجزاء طبع ١٩٧٥-١٩٨٢، وفهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي في إسطنبول ثلاثة أجزاء طبع ١٩٨٦ على فهرس كتب هذه

الخزانة في مكتبة فاتح ضمن مجموع رقمه ٥٤٣٣- وهو من أهم الوثائق لدراسة الحياة العلمية في العصر الأيوبي ومن المؤسف أن بعض الأوراق ضاعت في آخر الفهرس وهو يحتوي على ٢١١٧ كتاباً ويظهر لنا من دراسة الفهرس أن واضعه رتبته على الأسماء تبعاً لترتيب الحروف الأبجدية ليس حديثاً بل عرفه المسلمون قديماً وذكر عدد النسخ من كل كتاب إن كانت هناك نسختان وذكر اسم الكتاب كاملاً أوّل مرة، وأردفه بقول نسخة ثانية... ورتب الكتب في إirاده حسب أحجامها.

وقال المنجد: «وهذا يدلّ على أن المسلمين عرفوا أيضاً ترتيب الكتب حسب (الأحجام ونلاحظ أن واضع الفهرس قد أشار إلى إذا كانت النسخة كلّها بخط واحد وحجم واحد. وقد ذكر واضع الكتب كلّها كما ذكرنا مرتبة على الحروف الهجائية ثم جعل فصلاً خاصاً للمجاميع وذكر ما يوجد في كل مجموع من الرسائل أو الكتب ثم أنهى الفهرس بالمخاريم، أي: الكتب الناقصة في أجزائها أو المخرومة في أصلها»^(١).

وهناك ملاحظة هامة لا بدّ من ذكرها ففي هذا الفهرس نجد وصف المجاميع يختلف قليلاً عن وصف الكتب المفردة - إذ نراه يذكر أحياناً أوّل المجموع فيقول: مثلاً - مجموع أوّله شعر لبعض شعر صلاح الدين، ثم يعدّد الرسائل الأخرى، وأحياناً يذكر اسم الكتاب أو الناسخ فيقول: مثلاً مجموعة فوائد، تسع قوائم، ذكر أن أكثره بخطّ ابن مقلة أو اعراضة الأديب بخطّ ابن الخازن.

ولذا فإننا نرى أن هذا الفهرس هو البذرة الأولى لأصول فهرسة

(١) كلام المنجد طبع كتابه مختارات النوادر المخطوطات العربية في تركيا طبع في إسطنبول سنة ١٩٩٧م.

المخطوطات، وإن كانت هذه البذرة غير منتظمة إلا أنّها تعتبر أساساً لفهرسة المخطوطات بعد ذلك.

سجل مكتبة جامع القيروان :

هذا السجل مهم جداً وهو موجود في خزانة جامع القيروان بتونس وقد سُجِلت فيه الكتب التي كانت موجودة في سنة ٦٩٣ هـ بعد معارضتها بسجل قديم وقد نشر هذا السجل الأستاذ إبراهيم شيوخ التونسي وطبع منذ أكثر من عشر سنوات، في مجلّة معهد المخطوطات العربية، فقدّم بذلك خدمة جليّة للمشتغلين بأمور المخطوطات العربية في العالم... إنّ معظم ما في هذه المكتبة هي مصاحف قديمة فلننظر كيف فهرسوا هذه المصاحف خدمة للقرآن بخطّ كوفي، في الرقّ في أوّل كلّ جزء منها... محلاة بالنحاس المموّه بالذهب في سبعة أجزاء بالجرم الكبير مكتوبة بالذهب بخطّ كوفيّ في رقّ أكحل ومن قراءة السجل كلّه وتتبع الأوصاف المذكورة نجد أنّ الأقدمين اتبعوا فهرسة المصاحف ووصفها بالأمور التالية:

- ١- عدد أجزاء المصحف أو الربعة - جزء واحد أو أربعة أجزاء...
- ٢- قطع المصحف من القالب الكبير أو كبير الجرم.
- ٣- نوع الخطّ - كوفيّ، شرقيّ صقليّ، نابري مع شكل الخط بقلم غليظ.
- ٤- الورق أو الرقّ الذي كتب فيه رقّ أكحل كاغد شرقيّ.
- ٥- اسم الخطاط الذي كتبه.
- ٦- مسطرة الورق أي: عدد السطور في كلّ صفحة.
- ٧- التنويه بالتذهيب أي: تذهيب المصحف في أوّله وآخره أو أوّله فقط أو آخره فقط ونوع التذهيب.
- ٨- التنويه بأسماء السور وعلامات الآي والأحزاب والأعشار، وإذا كانت

مكتوبة بالفضة.

٩- ذكر الألوان التي توجد في المصحف لضبط الكلمات.

١٠- وصف التجليد وحالته ولونه.

١١- ذكر التحجيس أو الوقف على المصحف^(١).

وهكذا نجد في هذا السجل أيضاً جميع المواد الضرورية لوصف المصاحف وفهرستها.

فهارس الكتب التي رواها العلماء :

تكلم المنجد عن العلماء الذين وضعوا فهارس ذكروا فيها رواياتهم أي: الكتب التي قرأوها ورووها ونكتفي الآن بذكر اثنين منها:

الأول: فهرس تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق من رواية من الأجزاء المسموعة وما جرى مجراها سوى الفوائد والأملالي المنشور^(٢).

هذا الفهرس يوجد مخطوطاً في الظاهرية بدمشق برقم مجموع ١٨ (من ورقة ١٢٦-١٣٢) وقد وضعه محمد بن أحمد المالكي الأندلسي ذاكراً فيه الكتب التي حملها معه الخطيب البغدادي إلى دمشق عندما ورد إليها سنة ٤٦٢هـ.

١- ذكر اسم الكتاب ومؤلفه.

٢- إنه لم يرتب أسماء الكتب على الحروف الهجائية، كما رأينا في فهرست الأشرية.

٣- إنه لم يرتب الكتب حسب الموضوعات.

ويعتبر هذا الفهرس قائمة بدائية لأسماء الكتب، من غير أي ترتيب، وكذلك نجد فيها تصانيف الخطيب نفسه.

(١) المنجد: قواعد فهرسة المخطوطات.

(٢) المنجد: قواعد فهرسة المخطوطات.

الثاني: أمّا الفهرست الثاني هو «فهرسة ما رواه» عن شيخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، أبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الأشبيلي وهذا الفهرست من نواذر تراثنا الإسلامي. ومن أعظم الكتب فهرست الأشبيلي لمعرفة عدد كبير من مؤلفات القدامى، وقد نشر هذا الفهرست المستشرق الإسباني فرنسشكه قدارة زيدان (فرنسكو كوديوا زيدان) سنة ١٨٨٣م وقد ذكر محمد بن خير الإشبيلي (العالم الأندلسي) أكثر من ألفي كتاب، قرأها ورواها.

ونلاحظ في هذا الفهرست ثلاثة أمور:

١- إنه ذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه كاملاً.

٢- إنه ذكر سنده فيه إلى مؤلفه.

٣- إنه رتبّه حسب الموضوعات.

وهناك مخطوط آخر مثل فهرسة ابن خير من أجود فهارس المرويات هو «كتاب صلة الخلف بموصول السلف لمحمد بن محمد بن سلمان السوسي الروداني المتوفى سنة ١٠٩٤م ويمكننا أن نذكر فهرسة مروريات ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ فقد رتب أسماء الكتب على حروف الهجاء.

فهارس الكتب الموقوفة :

هذا نوع من الفهارس قد لا يكون قائماً بنفسه في كتاب واحد، فقد يكون ضمن كتاب الوقف مع أوقاف أخرى، وقد يكون الوقف كله قائماً على ذكر ما أوقف من الكتب وفي هذا الشأن عن كتاب وقف أسعد باشا العظيم والي دمشق - يتضمّن كتاب الوقف هذا ٩٢ كتاباً في ١٨٧ مجلّداً - في التفسير والحديث والأصول والفقه والتاريخ والتراجم واللغة ونلاحظ أن الفهرست قد نظم دون اعتبار لإيراد الكتب حسب الحروف الهجائية، ودون اعتبار لتقسم الكتب

حسب الفنون بل وردت أسماء الكتب دون أي ترتيب أو تقسيم - وإذا بكتاب الوقف هنا أشبه بقائمة بسيطة للكتب.

ورجعنا إلى كتاب وقف المكتبة الأحمدية بحلب، ومنه صورت في معهد المخطوطات، فوجدناه فهرساً حديثاً نظم سنة ١٩٣٠م عن فهرس قديمة ووجدنا فيه الكتب مرتبة حسب الفنون وتاريخ كتابة كل كتاب، ولا ندري إذا كان هذا الوصف في الفهارس القديمة أو وصفها منظمو الفهرس الحديث.

فهارس مؤلفات العلماء :

ترك لنا العلماء المسلمون عدد من هذه الفهارس وما وصل إلينا ينقسم من حيث طريقة تأليفه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يؤلف العالم نفسه كتاباً أو رسالة يذكر فيها أسماء مؤلفاته.
الثاني: أن يقوم عالم بتأليف رسالة يذكر فيها أسماء مؤلفاته.
الثالث: أن يذكر المؤلف أسماء مؤلفاته في إحدى إجازاته لمن طلب روايتها عنه.

فمن النوع الأول نذكر: فهرست مؤلفات جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ منه مخطوط في مكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٥٧٧٩ جو مخطوطة ثانية في الظاهرية رقم عام ٥٨٩٦ وهو مرتب على الفنون، أوله: «هذا الفهرست مؤلفاتي مرتب على الفنون».

ومن النوع الثاني: فهرست مؤلفات ابن تيمية لابن قيم الجوزية وقد نشرناها في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٣هـ ورتبها حسب الموضوعات:

فهارس الكتب بصورة عامة :

ستتكلّم في هذا النوع من الفهارس في فهرستين مهمين جداً يعتبران علمين شاهقين في تسجيل التراث الإسلامي، ومرجعين هامّين له:

أمّا الأوّل: فهو كتاب الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم، انتهى من تسويده (أي تصنيفه) سنة ٣٧٧هـ في القرن الرابع الهجري، (وقد توفي سنة ٣٨٠هـ على قول بعض المؤرخين و٣٨٥هـ عن قول البعض الآخر).

كان صاحب الفهرست ورّاقاً أي: كان ينتسخ الكتب ويصحّحها ويجلّدّها ويبيعها. يقول في مقدمة الكتاب: «هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنفّيها وطبقات مؤلّفّيها وأنسابهم وتاريخ مواليديهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كلّ علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة»^(١).

تصنيف العلوم حسب الفهرس :

المقالة الأولى:

- ١- لغات الأمم من العرب والعجم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها.
- ٢- أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين ومذاهب أهلها.
- ٣- نعت (القرآن) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من ضلعه ولا من خلفه وأسماء الكتب المصنّفة في علومه وأخبار القراء وأسماء روايتهم والشواذ من قراءاتهم.

المقالة الثانية: في النحو والنحويين.

(١) ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ): الفهرست.

المقالة الثالثة: في الأخبار والآداب والسير والأنساب.

المقالة الرابعة: في الشعر والشعراء.

المقالة الخامسة: في الكلام والمتكلمين.

المقالة السادسة: في الفقه والفقهاء والحديث والمحدثين.

المقالة السابعة: في الفلسفة والعلوم القديمة.

المقالة الثامنة: في الأسفار والخرافات والقوائم والسحر والشعوذة.

المقالة التاسعة: في المذاهب والاعتقادات.

المقالة العاشرة: في أخبار الكيميائيين والصوفيين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم وفي داخل هذه المقالات أو الموضوعات سرد أسماء العلماء الذين أشترخوا بها وأسماء مؤلفاتهم ونلاحظ أنّ النديم إذا كان قد راعى الترتيب على الموضوعات فإنه لم يراعِ الترتيب الأبجدي في ذكر أسماء العلماء الذين اشتهروا في كلّ فنّ ولا في ترتيب أسماء المؤلفات التي ألفها كلّ منهم.

وقد تضمّن فهرست ٦٤٠٠ كتاب من المؤلفات التي كانت معروفة في عصر المؤلف^(١).

الكتاب الثاني: ألف بعد سبعة قرون تقريباً كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله الشهير بـ (حاجي خليفة) و(كاتب چلبى) (ت ١٠٦٧هـ).

وهذا الكتاب بنيان شامخ في تراثنا وهو من أعظم ما قدّمه العلماء الأتراك من الخدمة للتراث الإسلامي.

(١) انظر ماذكرناه في فهرست ابن النديم.

لم يكن حاجي خليفة ورّاقاً كصاحب الفهرست بل كان عالماً.. وكاتب عن الكتب في كلّ مكان.. وكان يقتني هو نفسه المؤلّفات وساعده على ذلك أموال ورثها عن بعض قرابته وقد وضع في كتابه أسماء الكتب التي رآها في خلال عشرين سنة فجاء كتابه من أجمع ما قد يكون ألف في موضوعه زاد من ألف قبله ولم يؤلّف بعده مثله وذكر في الكتاب ما يقرب من خمسة عشر ألف عنواناً رئيسياً.

فهارس المخطوطات في أوروبا :

إن فهرسة المخطوطات العربية في أوروبا لم يبدأ بها العلماء الأوروبيون بل الشرقيون العرب هم الذين بدأوا بها، وأوّل فهرس صدر في أوروبا هو فهرس مخطوطات فلورنسه في إيطاليا الذي وضعه راهب مسيحي في لبنان اسمه اسطفان عواد السمعي في سنة ١٧٤٢ م وتوفي في رمضان ١٧٨٢ م.

وقد وضع هذا الراهب مع راهب آخر اسمه يوسف شمعون المتوفى سنة ١٧٨٦ م فهرساً للمخطوطات الموجودة في مكتبة الفاتيكان.

ونجد ثالث فهرس للمخطوطات العربية يصدر في الإسكوريال في إسبانيا ويضعه راهب مسيحي لبناني اسمه ميشال الغزيري والمتوفى ١٧٩٤ م في مجلدين، ثمّ توالى بعد ذلك ظهور فهارس المخطوطات الشرقية. ويدخل فيها العربية والسريانية والفارسية والتركية.

أمّا الطريقة التي اتّبعها المستشرقون في فهرسة المخطوطات، سواء كانت اللغة التي استعملوها اللاتينية أم الألمانية أم الفرنسية أم الإنجليزية أم غيرها فليست واحدة وإنّما نردّ هذه الفهارس إلى الأنواع التالية:

١- فهارس هي أشبه بدليل أو قائمة يذكر فيها المفهرس اسم الكتاب واسم

المؤلف ورقم المخطوط في المكتبة وعدد ورقاته والفن الذي يرجع الكتاب اليه.

٢- فهارس مفصلة يذكر فيها اسم المؤلف والكتاب وعدد الورقات وعدد السطور ونوع الخطّ وفاتحة المخطوط ونهاية وتاريخ النسخ ومصدر شرائه.
٣- النوع الثالث.. فهارس أكثر تفصيلاً حتّى لتكاد تكون دراسة للمخطوط فيذكر فيها اسم الكتاب والمؤلف وأبواب الكتب بالتفصيل مع نقل مطالع هذه الفصول بالإضافة إلى المعلومات السابقة من النوع الثاني.

وإذا كنّا نوافق المخطوطات على النوع الأوّل والثاني... فلا بدّ أن نفصل بين فهرسة المخطوط ودراسته ولهذا فإن النوع الثالث لا يمكن أن نسّميه فهرساً فهو فهرس ودراسة معاً وهذا يتطلب جهداً كبيراً ووقتاً واسعاً. ومن المستحسن أن نذكر تصنيف العلوم الإسلامية حسب ما ورد في فهرس مخطوطات برلين الذي وضعه الورد. فقد تأثر به الكثيرون ممن وضعوا الفهارس بعده في أوروبا.

فهارس في العصر الحديث:

أقدم فهرس صدر في البلاد الإسلامية، في القرن الماضي هو فهرس كتبخانة إبراهيم باشا داود بإستانبول سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م وتلاه فهرست كتبخانة راغب باشا ١٢٨٥هـ ثمّ ظهر في تونس دفتر المكتبة الصادقية ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م وفي نفس السنة ظهر الفهرست القديم لكتبخانة الخديوية بالقاهرة وفي عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م ظهر فهرس المكتبة العمومية بدمشق..... وكانت القاهرة بدأت عام ١٣٠٦ / ١٨٨٨ بإصدار فهارس جديدة للكتب المحفوظة في الكتبخانة الخديوية ونلاحظ أن بعض هذا الفهارس كانت غير مختصة بالمخطوطات وحدها، بل كان فيها المخطوط والمطبوع.

ثمّ توالى بعد ذلك ظهور للفهارس في البلاد العربية..... وعددها (١٧)

فهرساً.

لدى مراجعتنا هذه الفهارس ظهر لنا أوّل من حاول وضع خطة لفهرسة المخطوطات من المعاصرين هو المرحوم الدكتور / يوسف العش عام ١٩٧٤... ثمّ بيّن خطّته.

من هذا الاستعراض نرى أن الذين بدأوا بوضع الفهارس حاولوا اتّباع منهج متقارب قد يختلف في التفاصيل على أنّهم خلطوا جميعاً بين فهرسة المخطوط ودراسته، وهما أمران مختلفان ولم أعمد إلى التفاصيل في وصف المخطوطات ودراستها.... إن عمل الفهرس هو أن يدلّ العالم والباحث على وجود المخطوط.

وأنّ يقدّم له من الملاحظات في وصف المخطوط ما يساعده على معرفة شأن المخطوط بإيجاز.

الشروط الثقافية لفهرسة المخطوطات:

لا بدّ لكلّ عمل يقوم به الإنسان من توفر أمرين:

الأوّل: الميل إلى ذلك العمل، بل حبه والتفاني فيه.

الثاني: الاستعداد الفني له، ونعني بذلك تحصيل جميع العلوم التي تضمن نجاح المرء في عمله.

فيتطلب من المفهرس الثقافة الواسعة. هذه الثقافة تبدأ ضعيفة ثمّ تزداد وتتسع.... لأنّ المخطوطات نفسها تجبر المفهرس على اكتساب المعارف. فالذي يفهرس المخطوطات قد يمرّ به مخطوط في الفقه وآخر في الطبّ، وثالث في الحديث... إلى ما هنالك في فروع الثقافة الإسلامية. وقد يجد اسم الكتاب لأوّل مرّة غريباً عنه أو يقرأ اسم المؤلّف لأوّل مرّة لا يعرفه أو يقلب ورقات

المخطوط فلا يدري في أيّ موضوع هو فيقف مدهوشاً، فإن كان محباً لعمله راح يبحث ويسأل ويبذل الجهد الطويل للوصول إلى معرفة ما يريد، والمفتاح الوحيد للمعرفة، والتغلب على الصعوبات أن يكون لدى الم فهرس معرفة محيطه بكلّ جوانب الثقافة الإسلامية. وكان الأقدمون يسمّون مَنْ يؤتي هذه المعرفة «مشاركاً» أي: أنه يشارك في جميع العلوم الإسلامية فقد صدرت في السنوات الأخيرة كتب مختلفة، وهي على النقص أو على الأخطاء التي فيها تفيد المبتدئ الناشئ. هذه الكتب تعطي الم فهرس فكرة أولى عن مصادر الثقافة الإسلامية، وهي كتاب «المصادر العربية والمعرّبة»: الدكتور محمد ماهر حمادة، و«دليل المراجع العربية المعرّبة» لعبد الجبار عبد الرحمن، و«دليل المراجع العربية» لعبد الكريم الأمين.

ولمن قرأها أنصح له أن يقرأ المصادر الأساسية وهي:

- كشف الظنون لحاجي خليفة
- مفتاح السعادة لطاشكبري زاده.
- معجم المصنفين للتونكي.
- والفهرس لابن النديم.
- وإلى جانب ذلك، أنصح له أيضاً أن يديم النظر والقراءة في فهارس المخطوطات العربية الموجودة في العالم.
- ولا بدّ من تحذير الم فهرس من حفظ أسماء الكتب المخطوطة كالبيغاء دون موضوعها.

كيف نفهرس المخطوطات:

لقد رأينا أن الطريقة التي اتّبعتها الذين فهرسوا المخطوطات العربية من المستشرقين المعاصرين والسابقين ليست واحدة فبعضهم اتّبع طريقة التفصيل

والإسهاب على ما نراه في فهرست مخطوطات برلين وبعضهم اتبع طريقة الإيجاز ما نرى في مكتبة تشستر بيتي أو المكتبة الوطنية في باريس. فالتفصيل عند ألورد صار أشبه بدراسة عن المخطوط بالتفصيل نرسم اسم الكتاب ومؤلفه وأبوابه وفصوله وخاتمته وتاريخ نسخه وكل ما عليه. وفي الإيجاز نجد اسم الكتاب والمؤلف وسنة النسخ.

أمّا الذين وضعوا الفهارس من العرب. فاضطربوا أيضاً بين ذينك الطريقتين ولم يلتزم الكثير منهم بمنهج واحد طبقه في وصف كل مخطوط. أمّا طريقتنا التي نراها أقرب للسداد هي التي اتبعناها عندما وضعت فهرس مخطوط مكتبة الكونجرس وفهرس مكتبة فروج سلاطيان، وفهرس مكتبة الأمبروزيانا فتهدف إلى التميز بين دراسة المخطوطات ووصفه أي: فهرسته فالفهرسة هدفها بمعناها الأمبروزيانا فتهدف إلى التميز بين دراسة المخطوط ووصفه أي: فهرسته فالفهرسة هدفها بمعناها الذي نقصده هو وصف المخطوط وتقديم كل ما يقدم لنا صورة دقيقة عنه، لا دراسة موضوعه وتبيان أبوابه وفصوله.

فهرسة المخطوط يجب أن تتضمن الأمور الآتية:

- ١- ذكر اسم الكتاب كما هو مثبت على المخطوط.
- ٢- ذكر اسم المؤلف كاملاً.
- ٣- ذكر فاتحة المخطوط (أوله).
- ٤- ذكر خاتمة المخطوط (آخره).
- ٥- عدد ورقات المخطوطات، وعدد الأسطر، وقياس الصفحات.
- ٦- نوع الخط والخبر.
- ٧- اسم الناسخ وتاريخ النسخ.
- ٨- الجلد.
- ٩- مصدر المخطوط.

١٠ - الملاحظات العامة.

١١ - مصادر عن المؤلف وعن الكتاب.

وستكلم على كل واحدة من هذه الفقرات.

١ - عنوان المخطوط:

يجب إثبات اسم المخطوط كما ورد في الصفحة الأولى من الكتاب ويجب أن نتأكد منه بقراءة المقدمة لأن كثيراً من المؤلفين يذكرون اسم الكتاب، كما في كتاب مصارع المصارع للطوسي في المقدمة. وأحياناً نجد اسم الكتاب مكتوباً أيضاً في آخر الكتاب.

٢ - اسم المؤلف:

نذكر اسم المؤلف كما ورد في المخطوط دون زيادة فقد يزيد بعض المفسرين كنية المؤلف أو لقبه أو غير ذلك، وقد يكون مع اسم المؤلف، ألقاب التعظيم وأوصاف التفضيم لا حاجة لذلك وتتأكد من اسم المؤلف من مقدمة الكتاب لأن كثيراً من المؤلفين يكتبون أسماءهم في المقدمة. وتتأكد أن اسم المؤلف صحيح بالرجوع إلى كتب التراجم والطبقات ونبدأ بمعجم المؤلفين لكحالة ويمكننا الرجوع إلى كتاب «التراث العربي» لفؤاد سزكين أو بروكمان ونتبع اسم المؤلف بتاريخ وفاته نضعها بين قوسين بالسنة الهجرية وما يقابلها بالميلادية. وإذا لم نجد تاريخ الوفاة نذكر العصر الذي كان فيه.

٣ - ذكر فاتحة المخطوط:

إن ذكر أول المخطوط يتضمن لنا أمرين الأول: معرفة مبدئه تماماً، والثاني: التأكد من صحته إذا قورن بمخطوطة أخرى من الكتاب نفسه، ويجب أن لا يكتفي بما يأتي أول الكتاب رأساً كقولهم: «بسم الله الرحمن الرحيم»، أو «اللهم

بك نستعين» فنجد مثلاً في كتاب تراجم رجال مشكاة المصابيح، اللهم بك نستعين ونتوكل... كتاب في أسماء الرجال مشتمل على بابين الباب الأول في ذكر الصحابة ذكرهم وآثارهم ومن بعدهم من التابعين وغيرهم ممن لم يذكروا رواية في كتاب المشكاة فإن هذا المطلع يؤكد لنا صحة الكتاب، وأحياناً نجد في مطلع الكتاب سبب تأليف الكتاب.

٤- خاتمة المخطوط:

نذكر آخر جملة في المخطوط التي تسبق تاريخ النسخ واسم الناسخ. فإننا نجد أحياناً في آخر المخطوطات معلومات هامة تفيد في معرفة تاريخ الكتاب المخطوط والمخالف. ويفضل أن يذكر نص ما في الخاتمة دون تلخيص فلا تقول مثلاً: في الأخير أن المؤلف ألفه سنة كذا أو فرغ من تأليفه سنة كذا.

٥- عدد الورق وأنواع الورق:

يذكر عدد ورقات المخطوط، على الضبط إذا كان مرقماً والورقة تكون مؤلفة من صفحتين وجه وظهر وإذا كان غير مرقم فالأولى ترقيمه.

٦- نوع الخط وألوان الحبر:

يجب أن يكون واضح الفهرس ملماً بأنواع الخطوط فيذكر الخط الذي كتب به المخطوط على الصحة.

٧- اسم الناسخ وتاريخ النسخ:

يذكر النص الذي يشير إلى تاريخ النسخ واسم الناسخ تماماً فقد يكون منه إشارات مهمة، مثلاً نجد في آخر مخطوط التلويح في كشف التنقيح للفتازاني.

٨- الجلد :

١. إنّ جلد المخطوط شأناً مهماً من ناحيتين:
- أ. تحديد عمر المخطوط إذا لم يكن مؤرخاً.
- ب. دراسة تطور صناعة التجليد، حسب العصور.

٩- مصدر المخطوط :

يجب أن يصدر المفهرس المصدر الذي أتى منه المخطوط إلى المكتبة مثلاً شراء من فلان أو هبة من فلان.. الخ.

١٠- الملاحظات العامة :

إنّ هذه الفقرة في فهرسة المخطوط مهمّة جدّاً؛ لأنّها تحتوي أحياناً على أمور كثيرة تدلّ على شخصية المخطوط نذكر فيها:

- أ- حالة المخطوط إذا كانت جيدة أو سيئة.
- ب- إذا كانت النسخة مخرومة ناقصة ومقدار الخرم أو كلماتها مطموسة.
- ج- إذا كان في هوامشها تعليقات وتصحيحات.
- د- إذا كان في آخرها إجازات إقراء أو سماع.
- هـ- إذا كانت النسخة مصحّحة مقابلة على نسخة أخرى.
- و- علامات التملّك، وتاريخها، وأسماء المالكين إذا كانوا مشهورين.
- ز- إذا كانت النسخة خزائنية كتبت لملك أو سلطان.
- ح- إذا كان فيها تذهيب في أوّلها أو في أسماء فصولها وأبوابها.
- ط- إذا كان الكاتب قد طبع.

١١- المصادر.

لابدّ للمفهرس أن يذكر المصادر التي رجع إليها للتأكد من صحّة اسم الكتاب أو التحقّق من اسم المؤلّف وتاريخ وفاته.

متفرقات:

المجاميع: توجد مخطوطات كثيرة ضمن اسم (مجموع أو مجاميع) ويكون المجموع مجلّد يضمّ عدداً من المؤلّفات الخطيّة أو الأجزاء الصغيرة في هذه الحالة يجب اعتبار كلّ مؤلّف أو رسالة... مخطوطاً قائماً بنفسه وفهرستها كما نفهرس مخطوطاً آخر.

المخطوط المجهول: نصادف أحياناً مخطوطاً فقدت ورقته الأولى التي تظهر اسم الكتاب أو المؤلّف وفقد آخره أيضاً، فإذا كانت مقدمة المخطوط موجودة فيمكن الرجوع إليها وإذا كانت المقدّمة غير موجودة فيجب مطالعة المخطوط لمعرفة موضوعه. وقد نصادف في داخل النصّ إشارات إلى المؤلّف أو إلى اسمه وإلّا يجب الرجوع إلى كتب المصادر لمعرفة ما قد ألّف في موضوع الكتاب.

ترتيب الفهارس: يمكننا أن نتّبع في ترتيب فهارس المخطوطات أحد الطرق الآتية:

- ١- ترتيب الفهرس حسب الموضوعات.
 - ٢- ترتيب الفهرس دون مراعاة الموضوعات.
- المخطوطات المرحلية:** نقصد بالمخطوطات المرحلية التي يؤلّفها مؤلّفها على مراحل فيؤلّفها في أوّل مرّة على شكل، فتنشر بين الناس ثمّ يعيد النظر فيها فيضيف إليها أشياء لم تكن في المرحلة الأولى.
- الأجزاء:** إذا كان المخطوط جزءاً من كتاب، فيجب ذكر أيّ جزء هو وعلى ماذا يشتمل في الأصل والفصل أو الترجمة أو الباب الذي يبدأ به أو ينتهي، وأوّله وآخره.

المخطوطات المصوّرة: عرفت حتّى الآن مخطوطات عربية كثيرة مصورة. إن دراسة الصور في هذه المخطوطات يقوم بها المختصّ بالفنّ الإسلاميّ.

بطاقة فهرس المخطوطات: قال الحلوجي: «ورغبة في تسهيل عمل المفهرس، لقد وضعنا بطاقات.. وتحتوي البطاقة على جميع الأمور التي ينبغي للمفهرس أن يلاحظها في المخطوط... وقد علّق عليها الدكتور عبد الستار الحلوجي في كتابه المخطوط العربي بأنّه يعاب على هذه البطاقة من أنّها تستعمل الوجهين في الكتابة وأنّ المدخل فيها مازال بالعنوان لا بالمؤلف كما يعاب عليها أنّها تضمّ بيانات في صميم عمل المفهرس ولا ينتظرها المستفيد من الفهرس مثل المصادر التي يرجع إليها للتعرف عن المؤلف والكتاب»^(١).

تحليل؛

قبل أن أكتب ما أشار له المؤلف في كتابه أودّ أن أضع إجابة المؤلف على حوار أجرته معه مجلّة الفيصل (تراثنا المخطوط مراكزه... مشكلاته)^(٢) أمام هذا التوزيع والشتات هل هناك عناية بهذه المخطوطات؟ وهل تمتّ فهرستها بصورة تساعد على الاستفادة منها؟

من المؤلم أن كثيراً من المخطوطات العربية الموجودة في العالم الإسلامي والعربي لا يزال ينقصها ما يجب من العناية والحفظ، كما أن عددا كبيرا منها لم يفهرس حتّى الآن وقد نتج عن إهمال هذه المخطوطات في بعض البلدان تلفها وضياعها أو انتقالها إلى بلاد أخرى، فما زلنا لا نقدّر الكتاب المخطوط حقّ قدره ولا نعطيه ما يستحق من الاحترام والعناية^(٣).

(١) كتاب المخطوط العربي: د. عبد الستار الحلوجي، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية، الدار المصرية - اللبنانية، ص ٢٧٦.

(٢) يبيّن المؤلف في هذا الكتاب جملة من القضايا المهمة تستحق التحليل والنقد.

(٣) سندباد المخطوطات صلاح الدين المنجد: حسام عبد الطاهر، مركز تحقيق التراث، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص ٨٢، طبعة دار الليث القومية، القاهرة.

أولاً: فهرسة المخطوطات علم قائم بنفسه لا يستطيع أن يقوم به إلا من أوتي شروطاً خاصة وقد كان من إجراء هذا الإقبال عن فهرسة المخطوطات أن صار يقوم بها من لم يؤت تلك الشروط ظانين أن الأمر سهل.

فحدث من هذا اضطراب في طرق الفهرسة ولذلك يجب أن يتسلح من يتصدى لهذا الأمر بالشروط التي تساعد على إتقان عمله وأن يتبع في الفهرسة طريقاً سوياً واضحاً.

ومن القضايا الأخرى ذكر (أهمية المكتبات في الإسلام ودور العرب في الفهرسة) وذكر عدد من العلماء المسلمين الذين أسهموا في فهرسة الكتب العربية التي وصلت إلينا إضافة إلى عدد من الفهارس التي رواها العلماء منها فهارس الكتب الموقوفة وأهميتها ودور العرب في فهرسة الكتب في أوروبا وظهور الفهارس في العصر الحديث.

وقضية (الميل والحب) لفهرسة المخطوطات وهو يعتبر من الشروط المهمة للفهرسة، فإذا أحب الناشئ العمل بالمخطوطات زاد بها معرفة، القضية الأخرى التي اعتبرها أهم القضايا التي يمكن الاستفادة منها وخاصة (للمفهرس الناشئ) هي خطوات فهرسة المخطوط التي تعتبر خطّ الشروع والبذرات الأولى لزراعة مفهرس جيد وذلك بالالتزام الدقيق بالخطوات التي يجب أن تتبعها في فهرسة المخطوط وإذا أراد المفهرس الاستزادة فله أن يرجع إلى المصادر القديمة من تواريخ كتب تراجم وطبقات، كذلك ذكر المؤلف المجاميع والمخطوط المجهول والمخطوطات المرحلية والمخطوطات المصورة وفي النهاية كتابة بطاقة فهرسة المخطوطات التي تعتبر أهم القضايا التي يضعها المفهرس أمامه ولكن نجد في هذه البطاقة نوع من الإيجاز إذ يجب أن يكون هناك نوع من التفصيل والتخصيص لكل كتاب ونوعه في مختلف الفنون والآداب.

نقد الكتاب:

تقييم الباحث للكتاب وذكر إيجابياته وسلبياته:

أرى أنّ المجهود الذي قدّمه صلاح الدين المنجد في تأليف هذا الكتاب يستحقّ منّا كلّ العناية والاهتمام لقيمة المعلومات المقدّمة فيه من خلال تجاربه الكبيرة في رحلته الطويلة في أعماق التراث ودخوله في هذا الميدان البالغ الصعوبة وطرح عصارة أفكاره البحثية وزرعها في إطار نظري وتطبيقي بالتأكيد سينتج ثمارا في فهرسة مخطوطات تراث الأُمّة العريق على مدى الأجيال القادمة.

إنّ من يطلّع على هذه الإنجازات يرى كيف تمرّس المنجد في معالجة قضية مهمّة من قضايا التراث وكيف أقدم على هذا الميدان الخالي من الكتب المثلثة وبهذا.. كان منارا لكلّ من يريد أن يتعلّم فهرسة المخطوطات^(١).

لا أستطيع أن أضيف أكثر ممّا قاله الأستاذ عصام الشنطي عن هذا الكتاب لما له من قيمة كبيرة في الفهرسة.

لذلك نقول: إن للكتاب إيجابيات نجملها في ما يأتي:

- ١- المنجد كان رائدا للتأليف في هذا العلم
- ٢- وضع فيه خبرته الواسعة في مجال الفهرسة النظرية.
- ٣- إirاده لمجموعة من الأمثلة عن الفهارس في العالم.
- ٤- استعرض المؤلّف في كتابه اهتمام العرب قديماً بالمكتبات وفهرسة الكتب وتطورها من أزمان مختلفة وشرح طرقها المتعدّدة عند العرب والأوربيين وكشف عن أهميّة صناعة الفهرس وعن منهجها والأسلوب الذي ينبغي اتّباعه في فهرسة المخطوطات العربية.

(١) جهود المنجد في خدمة التراث: عصام محمد الشنطي، ص ١٠، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، طبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

- ٥- وضع شروط للمفهرس.
- ٦- تحدّث عن كتابين مهمّين في فهرسة هو (فهرست) ابن النديم وفهرست حاجي خليفة.
- ٧- وضع بصماته في فهرسة المكتبات الأوربية لتكون شاهداً حياً على آثار العرب في الغرب.
- السليبيات: قد لا نجد سليبيات في كتاب قواعد فهرسة المخطوطات العربية لأن المؤلف كان واضحاً في طرحه ولكن ثبت بعض الملاحظات:
- ١- إن عرضه للمقدمة كان طويلاً بعض الشيء.
- ٢- غاب عن المنجد عمل فهارس في كتابه رغم أنّها لا تعتبر من السليبيات لكونها كانت عبارة عن محاضرات معدّة أقيمت لدورة كان مغزاها علمياً.
- ٣- لم يتطرّق إلى فهارس المخطوطات في كثير من البلدان العربية وهي تجارب رائدة ومهمّة.

الخاتمة:

أسجّل في خاتمة هذا البحث أهمّ النتائج التي توصّلت إليها:

- ١- ريادة الدكتور المنجد لتأليف قواعد فهرسة المخطوطات العربية وممارسته الفهرسة وطرق أبواب هذا العلم.
- ٢- لفتُ أنظار الباحثين للاتّجاه نحو علم الفهرسة وبعث تراث الأُمّة من جديد.
- ٣- وضوح منهج قواعد فهرسة المخطوطات العربية للقارئ المثقّف والإنسان العادي والمفهرس والباحث وخاصّة الخطوات التي وضعها لاتباع منهج الفهرسة.
- ٤- للكتاب إيجابيات وسليبيات.
- ٥- تقييم الباحث الإيجابي لعمل الدكتور المنجد لكونه يمثل اللبنة الأولى التي ستكون أساساً لكلّ الباحثين في ميدان الفهرسة.

مصادر البحث:

- ١- سندباد المخطوطات صلاح الدين المنجد: حسام عبد الظاهر، باحث في مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - ٢٠٠٤م.
- ٢- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- ٣- قواعد فهرسة المخطوطات العربية: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، ١٩٧٢م.
- ٤- المخطوط العربي: عبد الستار الحلوجي، الدار المصرية - اللبنانية، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٥- جهود المنجد في خدمة التراث: عصام محمد الشنطي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- ٦- صلاح الدين المنجد فارس لم يترجل يوماً: فيصل الحفيان، منسق برامج معهد المخطوطات العربية، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- ٧- آثار صلاح الدين المنجد حتى فبراير ١٩٦٨: يوجد في مكتبة الدومنيكان تحت رقم ٥٢٣٦٣.
- ٨- مدخل إلى نشر التراث العربي: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٤.
- ٩- مجلّة الفيصل: العدد ٣٢، السنة ١٩٧٨م.
- ١٠- مجلّة التغطيات الإلكترونية.
- ١١- الأعلام: خير الدين الزركلي، ج٢١، ج٢، ص٥-٩.



النائب والعين السيد عبد المهدي المنتفكي
رؤية جديدة في ضوء الوثائق غير المنشورة

الأستاذ المساعد الدكتورة بثينة عباس صفر

الخلاصة :

كان السيد عبد المهدي المنتفكي من أبرز نواب لواء المنتفك وقد شارك في الحياة السياسية في العراق وفاز بدورات انتخابية متعددة وقد كشفت وثائق المجالس النيابية للواء المنتفك الكثير من المعلومات التي تخص سير الانتخابات. بدأ المنتفكي حياته في المجالس النيابية منذ عام ١٩٢٥ وكان يفوز في كل مرة يرشح نفسه فيها وكانت المناطق التي يرشح فيها تشمل مركز لواء الناصرية وقضاء سوق الشيوخ وقضاء الشرطة وقضاء الجبايش وقضاء الرفاعي الذي يضم قلعة سكر.

حقق نجاحات باهرة في حياته الخاصة وأصبح وزيراً لعدة مرات.

شغل السيد عبد المهدي المنتفكي لمرات عديدة منصب وزير في الدولة العراقية الحديثة وتقلد مناصب مهمة، وأصبح مرات عديدة عضواً في مجلس النواب فضلاً عن مجلس الأعيان. وكان له دور مهم في الحياة السياسية بحكم تحالفاته وصداقاته، وتأثير شخصيته الواضحة ونجاحه في أروقة المجلس النيابي، وقد كُتب الكثير عنه، والبحث الذي بين أيدينا يتضمن موضوعات نعتقد بأهميتها استكمالاً للصورة عن هذه الشخصية وهي بمثابة وثائق لم تنشر ولم يُشر إليها أحداً من الباحثين وبخاصة إضبارة نواب المنتفك. وقد أحصينا عدد المرات التي فاز بها النائب عبد المهدي المنتفكي مع النواب الذين اشتركوا معه في تلك الدورات، وكان من بين المؤثرين والمتقدمين في الحصول على نسب متقدمة من أصوات الناخبين، بحكم مكانته الاجتماعية والسياسية المؤثرة.

Introduction:

Deputy al- sayid abdul- mahali al- muntafaqi a new study

baseal on unpuplisheol documents.

Sayid abdul mahdi was aprominent deputy represented lawa - al- muntafq. he involved in the activities of the iraqi politics. and won several election campaign. the documents of deputies board the new lights on various details related to the electios procedures.

At 1925 al-muntafq started his activity in the deputies board and won each time presented himself as acandidate. he achieved a great success in the al- nasiriyah center, suq al-shukh, al- shatra, al- jibayish and al- riffai districts. meanwhile, he become minster several times.

السيد عبد المهدي المنتفكي ودورات المجالس النيابية :

كان السيد عبد المهدي المنتفكي من بين أبرز نواب المتفك الذين فازوا في الدورات الانتخابية^(١). ممن أسهموا في العديد من قضايا الحياة النيابية والسياسية بشكل عام، في تلك الدورات، والتي تشعبت موضوعاتها وتنوعت قضاياها ومشاكلها.

تشير وثائق المجالس النيابية للواء المتفك على كشف العديد من المعلومات، التي تخص سير الانتخابات والمرشحين للدورات المختلفة، وهي تدون لنا بدقة،

(١) مثل صالح جبر الشخصية المعروفة، وموحد الخير الله وطالب الحاج محمد عليو، وزامل المناع والشيخ محمد حسن حيدر والحاج مزهود الفندي والحاج ريسان الكاظم والشيخ خيون العبيد وصكبان العلي. وغيرهم ممن كان لهم دور مؤثر في لواء المتفك، ولم تزل قبائلهم ذات مكانة مرموقة بين قبائل المتفك. للمزيد من المعلومات ينظر: ملفات لوزارة الداخلية إضبارة المجالس النيابية لواء المتفك، رقم الإضبارة ١٤ / ج / ١.

بموجب البرقيات التي كانت ترفعها متصرفية لواء المنتفك.

منذ العام ١٩٢٥، بدأ المنتفكي حياته الجديدة في المجالس النيابية، وكان بين الفائزين في الدورة الأولى: خيون العبيد وصكبان العلي، وعبد الغني حمادي وعبد الله الفالح السعدون ومحمد باقر الشبيبي، ومحمود رامز وموحدان الخير الله^(١).

وفاز بعضوية المجلس النيابي أيضاً للدورة الانتخابية لعام ١٩٢٨^(٢)، وتشير إحدى الوثائق بشأن انتخابات هذه الدورة إلى أن سير الانتخابات جارٍ بكل هدوء في أنحاء اللواء، وقد تمّ حتّى الآن تعليق القوائم في مركز اللواء وقضائي الشرطة والجبايش كما أنّ قوائم المنتخبين الأوليين في قضاء السوق، والقلعة مودعة إلى هيئات التفتيش وأنّ أمر تدقيقها قريب الانتهاء أيضاً، وسيبادر في انتخاب الثانويين في مركز اللواء وقضاء الشرطة في هذا الأسبوع كما أنّنا سنقدّم المضابط عن المنتخبين الأوليين وفقاً للمادة ١٧ من قانون انتخاب النواب بعد إكمال مجيء المضابط من الأفضية وفقاً للمادة ١٤ من القانون المذكور...»^(٣).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المناطق الانتخابية كانت تشمل مركز اللواء

(١) ملفات وزارة الداخلية، اضبارة النواب. رقم الاضبارة ١٤/ج/ ١ الدورة الانتخابية لعام ١٩٢٥.

(٢) ملفات وزارة الداخلية، كتاب متصرفية لواء المنتفك ١٩٢٨/١/٢٣، برقية وزارة الداخلية ذي الرقم ١٠٦٧ في ١٩ كانون الثاني ١٩٢٨، وكتاب الوزارة الداخلية الرقم ١٩٥٢، في ١٩٢٨/١/٢٨، رقم الوثيقة ١، الكتاب ذي الرقم ١٥٩٩ في ٣-٤/ آذار/ ١٩٢٨ المتضمن قائمة بأسماء الهيئة التفتيشية الصادر من متصرفية لواء المنتفك.

(٣) صورة كتاب إدارة متصرفية لواء المنتفك رقم الكتاب ٢١٨٣ في ٢٩ مارس/ آذار ١٩٢٨. وورد في برقية متصرفية المنتفك إلى وزارة الداخلية المرقمة بالعدد ٩٦٩٣ ٢٩٢ جفي ٤/ ٢٤/ ١٩٢٨ أن انتخاب الثانويين قد تمّ في أنحاء اللواء ما عدا قضاء السوق ويتمّ هناك أيضاً قريباً...».

(قضاء الناصرية وقضاء سوق الشيوخ، وقضاء الشطرة، وقضاء الجبايش وقضاء الرفاعي^(١))، الذي يضمّ ناحية قلعة سكر).

أُفرزت الانتخابات لعام ١٩٢٨ عن فوز السيد عبد المهدي المتفكيّ وحصوله على المرتبة الأولى، إذ حصل على ٤٥٢ صوتاً^(٢). وغالباً ما يرد اسمه المتفكيّ ولم يذكر اسم والده إلاّ مرّتين في محاضر مجلس النّواب باسم السيد عبد المهديّ نور المتفكيّ وأخرى السيد عبد المهدي حسن المتفكيّ.

وفي الانتخابات النيابيّة لعام ١٩٣٣ فاز عبد المهدي أيضاً بعضوية المجلس النيابيّ عن منطقة المتفك. إذ أسفرت نتائج الانتخابات التي جرت في ٨ شباط ١٩٣٣ بموجب كتاب دائرة بلدية الناصرية الهيئة التفتيشية والمرسل إلى رئيس مجلس النّواب إلى فوز السيد عبد المهدي بيك بالمرتبة الأولى إذ حصل على (٥٩٠) صوتاً^(٣). وقد أبلغت وزارة الداخليّة بموجب برقيتها ذي الرقم ٢٥٤٤ والمؤرخة في ٢٢ شباط ١٩٣٣، إلى لواء المتفك بأخبار النّواب الفائزين في لواء المتفك بما يلي: «بلغوا نّواب لوائكم بأنّ المجلس سينعقد في أوّل أسبوع من مارس (آذار) والتمسوا منهم الحضور في العاصمة قبل حلول مارس (آذار)

(١) كما يسمّى قضاء الكراي سابقاً.

(٢) وجاء بعده النّواب الحاج طالب الحاج محمد علي (٤٠٢) صوتاً، ومنشد الحبيب (٣٦٠) صوتاً وعبد الجبار التكرل (٣٥٦) صوتاً، والشيخ محمد حسن حيدر (٣٣٣) صوتاً، وعبد الغني الحمادي (٣٢٦) صوتاً، وخبون العبيدي (٣١٧) صوتاً، وزامل المناع (٢٩٣) صوتاً، وصالح الفارس الداود (٢٠٧) صوتاً. ملفات وزارة الداخليّة، إضبارة المجالس النيابيّة برقيّة متصرّفيّة المتفك ذات العدد ١١١٥٤ ف ١٩٢٨ / ٥ / ١٠ إلى وزارة الداخليّة.

(٣) وفاز معه حسب تسلسل الأصوات النّواب الشيخ محمد حسن حيدر (٥٨٩) صوتاً، والشيخ منشد الحبيب (٥٨٥) صوتاً، وعبد الغني چليبي الحمادي (٥٨٥) صوتاً، أيضاً والشيخ خيون العبيد (٥٨٤) صوتاً، وصالح جبر (٥٨٤) صوتاً، وزامل المناع (٥٨٢) صوتاً، وصادق چليبي حبة (٥٨٠) صوتاً. ملفات وزارة الداخليّة، كتاب بلدية الناصرية ١٠٦ في ٨ شباط ١٩٣٣.

الأمر الذي أبلغت بموجبه النواب الفائزين وللتكرّم بتأمين إيصال المضبطين العائدتين إلى صالح بك جبر وصادق أفندي حبة، لفوزهم للمرة الأولى^(١).

وتوثيقاً للحقيقة بإمكان المعنيين التعرف على أسماء الهيئات التفتيشية المشرفة على الانتخابات في لواء المنتفك، لبعض هذه الدورات^(٢).

بلغ عدد المنتخبين الأوليين الذين يحقّ لهم المشاركة في الانتخابات لعام ١٩٣٤ كما يلي: (٤٧, ٠٨٥) قضاء الناصرية و(٢٥٩٢٠) قضاء الشطرة و(٢٥٧٤٧) قضاء قلعة سكر و(٤٩٣٤٧) قضاء سوق الشيوخ.

وقد جرت الانتخابات في يوم الخميس السادس من كانون الأوّل ١٩٣٤، وبينت إحدى الوثائق الصادرة من متصرفيّة المنتفك أنّ في هذه الدورة لم يرد اسم السيد عبد المهدي المنتفكي^(٣) ولم تُجرَ الانتخابات التكميلية عام ١٩٣٥ بعد وفاة النائب محمد البسام^(٤).

(١) كان السيد عبد المهدي المنتفكيّ موجوداً في محلّة أبو هاون في الشطرة، وعبد الغني چلبی الحمادي موجوداً حينها في ناحية الكراي (الرفاعي)، والشيخ خيون العبيد في قضاء الشطرة وسلّمت صورة البرقية للنواب الآخرين الموجودين في مركز اللواء، كتاب متصرفيّة المنتفك ١٦٢٩ في ٢٣ شباط ١٩٣٣.

(٢) ملفات وزارة الداخلية إضبارة المنتفك، النواب ١٤/ج/١ كتاب متصرفيّة لواء المنتفك ٣٤٧ في ٤/٣ تشرين الأوّل ١٩٣٤، الموافق ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٥٣ بعنوان الانتخابات النيابيّة المرسل إلى وزارة الداخلية لعام ١٩٣٤.

(٣) النواب الفائزون في دورة ١٩٣٤ هم عبد الغني چلبی، والشيخ محمد حسن حيدر والشيخ منشد الحبيب، والشيخ خيون السعيد، ومعالي صالح بك جبر، وزامل بك المناع، والحاج محمد چلبی البسام، والحاج حسن چلبی الحمداني، ملفات وزارة الداخلية، كتاب متصرفيّة لواء المنتفك إلى وزارة الداخلية ذو الرقم ١٦٣٩٨ في ٨ كانون الأوّل ١٩٣٤ المتضمّن مضابط نواب المنتفك.

(٤) ان القدر لم يمهل النائب محمد البسام، الذي وافاه الأجل في حزيران ١٩٣٥. صورة كتاب مجلس الوزراء ذات الرقم ٥٩٠٦ في ١١/١٢ ذي القعدة ١٣٥٣هـ الموافق ١٤/٦/١٩٣٥

وكانت أعداد الناخبين تتغير من دورة لأخرى، حيث دوّنت لنا الوثائق الأرقام الآتية قضاء الناصرية (٤٧٢١٨) وقضاء الشطرة (٢٦٠١٢) وقضاء الكرادي (٢٥٣٩١) وقضاء سوق الشيوخ (٣٩٥٥٨) إذ يبلغ مجموع الناخبين (١٤٨٧٤٥) بعد إضافة المنتخبين الأولين أي بزيادة (١٠٥٦٦) عن الدورة الماضية^(١).

وقد فاز السيد عبد المهدي المنتفكي في هذه الدورة ولم يكن قد حصل على المرتبة الأولى كما في المرات السابقة إذ جاء تسلسله الخامس من بين عشرة نواب وحصل على (٥٧٩) صوتاً^(٢). وجاء منها: «إن مقتضى العدل والمساوات... منذ تأسيس الأربعة حكومات السعدونية والعثمانية والبريطانية (العراقية) المؤيدة بأبناء العشائر الثابتة الساكنة في أراضي قضاء سوق الشيوخ في لواء المنتفك المتمسكة بحبل الهدوء والسكينة والخلود... كنا قد قاسينا مرارة الإجحاف بحقوقنا في عهد ياسين الهاشمي لمجرد نقمتنا على الظل والاستبداد الفردي، ونودّ أن لا نرى إجحافاً بحقوقنا في هذا العهد المقدّس بحقوق الإنسان سمعنا من الوزارة الشعبية رشّحت للنيابة رجلين من عشائر المجرة فقط وحرمان

المرسل إلى متصرفيّة لواء المنتفك لإجراء الانتخابات التكميلية.

(١) ملفات وزارة الداخلية، كتاب دائرة بلدية الناصرية والهيئة التفتيشية المتضمّن بيان عدد المنتخبين في لواء المنتفك رقم ٨١١ في ١٤ ربيع الآخر ١٣٥٤ الموافق ١٥ تموز ١٩٣٥، رقم الوثيقتين ١٠١، ١٠٠ وكتابها ذي الرقم ٩٠٠ في ٢٦ ربيع الآخر ١٣٥٤ الموافق ٢٧ تموز ١٩٣٥ رقم الوثيقة ١٠٢.

(٢) فاز كلاً من الشيخ خيون العبيد (٦٠٧) صوتاً والشيخ موحان الخير الله (٥٩١) صوتاً، والشيخ صكبان العلي (٥٨٧) صوتاً، وزامل المناع (٥٨٤) صوتاً، والشيخ حسن البدر الرميض (٥٦٤) صوتاً، والشيخ محمد باقر الشيببي (٥٦١) صوتاً، وصادق چلبی حبة (٥٤٥) صوتاً، كتاب بلدية الناصرية إلى رئيس ديوان مجلس الوزراء ذو الرقم ٩٤٥ في ٤ جمادى الأولى ١٣٥٤ الموافق ٤ آب ١٩٣٥.

عشايرنا... «عشائرنّا» من ذلك مع أنّ عدد عشايرنا الأكثرية الساحقة في القضاء بالنسبة إلى العشائر في المجرة وغيرها...»^(١).

على آية حال تقرر إجراء انتخابات النّواب يوم السبت ٢٠ شباط ١٩٣٧^(٢). وقد بلغ بموجب بيان دائرة بلدية الناصرية الهيئة التفتيشية عدد المنتخبين الأوليين في لواء المتفك كما يلي:

٥١,٥٩٠	قضاء الناصرية
٣٠,٩٧٠	قضاء الشرطة
٢٥,٩١٤	قضاء الرفاعي
٥٣,٦٣١	قضاء سوق الشيوخ
١٦٢,١٠٥	المجموع

وكالعادة فإن مركز قضاء سوق الشيوخ^(٣) هو أكثر الأعداد من الناخبين في جميع الدورات^(٤)، لكنّ الشيء المهمّ الذي حصل هو أن عددا من المنتخبين المذكور بلغ أربعة وخمسين ألفا الذين هم دون العشرين من العمر يكون المجموع

(١) ملفات وزارة الداخلية، إضبارة النواب، عريضة إلى فخامة وزير الداخلية برقم ٣١٨٨ في ٢٥ / ١ / ١٩٣٧ من رؤساء ٩ عشائر في سوق الشيوخ.

(٢) ملفات وزارة الداخلية، برقية وزارة الداخلية مستعجل جداً برقم (٤٣٤٤) في ٨ ذي الحجة ١٣٥٥ الموافق ١٨ شباط ١٩٣٧، رقم الوثيقة ١١٣.

(٣) للتعرف على المزيد من التفاصيل عن هذه المدينة ينظر د. عبد الله الجوراني، دور سوق الشيوخ الوطني ضد الوجود البريطاني دراسة وثائقية، مجلة كلية التربية، العدد ٢، ١٩٩٩، ص ١١٩-١٤٠.

(٤) ملفات وزارة الداخلية، كتاب دائرة بلدية الناصرية الهيئة التفتيشية ذو الرقم ٨٦ في ١ ذي القعدة ١٣٥٥، الموافق ٢٦ كانون الثاني ١٩٧ في كتاب المتصرفية المرسل إلى وزارة الداخلية، المعنون بيان المنتخبين الأوليين في اللواء ذي الرقم ١٣٧٨ في ١٥ ذي القعدة ١٣٥٥ في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٧.

من الذكور الذي ينبغي أن يكون أساساً لتعيين عدد من نواب اللواء المذكور هو ٢١٦١٠٥ شخصاً وهذا الأمر يؤدي إلى وجود انتخاب عشرة نواب عن اللواء، بينما اللواء في الانتخاب السابق كان عدد نوابه ثمانية أي يجب زيادة عدد النواب اثنين^(١). وقد وافق مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة في الثامن عشر من شباط عام ١٩٣٧ أن يكون عدد نواب المتفك عشرة نواب نظراً للأسباب الواردة في كتاب وزارة الداخلية^(٢). وهكذا تحقق لهذا اللواء زيادة عدد نوابه الذين يمثلون اللواء في المجلس النيابي وتجدر الإشارة هنا إلى أن النساء لا يحقّ لهنّ المشاركة في الانتخابات إبان الحكم الملكي في العراق.

وحينما جرت الانتخابات للعام ١٩٣٧ لم يكن السيد عبد المهدي المتفكيّ من بين المشاركين في الانتخابات، ولم تستمر هذه الدورة فقد تمّ حلّ المجلس النيابي، وجرت انتخابات في أيلول من العام نفسه وكان عدد المنتخبين في اللواء قد بلغ (٢٠٠٨٣٣) موزعين كالاتي: على (٨٤٢٤٣) في قضاء الناصرية و(٢٩٨٤٦) في قضاء الشطرة و(٥٣٦٢٨) في قضاء سوق الشيوخ أي بزيادة (٨٤٧٢٨) عن انتخابات السنة نفسها، والتي جرت في شباط ١٩٣٧^(٣)، وهو دليل آخر يؤكّد عدم دقّة الإحصاءات والتلاعب في الانتخابات. وقد حاز النواب العشرة على أكثرية الأصوات وكان السيد عبد المهدي المتفكيّ يتقدّمهم أيضاً، فقد حصل على ٧٦٣ صوتاً^(٤).

(١) حصل ذلك أثناء وزارة حكمت سليمان (وزير الداخلية) كتاب وزارة الداخلية سري ومستعجل جداً ١٢/١٤/ج / ٤ / في ١٥/١٦ شباط ١٩٣٧ ذي الحجة (٧) ١٣٥٥ رقم الوثيقة ١١٩.

(٢) إضبارة النواب، كتاب ديوان مجلس الوزراء إلى وزارة الداخلية ١٦٧٧ في ٨/١٢/١٩٣٧.

(٣) ملفات وزارة الداخلية، دائرة بلدية الناصرية الهيئة التفتيشية، بيان عدد المنتخبين في ٢٥ رجب ١٣٥٦ الموافق ٣٠ أيلول ١٩٣٧.

(٤) حصل الشيخ باقر الشبيبي على (٧٦٢) صوتاً، والحاج طالب محمد علي (٧٦١) صوتاً،

وتجدر الإشارة إلى أن المتتبع لمجريات هذه الانتخابات يجد أن قسماً من مناطق المتنفك لم يشملها حق التمثيل في الانتخابات النيابية الأمر الذي دعا بعض شيوخ العشائر والشخصيات المؤثرة إلى رفع الاحتجاجات والعرائض إلى رئيس مجلس الوزراء لتمثيلهم في المجلس النيابي كما تبين في الانتخابات وجاء فيها: «نحن عشائر بني أسد وعشائر ناحية الجبايش أملنا وثيق بفخامتكم ان ترعوا طلبنا بعين الاعتبار، مضت عدّة من السنين ونحن لم نمثّل في مجالس النيابة المختلفة السابقة، ولما كانت عشيرة بني أسد من العشائر الكبيرة التي يتجاوز عددها أكثر من عشرين ألف لذلك نستعطف فخامتكم ترشيح معتمدنا ثعبان الخيون للنيابة في هذه الدورة لما هو عليه من الكفاءة العالية والمتحمّس إلى خدمة البلاد ومصالح العشيرة هذا ودمتم سيدي، المنتخبون الثانويون محسن الطوفان حاج حسن الطاهر، ماجد الخيون، مكطوف العياش، وعاشور السميسم، وحسين شيت السيد خلف، ومكطوف الخشان، وجبر الفارس...»^(١).

أمّا في الدورة الانتخابية لعام ١٩٣٩ وهي الدورة الأخيرة التي فاز بها السيد عبد المهدي المتفكي في فترة نيابية ليتفرغ بعد ذلك لمجلس الأعيان أو استلام حقائب (وزارية) فقد بينت الوثائق. ان عدد المنتخبين الأوليين بموجب بيان

ومنشد الحبيب (٧٦٠) صوتاً، وعبد الغني الحاج حمادي (٧٥٩) صوتاً، والشيخ محمد حسن حيدر (٧٥٨) صوتاً، والشيخ فرهود الفندي (٧٥٨) صوتاً، ويوسف المنصور (٧٥٥) صوتاً، والحاج خيون العبيد (٧٥٥) صوتاً، ومحمد الشلال (٧٥٠) صوتاً، برقيتي متصرفية المتنفك إلى وزارة الداخلية ذواتا الرقم ٤١٦٦٧ في ١٨ / ١٢ / ١٩٣٧، وإلى رئيس ديوان مجلس النواب ذو الرقم ١٣١٤ في ١٨ كانون الأول ١٩٣٧ رقم الوثيقة ١٣٧.

(١) كتاب مجلس الوزراء ذو الرقم ٣١٦٣ في ١٩٣٩ / ٥ / ٤، رقم الوثيقة ١٤٠، د.ك.و، كتاب وزارة الداخلية الموجه من سكرتارية مجلس الوزراء ذو الرقم ٢٣٥٦ في ١٩٣٩ / ٥ / ٦، والمتضمّن نرسل بطيه العريضة المرفوعة إلى فخامة رئيس الوزراء من قبل مكطوف العباس ورفاقه حول ترشيحهم ثعبان الخيون للنيابة عنهم...».

دائرة بلدية الناصرية قد بلغ إجمالاً لمجموع الأقضية في اللواء (٢٢٢٠٨٤)^(١).

وقد حصل السيد عبد المهدي المنتفكي على المرتبة الأولى كعادته إذ حصل على (٧٧٤) صوتاً^(٢).

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن الانتخابات التكميلية لهذه الدورة قد جرت في عام ١٩٤٢ بدون السيد عبد المهدي المنتفكي في لواء المنتفك^(٣). ولدى إجراء الانتخابات لسدّ الشاغر الذي كان يشغله «معالي السيد عبد المهدي المنتفكي» فقد حاز سلمان الشريف على أكثرية الأصوات وهي (٧٦٢) صوتاً وأصبح نائباً للمنتفك^(٤).

ونجد في كلّ ما تقدم أنّ السيد عبد المهدي المنتفكي قد حاز على رضا الجميع ممّن منحوه الثقة في الدورات الانتخابية الستة التي أحرز فيها مواقع متقدمة، إذ حقّق مكانة مرموقة بين أقرانه من جهة، وأصبح شخصية مؤثرة في حياته النيابية وتعاونته وتكتله مع البعض ومن ألمع الشخصيات السياسية وتاريخ العراق إبّان

(١) ملف وزارة الداخلية، كتاب دائرة بلدية الناصرية في ٣٠ نيسان ١٩٣٩ رقم الوثيقة ١٤٢.
(٢) وحصل الحاج طالب الحاج محمد علي على (٧٦٧) صوتاً، وحمودة المزيعل (٧٦٥) صوتاً وخيون العبيد (٧٦٢) صوتاً، والشيخ محمد حسن حيدر (٧٦١) صوتاً، وموحدان الخير الله (٧٥٨) صوتاً، وصكبان العلي (٧٥٨) صوتاً، وكاطع البطي (٧٥٦) صوتاً، وثامر السعدون (٧٤٦) صوتاً، وزامل المناع (٦٤١) صوتاً، بريقة متصرفية الناصرية ١٧٤٣٨ في ١٩٣٩/٦/٥ رقم الوثيقة ١٤٥، كتاب بلدية الناصرية إلى رئيس ديوان مجلس النواب ذو الرقم ١٩٦٦ في ١٣٩/٦/٢، رقم الوثيقة ١٤٦.

(٣) كما حصلت مؤتمرات لبعض الألوية أيضاً بموجب كتاب وزارة الداخلية، العدد ١٣٦١/١/٢١ في ١٩٤٢/٢/٨ مستعجل جداً رقم الوثيقة ١٤٨.

(٤) ملفات وزارة الداخلية إضبارة النواب، ١٤/ج/٤، كتاب متصرفية المنتفك العدد ١٥/٤٥ في ٢٧ محرم ١٣٦١ هـ الموافق ١٥ شباط ١٩٤٢ رقم الوثيقة ١٥٠، وكتاب المتصرفية إلى رئيس مجلس النواب العدد ١٧٩٣ في ١٥/٢/١٩٤٢، رقم الوثيقة ١٥١.

هذه الحقبة التاريخية المهمة أمثال نوري السعيد وصالح جبر وغيرهم ممن أسهم معهم السيد المنتفكي سواء على صعيد الحياة النيابية أو الحزبية، إذ كان من بين أبرز المؤازرين لصالح جبر وأسس معه حزب الأمة الاشتراكي في الخمسينيات واحتل السيد عبد المهدي مكانة مهمة لدى ملوك العراق وكان يحظى بالتقدير والاحترام من الجميع لكنّ البعض يضعه في زاوية لا يحسد عليها حينما ينعته بالطائفية^(١)، وهكذا حقق المنتفكي نجاحات باهرة في حياته، فكان البعض يخشى كلامه وبخاصة أثناء جلسات الدورات النيابية فقد كان لاذعاً شديد النقد الممزوج بالنكته. فقد كان ذا نظرة ثاقبة ووزيراً لعدة مرّات وأصبح نائباً لمجلس الأعيان.

دور النائب عبد المهدي المنتفكي في مجلس النواب:

كان السيد عبد المهدي من بين أبرز المناقشين والمعترضين وأحياناً من بين أبرز المشاكسين في أروقة المجلس النيابي وخارجه وتصف لنا الوثائق الخاصة بمحاضر مجلس النواب العديد من مناقشاته التي تنوّعت، الأمر الذي يدلّ على اطلاعه وحسن إصغائه وإدراكه للعديد من القضايا التي تعرض وتتم مناقشاتها، فنجد مثلاً في جلسة مجلس النواب السابعة والثلاثين المنعقدة في الثاني عشر من نيسان (١٩٣٤)^(٢).

قد أشار نائب بغداد (نصرة الفارسي) إلى أنّ السيد عبد المهدي، قد تحدّث عن زيادة الاعتمادات بشأن عمل وزارة المعارف، لأن عدد الطلاب قد بلغ ثمانين ألف وأنّ هذا العدد بالنسبة لمجموع العراق يمثل ٥, ٢٪ وقد عبّ نائب

(١) هادي العلوي: المرئي واللامرئي في الأدب والسياسة، بيروت ٢٠٠٣، ط ٢، ص ٦٨، عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ٣، ص ٤٤، ٢٨٨.

(٢) محاضر مجلس النواب في الدورة الانتخابية الرابعة، الجلسة السابعة والثلاثون، في الثاني عشر من نيسان ١٩٣٤، ص ٤٧٥.

المنتفك، قائلاً: بصفتي شخص كنت وزيراً لهذه المؤسسة المعارف^(١)، ومارست هذه الوظيفة مدةً من الزمن، وهكذا كان عبد المهدي يشارك الجميع في مناقشة العديد من اللوائح والقضايا التي تعرض على النواب^(٢). كما كان يحث الآخرين للحدّث ونجده في إحدى جلسات المجلس يتحدّث عن موضوع التمثيل الدبلوماسي كونه أحد مظاهر الاستقلال على حدّ وصفه، داعياً التوسع به على قدر مساعدة الدولة من الناحية المالية، وواصفاً مصر على سبيل المثال، أنّها من الدول التي توسّعت في تشكيلاتها، وقد أيّده عبد الله الدملوجي وزير الخارجية آنذاك.

كما تحدّث السيد عبد المهدي، وهو رئيس للجنة الشؤون المالية في المجلس النيابي بأن اللجنة المذكورة قد قررت قبول لائحة قانون مناطق المصايف وبيع العرصات الأميرية لسنة ١٩٤٠، المقدّمة إلى المجلس العالي ضمن كتاب رئاسة الوزراء^(٣).

وضمّت اللجنة النّوّاب صالح جبر، وصادق حبة وهم من نوّاب المنتفك أيضاً^(٤). فضلاً عن النّوّاب عبد الوهاب محمود، وأحمد حالت، وعارف حكمة والعطية، وسيف الله ضندان، وإبراهيم حاييم، وكذلك قرّرت اللجنة قبول لائحة قانون منح مكافأة تقاعدية إلى اقارب رستم حيدر لسنة ١٩٤٠ المقدّمة إلى المجلس العالي ضمن كتاب رئاسة الوزراء ذي الرقم ١٣٠٨ والمؤرخ في ٣١

(١) صالح جبر أصبح وزيراً للمعارف عام ١٩٣٣ لأوّل مرة في وزارة حكمت سليمان.

(٢) محاضر مجلس النواب، العدد السابق، الجلسة ٣٧ في ١٢ نيسان ١٩٣٤، ص ٤٧٠.

(٣) حول تفاصيل اللائحة ينظر: كتاب رئاسة مجلس الوزراء ذو الرقم ١٧٩٣ في ٢٣ نيسان ١٩٤٠، محاضر مجلس النواب/ الدورة التاسعة الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٩ ٢٥ نيسان ١٩٤٠ الملحق ٢، ص ٤٣.

(٤) المصدر نفسه: ص ٤٤.

آذار^(١) ١٩٤٠. وغيرها من اللوائح الأخرى.

لم ينسَ النائب عبد المهدي موضوع القضية الفلسطينية التي أصبحت الشغل الشاغل للأقطار العربية فحسب بل تهمُّ كلَّ بيت عربي وإسلامي، وهو القائل: «ما ذكرت فلسطين في بلادنا أو مجلسنا إلا والتهب شعور البلاد وأعضاء المجلس وحق الشعور أبناء البلاد وشعور أعضاء البلد أن يلتهب عند ذكر فلسطين لأتَّها جزء من الوطن الأكبر وحقَّ على العراقيين أن يهتموا بما يقع في فلسطين من سلب ونهب وتشريد، لازالت فلسطين أهلاً وعشيرة»^(٢).

كما طالب الحكومة العراقية بتوضيح قضية سوريا لدى بريطانيا معللاً ذلك بأن السلم الذي تدَّعي وتحرص عليه بريطانيا وفرنسا وتحاربان من أجل توحيد دعائمه لا يستتب ولا يستقر ما لم تعطَّ هذه الاقطار حقوقها ومطالبها وأضاف وأنَّ الوفاء بالعهود يحتمُّ كذلك على الدولتين الإبقاء عليها^(٣).

وعلى العموم فقد برز السيد عبد المهدي المتفكِّي في مشاركاته وإسهاماته الداعية في أروقة المجلس النيابي.

وعلى الرغم من رؤية المختصين في تاريخ العراق المعاصر أنَّ مجلس النواب هو بإرادة الحكومة وهي التي تعيّن النواب، حتَّى إنَّ أحد المعاصرين قال حرفياً «أتحدَّى أي نائب مهماً كان مركزه ان يستقيل من عضوية مجلس النواب ويعاد انتخابه في دائرته أن يفوز بالنيابة، إذا لم تدخله الحكومة في قائمتها»^(٤).

(١) المصدر نفسه: ص ٤٤.

(٢) د. عبد الله الجوراني: الحياة البرلمانية في العراق، دراسة تاريخية، بغداد، ٢٠٠٤، ص ١٩٣؛ محاضر مجلس النواب، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠، محضر الجلسة الثانية في ٦ نيسان ١٩٤٠، ص ٣٢٤.

(٣) د. عبد الله الجوراني، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٤) الحديث إلى نوري السعيد الشخصية الأبرز في تاريخ العراق المعاصر نقلاً عن حسين جميل

وكان تحدّي نوري السعيد هذا في جلسة مجلس النواب في الخامس من كانون الثاني ١٩٤٤. وهو رئيس وزراء آنذاك. وكأنّه يقول للنواب أنكم مدينون لي بمواقفكم في مجلس النواب، هذه شهادة صريحة بتزييف الحكومة للانتخابات النيابية التي يعرفها الناس كافة قبل المعنيين بها.

وعلى الرغم من هذا الوصف الذي تجري فيه الانتخابات، لكن ذلك لا يشمل من له شعبية ومكانة في دائرته الانتخابية وبخاصة الشخصيات الاجتماعية المؤثرة وبعض قادة الأحزاب ومرشحو الحركة الوطنية والمعارضة وبعض رؤساء القبائل والمشايخ المعروفون^(١).

وكما يروي لنا الشخصية البارزة في تاريخ العراق المعاصر حسين جميل أن: «دور نائب فاز بالنيابة عن طريق الشعب غير دور نائب أصبح نائباً عن طريق القائمة الحكومية...»^(٢)، وعن هذه التغطية بالذات تحدّث السيد عبد المهدي المتفكّي، نائب المتفك قائلاً: إنّ هذا الضعف في مجالس الأمة متأت من الأساليب غير المعلومة التي تتّبع في الانتخابات من جهة بحيث إنّ من يأتي إلى هذا المجلس بتلك الأساليب المعلومة لا يكون عنده الشعور الكافي وإنّه ممثل للأمة تمثيلاً صحيحاً فهو لا يرى نفسه على الأكثر إلّا كموظف يؤتى به وبقبول ولربما يكون الموظف في بعض الحالات أكثر رعاية ومعنوية من بعض أعضاء مجلس الأمة^(٣).

الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥ - ١٩٤٦، وموقف جماعة الأهلالي منها، ١٩٢٥، بغداد ط ١، ١٩٨٣، ص ٦٩٣.

(١) من يدرس محاضر مجلس النواب نجد البعض من هؤلاء النواب، قد اخطلوا بمهاتهم وواجباتهم النيابية بما يملكون من كفاءة وبذلك الجهد الذي يستحق الالتزام بالواجب الوطني والنيابي، حسين جميل العدد السابق، ص ٧٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٧٢.

(٣) فضلاً عن حسن جميل. المصدر السابق: ص ٧٢.

ولعلّ الأمر لا يختلف كثيراً على نواب المتفك، فنجد بينهم من يضطلع بدوره، واعياً لما يحيط به وبين آخر وقد حزم أمره وأصبح نائباً دون أن يجهد نفسه إلا كمغتتم مادي أو وجاهة وسنجد أيضاً بين الجميع ممن تكررت نيابته مرّات عديدة وقد شهدت له جلسات مجلس النواب العديد من الاتّهامات والمناقشات.

وهكذا أصبح السيد عبد المهدي المتفكي نائباً أوّل لرئيس المجلس النيابي لسنة ١٩٤٨-١٩٤٩^(١).

العين عبد المهدي المتفكي في مجلس الأعيان:

عيّن السيد عبد المهدي المتفكي عضواً في مجلس الأعيان، ولعب دوراً مهماً في الحياة السياسية، بحكم تحالفاته، وتأثير شخصيته الواضحة وبخاصّة في المناقشات المهمّة في مجلس الأعيان.

كان السيد المتفكي قد تحدّث في إحدى جلسات المجلس بشأن أسباب الفشل في تموين الأزمة التي أثّرت كثيراً في الحياة الاقتصادية إبّان الحرب العالمية الثانية وما أفرزته هذه الحرب من أزمة خانقة وبخاصّة تلك التي تتعلّق بقوت الناس التي سمّيت (بأزمة الخبز)، فقد بيّن أنّ أسباب هذا الفشل يعود إلى عاملين الأوّل: افتقارنا إلى الصفات والمزايا التي تُعنى بالتعاون وحبّ النظام ووجود الأثنية والأثرة الشخصية والعامل الثاني: هو أن التموين لم يركز على قواعد سليمة وصحيحة^(٢).

(١) محاضر مجلس النواب الاجتماع العادي، العشرين، بغداد مطبعة الحكومة، ١٩٣٩، ومجلس الأوّل الأربعاء الموافق ١ كانون الأوّل ١٩٤٨، ٢٩ محرم ١٣٦٨، ص ٥٠٤.

(٢) محاضر الأعيان: الاجتماع العادي السابع عشر لسنة ١٩٤٣، الجلسة ١٢ في ٨ نيسان ١٩٤٣، ١٢ ص ٢٦٤، د. عبد الله الجوراني: الحياة البرلمانية في العراق، المصدر السابق، ص ١٣٠.

ألمح العين عبد المهدي، أيضاً في إشارة تحكّم واضحة أثناء ردّه على رئيس الوزراء حمدي الباجه جي أنّه كلّما أسف فخامته من كلامي وتصريحي أنا أسف حقيقة من تصرّجاته هذه التي جاءت هادمة لأمني البلاد ولكنّي مع ذلك أشكر فخامته لأنّه أراحني من مرارة الانتظار وأعطاني وثيقة من الآن تدلّني على أنّه فاشل في حلّ مشكلة التمويل مادام فخامته لم يعرف أنّ في البلاد ضيقاً في حين أنّها وصلت إلى الغاية من الضيق^(١)، وقد أثنى عليه النائب طارق العسكريّ حينما قال: يكفي للبحث بهذا الموضوع شهادة أخي العزيز معالي العين السيد عبد المهدي الذي قال: إن رئيس الوزراء الحاضر فاشل في معالجة التمويل وإصلاحه^(٢).

وتنوّعت أحاديث ومساهمات العين المنتفكيّ في العديد من القضايا المهمة التي تعرض على مجلس الأعيان وبخاصّة خطاب العرش والاتفاقيات والمعاهدات وغيرها.

فقد تحدّث رداً على خطاب العرش على سبيل المثال لا واصلها بأنّه قد أشار إلى أهميّة الاتحاد العربي والقضية الفلسطينية وتمنّى تحقيق الوحدة^(٣).

كما تحدّث عن موضوع ميثاق الأمم المتحدة الذي تمّ بحثه في مجلس الأعيان قائلاً: إنّ لهذا (الميثاق) ديباجة أشكّ بأنّ كلّ من يطالعها وعلى الأخصّ إذا كان من أبناء الدول الصغيرة والأمم الصديقة تهزّه نشوة الارتياح ويعلو عليه الابتهاج ويسري بأنّ الدول الكبرى قد عادت إلى رشدها وإلى صوابها وأدركت أنّ للضعيف حقوقاً في هذه الحياة يجب أن تحترم. وأوضح أنّ على هذه

(١) المصدر نفسه: ص ١٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٧٠.

(٣) محاضر جلسات مجلس الأعيان الاجتماع العادي التاسع عشر لسنة ١٩٤٤-١٩٤٥، الجلسة الرابعة، ص ٣٥. ١٩٤٥، ص ٣٥.

الدول أن تترك نعمتها القديمة في الرغبة والسيطرة على الدول الصغيرة وقال: أنا لا أرفضه على ما فيه من عيوب بل لكونه اعترف اعترافاً صحيحاً باستقلال البلدان العربية الخمسة وأصبحوا ممثلين فيه والعرب يحتاجون إلى زعامة منظمة لِيُسمِعُوا أصواتهم إلى العالم الغربي الذي يتجاهلنا^(١).

وهكذا تنوّعت أحاديث العين المتفكّكيّ وكان ذا نظرة ثاقبة في تحليل الكثير من الموضوعات المطروحة، والإسهام في مناقشاتها، والمحاولة وضع الحلول لها.

الخاتمة:

دَلَّت الوثائق الرصينة بوضوح تام بأنّ شخصية السيد عبد المهدي المتفكّكيّ، قد لعبت أدواراً مهمّة في تاريخ العراق السياسي منذ العشرينيات من تأسيس الدولة العراقية الحديثة وشهدت لمكانته المرموقة الكثير من المآثر والنجاحات وبخاصّة نجاحاته في الفوز الواضح في دورات المجلس النيابي في مدينة عريقة مثل مدينته التي شهدت حضوراً مبكراً في ممارسة الحياة السياسية ودافع أهلها بروح وطنية واضحة في مقاومة ومقارعة شتى أنواع الاحتلال.

كما أنّي شهدت له أروقة المجلس النيابي أقف مشهودة في مناقشة العديد من القضايا التي طرحت في جلسات المجلس خلال الدورات الستة التي أصبح فيها نائباً بامتياز واضح ولم يألُ جهداً في إعطاء المزيد من مكانته الاجتماعية والسياسية، وبروزه في الحياة السياسية والحزبية كما لمع اسم المتفكّكيّ في مجلس الأعيان ومنحته مناصبه الوزارية الفرصة الواضحة ليكون واحداً من سياسيي العراق المعروفين جداً.

ويبقى الكمال لله وحده ولكن ومع كلّ ذلك النجاح والتألق، لم يسلم

(١) نقلاً عن المصدر نفسه: ص ٢٣٩.

المتفكي من معارضيه وحساده حتى اتهموه بالعديد من النعوت والأوصاف وتناولته بعض الصحافة بالوقوف خلف نوري السعيد، وصالح جبر وغيره من معاصريه.

ويمكن القول إجمالاً: إنّ دور النائب والعين المهدي المتفكي كان واضحاً ومهماً وتشهد له محاضر مجلس الأمانة الكثير من أحاديثه ومناقشاته خلال الفترة موضوعة البحث.

المصادر:

ملفات وزارة الداخلية:

- كتاب متصرفية لواء المتفك إلى وزارة الداخلية ذو الرقم ١٦٩٨ في ٨ كانون الأول ١٩٣٤.
- صورة كتاب مجلس الوزراء ذوات الرقم ٥٩٠٦ في ١١/١٢ ذي القعدة ١٣٥٣ هـ ١/١٢ الموافق ١٤/٦/١٩٣٥ المرسل إلى متصرفية لواء المتفك، والانتخابات الملكية.
- كتاب دائرة بلدية الناصرية، الهيئة التفتيشية المتضمن بيان لدور المنتخبين في لواء المتفك، رقم ٨١١ في ١٤ ربيع الآخر ١٣٥٤ الموافق ١٥ تموز ١٩٣٥. رقم الوثيقة ١٠٠.
- كتاب دائرة بلدية الناصرية، ذو الرقم ٩٠٠ في ٢٦ ربيع الآخر ١٣٥٤ الموافق ٢٧ تموز ١٩٣٥. رقم الوثيقة ١٠٢.
- كتاب متصرفية لواء المتفك، ذو الرقم ٣٠٤٧ في ٣/٤ تشرين الأول ١٩٣٤ الموافق ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٥٣ المرسل إلى وزارة الداخلية لعام ١٩٣٤، بعنوان الانتخابات النيابية.
- برقية متصرفية المتفك، ذات العدد ١١١٥٤ في ١٠/٥/١٩٢٨ إلى وزارة الداخلية.
- كتاب بلدية الناصرية ذو الرقم ١٠٦ في شباط ١٩٣٣.
- إضبارة النواب إضبارة المتفك رقم الإضبارة ١٤/ج/١ الدورة الانتخابية لعام ١٩٢٥.
- كتاب متصرفية لواء المتفك في ٢٣/١/١٩٢٨ برقية وزارة الداخلية ذات الرقم ١٠٦٧ في ١٩ كانون الثاني ١٩٢٨.
- كتاب وزارة الداخلية ذو الرقم ١٩٥٢ في ٢٣/١/١٩٢٨ رقم الوثيقة (١).
- كتاب ذو الرقم ١٥٩٩ في ٣-٤/آذار/١٩٢٨، قائمة بأسماء الهيئة التفتيشية.
- صورة كتاب إدارة متصرفية المتفك برقم ٢١٨٣ في ٢٩ مارس/ آذار ١٩٢٨.

- برقية متصرفية المتفك إلى وزارة الداخلية ذات الرقم ٩٦٩٣ - ٢٩٨٢ ج في ٢٤ / ٤ / ١٩٢٨.
- كتاب وزارة الداخلية. دائرة بلدية الناصرية في ٣٠ / نيسان / ١٩٣٩، رقم الوثيقة ١٤٢.
- برقية متصرفية الناصرية ١٧٤٣٨ في ٥ / ٩ / ١٩٣٩، رقم الوثيقة ١٤٥.
- كتاب بلدية الناصرية إلى رئيس ديوان مجلس النواب ذي الرقم ١٩٦٦ في ٥ / ٦ / ١٩٣٩، رقم الوثيقة ١٤٦.
- برقية وزارة الداخلية مستعجل جداً برقم ٤٣٤٤ في ٨ / ذي الحجة / ١٣٥٥ الموافق ١٨ / شباط / ١٩٣٧، رقم الوثيقة ١١٣.
- إضبارة النواب، إضبارة نواب المتفك، ١٤ / ج / ١.
- كتاب متصرفية المتفك، العدد ٤٥ / ١٥ في ٢٧ محرم ١٣٦١ هـ الموافق ١٥ / شباط / ١٩٤٢، رقم الوثيقة ١٥٠.
- كتاب متصرفية إلى رئيس مجلس النواب العدد ١٧٩٣ في ١٥ / ٢ / ١٩٤٢، رقم الوثيقة ١٥١.
- إضبارة النواب، العريضة إلى فخامة ورئيس الداخلية برقم ٣١٨٨ في ٢٥ / ١ / ١٩٣٧ من رؤساء ٩ عشائر في سوق الشيوخ.
- برقية متصرفية المتفك إلى وزارة الداخلية ذات الرقم ٤١٦٦٧ في ١٨ / ٢ / ١٩٣٧ إلى رئيس ديوان مجلس النواب ذات الرقم ١٣١٤ في ١٨ / كانون الأول / ١٩٣٧، رقم الوثيقة ١٣٧.
- كتاب ديوان مجلس الوزراء إلى وزارة الداخلية ١٦٧٧ في ٨ / ١٢ / ١٩٣٧.
- كتاب دائرة بلدية الناصرية، الهيئة التفتيشية ذو الرقم ٨٦ في ١٣ / ذي القعدة / ١٣٥٥ هـ الموافق ٢٦ / كانون الثاني / ١٩٣٧.
- كتاب المتصرفية المرسل إلى وزارة الداخلية والمعنون ببيان المنتخبين الأوليين في اللواء ذو الرقم ١٣٧٨ في ١٥ ذي القعدة ١٣٥٥ هـ الموافق في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٧.
- كتاب وزارة الداخلية سري ومستعجل جداً ١٢٩ / ١٤ / ج / ٤ في ١٥ - ١٦ شباط ١٩٣٧، في ٤ / ذي الحجة / ١٣٥٥ رقم الوثيقة ١١٩.
- كتاب بلدية الناصرية... ديوان مجلس الوزراء ذو الرقم ٩٤٥ في ٤ / جمادى الأولى / ١٣٥٤ هـ الموافق ٤ آب ١٩٣٥ م.

دار الكتب والوثائق:

- * (د.ك.و) كتاب وزارة الداخلية العدد ٢١ / ١ / ١٣٦١ في ٨ / ٢ / ١٩٤٢، مستعجل جداً رقم الوثيقة ١٤٨.
- * (د.ك.و) كتاب مجلس الوزراء ذو الرقم ٣١٦٣ في ٤ / ٥ / ١٩٣٩ رقم الوثيقة ١٤٠.

- * (د.ك.و) كتاب وزارة الداخلية الموجه من سكرتارية مجلس الوزراء ذو الرقم ٢٣٥٦ في ٦/٥/١٩٣٩ وعريضة إلى رئيس الوزراء من شيوخ المتفك.
- * حسين جميل: الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥-١٩٤٦، وموقف جماعة منها، بغداد - ١٩٨٣.
- * محاضر مجلس النواب: الاجتماع العادي الثاني والعشرون، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٣٩.
- * -----: الندوة التاسعة، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٣٩ في ٢٥/ نيسان/ ١٩٤٠.
- * -----: الجلسة ٣١ في ٢٤ آذار ١٩٣٤.
- * -----: الجلسة ٣٧ في ١٢ نيسان ١٩٣٤.
- * -----: الدورة الانتخابية الرابعة أو الجلسة السابعة والثلاثون في ١٢ نيسان ١٩٣٤.
- * محاضر مجلس الأعيان: الاجتماع العادي السابع عشر لسنة ١٩٤٢ - ١٩٤٣ الجلسة ١٢ في ٨ نيسان ١٩٤٣.
- * محاضر مجلس الأعيان: الاجتماع العادي التاسع عشر لسنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥، الجلسة الرابعة لسنة ١٩٤٥.
- * عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية، ج ٣، ص ٤٤-٢٢٨.
- * د. عبد الله الجوراني: الحياة البرلمانية في العراق، دراسة تاريخية، بغداد، ٢٠٠٤ م.
- * -----: دور سوق الشيوخ الوطني ضد الوجود البريطاني (دراسة وثائقية)، مجلس كلية التربية، العدد (٥)، ١٩٩٩ م.
- * هادي العلوي: المرئي واللامرئي في الأدب والسياسة، بيروت، ٢٠٠٣ م.



تاريخ مشاريع
مياه الشرب القديمة في بغداد

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

مقدمة :

إذا كان البحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمدن يعد من المجالات الحديثة للدراسات التاريخية في بلادنا، فإن دراسة تاريخ (الخدمات) أو المرافق المدنية هي من أكثر الدراسات التاريخية حداثة، ولعلها في الوقت نفسه، من أشدها طرافة وأهمية، وذلك من ناحيتين: أولاهما: الصلة الوثيقة بين هذه الخدمات وبين تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة؛ لأن وجود (الخدمات) يوجب - في أحيان كثيرة - إنشاء مؤسسات رسمية، أو غير رسمية، تختص بإدارتها، والعناية بمرافقها.

ومن الناحية الأخرى: فإن دراسة هذه الخدمات تكشف، على نحو فريد، عن الصلة بين التاريخ الاجتماعي، وبين التاريخ العلمي والتقني. وبمعنى آخر، فإن الخدمات هي إحدى أهم المجالات الرئيسة لتطبيق المعرفة النظرية بما يخدم مصالح الشعب ويرفقه عنه ويحمي بيئته ويسر له العيش في مدينته، إذ ليست المدينة، في أحد وجوهها على الأقل، إلا المكان الذي تتوفر فيه الخدمات للناس. ومن هنا تبرز أهمية دراسة (الخدمات) ومشاكلها في مدينة كبرى، ومركز حضاري رئيس كمدينة بغداد، تقلبت بين عصور الازدهار والحيوية، وعصور الانحطاط والتخلف على حد سواء.

ويمكننا القول، بهذا الصدد، إن معظم هذه المجالات المفيدة في الدراسة التاريخية لم يأخذ مجاله من اهتمام الباحثين؛ ربما بسبب «اعتيادية» هذه الخدمات، أم تلفت أنظار المؤرخين المعاصرين لها إلا نادراً، وفي مناسبات فريدة، مع أن أيّاً من تلك «الخدمات» كان يمكن أن يسبب مشاكل غير اعتيادية لو أنه توقف أو أهمل ولو إلى حين.

ولا نشك في أن أمر مياه الشرب، كان يعد من الأمور بالغة الأهمية في حياة

هذه المدينة العريقة، ولعله كان مشكلة من مشاكلها الدائمة عبر العصور، فهذه المدينة التي اتسعت على نحو، منذ تأسيسها في منتصف القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد) لتغطي مساحات واسعة من الأرضين، تربو على مساحتها الأصلية يوم تأسست بأضعاف عديدة، وتشمل في مدة تقل عن قرنين، أنحاء مترامية الأطراف على جانبي نهر دجلة، وفي اتجاهات متباعدة، لا شك في أنّها كانت تستهلك كميات ضخمة من مياه الشرب كلّ يوم، ولا شك -أيضاً- في أنّها كانت تعاني مشكلة نقل هذه المياه إلى سكانها وإيصالها إلى دورهم ومساجدهم وأسواقهم وسككهم لاستعمالها في حياتهم اليومية.

إنّ البحث في تاريخ مشاريع مياه الشرب في بغداد عبر عصورها المتعاقبة، هو أمر تكتنفه صعوبات جمة، إذ ليست ثمة إجابات كافية لما يمكن أن يطرحه هذا البحث من أسئلة، وقد يعجب الباحث، أوّل الأمر، حينما يلحظ أنّ مشكلة كهذه لم تلقَ من المؤرخين القدامى أيّ اهتمام يذكر، فمع وجود الأرقام الكبيرة، والمبالغ بها جداً عن عدد الحمامات ببغداد في العصر العباسي، وما تستهلكه من الصابون، ومن يعمل في خدمتها^(١)، فإنّنا لم نعثر على ما يوضح السبل التي كانت متبعة في تزويد هذه الحمامات العديدة بما تحتاجه من مياه نظيفة تصلح للغسل. ومثل هذا يقال أيضاً عن مساجد المدينة وربطها ومدارسها، وكلّها ممّا يحتاج فيه إلى المياه الصالحة للوضوء والشرب.

ويزداد الأمر صعوبة، عندما نلاحظ أنّه لم تكن ثمة فروق واضحة بين وسائل

(١) بالغ المؤرخون في عدد الحمامات ببغداد مبالغاً كبيرة، حتى قيل إنّها بلغت مئتي ألف حمام، إلى الضعف، وأكد بعضهم العدد الأوّل، في حين قال آخرون إنّها مئة وثلاثون ألفاً، أو مئة ألف، وأقل تقدير لها كان ستين ألفاً. انظر: هلال بن المحسن الصابي: رسوم دار الخلافة، ص ١٩، تحقيق ميخائيل عواد، بغداد (١٩٦٤). والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ١١٧، القاهرة ١٩٣١.

نقل المياه المختلفة، فلا يستطيع التمييز - على وجه التحديد - بين أنواع المياه الخاصة بالشرب، أو المستعملة للغسل والاستعمال اليومي الآخر، أو المستعملة في سقي الحدائق والبساتين والحيوان، كذلك ليس من اليسير - في أغلب الأحيان - التفرقة بين وسائل نقل هذه المياه، ووسائل تصريف المياه المستعملة، فقد وصف لنا المؤرخون شبكة من الأنهار الصغيرة ممّا كان يخترق مدينة بغداد بجانبها الشرقي والغربي، ويتخلل الأحياء السكنية والبساتين، ولكننا لا نعلم كم من مياه تلك الأنهار كان يستخدم للشرب؟ وكم منها كان يستعمل مبرلاً للمياه الفائضة عن الحاجة؟ أو المستعملة؛ لأنّ استقبال المدينة للعدد الضخم من الأنهار التي تجري بين دروبها ودورها، كان يستلزم بطبيعة الحال عدد آخر من مصارف المياه، وبما أنّ أحداً لم يشر إلى تلك المصارف، ومن المستبعد جداً أن تستخدم هذه الأنهار للغرضين في وقت واحد، فمن الضروري للباحث إذن أن يعيد النظر في طبيعة عملها ومهمتها، بحسب تعاقب العصور.

ومع أنّ العرب عرفوا سبل تنقية المياه من الشوائب وجعلها رائقة صافية، عن طريق استخدام مادة «الشب»^(١)، إلّا أنّنا لم نعثر على ما يفيد استعمال هذه المادة بأسلوب واسع لتنقية مياه الشرب، ونحن نميل إلى أنّ استعمالها بقي حبيس مختبرات العلماء والأطباء للإفادة منها في تجاربهم المختلفة، دون أن تجد لها تطبيقاً في مشاريع مياه الشرب العامة، إذ ليست ثمة نصوص تدل عليه، إلّا إذا استخدم ذلك في نطاق ضيق، وفي دور بعض ذوي الشأن، ممّا لم يلفت نظر المعاصرين.

ومع أنّ هنالك أخباراً دلّت على وجود أحواض كبيرة في الجانب الشرقي

(١) البيروني: الصيدنة في الطب، تحقيق محمد سعيد ورائنا إحسان إلهي، (كراتشي ١٩٧٣)، ص ٢٩١، وداود الأنطاكي: تذكرة أولي الألباب، (بيروت د.ت)، ج ١، ص ٢٠٩.

كانت تصب فيها فروع بعض الأنهار الآخذة من الخالص^(١)، إلا أنه ليست ثمة ما يفهم منه أن تلك الأحواض كانت تستخدم لترسيب المياه من شوائبها، ومن المحتمل جداً أن تكون عملية ترسيب المياه ممّا يجري في نطاق الدور والمحلات الخاصة عن طريق وضعها في «الأزيار» العادية قبل شربها، وهي الطريقة التي لبثت معروفة ببغداد حتى فترة متأخرة.

ونحن نحسب أن مشكلة مياه الشرب ببغداد لم تكن تتجاوز أمرين: أحدهما رفع المياه من المواضع المعلومة على شاطئ دجلة، وثانيهما نقلها بمختلف الوسائل لتجد طريقها إلى سكان المدينة.

الفصل الأول

مشاريع مياه الشرب في العصر العباسي

١ - المدينة المدوّرة:

أنشأ أبو جعفر المنصور مدينته المدوّرة على الضفة الغربية من نهر دجلة، في الزاوية المتكونة بين مجرى الصراة غرباً، ومجرى دجلة شمالاً، وسماها (مدينة السلام)، وكانت حوالها مجموعة من الأنهار والجداول القديمة التي تصل نهر دجلة بالفرات في أقرب نقطة يقتربان فيها من بعضهما، وكان واضحاً أن من أهداف المنصور الرئيسة - إن لم يكن أهمها - أن تكون مدينته هذه في موقع عسكري منيع، يسهل على سكانها الدفاع عنها^(٢). ويجعل من الصعب اقتحامها،

(١) الخطيب، تاريخ بغداد: ج ١، ص ١١٤.

(٢) لا نميل إلى الأخذ بالرأي القائل إن اختيار المنصور لموقع بغداد، بين نهري دجلة والفرات للتمتع بحمايتها الطبيعية، كان يدل على فكر ذي تخطيط حفيف، إذ سرعان ما أثبتت هذه المزية تهاافتها بعد نحو أربعين عاماً من إنشاء المدينة، ولم يكن السلاح والفكر العسكري قد تطوّر في هذه المدة القليلة، ففي أثناء فتنة الأمين والمأمون، نفذ الأمين خطة المنصور العسكرية

فصارت (المدينة المدوّرة) بذلك قريبة لأن تكون (قلعة) أو (حصناً) منها إلى المدينة السكنية، فأقيمت الأبواب المحكمة العديدة، وحفرت الخنادق، وأنشئت ثلاثة نطاقات من الأسوار، ثمّ لم يكتفَ بذلك وحسب - بل أخلت - بعد وقت قليل من تاريخ إنشائها من عامة الشعب، وهم الباعة والتجار وأصحاب الحرف، إلّا القلّة منهم، ثمّ منع الدخول إليها ركوباً، وحتّم على الجميع أن يمشوا فيها راجلين.

وكان من الطبيعي أن تنال مشكلة نقل مياه الشرب إلى المدينة الجديدة جزءاً من اهتمام الخليفة المنصور وعنايته، فقضية كهذه كانت عظيمة الخطورة عند مخطّطي المدن والحصون إبّان تلك العصور؛ لأنّها تتعلّق بصفة مباشرة بمدى إمكان ثبات المدينة أو الحصن في الحصارات التي تفرض عليها في أثناء الحروب. ويبدو أنّ تفكير المنصور بهذا الأمر جاء متأخراً على قيامه بإنشاء المدينة، فقد لبث طيلة الشهور الأولى لسكنائه فيها^(١) لا يدري بالوسيلة التي تنقل بوساطتها المياه إلى قصره، بل يبدو أنّ الأمر لم يلفت نظره البتة، تاركاً له أن يسير بحسب الطرق المألوفة في عصره، فكانت مياه الشرب تنقل إلى قصره وسائر أنحاء

بدقة، فقطع الجسور التي تربطه بالجانب الشرقي، وتحصّن بالمدينة المدوّرة، ولكن الجيش القادم بقيادة طاهر بن الحسين تجنّب العبور من النواحي القريبة من المدينة، والتفّ عليه بعد عبوره دجلة على جسر مؤقت أقامه في الشامية أعلى بغداد، فأدّت حركة الالتفاف هذه إلى انهيار مقاومة جند الأمن، ولم تثبت المدينة المدوّرة إلّا قليلاً، إذ تهاوت بسرعة أمام جيش طاهر، وبذلك أثبت هذا الحادث تهافت فكرة الموقع المتحصّن بالحواجز المائية التي أنشأ المنصور على هداها مدينته.

(١) كان الفراغ من بناء بغداد ونزول المنصور بها، ونقل الخزائن والدواوين وبيوت الأموال إليها سنة (١٤٦ هـ - ٧٦٣ م) وكان إتمامه في بناء السور والخندق وإحكام أمر المدينة سنة (١٤٩ هـ - ٧٦٦ م). ابن الفقيه: بغداد مدينة السلام، ص ٣٩، تحقيق د. صالح أحمد العلي (بغداد ١٩٧٨)، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٦٧.

مدينته بوساطة سقّائين يحملونها على ظهور البغال المعروفة ببغال الروايا، هي معبأة - على ما كان معروفاً - في أوّانٍ خاصة، أو (قرب) من الجلد.

وأوّل مشروع هندسي أمر به المنصور لتوفير مياه الشرب لسكان مدينته كان إنشاء قناة (أو قناتين) من خشب الساج، ترفع إليها المياه من دجلة بوساطة دولاّب نصب هناك، والظاهر أنّ هذه القناة كانت مرتفعة عن الأرض بما يكفي لانحدارها التدرجي حتى تجتاز باب خراسان (وهو أقرب الأبواب إلى شاطئ دجلة) وتخترق المدينة حتى تصل رحبتها، ومنها إلى قصر المنصور.

ولا يعلم على وجه التحديد ما إذا كان هذا الماء مخصوصاً بقصره وحده، أم أنّه كان يجري لغيره من دور المدينة وسككها، كما ليس من المستطاع معرفة مدى سعة هذه القنى من الماء، ولكن يبدو أنّها كانت من المتانة والإحكام بحيث استمرت قائمة تؤدّي مهمتها حتى النصف الأوّل من القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد)^(١).

وفهم من رواية نقلها الطبري عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق خال الفضل بن الربيع^(٢) والخطيب عن عياش بن القاسم^(٣) أنّ إنشاء المنصور للقنى الخشب الخاصة بمياه الشرب كان بعد فترة قصيرة من انتقاله إلى المدينة المدوّرة، وخلاصة الخبر أنّ عمّاً للمنصور، هو عيسى بن علي^(٤) في رواية الطبري، وهو عبد الصمد بن علي^(٥) في رواية الخطيب والأوّل أرجح، شكا إلى المنصور كبر سنه وضعفه وصعوبة وصوله إلى قصره (أي: قصر المنصور المسمّى باب

(١) ابن الفقيه: بغداد مدينة السلام، ص ٢٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢٢، ط. ليدن.

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٧٨.

(٤) توفي سنة ١٦٤هـ - ٧٨٠م.

(٥) توفي سنة ١٨٥هـ - ٨٠١م.

الذهب) ماشياً، واستأذن منه أن يسمح له بركوب بعض بغال الروايا التي تخترق الرحاب وتغذي القصر بالماء، فقال المنصور، فيما رواه الخطيب: «يا ربيع! بغال الروايا تصل إلى رحابي؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: تتخذ الساعة قنى بالساج من باب خراسان حتى تجيء إلى قصري، ففعل»، ويشير الطبري فيما نقله عن خال الفضل بن الربيع، إلى أن المنصور أمر عند علمه بوصول بغال الروايا إلى رحابه بتحويل أبواب الدور إلى فصلان الطاقات بعد أن كانت تؤدي إلى الرحاب، لكنه لا يشير إلى أمره بمدقنى الساج، مع أن طبيعة الخبر تستلزمه؛ لعدم العلاقة بين تحويل أبواب الدور ووصول بغال الروايا إلى الرحاب، فهذا الخبر على الاختلاف الطفيف في رواته وأسماء شخوصه، يدل على أن بغال الروايا، المخصصة لنقل مياه الشرب، كانت تصل - قبل الحادثة المذكورة - إلى قصر المنصور، مجتازة الأبواب والفصائل فالرحبة، وهي الساحة الكبيرة التي تتوسط المدينة، وفيها قصر المنصور وجامعه، فتروي بذلك جميع الدور في الدروب والسكك.

وبينما يحدد الطبري تاريخ هذه الحادثة، سنة ١٤٦هـ - ٧٦٣م، أي: بعد بضعة شهور من انتقال المنصور إلى مدينته الجديدة، نجد أن في رواية أخرى نقلها ابن الفقيه عن الشروي^(١)، والخطيب عن أبي العيناء عن جده^(٢)، ما يفهم منه أن ذلك جرى نحو سنة (١٥٦ أو ١٥٧هـ / ٧٧٢ - ٧٧٣م)، أي: بعد عشر سنين من التاريخ المتقدم، وخلاصة ما ذكرنا أن وفداً رومياً قدم إلى بغداد في ذلك الأوان، وأخبر المنصور أن من عيوب مدينته «أن ليس لها نهر يخترقها» وأنّها بعيدة عن الماء «ولا بدّ للناس من الماء لشفاهم» فما كان من المنصور إلّا أن عمل «لها دولاباً أجرى ماء إلى القصر، فكان يخترقها حتى يوافي القصر،

(١) ابن الفقيه: بغداد مدينة السلام، ٢٨.

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٧٨.

قال: هذا يقوم مقام النهر، فلم يزل ساج ذلك النهر والدولاب يصب فيه إلى أيام محمد بن عبد الله بن طاهر (توفي سنة ٢٥٣هـ - ٨٦٧م) ثم قُلِعَ وعُطِّلَ» وإذ قرنت الرواية هذا الحادث بحادث آخر مهم، هو قيام المنصور بنقل الأسواق إلى الكرخ، خارج المدينة المدوّرة، إثر نصيحة أخرى مشابهة أسداها سفير الروم المذكور، فيكون إنشاء هذا الدولاب وما يستتبعه في حدود سنة (١٥٦هـ أو ١٥٧هـ / ٧٧٢-٧٧٣م)، وهو التاريخ الذي أمر فيه المنصور بنقل الأسواق بعد اضطراب حدث هناك^(١).

وتتفق روايات المؤرخين على جسامه هذا المشروع، فقد نقل عن عياش بن القاسم أن المنصور أمر بمد قناتين من دجلة^(٢) في حين أشار آخرون إلى كونها «قنى» دون تحديد لعددتها^(٣). ووصف المنصور لها أنها تقوم مقام نهر، يدل على أنها كانت كبيرة، عظيمة السعة، وأشار إليها بعض المؤرخين بأنها كانت نهراً^(٤). فإذا ما رأينا أن هذا النهر كان محمولاً على الخشب، ويجري على ارتفاع معين، بميل محسوب إلى الأسفل، لمسافة لا تقل عن كيلومترين^(٥)، لاحت لنا جسامه هذا المشروع، وإتقان مهندسيه في تصميمه وعمله.

بيد أن تصميم هذا المشروع وطريقة عمله إن كانت تلائم ظروف السلم،

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٧٨.

(٣) الخطيب: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٨، وابن الجوزي: مناقب بغداد، ص ١٢ (نشر محمد بهجة الأثري)، وياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٠ (ط. دار صادر، بيروت ١٩٥٥).

(٤) ابن الفقيه: بغداد مدينة السلام، ص ٢٧.

(٥) كان قصر المنصور يتوسط مدينته، وبما أن قطر المدينة كان يبلغ، في أوسط المقادير، ميل عربي، أي: ٢ كم تكون المسافة بين القصر وباب خراسان نحو كيلومتر واحد، ولا تعرف المسافة بين هذا الباب وشاطئ دجلة ومن المحتمل أن تكون مثل ذلك.

فما كانت لتلائم أيّة ظروف غير عادية، خاصة حالات الحروب والحصار التي لم تكن بعيدة عن تفكير المنصور^(١)، ذلك أنّه من اليسير على أيّ جيش غازٍ أن يقطع هذه القنى الخشبية المرفوعة، أو أن يعطلها، فيقضي على أهل المدينة عطشا، ولعل هذا ما قصده سفير الروم حين لاحظ «أن ليس لها نهر يخرقها»^(٢). فكان أن قام المنصور بتصميم مشروعه الآخر في مدّ مدينته بمياه الشرب، فيذكر الخطيب أنّه مدّ: «قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة، وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات، وجرهما إلى مدينته في عقود وثيقة من أسفلها، محكمة بالصاروج»^(٣) والآجر من أعلاها، وكانت كل قناة منهما تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والأرباض، وتجري صيفاً وشتاءً، لا ينقطع ماؤها في وقت^(٤) فهاتان القناتان كانتا مشيدين تحت مستوى سطح الأرض لا فوقها كما في المشروع الأوّل، والظاهر أنهما كانا من السعة والارتفاع ما يصلح لسير إنسان، على ما يفهم من قول المنصور: «في بنائي هذا ما إن أخذني فيه الحصار خرجت خارجاً منه على فرسخين»^(٥) وعقب ابن الجوزي على ذلك بقوله: «ولعله أشار إلى القنوات»^(٦) فيكون طول القناة التي قصدها نحو ١٢ كيلومتر^(٧).

- (١) الخطيب: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٧٧، وابن الجوزي، مناقب بغداد: ص ١٩.
- (٢) أدمج ابن الجوزي في مناقب بغداد (ص ١٢) خبري هذين المشروعين المتباينين، كما نقلهما من الخطيب، في خبر واحد، ممّا أظهر أنّ قيامه بإنشاء القناتين كان بسبب اكتشافه وصول بغال الروايا إلى قصره.
- (٣) الصاروج: النورة وأخلاطها.
- (٤) الخطيب: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٧٩، وياقوت، معجم البلدان: ج ١، ص ٤٦٠.
- (٥) الخطيب: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٧٧.
- (٦) ابن الجوزي، مناقب بغداد: ص ١٩.
- (٧) يبلغ طول الفرسخ الواحد ٣ أميال، وكلُّ ميل ١٠٠٠ باع، وكلُّ باع (٤) أذرع شرعية (الذراع ٨٧٥، ٤٩ سم) فيكون طول الفرسخ حوالي ٦ كم. فالتر هتس: المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادها في النظام المترى: ص ٩٤، (ترجمة كامل العسلي، عمان ١٩٧٠).

وأغلب الظن أن المقصود بنهر دجيل، النهر المتفرع عنه المسمّى بنهر بطاطيا، أو أحد فروعها، فقد ذكر الخطيب إنه كان لهذا النهر، أي بطاطيا، ثلاثة فروع في عهده (توفي سنة ١٤٣هـ - ١٠٧م) سمّاها أنهار الحربية، وقال: «إنّها قنوات تحت الأرض وأوائلها مكشوف» وكونها تجري تحت الأرض، يشير إلى أنّها كانت تستعمل للشرب، ولكننا لا نعلم أيّ من هذه الأنهار كان الذي مدّه المنصور؛ وذلك لأنّ مفهوم (بغداد) توسع في عهد الخطيب حتى صار يشمل منطقة تبلغ أضعاف مساحة المدينة المدوّرة^(١) وتسميتها بأنهار الحربية يعني كانت تسقي الحي الواسع الذي عرف بهذا الاسم، وكانت الحربية «محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافي وأحمد بن حنبل»^(٢) أي: إنّها كانت تقع خارج أسوار مدينة المنصور، في شمالها، حيث تلك المواضع، وليس بعيداً أن يكون نهر المنصور المذكور هو أوّل تلك الأنهار عهداً، ثمّ زيد عددها فيما بعد نظراً لعمران تلك النواحي.

أمّا القناة الأخرى الآخذة من نهر كرخايا، فمرّجّح أنّها كانت تتفرع من النهر المعروف بنهر رزين عند باب سويقة أبي الورد، فمن هناك «يحمل منه نهر يعبر على عبارة على قنطرة العتيقة ويمرّ إلى شارع باب الكوفة، فيدخل من هناك إلى مدينة المنصور، ويمرّ النهر من باب الكوفة إلى شارع القحاطية ثمّ إلى باب الشام، ويمرّ في شارع الجسر إلى الزبيدية فيفنى هناك»^(٣)، ودخول النهر من باب الكوفة، وخروجه من باب الشام يدلّ على أنّه كان يتخذ شكل زاوية قائمة تقريباً، ولكننا لا نعلم ما إذا كان قد لبث مجراه معقوداً بالصاروج والآجر على

(١) انظر عن مساحة بغداد في القرون التالية: ابن الفقيه: ص ٦٠، والخطيب: تاريخ بغداد، ج ١، ص ١١٧.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد، ج ١، ص ١١٣.

صفته في أيام المنصور؛ لأنَّ الخطيب لم يفرد به ملاحظة خاصة بهذا الشأن، في حين أفرد أنهار الحربية بملاحظته السابقة على ما مرَّ بنا.

وقد ذكر اليعقوبي أنَّ المنصور مدَّ لمدينته قناة تأخذ مياهها من كرخايا، ولم يشر إلى القناة الأخرى الآخذة من دجيل بشيء، ولكن يفهم من كلامه أنَّ عمل تلك القناة كان في أثناء بناء المدينة لغرض عمل المواد اللازمة للبناء وشرب الفعلة القائمين عليه. قال: «وعملت القناة التي تأخذ من نهر كرخايا، وهو النهر الآخذ من الفرات فأتقنت القناة، وأجريت إلى داخل المدينة للشرب ولضرب اللبن وبل الطين»^(١). ويلاحظ أنَّ أحداً من المؤرخين لم يشر إلى وجود هذه القناة في داخل أرض المدينة قبل رفع قواعدها، كما أنَّ ملاحظة السفير الرومي أنَّ «ليس لها نهر يخترقها» تكشف عن عدم وجود هذا النهر حتى بعد انتقال المنصور إليها، على أنَّ من المحتمل جداً أن يكون مجرى هذا النهر قد استغل فيما بعد بأن أنشئت فيه القناة المحكمة المذكورة.

٢- الجانب الغربي:

اتسع العمران، بسرعة كبيرة، حوالي أسوار المدينة المدوّرة، وازدادت كثافة السكان في الأحياء السكنية والتجارية الجديدة ممَّا أمر المنصور ببنائه، أو إنشاء غيره من الأمراء والقواد وعامة الناس، وتزايد السكن في الربض الكائن خارج المدينة المعروف بالكرخ، بين نهر الصراة ونهر عيسى من أنهار الجانب الغربي، فكان أن نشأت محالٌ جديدة هناك، عرف بعضها بالشرقية؛ لأنَّها شرق الصراة، في حين كانت المدينة المدوّرة في غربها. ونجد في كتب التاريخ والتراجم، والخطط خاصة أسماء أعداد كبيرة من الأحياء والسكك والأسواق والدروب ممَّا أنشئ في تلك النواحي في عهد قصير، ممَّا دلَّ على أنَّ مشكلة مياه الشرب ما لبثت أن

(١) اليعقوبي: البلدان، ص ٨ (النجف ١٩٥٧).

ظهرت، وبالسّعة نفسها، لتواجه أهل تلك المواطن الجديدة.

ويظهر أنّ حجم هذه المشكلة لم يكن بعيداً عن تقدير المنصور، مع أنّ نهرين رئيسيين، هما الصّراة وعيسى، كانا يأخذان من الفرات ويقطعان الجانب الغربي ليصبّا في دجلة، فعمد منذ إخراجهم أهل الأسواق إلى الكرخ، إلى حفر شبكة من الأنهار الصغيرة تأخذ من هذين النهرين الكبيرين وتمرّ بين الدروب والأسواق، وتسمّى بإسمائها، وبذلك أمسى لأهل الجانب الغربي نوعان من مصادر المياه، الأوّل: الأنهار الرئيسة القديمة التي كانت تحترق المنطقة منذ فترة تسبق فترة إنشاء المدينة المدوّرة، والثاني: الأنهار الفرعية الجديدة التي استحدثها المنصور على ما تقدم.

ويعدّ نهر عيسى أهم أنهار الجانب الغربي؛ لإروائه عدداً هائلاً من المحلّات والسكك، فكان يخترق أحياء الجانب الغربي السكنية، فيفضي إلى محلّة الزياتين (باعة الزيت) فباعة الأشنان وباعة الشوك، فباعة الرّمّان، ويظهر أنّ مياهه - مع اجتيازها كلّ تلك المحالّ - كانت من الاندفاع بحيث تكفي لتشغيل عدد من الأرحاء^(١)، بعدها، حتى تصبّ في دجلة أسفل قصر عيسى.

أمّا نهر الصّراة، فكان يسقي مناطق زراعية في طسوج بادوريا، قبل أن يجتاز محلّات الجانب الغربي، ويظهر أنّ هذه المحلّات لم تكن مكتظة كالتي على نهر

(١) الأرحاء جمع رحي، وهي طاحونة الماء ذات الدولاب الأفقي، وتعد أقدم آلة استخدمت فيها طاقة الماء، وفي أسفل محور الحركة يوجد دولاب مضمور في تيار الماء وعلى محيطه مجموعة من الفراشات، ويرتفع المحور للأعلى ماراً بحجر الطحن السفلي، ويرتبط المحور بالحجر العلوي ارتباطاً وثيقاً وبذلك يدور الحجر العلوي مع دوران دولاب الماء بواسطة المحور الواصل بينهما، وهذه الدواليب المائية الأفقية هي الأصل الذي تطوّرت منه العنفات المائية الحديثة. د. أحمد يوسف الحسن: تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية، (حلب ١٩٧٦)،

عيسى؛ بسبب أن المنصور جعل هذا النهر فاصلاً بين التجمعات السكنية في الكرخ وبين مدينته المدوّرة.

وبإضافة إلى هذين النهرين القديمين، فقد أمر المنصور بجرّ عدّة أنهار صغيرة من نهر كرخايا المتفرع أصلاً من نهر عيسى، لإرواء ما تكاثر عليها من دور وأسواق، فكان منها نهر الدجاج، ونهر القلائن، ونهر طابق، ونهر البزازين، وغير ذلك، فكان نهر كرخايا إذن مسقى أهل كرخ بغداد القديم من ناحية الجنوب، ومسقى المدينة المدوّرة من ناحية الشمال، إلّا أنّه في الكرخ مكشوف بفروعه المذكورة، على خلاف فرعه الذي كان يأخذ الماء إلى المدينة المدوّرة فإنّه كان معقوداً بالأجر والصاروج على ما ذكرنا.

فليس ثمة ما يدل على أنّ أنهار الكرخ هذه كانت تستعمل لغرض الشرب، ونحن نميل إلى القول إنّ هذه الأنهار كانت لأجل توصيل مياه الاستعمال اليومي، من غسيل وسقي، وربّما لتصريف المياه المستعملة أيضاً؛ إذ ليس من المتصور أن تبقى مياه هذه الأنهار نظيفة صالحة للشرب، وهي تجري في مجارٍ ضيقة مكشوفة لعوارض الطبيعة وتلويث السكان، فنهر يجري بين محلات مكتظة بباعة الدجاج والزيت والأشنان والشوك والرمان والقصابين وغيرهم من العسير التصور أنّه صالحاً للشرب، ولو تخيلنا كم من فضلات هذه المهن وقاذوراتها من ريش الدجاج وبقايا الزيوت والشوك وقشور الرمان ومخلفات النحر يمكن أن يطرح في هذه الأنهار للاح لنا ما يؤكد ما ذهبنا إليه تأكيداً تاماً، ويظهر أنّ مهمّة هذه الشبكة من الأنهار تحولت تدريجياً وخاصة في العصور العباسية الأخيرة لتمسي شبكة تصريف المياه القذرة، وسقي الزروع، وتحريك الأرحاء، وتركت استعمالها الحيوية الأخرى. وليس من شك في أنّ تحول مهمّة هذه الأنهار على ذلك النحو كان سبباً رئيسياً في ترك السكن في تلك

المحلات البعيدة عن دجلة، ثمّ خرابها. وهكذا، فإنّ حفر الأنهار الجديدة في الكرخ، واستخدام القديم منها لم يحلّ مشكلة نقل مياه الشرب إلى أحياء الجانب الغربي، كما فكّر المنصور، ولعلّه لو عقد تلك الأنهار بالآجر والصاروج، كما فعل بالأنهار التي مدّها إلى مدينته المدوّرة، لكانت قد أدّت مهمتها، وحققت الغرض من إنشائها.

٣- الجانب الشرقي:

كان الجانب الشرقي من أرض بغداد، يسقى قبل إنشاء بغداد نفسها، من مياه نهر الخالص، عن طريق شبكة متقنة من الأنهار القديمة تتوزع في مختلف أنحائه. وعندما أنشأ المهدي الرصافة، مقابل المدينة المدوّرة، من الجانب الشرقي (حدود سنة ١٥٩ هـ - ٧٧٦ م)، أصبحت بعض فروع الأنهار التي تصب هناك، تجري في وسط (الرصافة) فتخترق شوارعها وقصورها حتى تصب في دجلة، وكان أهم تلك الفروع نهر الفضل الآخذ من نهر الخالص، فمنه يتفرع نهر آخر سمّي (نهر المهدي) يسير إلى شرق الرصافة، ثمّ ينقسم هناك إلى فرعين صغيرين أولهما يصب في الجعفرية (شرقي الرصافة) وثانيهما ينحدر إلى قصر المهدي وجامعه فيجري في بركة داخل القصر ومنها ينتهي إلى دجلة^(١).

وكان اتساع بغداد جنوباً، خاصة في العهدين البويهي ثمّ السلجوقي، يزيد من أهمية الأنهار الآخذة من الخالص والمختصة بري تلك الأنحاء^(٢). وعندما تمّ عمّران الجانب الشرقي في القرنين الخامس والسادس للهجرة (١١ و ١٢ م) وتحوّلت بساكنه وجنائه إلى أحياء سكنية وأسواق تجارية ودروب، تحوّلت مهمّة تلك الأنهار من سقي الزروع إلى تيسير الحياة اليومية لسكان بغداد

(١) الخطيب: تاريخ بغداد، ج ١، ص ١١٤.

(٢) انظر أحمد سوسة ومصطفى جواد: دليل خريطة بغداد المفصّل، ص ١٠٦.

الشرقية، فكان نهر موسى يأخذ مياهه من نهر بين الكبير الآخذ من الخالص والماضي بمياهه حتى مصبها عند قرية كلواذى جنوب بغداد، ويصل نهر موسى إلى قصر (الثريا) الذي بناه المعتضد (خارج أسوار بغداد الشرقية المتأخرة) «فدخل القصر ويدور فيه ويخرج منه» فيصل منطقة مهمّة عرفت بمقسم المياه. حيث تنقسم مياهه إلى ثلاث شعب^(١)، الأول: بباب سوق الدواب، فالعلافين فيصب في نهر كان المعتضد حفره، ويمرُّ شيء منه إلى باب سوق الغنم ثمَّ إلى خندق العباس بباب المخرم ويمر في دجلة. في حين تتفرع من نهر موسى أيضاً ثلاثة فروع صغرى كانت تصب في ثلاثة أحواض بنيت في القرن الثاني للهجرة، ويمضي نهر موسى حتى قصر المعتصم، ومنه يتفرع نهر يمرُّ إلى سوق العطش حيث يفنى بعده في دار الوزير ابن الفرات، ويسقي فرع آخر منه بستان الزاهر على دجلة، ويصب - من ثمَّ - فيه.

فهذه الأنهار كما يتضح لنا كانت تستخدم لسقي الزروع والجنائن أكثر من استخدامها للشرب، كذلك أنَّ سعتها من المياه لم تكن تكفي لأنَّ تصل - في معظمها - إلى دجلة وإنَّما كانت تفنى في طريقها إليه، ممَّا دلَّ على ضيق مجاريها وقلة مائها. ويظهر أنَّ تجميع مياهها في أحواض خاصة صناعية كما مرَّ بنا، كان يهدف إلى تيسير استعمالها للشؤون اليومية، ولكننا لا نعلم نوع تلك الشؤون، أهى للشرب، أم غيره^(٢).

(١) فصل القدامى وبعض المحدثين في وصف هذه الأنهار وتنوع مجاريها وما تمرُّ به من نواحٍ، ولا يهمنها منها في بحثنا هذا إلا ما له صلة بمشكلة مياه الشرب.

(٢) أشارت المصادر إلى ثلاثة أحواض، هي حوض داود، وحوض هيلانة، وحوض الأنصار، ولكن ليست ثمة ما يدل على حجم ما تسعه من المياه، وتدل أسماء من نسبت إليهم، إلى أنَّها أنشئت في فترة لم تتجاوز أوائل القرن الثالث للهجرة (٩م) وهي المدة التي لم تكن هذه الأنحاء قد اكتفت فيها بالسكان بعد، ومن المحتمل أن تكون هذه الأحواض نوعاً من مشاريع مياه الشرب، لكننا نجهل فائدتها وطريقة عملها على وجه التحديد.

وعلى آية حال فإنَّ تسمية أحد الأسواق الكبيرة في هذا الجانب بسوق العطش، يدلُّ على أنَّ مشكلة مياه الشرب كانت من الخطورة بحيث تعجز سدها فروع نهر موسى الصغيرة الواصلة إلى تلك الأنحاء.

وثمةُ فرعان آخران من فروع نهر موسى، لهما أهمية خاصة تزايدت في العصور العباسية المتأخرة، وهما نهر المعلّى، ويمرُّ بين الدور والسكك حتى يصل قصر الخلافة المسمّى بالفردوس، فيدور فيه ويصب في دجلة، ونهر آخر في أسفله مواز له تقريباً يخترق بغداد من شمالها إلى جنوبها، حيث يدور في القصر الحسيني (قصر التاج فيما بعد) على دجلة ثمَّ يصب فيها، وكان هذان النهران يأخذان مياههما من مقسم المياه أسفل قصر الثريا المذكور.

وزادت خطورة هذين الفرعين بسبب تزايد كثافة السكان حواليهما وتكوّن الأحياء والمحلّات في القسم الجنوبي من الجانب الشرقي، حيث كانا يجريان (وهو القسم الذي استقرت عليه بغداد في العصور التالية).

وليست ثمةُ نصوص تدلُّ على أنَّ هذه الأنهار كانت تجري في قنوات معقودة بالآجر والصاروج، ومن المحتمل جداً أن تكون قد استخدمت في العصر العباسي الأوّل مورداً لمياه الشرب، عندما كانت الأرض هناك قليلة السكان، بيد أنَّنا نستبعد بقاءها كذلك في العصور العباسية المتأخرة؛ وذلك للأسباب نفسها التي قدمناها عند حديثنا عن أنهار الجانب الغربي، فكان نهر المعلّى يخترق في طريقه إلى دجلة محلّة باب أبرز، وفيها إحدى كبريات مقابر بغداد، ثمَّ قراح ظفر، وهو بستان تحوّل إلى محلّة سكنية، فسوق الثلاثاء، فدرب دينار والمنطقتان الأخيرتان من أكثر المحلّات ببغداد ازدحاماً وكثافة في السكن، وفيهما الأسواق والخانات والمتاجر ليصب بعد ذلك في دجلة عند المدرسة المستنصرية، وكان النهر الآخر يخترق قلب بغداد الشرقية، فيجتاز محلّة المختارة، فقراح ابن رزين،

وهو بستان كبير تحوّل إلى محلّة^(١)، فالمنطقة المزدهمة حوالي دار الخلافة، فدار الخلافة العباسية نفسها، ليصب عند القصر الحسني، وقصر التاج فيما بعد^(٢). وأنهار صغيرة مكشوفة تجري وسط هذا الحشد الهائل من الأحياء والدور والأسواق، لا يمكن أن تكون مياهها صالحة للشرب، وأغلب الظن أنّ مهمتها لم تكن تتجاوز كونها مصارف للمياه القذرة التي تطرحها الدور والقصور ومئات الحمامات الموجودة هناك^(٣).

٤- السقايات والسقاؤون :

إنّ تلوث مياه الأنهار المخترقة مدينة بغداد، بجانبها الشرقي والغربي، كان إحدى أهم المشاكل التي واجهتها هذه المدينة في العصور العباسية الأخيرة، ونحن نرى أنّ هذه المشكلة كانت وراء تغير حدود المساحات السكنية في خريطة بغداد إبّان تلك العصور، ففي الجانب الغربي أدّى افتقاد ماء الشرب في الأنحاء القاصية عن دجلة إلى هجرة مستمرة من تلك الأنحاء إلى المحلّات الشاطئية أو القريبة من مجرى النهر، فبادت محلات باب التبن والعتابين وباب البصرة وباب الكوفة، والتستريين والكرخ القديم وغيرها من محلات طسوجي قطربل وبادوريا الزاهرة، ليركز السكن في المحلّات الشاطئية الجديدة، مثل الرملة والقرية والنجمي والرقّة، وهي المحلّات التي كوّنت فيما بعد الكرخ الحديث، بمحلّاته المعروفة منذ العصر العثماني.

وتعرض الجانب الشرقي إلى الظاهرة نفسها، فقد تركت المحلّات البعيدة عن دجلة، كسوق العطش وسوق الدواب وغيرها، في حين توسّعت المحالُّ

(١) انظر عن زحمة هذه المحلات وكثرتها، ياقوت: معجم البلدان، مادة قراح، ج ٤، ص ٢١٥.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣.

(٣) انتقد بعض مثقفي بغداد في القرن الرابع الهجري طبقة أهل الأسواق وأرباب الحرف بأنهم يكدرون المياه. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٩٣ (القاهرة ١٩٥٦).

القريبة منه، مثل المخرم وسوق الثلاثاء وسوق السلطان ودرب دينار وحريم دار الخلافة وباب الأزج، وعلى ذلك استمرت بغداد الشرقية منذ أواخر العصر العباسي، وحتى الثلث الأول من هذا القرن.

وكان السقاؤون يقومون بسدّ حاجة أهل بغداد من المياه النظيفة نسبياً، المأخوذة من نهر دجلة مباشرة، فكان أولئك ينقلون مياه الشرب من دجلة إلى دواخل المحلات بواسطة بغال الروايا، وكانت لهم على شاطئ دجلة مشاريع مخصوصة، تسمح لهم - فيما يبدو - بأخذ الماء نظيفاً إلى حدّ ما، غير ملوّث بما يلقيه الموج على الشاطئ من شوائب وأقذار^(١).

وقد اشتهرت في بغداد الغربية، منطقة على شاطئ دجلة، قرب باب خراسان، اسمها (مشركة الروايا) بأنّها الموضع الذي ينقل منه السقاؤون الماء إلى المدينة، وكان في هذه المشركة مسجد وحمام^(٢)، وفيها دفن الإمام الأشعري سنة ٣٣٠هـ - ٩٤١م^(٣)، فنالت بذلك شهرة دامت حتى أواخر العصر العباسي^(٤). وعرفت في الجانب الشرقي مواضع نسبت إلى أهل هذه الحرفة، منها موضع اشتهر باسم (درب السقائين) كان قريباً من الشارع الأعظم^(٥).

(١) ذكر ابن بسام المحتسب أنّه: «لما كانت الأمواج تحجب الأوساخ والأقذار إلى الشطوط، وجب أن يكون السقاؤون يدخلون في الماء إلى أن يبعدوا عن الأوساخ، وألّا يستقوا من مكان يكون قريباً من سقاية ولا مستحم ولا مجرة حمام». نهاية الرتبة في طلب الحسبة: حققه حسام الدين السامرائي، بغداد ١٩٦٨، ص ٢٥.

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٤٦.

(٣) الهمداني: تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت كنعان، ج ١، ص ١٢٠، وابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ٢٢٢.

(٤) المنتظم: ج ٨، ص ١٦٩.

(٥) الجهشيارى: الوزراء والكتاب، (القاهرة ١٩٣٨)، ص ٢٨٩.



مجموعة من السقائين ببغداد في بدايات القرن الماضي. يلاحظ أن الذي على اليمين يحمل الطاسة
بيساره ويبيع الماء للأشخاص بالقرب من مدخل سوق العطارين (الشورجة) وجامع
مرجان - الظاهر في الخلف - في جادة خليل باشا (شارع الرشيد) عام ١٩١٧. وهي صورة من
أرشيف الجيش البريطاني

وتبارى السقاؤون في كل ما يتصل بنظافة مياههم، وحسن عرضها، بل عمد بعضهم إلى تطيبها بالعطور الزكية، كالمسك، لتكون أحسن مذاقاً وأطيب طعماً، من ذلك ما نقله محمد بن عبيد الله التميمي عن ذي النون، حين قال بمصر: «من أراد المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد. فقليل له: وكيف ذلك؟ فقال: لما حملت إلى بغداد رمي بي على باب السلطان مقيداً، فمرّ بي رجل متزر بمنديل ديبقي^(١) بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط، فسألت: هذا ساقى السلطان؟ فقليل لي: لا، هذا ساقى العامة، فأومأت إليه: اسقني، فتقدّم وسقاني، فشمت من الكوز رائحة مسك فقلت لمن معي: ادفع إليه ديناراً فأعطاه فأبى، وقال: لا آخذ منك شيئاً. فقلت له: لم؟ فقال: أنت أسير، وليس من المروءة أن آخذ منك شيئاً، فقلت: كل الظرف في هذا^(٢)!».

وليست لدينا معلومات توضّح ما يمكن أن تدره حرفة السقاية من مال، إلاّ أنّها كانت - كما يبدو - حرفة العوام، أو حرفة من لا حرفة له، نظراً لعدم طلبها خبرة معينة، أو رأسمال خاص^(٣). وكان السقاؤون يؤلفون صنفاً من الأصناف المهمة في التنظيم الحرفي في بغداد في العصور العباسية، ولهم ولي خاص بهم ينتسبون إليه، هو سلمان الكوفي، أو محمد بن عبد الله^(٤).

(١) الديبقي: نوع من القماش الفاخر ينسب إلى (ديبق) وهي بليدة كانت بين الفرما وتيس من أعمال مصر. ياقوت، معجم البلدان: ج ٣، ص ٤٣٨، والمنديل هنا بمعنى حزام أو منطقة. انظر دوزي: المعجم المفصّل بإسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، (بغداد ١٩٧١)، ص ٢٢٥.

(٢) ابن الجوزي: أخبار الظراف والمتاجنين، (القاهرة ١٩٧٨) ص ٣١، ومناقب بغداد: ص ٣١. (٣) عرف عن بعض أهل التصوف والزهد احترامهم هذه الحرفة، ومن مشاهيرهم الشيخ الصوفي الزاهد أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي الصديقي الشافعي (ت ٥٦٣هـ - ١١٦٧م)، فقد لبث «عدة سنين يستقي بالقرب على ظهره بالأجرة ويتقوّت بذلك ومن عنده من الصوفية». السبكي: طبقات الشافعية الكبرى (القاهرة ١٣٢٤هـ) ج ٤، ص ٢٥٦.

(٤) ابن المعمار البغدادي: كتاب الفتوة (حققه مصطفى جواد وآخرون، بغداد ١٩٦٠) ص ٩٢.

والنصوص التي توضّح طبيعة إشراف الدولة ببغداد على هذا الصنف المهم غير كافية، وإن كان مؤلفو كتب الحسبة قد قدّموا لنا معلومات ذات قيمة وبصفة عامة عن العلاقة بين الطرفين، ففرقوا بين صنفين رئيسيين يتصلان بمهنة السقاية، أوّلها: صنف السقائين، وثانيهما: صنف الروايا، وهم صانعو قرب السقائين وآلاتهم، وبينما يوصي الفريق الأوّل «بنظافة أزيارهم، وصيانتها بالأغطية، وتغطية قريهم التي يسقون منها في الأسواق بالميازر. ويمنعهم أن يسقوا بكيزانهم المجذم والأبرص وأصحاب العاهات والأمراض الظاهرة، وجلاء الكيزان النحاس كلّ ليلة وتطيب شبابيكها بشمع المسك واللادن»^(١)، الطيب العنبري وافتقاد الخوابي^(٢) بالبخور والغسل كلّ ثلاثة أيام»^(٣)، يوصي الفريق الآخر بأن: «يعرف عليهم عريفاً ثقة عارفاً، ويأمره أن يمنعهم أن يعملوا شيئاً من هذه الأوقات والآلات الحافظة للمياه التي فيها مادة الحياة إلّا من الجلود المدبوغة بالقرص اليماني التي قد استحکم دباغها وطال مكثها في الدباغ»^(٤) وشرط على عريفهم أن يتفق دكاكينهم كلّ وقت، وهذا كلّ يدلّ على إدراك الدولة خطورة هذه الحرفة لتأثيرها الشديد على صحة الناس.

وتفيدنا كتب الفقه بأن الحصول على الماء النقي الصالح للشرب، لم يكن ميسراً للفقراء في معظم الأحوال، فقد تشدد نفر غير قليل من الفقهاء في التأكيد على أن مياه السقايات العامة هي لهم أساساً دون الأغنياء^(٥)، ممّا دلّ على صعوبة

(١) اللادن: نبات تستخرج منه مادة زكية الرائحة.

(٢) الخوابي: القرباب.

(٣) ابن بسام: نهاية الرتبة، ص ٢٥-٢٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٠٣.

(٥) انظر محمد بن ولي القرمشيري الأزميري: رسالة في شؤون السقايات ووقفها (مخطوط في المكتبة القادرية ببغداد)، الورقة ٦ و ٨.

حصول الطبقات الفقيرة على مياه الشرب عن طريق الشراء كما يفعل أهل الغنى واليسار.

لذا فقد عمد الخلفاء وبعض الموسرين وأهل الخير منذ أواخر العصر العباسي إلى إنشاء عدد من السقايات العامة في المواضع المهمة من بغداد^(١)، ووضع الفقهاء لهذه المنشآت المفيدة قواعد قانونية تنظم أمور وقفها، وضمان إيصال الماء لها بطريق الإجارة، ووضع الأواني والكيّزان عندها، وضمانها إذا كسرت، إلى غير ذلك من أمور^(٢).

ومع أهمية هذه المرافق الحيوية في حياة مدينة كِبغداد، فإنّنا لم نعثر إلّا على وصف القليل منها، ويظهر أنّ معظمها كان يعتمد على السقائين أيضاً، يملؤون أحواضها كل يوم بأجر معلوم، بيد أنّ هذا لا ينفي اعتماد بعضهم طرقاً هندسية متقنة، والأخبار القليلة التي وردت عن هذه السقايات تفيد أنّها كانت تأخذ مياهها من دجلة عن طريق قنوات تحت الأرض، ولكن ليست ثمة معلومات عن طريقة عملها، والأسلوب المتبع في إنشائها، وقد سبق أن ذكرنا أنّ قنوات المنصور كانت - فيما روته المصادر - مبنية على شكل عقود وثيقة من أسفلها، محكمة بالصاروج، وأنّ إشارات مختلفة تدلّ على اتباع هذه الطريقة في بناء

(١) ذكر بعض الكتّاب أنّ عدد سقايات بغداد بلغت في آخر العصر العباسي (١٠٢٥) سقاية من النوع المسمّى (مَزَمَلات سبيل) اعتماداً على إحصاء نقله الآب أنستاس ماري الكرملّي من كتاب الدر المكنون لياسين العمري الموصلّي ونشره في مجلّة المشرق، مج ٤، (بيروت ١٩٠٨)، ص ٢٠٤، وأعيد نشره في دليل خريطة بغداد المفصل للدكتورين أحمد سوسة ومصطفى جواد، ص ١٩٤، وعند رجوعنا إلى مخطوطة الدر المكنون (نسخة باريس ٤٤٤٩) تبين أنّ مصدر هذا الإحصاء هو ابن الجوزي في بعض كتبه، وأنّه يخصّ مدينة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ لا بغداد، وأنّ العدد الصحيح لسقايات الموصل هو (١٢٥) لا (١٠٢٥) كما تسرّبت أخطاء مشابهة لمفردات الإحصاء الأخرى.

(٢) الأزميري: المصدر السابق، الورقة ٧.

الأنفاق تحت الأرض بوجه عام^(١).

ومن ناحية أخرى، فإنَّ الكرخي^(٢) وصف، فيما رآه من (حال العراق) طريقة توصيل المياه إلى المواضع البعيدة بواسطة استخدام (البرابخ) وهي أنابيب الفخار المتألّفة من قطع عديدة، توصل ببعضها بطريقة محكمة، ويبدو أنَّ هذه الطريقة كانت أكثر اتباعاً في شؤون السقايات، نظراً لقلّة كلفتها، وسهولة مدّها^(٣).

وتختلف أطوال هذه القنوات بحسب بُعد السقاية عن شاطئ دجلة، ويظهر أنَّ إنشاءها كان يجري وفق خطة هندسية وقياس دقيق لمستوى ارتفاع الأرض^(٤) حتى يكفل ذلك للماء الخروج من السقاية على هيئة فوارة متدفقة - على ما وصفها المؤرخون -، ويزداد إدراكنا لصعوبة العمل إذا لاحظنا أنَّ مستوى

(١) ومن تلك الأنفاق المعروفة، نفق كان يصل بين قصر الشريا (موقعه خارج سور بغداد الشرقية المنشأ بعده) وقصر التاج على شاطئ دجلة، وبينهما مقدار ميلين على ما قدّر ياقوت، بناء المعتضد. ياقوت، معجم البلدان: ج ٣، ص ٧٧. ومن ذلك ما رواه لي السيد عبد الهادي المختار، من أنَّه عثر أيام كونه مديراً للمدرسة المأمونية القديمة (في الميدان) على نفق معقود بالآجر والنورة، عريض عالٍ، ظاهر القدم، عند حفر (بالوعة) للمدرسة، وهو يتّجه مشرقاً إلى موقع مدخل شارع الرشيد تقريباً ولكن ظروف العمل المسرعة أدّت إلى ردم هذا الجزء منه، فضاعت آثاره.

(٢) محمد بن الحسن الحاسب الكرخي: أنباط المياه الخفية (حيدر آباد الدكن ١٣٥٩)، ص ٢٢.
(٣) ذكر الكرخي أنَّ: «البرابخ تنصب في الماء لأمرين: إمّا أن تكون ساقية ناشئة له بمحق (كذا) الماء أو لصيانتة من حلول النجاسات فيه إذا كان جريه على وجه الأرض في ساقية غير قعيرة ما بين العمارة».

(٤) وهو ما تعرفه كتب التراث العلمي العربي بوزن الأرض، ويعرفه المسّاحون المحدثون بـ (التسوية) ويريدون به أعمال رصد ارتفاعات الأراضي، وذلك بالنسبة لمستوى سطح البحر أو لنقطة معينة على الأرض. وعرفه الكرخي بأنّه: «معرفة مقدار صعود مكان على مكان بينهما بُعد قليل أو كثير، وعلم ذلك بالموازين». أنباط المياه الخفية: ص ٢٥-٥١.

الأرض ببغداد الشرقية لم يكن على ارتفاع واحد، فهو في الجنوب يقل ارتفاعاً كلما شَرَّقَ مبتعداً عن شاطئ دجلة^(١). وهذا يسهّل مهمّة مدّ القنوات تحت الأرض أو فوقها وانسياب الماء فيها إلى أيّ بُعد مطلوب، بيد أن الأمر في المناطق الوسطى والشمالية من المدينة أكثر صعوبة، حيث يزداد مستوى الأرض ارتفاعاً كلما اتجه شرقاً (وهو أمر يؤكده انسياب فرعي نهر بين الآخذ من الخالص من الشرق إلى الغرب وصبهما عند قصر التاج، والمدرسة المستنصرية). وإذا لم يصلنا خبر الطريقة الهندسية المتبعة في إيصال مياه الشرب من دجلة إلى تلك المناطق المرتفعة، فليس لنا إلّا أن نستدل من أوصاف سقايات بغداد في العصر العباسي، إلى أن الأمر كان يجري على أساس الزيادة في علو مأخذ القناة من الدولاب الذي يمدّها بالماء، إلى حدّ يعلو على ارتفاع الأرض المنشأة فيها السقاية، فينبثق الماء من نهاية القناة عند السقاية، بقوة عمود الماء النازل في الطرف الآخر من القناة عند مأخذها من النهر.

وهذا ما يفسر ابتكار المهندسين البغداديين في العصر العباسي الأخير، دواليب متعدّدة العلو، تستطيع إصعاد الماء إلى علو شاهق، يبلغ أربعة أضعاف ما يستطيع إصعاده دولاب واحد (لاحظ ما سيأتي عن سقاية دار الخلافة).

ومن الطبيعي أن يمكن نزول الماء من هذا العلو وصوله إلى أيّ نقطة في المدينة مهما ارتفع مستوى أرضها، لينبثق من سقايتها باندفاع على هيئة (الفوارات) المذكورة آنفاً، على حسب قاعدة (الأواني المستطرقة). (أنظر الشكل ١ و ٢).

وعلى أيّة حال، فإنّ وصف دواليب دار الخلافة العباسية ببغداد يقدم احتمالاً قوياً بأنّه كانت ثمة وسائل متنوعة لرفع المياه وتوزيعها ليست معروفة لنا الآن.

(١) يبلغ ارتفاع مستوى الأرض عند مدخل شارع الكيلاني في السنك (قرب نهر دجلة) ٤٥, ٣٥ متر فوق مستوى سطح البحر، وارتفاعه عند نهايته (عند السدة الشرقية) ٦, ٣٢.

وفي الحقيقة فإنَّ معلوماتنا عن الوسائل الميكانيكية التي كانت تتبع في تزويد تلك المنشآت الحيوية بالماء ليست كافية لدراستها من هذه الناحية^(١).

فمن السقايات العامة التي أنشئت في العصر العباسي، نذكر:

(١) اهتم المهندسون العرب بابتكار أو تطوير طرق ميكانيكية متقنة لرفع المياه بالكميات الكافية والسرعة الكبيرة، وصمّموا أنواعاً بارعة من الآلات الخاصة بهذه الأمور، بلغ بعضها شأواً بعيداً من الإتقان في الصنعة، والبراعة في التصميم، ممّا سجل أحياناً سبقاً علمياً لهم في هذا المضمار، تقدموا به علماء أوروبا بشوط غير يسير، مثل اختراعهم المضخة ذات الاسطوانتين وذات الاسطوانات الستة، والمضخة الحلزونية. وبما أنّ تصميمات هذه الآلات كانت ممّا حفظته لنا كتب التراث العلمي العربي، ولعلّ من أهمها كتاب ابن الجزري المعنون (الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل) وكتاب تقي الدين محمد بن معروف المعنون (الطرق السنية في الآلات الروحانية) فقد ساد الأوساط العلمية اعتقاد بأنّ هذه الآلات المتقدمة لم تخرج من نطاق النظرية إلى واقع التطبيق، إلّا أنّه عُثر أخيراً على آلة ما تزال في حالة جيدة تقوم برفع الماء من نهر يزيد إلى المسجد والمارستان القيمري (في سفح قاسيون بدمشق) وهي مبنية على أساس بعض التصميمات المعقدة لكتاب ابن الجزري، فأثبت ذلك أنّ عبقرية المهندسين العرب لم تكن حبيسة الكتب والمعرفة النظرية حسب، وإنّما وجدت لها تطبيقات عملية نافعة في الحياة العامة. وليس ببعيد أن يكون بعض تلك الآلات التي وصفها مؤلفو الكتب المذكورة، وجد طريقه إلى التنفيذ في بغداد، وهي حاضرة العالم الإسلامي، وعباءة الخلافة العباسية، إلّا أنّ زوال تلك المشاريع منذ عهود بعيدة، وعدم تفصيل المؤرخين في شأنها، يجعل من المتعذر تصور طريقة عملها من الناحية الفنية، وإن كان من المحتمل أنّها من نوع السواقي (أي: المضخات ذات الزناجير والدلاء) المعروفة والمنتشرة في العالم الإسلامي، وهي التي تدور بواسطة الحيوانات وليس بقوة الماء. نشر د. أحمد يوسف الحسن الفصل الخاص بالآلات المائية من كتاب ابن الجزري في مجلّة تاريخ العلوم العربية التي يصدرها معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، (مجلّد ١ عدد ١) أيار ١٩٧٧، ص ٢٠-٤٠. ونشر كتاب تقي الدين مع دراسة تحليلية بعنوان (تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية، حلب، ١٩٧٦).

١ - سقاية الراضي:

أنشأ هذه السقاية الخليفة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ / ٩٣٤-٩٤٠م) في جامع المنصور في المدينة المدوّرة بغربي بغداد، ولا نعلم ما إذا كان ثمة اتصال بينها وبين تلك القنوات التي كانت تنقل الماء تحت الأرض إلى قصر المنصور في العهد الأوّل للمدينة، وأوّل إشارة إلى هذه السقاية ما جاء في حوادث غرق بغداد سنة (٥٦٩هـ-١١٧٣م) فقد ذكر ابن الجوزي أنّ المشرف على البيمارستان العضدي اضطر إلى أن يبعث المرورين إلى «سقاية الراضي بجامع المنصور»^(١) وآخر إشارة إليها ما جاء في ترجمة الشيخ عبد الله الرومي الحنفي سنة (٦٠٦هـ-١٢٠٩م) قال ابن الساعي البغدادي في ترجمته: «شيخ زاهد عابد منقطع في سقاية الراضي بالله بجامع المنصور»^(٢)، وهذه النصوص توحى للمرء باتساع السقاية المذكورة بحيث يمكن أن تتخذ مأوى للمرضى، ومتعبداً للزهاد، وأنها استمرت قائمة بمهمتها في إرواء أهل تلك الناحية مدة لا تقل عن ثلاثة قرون.

٢ - سقايات جامع الرصافة:

كانت هذه السقايات في طريق جامع الرصافة، في أعلى بغداد الشرقية، أشار إليها هناك أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي (ت ٥١٣هـ-١١١٩م) عند وصفه أحياء الجانب الشرقي من بغداد، وما فيها من القصور والدور والدروب والأسواق، في حديث طويل، منه قوله: «ثمّ سوق الرصافة وجامع الرصافة ودرب الروم، وشارع عبد الصمد، والسقايات العجيبة في طريق الجامع ذات الأجراس الكثيرة»^(٣).

(١) المتنظم: ج ١٠، ص ٢٤٥.

(٢) الجامع المختصر في عيون التواريخ وأعين السير، ج ٩ (بتحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٩٣٤)، ص ٢٤٥.

(٣) ابن الجوزي، مناقب بغداد: ص ٢٦. ولا ندري أيّة علاقة بين السقايات والأجراس، ولعل

وبما أننا لا نعلم طريقة عمل هذه السقايات، فليس بالإمكان تصوّر وجه العجب فيها، وليس في النص المقدّم ما يفيد تاريخ إنشائها أوّل مرّة.

٣- سقايات جامع القصر:

أنشأ هذا الجامع الخليفة المكتفي بالله أثناء فترة حكمه (٢٨٩-٢٩٥هـ / ٩٠٢-٩٠٨م) فكان ثالث الجوامع ببغداد، بعد جامع المنصور في المدينة المدوّرة وجامع المهدي في الرصافة. ثمّ تولّاه بالإصلاح والتوسيع الخلفاء من بعده لاتصاله بدار الخلافة العباسية من جهة، ووقوعه في قلب بغداد الشرقية من جهة أخرى^(١).

وفي النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة (١١م) أنشأ الوزير أبو نصر محمد بن جهير، فخر الدولة^(٢)، سقاية في هذا الجامع «وأجرى فيها الماء من داره في قنى تحت الأرض، وجعل لها فوارات فانفع الناس بذلك منفعة عظيمة»^(٣). وقد ذكر المؤرخون أنّ دار الوزير ابن جهير كانت تقع في محلّة باب المراتب^(٤)، في أسفل حريم دار الخلافة، على شاطئ دجلة^(٥)، فيكون مأخذ هذه القنى من

ذلك من قبيل الطرق التي شرحها تقي الدين في كتابه (الطرق السنية في الآلات الروحانية) عند وصفه مجموعة من (الفوارات) المائية، ذات تصميمات تصدر أصوات (الزمر الدائم والنقارات). تقي الدين: المصدر السابق، الباب الرابع، ص ٢٩-٤٨.

(١) عماد عبد السلام رؤوف: جامع الخلفاء قديماً وحديثاً، مجلّة الرسالة الإسلامية، ج ٢، ص ٧٠-٧٨.

(٢) تولى الوزارة للقائم والمقتدي في السنوات ٤٥٠ و ٤٥٤ و ٤٦٠-٤٦٧هـ. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة (القاهرة ١٩٥١) ص ٩.

(٣) المنتظم: ج ٩، ص ٣.

(٤) وموقع هذه المحلّة اليوم في أرض شريعة السنك وحواليها.

(٥) استملك هذه الدار السيدة بنفشاً حظية المستضيء بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ) المتوفاة سنة

(٥٩٨هـ-١٢٠١م)، ثمّ حوّلتها لتكون مدرسة للحنابلة، وافتتحتها سنة (٥٧٠هـ-١١٧٤م)، وكان أوّل من تولى التدريس بها أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ-١١٧٤م)، وكان أوّل من تولى التدريس بها أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ-١١٧٤م).

الشاطيء المذكور، في موضع يبعد بما يزيد على كيلومتر واحد، عن مصبها في الجامع، والظاهر أنَّ مدّها لتصل شاطيء دجلة مباشرة، في أقرب مسافة بين الجامع والشاطيء على خط مستقيم، كان يعد من الأمور المتعذرة أو العسيرة، بسبب وقوع قصور دار الخلافة في هذه المنطقة، وإشغالها طراز دجلة الشرقي، فلم يكن بالإمكان إذن مدُّ هذه القنى إلا من منطقة أقل ازدحاماً في السكن، هي باب المراتب، حيث تنتهي قصور الخلافة ومرافقها.

ولقد استمرت هذه السقاية تؤدي عملها زمناً طويلاً مع موقعها البعيد عن مصدر مياهها، وطول القنوات التي تمدها بالمياه من دجلة، فوصف الرحالة ابن جبير هذا المشروع المهم بعد قرابة قرن من الزمن بقوله: «جامع الخليفة»^(١) متصل بداره^(٢)، وهو جامع كبير وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة مرافق الوضوء والطهور»^(٣).

وفي سنة (٦٣٥هـ - ١٢٣٧م) أمر الخليفة المستنصر بالله بإنشاء سقاية أخرى في جامع القصر، وكانت هذه السقاية الجديدة تأخذ مياهها من (حباب) تملأ بالماء في مواعيد منتظمة، والظاهر أنَّ قنوات الوزير ابن جهير الأرضية لم تعد تكفي لإيصال مياه الشرب والوضوء والغسل للجامع المذكور، فاستعين بهذا المشروع الجديد لسدِّ الحاجة المتزايدة. قال صاحب كتاب الحوادث في حوادث

١٢٠٠م). انظر كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي (بغداد ١٩٦٦) ص ١٨٤ - ١٩٠.

(١) تسمية جامع القصر بجامع الخليفة متأخرة نسبياً، وفي العصور الأخيرة شاعت تسميته بجامع الخلفاء، ثمَّ عرف بين العامة باسم جامع سوق الغزل، حتى أزالته عند فتح شارع الجمهورية سنة ١٩٥٧، وقد قامت (الأوقاف) أخيراً بإنشاء مسجد جامع كبير حوالي مئذنته القديمة (وهي كلُّ ما تبقى منه) وأطلقت عليه اسم جامع (الخلفاء).

(٢) يريد بدار الخلافة العباسية وفيها قصور الخلفاء.

(٣) رحلة ابن جبير: (بغداد ١٣٥٦هـ)، ص ١٨٢.

السنة المذكورة: «وفي آخر شعبان، انتهى من عمارة باب جامع القصر ممّا يلي الرحبة، وفتح، وفتحت المزمّلة^(١) التي عملت بالجامع المذكور أيضاً»^(٢).

يتضح لنا ممّا تقدم أنّ جامع القصر احتوى لأهميته على عدّة سقايات كبيرة، لا سقاية واحدة، وأنّ بعض تلك السقايات كان يأخذ مياهه من دجلة بطرق هندسية، والبعض الآخر يأخذها بالطرق الاعتيادية، وقد لاحظ الرحالة المغربي ابن بطوطة ذلك عند زيارته بغداد سنة (٧٢٧هـ - ١٣٢٦م) فقال: «وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة أحدها جامع الخليفة، وهو المتصل بقصور الخلفاء، ودورهم، وهو جامع كبير فيه سقايات، ومظاهر كثيرة للوضوء والغسل»^(٣).

٤- سقاية دار الخلافة:

من المشاريع الهندسية البديعة التي شهدتها بغداد في أواخر القرن السادس للهجرة (١٢م)، أنشأتها السيدة بنفشانت عبد الله الرومية حظية الخليفة المستضيء (توفيت سنة ٥٩٨هـ - ١٢٠١م). وكانت تأخذ مياهها بطريقة فريدة، لم يرد ما يشبهها في غيرها من السقايات المختلفة وقد وصف ابن الساعي البغدادي هذا المشروع بأنّه: «أربعة دواليب، تستقي الماء من دجلة إلى دار الخلافة المعظمة، كلّ واحد منها أعلى من الآخر، فيأخذ الأوّل من دجلة، والثاني من الأوّل، والثالث من الثاني، والرابع من الثالث»^(٤)، وقد بحثنا في كتب الآلات المائية، على ما

(١) انظر ما تقدم عن معنى هذا اللفظ.

(٢) كتاب الحوادث المسمّى بـ (الحوادث الجامعة) تحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ، ص ١٠٢.

(٣) رحلة ابن بطوطة (القاهرة ١٩٢٨) ج ١، ص ١٤٢.

(٤) ابن السامي: جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، القاهرة، ص ١٢٦.

ينطبق عليه هذا الوصف، فلم نعثر على بغيتنا، وإنشاء مثل هذا المشروع يستلزم بناء دار عالية ذات أربعة طوابق، في كلّ منها دولا ب يدور. ولا نعلم وجهاً لإيصال الماء إلى هذا الارتفاع الشاهق، سوى الاستفادة القصوى من ضغط الماء النازل لإحداث فوارات عالية (شاذروانات) وإيصال المياه إلى مواضع مختلفة من دار الخلافة العباسية، على ما أشرنا إليه من قبل. (انظر الشكل ١ و ٢).

٥- سقاية تربة أحمد بن حنبل بالجانب الغربي:

أنشأ هذه السقاية سنة (٦٣٤هـ-١٢٣٦م) الخليفة المستنصر بالله، إظهاراً لتأييده لمذهب الحنابلة الذي كان يميل إليه^(١). ويفهم ممّا ذكره صاحب كتاب الحوادث أنّ أخذ السقاية للماء اعتمد على طريقة السقّائين، لا على حفر القنوات أو رفعها، قال في حوادث السنة المذكورة^(٢): «وفيها أمر الخليفة بعمل مُزَمَّلة عند قبر الامام أحمد بن حنبل لأجل الزوار والواردين فلما تكامل بناؤها فتحت، وجعل فيها الحباب ومُلئت من الجلاب. ورُتّب فيها قِيم يقوم بمصالحها، ونظم الشعراء في ذلك قصائد، منها ما قاله جعفر بن مهديوه الكاتب من قصيدة يمدح بها الخليفة:

وقبر أحمد قد طرز بحلية زينت منه مبانيه»

٦- سقاية المدرسة المستنصرية:

احتوت المدرسة المستنصرية منذ افتتاحها سنة (٦٣٠هـ-١٢٣٢م) على سقاية تزود طلبتها ومدرسيها والقائمين عليها وغيرهم بمياه الشرب والوضوء، وكان

(١) دفن أحمد بن حنبل في مقبرة باب حرب، وهي من أشهر مقابر بغداد في العصور العباسية، وكان موقعها في خارج عمارة البلد، إلى الشمال من مقابر قريش (الكاظمية)، وقد زال قبر ابن حنبل نتيجة لتحويل نهر دجلة مجراه.

(٢) الحوادث: ص ٩١.

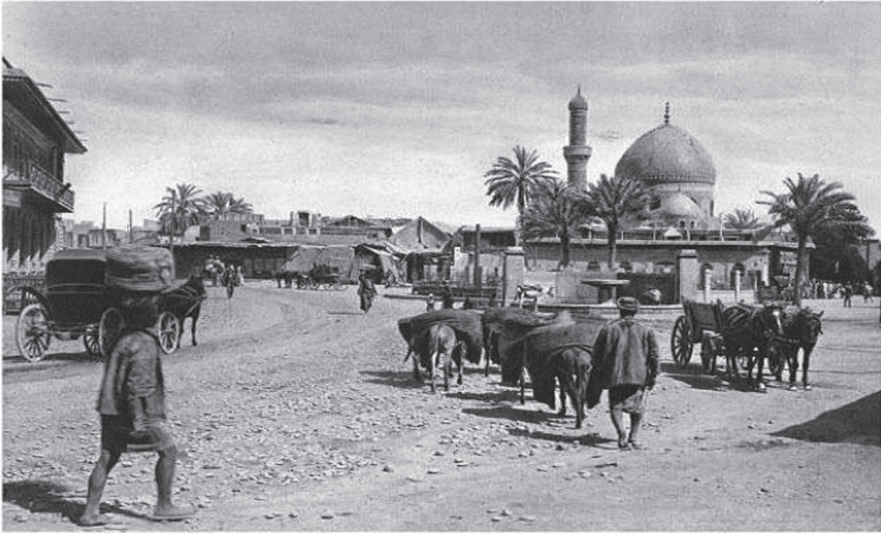
لهذه السقاية موظف خاص، يسمّى «مُزَمَّلَاتي» نسبة إلى «المُزَمِّلَة» وهي حِباب الماء المخصصة للشرب، فقد ورد في شروط الخليفة المستنصر على مدرسته، أنّه شرط أن يكون فيها (مُزَمَّلَاتي)، وقرّر له ما لغيره من الجرايات والمشاهرة^{(١)(٢)}.

ويفهم ممّا جاء في ترجمة ابن الحشاش، أنّه كان للمُزَمَّلَاتي هذا مظهرٌ يوحي بالهيبة، وأنّ راتبه كان يبلغ خمسة دنانير كلّ شهر. حكى شمس الدين الجزري أنّه: «دخل بغداد، ودخل المستنصرية، فشرّب من المُزَمِّلَة، فلمّا فرغ، قال للذي فيها، وكان عليه بزة: حاشاكم، أو ما هذا؟ فقال شخص: لا تقل له هكذا، هذا له خمسة دنانير على سقي الناس، أو ما هذا معناه»^(٣).

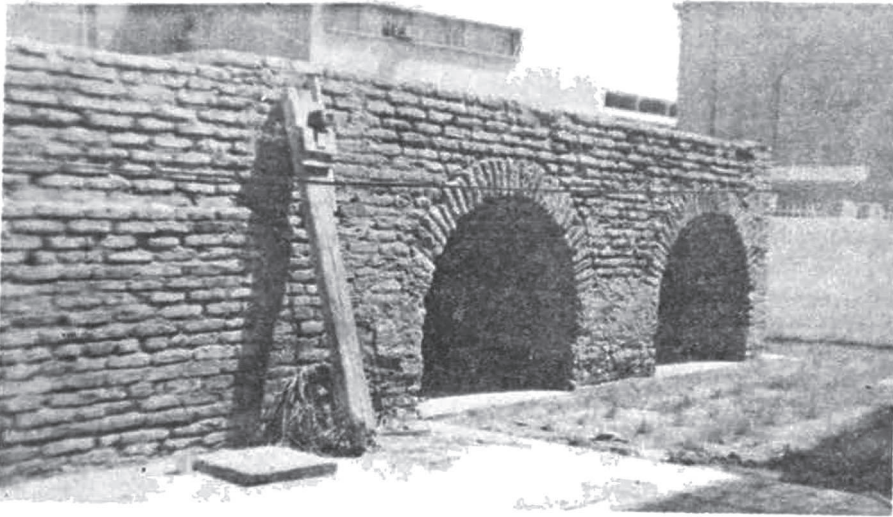
(١) ابن الساعي: التاريخ المرتب على السنين، في مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلّد ٤، ج ١، ص ٤٢، عام ١٩٢٤.

(٢) الجراية: ما يجري على أرباب الوظائف من المواد العينية، كالخبز والسمن وغيره، والمشاهرة راتبهم الشهري.

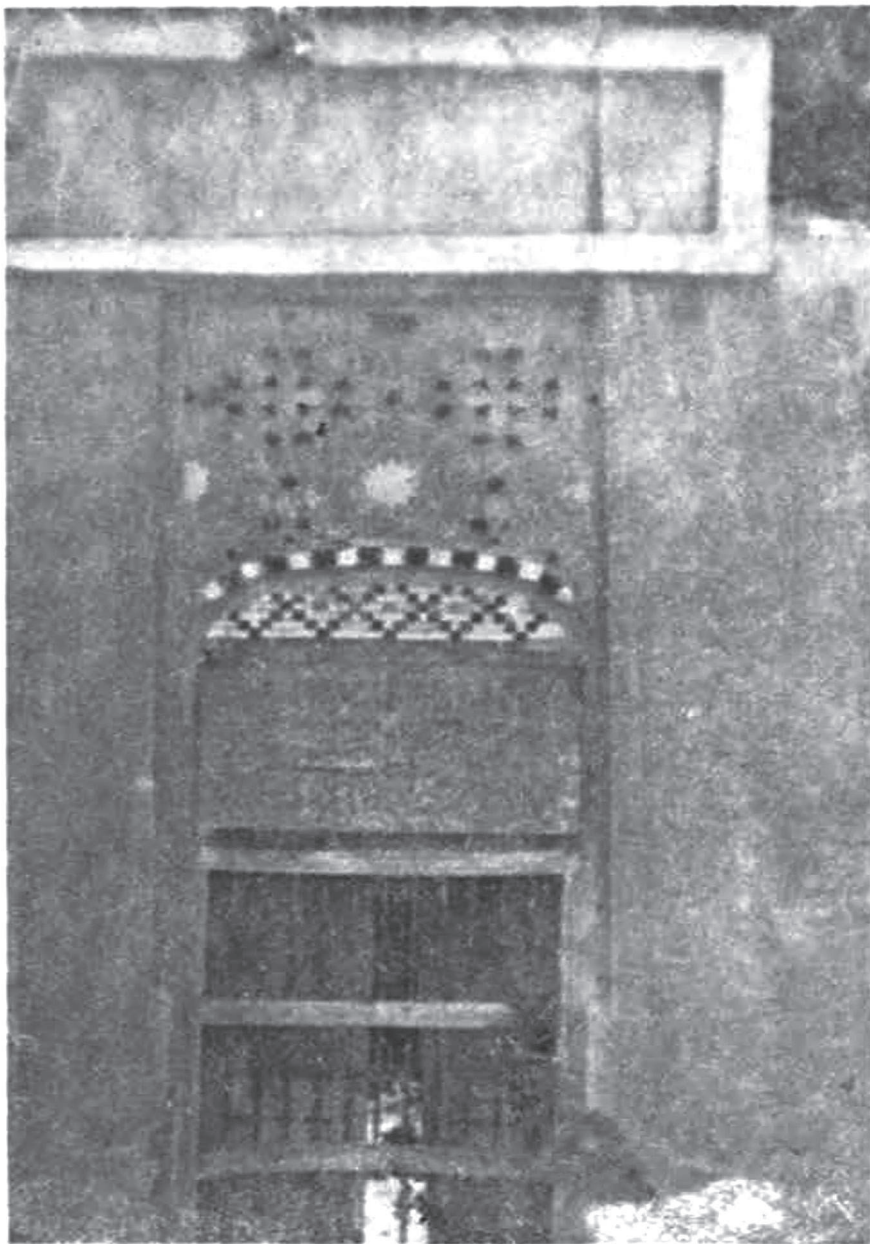
(٣) التقي الفاسي: منتخب المختار من تاريخ ابن رافع السلامي المذيل به على تاريخ ابن النجار (نشره عباس العزاوي، بغداد ١٩٣٨)، ص ٢١٣.



الصورة (١) الميدان ببغداد في مطلع القرن العشرين وتظهر فيه سقاية شوكت بك



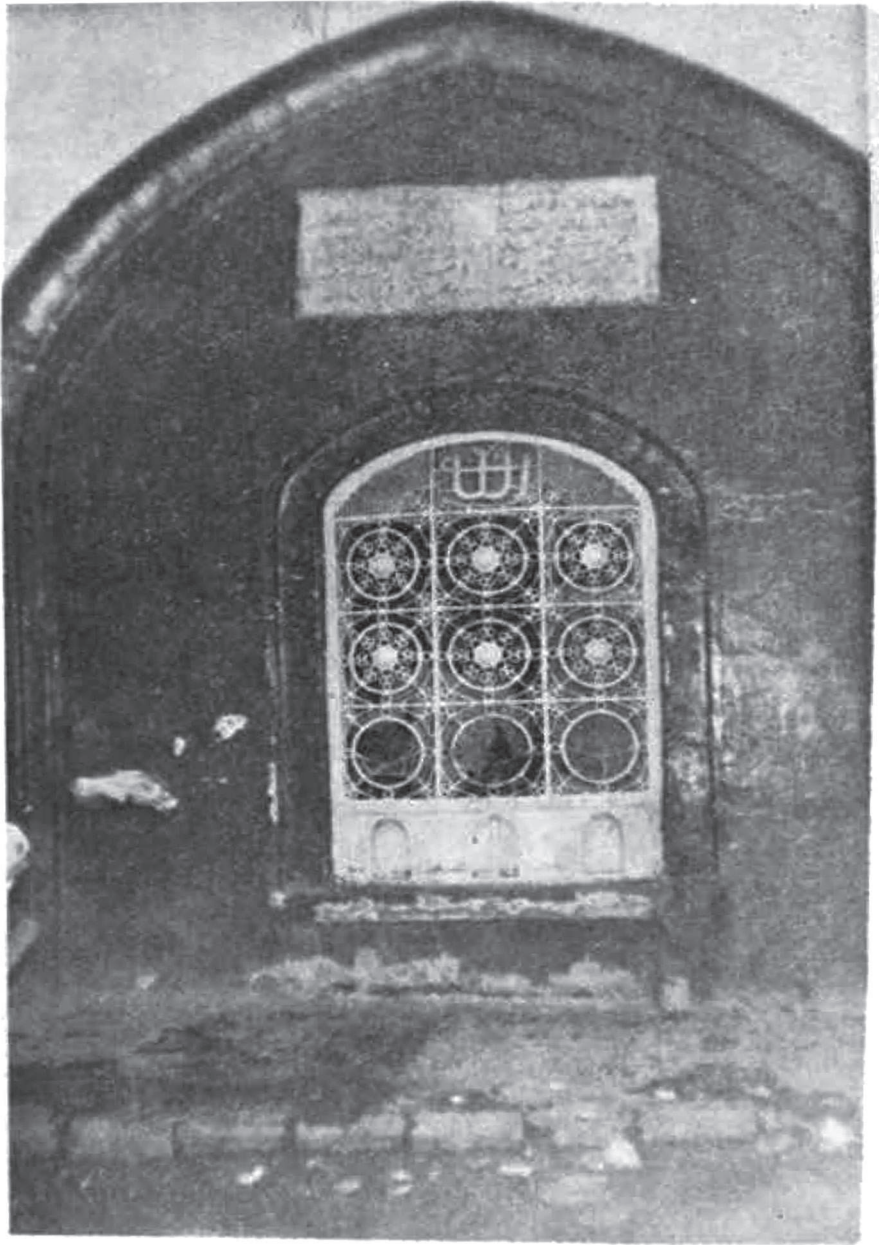
الصورة (٢) جانب من قناة الشيخ عبد القادر الكيلاني



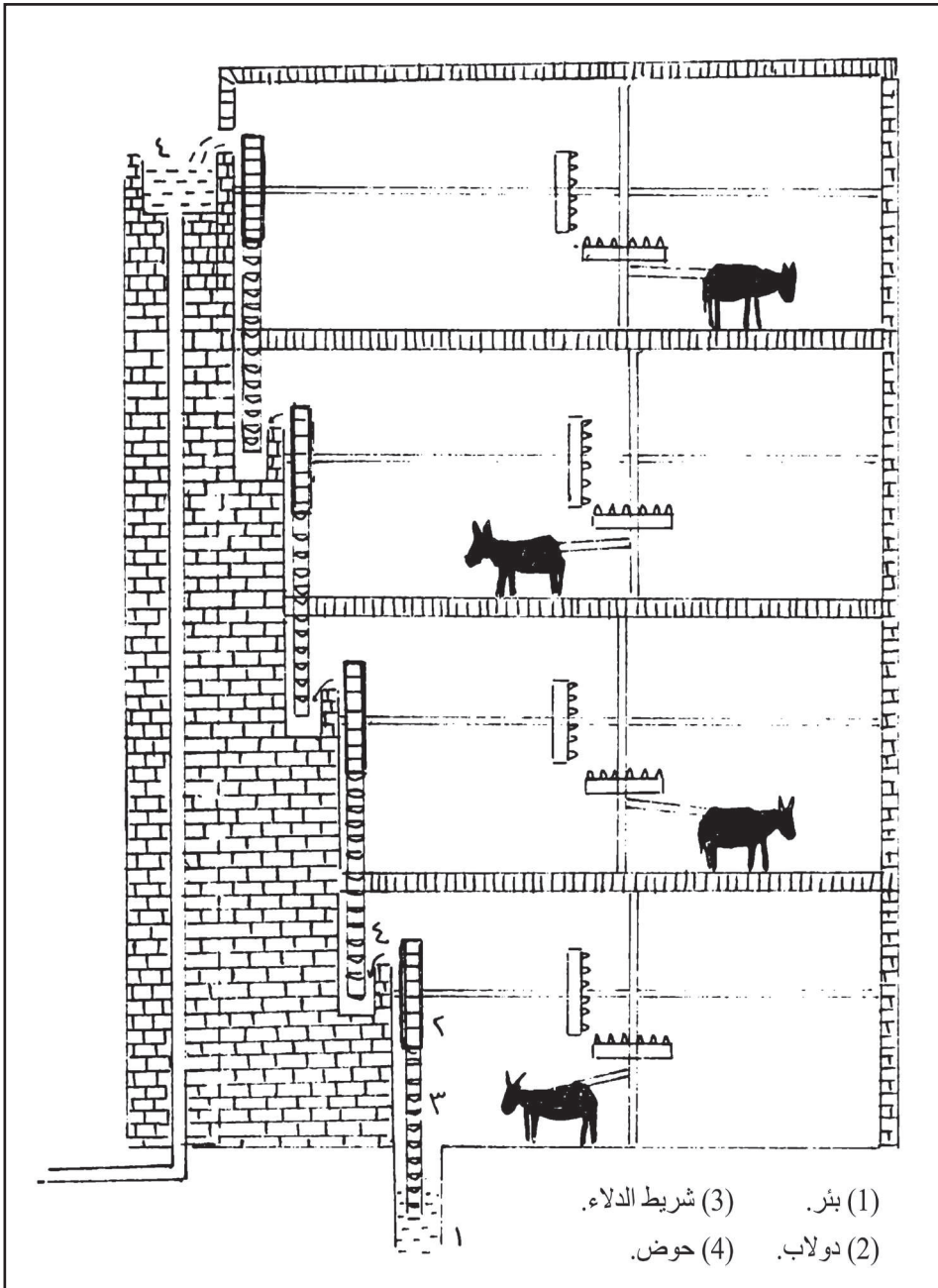
الصورة (٣) سقاية جامع النعمانية



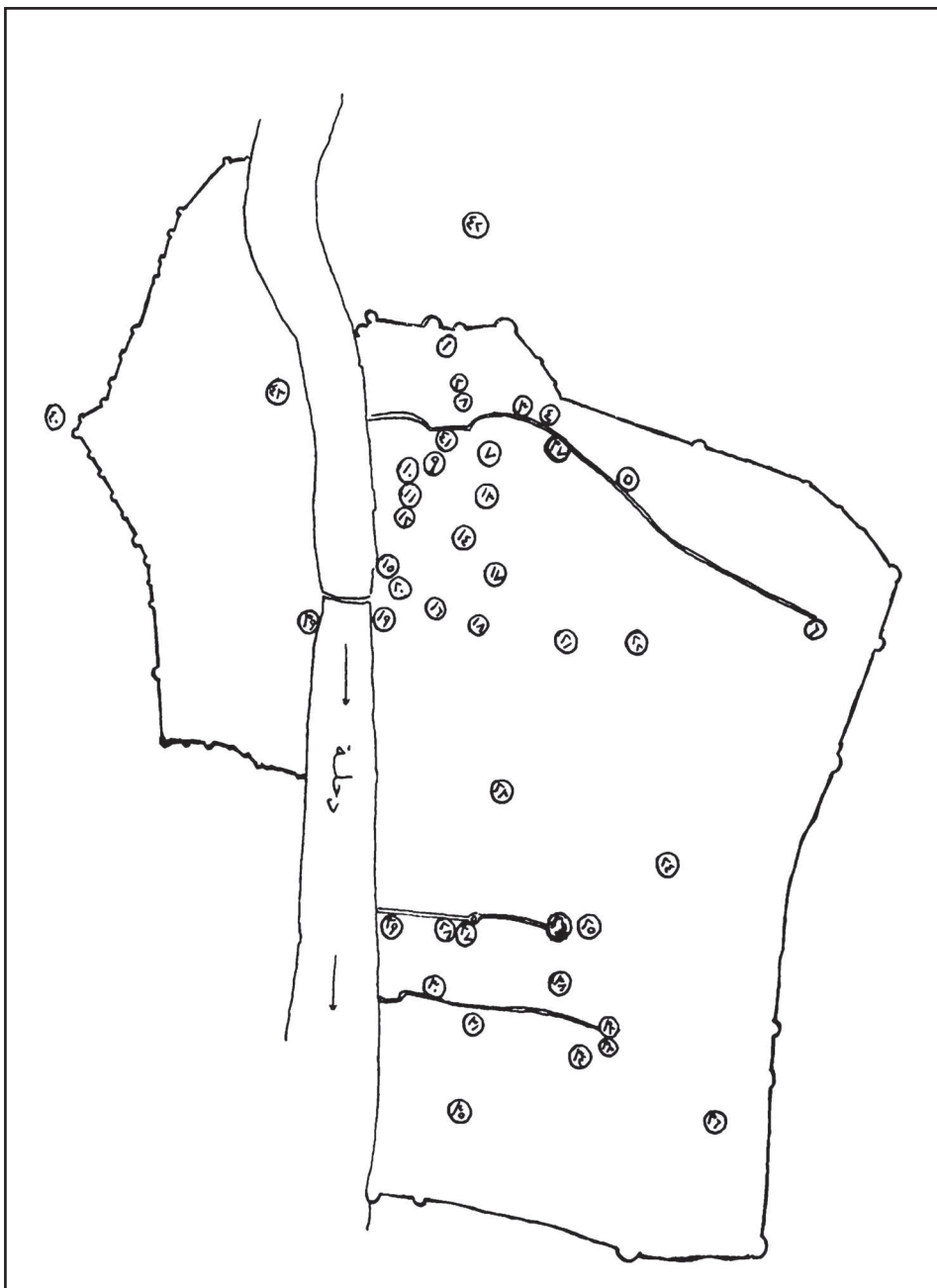
الصورة (٤) لوح رخام مكتوب على سقاية صبغة الله الحيدري، وفيه اسم المنشئ وتاريخ إنشاءها سنة ١٢٦٧هـ



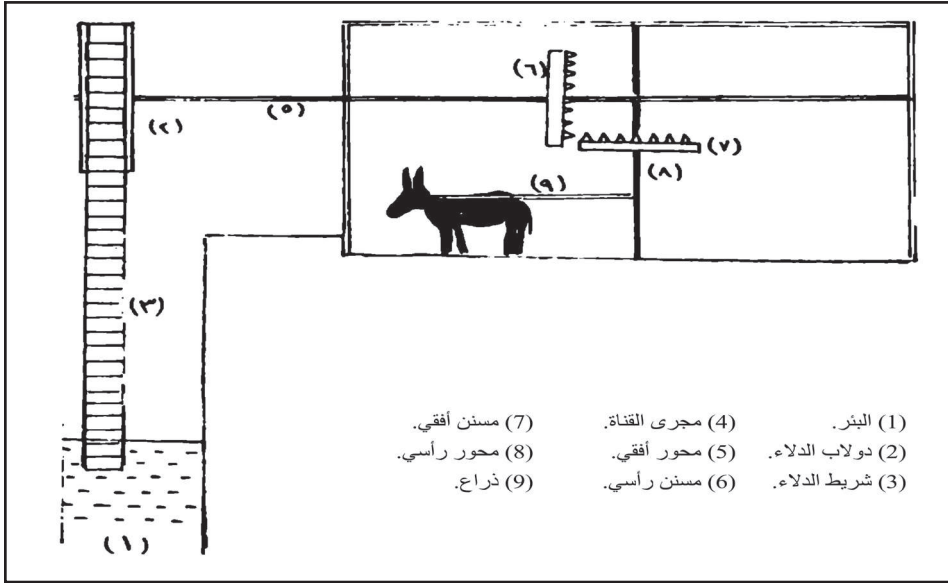
الصورة (٥) سقاية السيد سلمان القادري



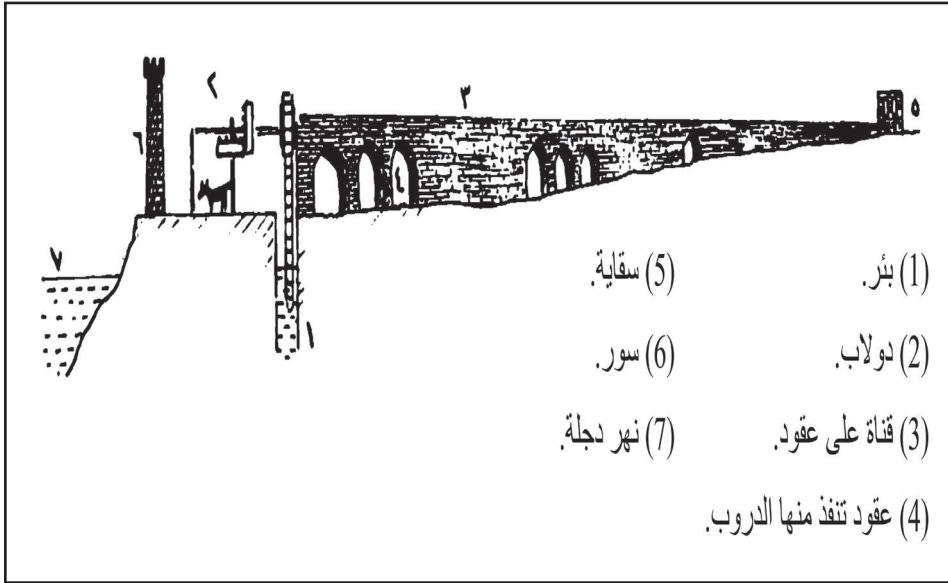
الشكل (١) صورة متخيلة بحسب وصف ابن الساعي لآلة رفع المياه إلى علو شاهق بهدف الاستفادة من عمود الماء النازل في إيصال المياه إلى مسافات بعيدة وبارتفاعات مختلفة وإحداث فوارات (من عمل المؤلف)



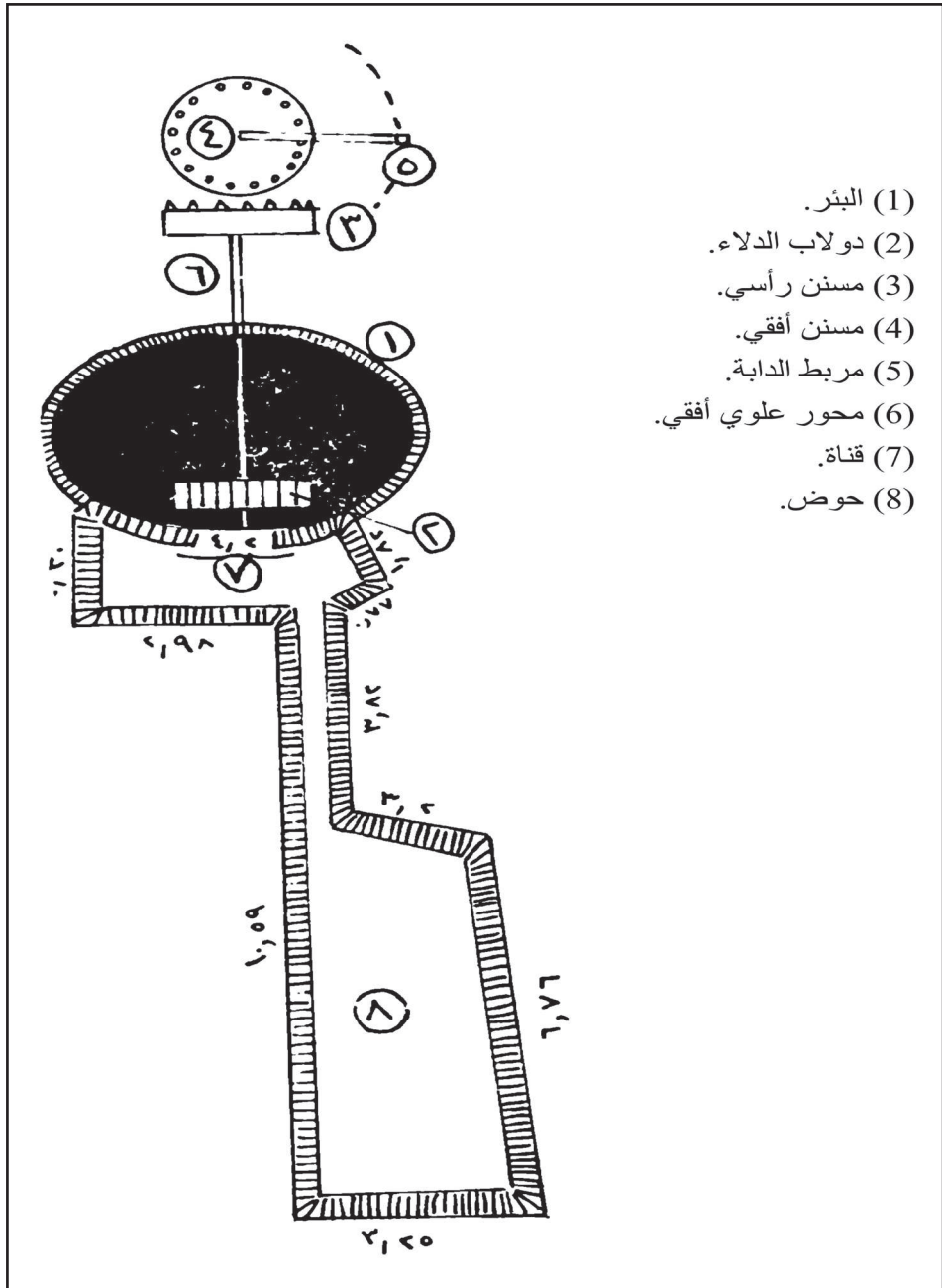
الشكل (٢) خريطة توضح مواقع السقايات العامة ببغداد في العصر العثماني



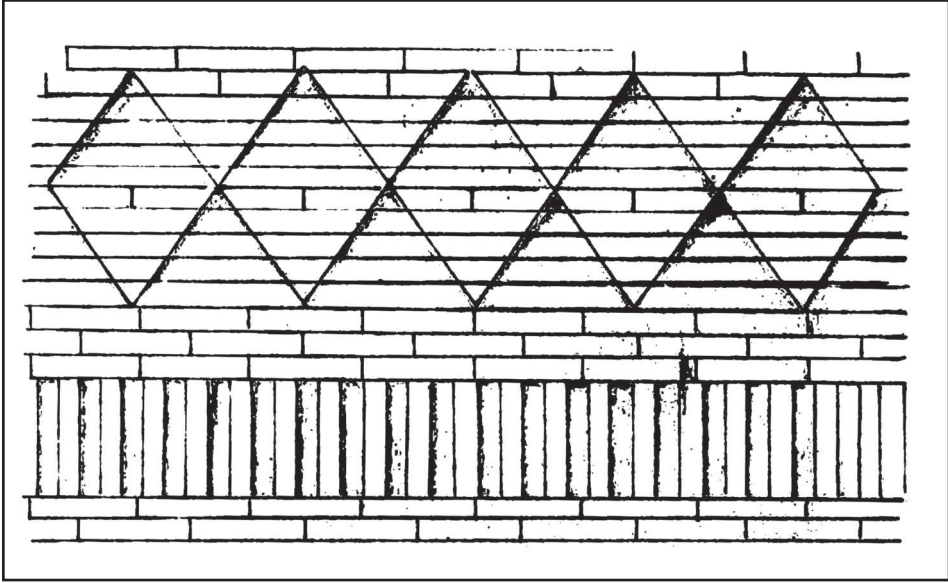
الشكل (٣) مخطط لدولاب قناة الشيخ عبد القادر الكيلاني (من عمل المؤلف)



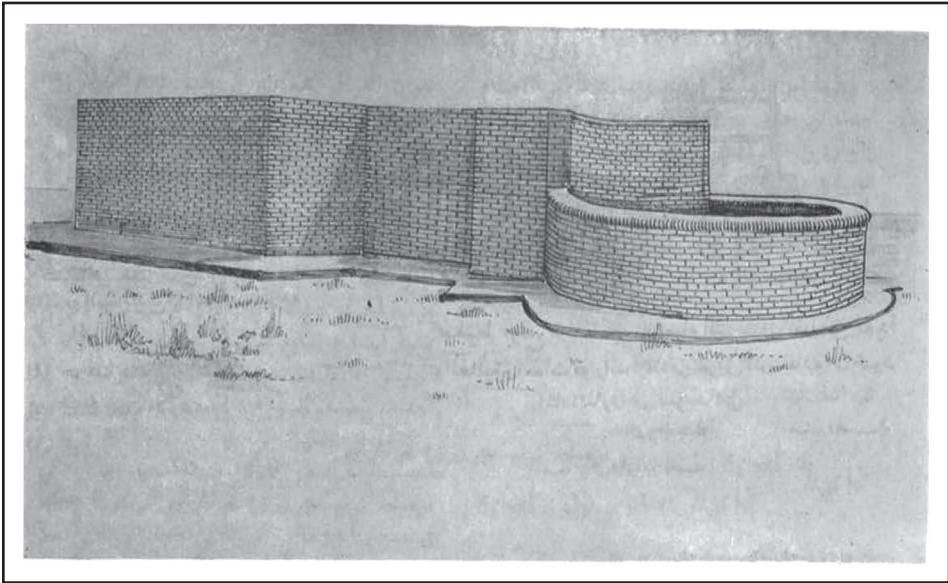
الشكل (٤) مخطط يوضح طريقة رفع مياه الشرب ونقلها إلى مناطق بعيدة بواسطة عقود عالية من الآجر والجص



الشكل (٥) مقطع أفقي لدولاب رفع المياه إلى قناة الشيخ عبد القادر الكيلاني



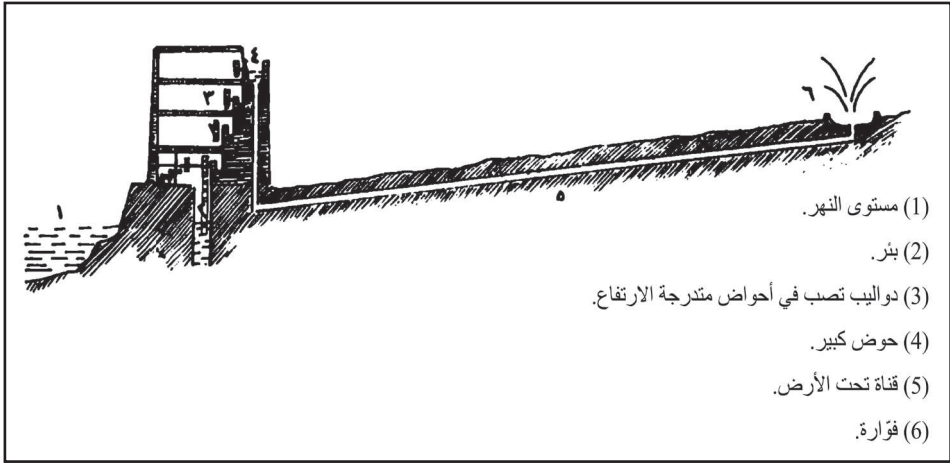
الشكل (٦) زينة بالآجر في الجدار الداخلي لبئر قناة الشيخ عبد القادر الكيلاني



الشكل (٧) بئر وقناة الشيخ عبد القادر الكيلاني



الصورة (٦) سقاؤون يملأون قربهم من مياه دجلة في مطلع القرن العشرين



الشكل (٨) تخطيط يوضح طريقة إيصال مياه الشرب إلى المناطق البعيدة والعالية وإحداث فوارات فيها عن طريق الاستفادة من عمود الماء النازل من علو شاهق. جدير بالذكر أن عدد الدواليب يمكن زيادتها أو تقليلها بحسب بُعد المسافة وارتفاعها.

وفي سنة ٦٦٨هـ-١٢٦٩م أنشأ صاحب ديوان العراق علاء الدين عطا ملك الجويني^(١) مشروعه الكبير لتزويد المدرسة المستنصرية والمنطقة المجاورة بمياه الشرب. فكان المشروع يتألف من دولاب على شاطئ دجلة المجاور، يصب الماء في قناة محكمة، مبنية تحت الأرض، فتزود القناة مُزَمَّلة المدرسة، ثُمَّ بركة صنعت في وسطها، ثُمَّ تخرج من المدرسة لتمد بمائها مُزَمَّلة أخرى عملت تجاه إيوان الساعات (وهي مائة أيضاً) التابع لمدرسة الطب، مقابل بابها الرئيس^(٢). قال صاحب كتاب الحوادث، في أحداث السنة المذكورة: «تقدم علاء الدين صاحب الديوان بعمل دولاب تحت مسناة المدرسة المستنصرية يقبض الماء من دجلة ويرمي إلى مُزَمَّلتها، ثُمَّ يجري تحت الأرض إلى بركة عملت في صحن المدرسة، ثُمَّ يخرج منها إلى مُزَمَّلة عملت تجاه إيوان الساعات خارج المدرسة، ووجد تطبيق صحنها، وتبنيد حيطانها»^(٣).

وبما أن إنشاء هذا المشروع كان تالياً لإنشاء المدرسة ذاتها، فمن غير المتصور أَنَّهُ غُيِّرَ في تصميمها العام، والظاهر لنا أَنَّ مهندسي الجويني عمدوا إلى مدِّ القنوات عن طريق المواضع التي يمكن نقبها والتغيير فيها، لذا فمن الراجح أَنَّ تكون القنوات قد اجتازت أحد بابي المدرسة المطلين على ضفة النهر، الواقعين في مسجدها، فزودت المُزَمَّلة الأولى هناك، ثُمَّ قطعت صحن المدرسة، بخط مستقيم، لتمدَّ البركة في وسطه ومنها خرجت من تحت باب المدرسة الرئيس،

(١) حكم العراق بعد وفاة ابن العلقمي الوزير السابق، من سنة (٦٥٧-٦٨١هـ / ١٢٥٧-١٢٨٢م). عماد عبد السلام رؤوف: حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الإيلخانيين، (مجلة المؤرخ العربي) يصدرها اتحاد المؤرخين العرب، العدد ١١، ص ٦٠.

(٢) أي: في سوق الهرج الحالي، عند جامع القبلانية. وكنا قد أثبتنا أَنَّ هذا الجامع ورث أرض مدرسة الطب والإيوان التابع لها. في مجلة الرسالة الإسلامية (بغداد، تصدرها وزارة الأوقاف) الأعداد ٢٣ و ٢٨-٢٩ و ٤٣، (سنة ١٩٧١)، و ٤٤ (سنة ١٩٧٢).

(٣) الحوادث: ص ٣٦٥.

إلى المَزْمَلَة الثانية؛ وذلك لاستحالة مدِّ آيَّة قناة تحت مباني المدرسة الضخمة فيما عدا المواضع المذكورة، ويلاحظ أيضاً أنَّ وجود البركة والمزملتين، وجريان الماء فيها على الدوام، يوجب وجود قناة أخرى لتصريف المياه الفائضة، ولكن النصوص لا تكشف لنا شيئاً عن هذا الأمر.

الفصل الثاني

مشاريع مياه الشرب في العصر العثماني

مشكلة مياه الشرب:

توالى احتلال القبائل الغازية لبغداد منذ سقوطها الأول على يد المغول سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م، وقُلبت بأيدي دول قبلية متخلفة مدة تزيد على ثلاثة قرون حتى دكَّت معالمها الحضارية وتعرضت الحياة فيها إلى خطر التخریب والتدمير، وهجرها الكثير من أهلها، في حين قضت النكبات على قسم غير قليل منهم، وكان من نتائج هذه الأوضاع أن سرَّعت عملية انكماش المساحة المسكونة من بغداد، وهي العملية التي بدأت بعض ملاحظها تظهر منذ أواخر العصور العباسية، فانحصر السكن داخل أسوار الجانب الشرقي على ما استقرت عليه في آخر القرن الخامس للهجرة (١١م).

ثمَّ استمرت عملية الانكماش السكاني بوصفه مظهراً من مظاهر الانكماش الحضاري العام، فخلت أماكن واسعة داخل الأسوار ذاتها، كانت قد وصفت أنَّها محلات مكتظة شبيهة بالمدن المستقلة، وتحولت محلات مثل باب الأزج وباب المراتب والبصلية وقطيعة العجم والريان وغيرها إلى صحراء قاحلة لا نبت فيها ولا ماء، وكانت الأنهار التي وصفناها فيما سبق، قد أهملت تدريجياً، حتى اندثرت تماماً في القرنين الثامن والتاسع (١٤ و ١٥م) ففقدت بغداد بذلك

ما كان يحيط بها من نبات وخضرة، خاصة في الأقسام المحصورة بين سورها الشرقي والمناطق السكنية، وهي الأقسام التي كان يسقيها نهر بين الآخذ من الخالص بفروعه العديدة في العصور السابقة، ممّا أدّى إلى ازدياد تجمع السكان في المحلّات القريبة من دجلة، وإلى أن تتخذ مشكلة نقل مياه الشرب - من ثمّ - شكلاً آخر يقوم على أساس التغير الجديد.

ومن الجدير بالملاحظة أنّنا لم نعد نسمع في هذا العصر ما يشير إلى إنشاء قنوات محكمة تحت الأرض توصل مياه الشرب إلى السقايات العامة، بل إنّنا لا نعلم الفترة التي استمرت فيها هذه المشاريع قائمة بمهمتها، فقد انطوت أخبار المشاريع المذكورة بانقضاء صفحة العصر العباسي، وأقرب إلى الاحتمال أنّ بغداد اكتفت في المدة السابقة على العصر العثماني، بما يحمله إليها السقاؤون من مياه دجلة في (قربهم)، ولا شك في أنّه كانت هناك سقايات عامة موزعة في أرجاء المدينة يملؤها السقاؤون لتبقى في خدمة السكان بقية اليوم، بيد أنّ معلوماتنا لا تكفي لتصور مدى نجاح هذه السقايات في سدّ حاجة أولئك السكان من مياه الشرب إضافة إلى توفير مياه الاستعمال، ومن الراجح أن تكون الآبار قد اتخذت مورداً للنوع الأخير من المياه.

ولقد شهدت بغداد، منذ استقرار الحكم العثماني فيها في بدايات القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م)، تطوّراً ملموساً في تصميم مشاريع دائمة لنقل مياه الشرب، تعتمد على إنشاء قنوات محكمة، مرفوعة على عقود عالية مبنية بالآجر والنورة وأخلاطها، ويرفع الماء إليها بوساطة الدواليب، فتجري المياه في القنوات المطلية بطبقة من القار، مجتازة بذلك الدروب والمحال، بانحدار محسوب، حتى تصل إلى المواضع المهمة، أو الأكثر ازدحاماً في السكن، فتتفرع منها في قنوات أخرى لتصب في السقايات المشيدة هناك، في حين تحمل القناة

الرئيسة الفاض من الماء إلى مناطق بعيدة نسبياً، لتغذي بعض السقايات في تلك النواحي، وليفنى ما يتبقى في الأراضي القاحلة حوالها.

وهذا النوع من مشاريع مياه الشرب يذكرنا بمشروع قنوات الساج الذي أقامه المنصور لمد مدينته بالمياه من نهر دجلة، إلا أن المشاريع العثمانية تميزت بثباتها ودوام عملها، وهي في الواقع لم تكن إلا تقليداً لأمثالها من المشاريع التي أنشأها العثمانيون في بعض المدن الكبيرة، متأثرين بعمارة القنوات البيزنطية العالية التي كانت تزود مدن الأناضول بالماء منذ عهود قديمة (أنظر الشكل ٤).

بيد أن استخدام هذا النوع من السقايات، لم يقض على النوع الآخر الذي يعتمد على إنشاء أحواض كبيرة، أو حباب، تملأ بالماء كل يوم بوساطة سقائين لهم أجر معلوم. فقد ميّز الفقهاء العثمانيون بين هذين النوعين، فعُدوا النوع الأوّل من المشاريع الخيرية العامة، الموقوفة لنفع الجميع بلا أدنى تمييز، ويظهر أنّهم عدّوا حكمها كحكم العيون الطبيعية المسماة (چشمة).

أمّا النوع الآخر، فإنّهم سمحوا بوضع بعض الشروط عليه، كتخصيص مائه للفقراء بالدرجة الأولى^(١)، وترتيب قيم مسؤول عن إدارته، يأخذ راتبه من غلة الوقف، وما إلى ذلك من أمور^(٢).

(١) يذكر محمد بن ولي الأزميري (ت ١١٦٥هـ - ١٧٥١م) أن: «الماء مشترى بغلات الأوقاف المعينة له، ومتخذ بطريق الإجارة ويعطى الأجرة من تلك الغلات، لذا فلا يستوي الغني والفقير بالانتفاع به، والقول بأن الغلة تصرف على مصارف المتولي وعمارة السقاية لا الماء غير صحيح، كيف ولا يحمل الماء إلى السقاية مجاناً بل بثمن أو أجرة يعطى من الغلة». رسالة في شؤون السقايات ووقفها (مخطوط) الورقة ٨، وانظر عبد الرحمن بن شيخ محمد: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، المطبعة العثمانية ١٣٠٥، ص ٣٤٦.

(٢) ومن تلك الشروط أنّه يصب فيها الماء بالجرّة للشرب أو الوضوء، ولا يجوز استعمال مائه لغيرها، ويكون لها قصاع وكيزان.

ويذكر الرحالة محمد ظلي المعروف بأوليا چلبى الذي قدم بغداد سنة ١٠٥٨هـ-١٦٤٨م وسنة ١٠٦٦هـ-١٦٥٥م، أنه كان فيها نحو مئة سقاية يسميها (سبيل) ومئتي (چشمة) من النوع الذي يملؤه السقاؤون بقربهم من النهر^(١). هذا في حين عدّ الآقشهري^(٢) السبيل (أو السبيل خانة) ما يملأ بالقرب بالأجرة، و(الچشمة) عيون الماء النضاحة، ويقرب منها ما تحمله القنوات من مياه دافقة متصلة تصب في سقايات عامة.

ويستفاد ممّا ذكره أوليا چلبى أيضاً أنّ صعوبات جمة كانت تكتنف عمل السقائين في نقل المياه من النهر، إلى درجة أنّ حاجة المدينة لم تكن تسدها إلّا مياه الآبار التي يقدرها بـ (٦٠٠٠) بئر. ونحن نعتقد أنّ وجه الصعوبة التي أشار إليها أوليا چلبى هو أنّ شواطئ بغداد في عهده كانت مغلقة في وجه السقائين إلّا من مكان واحد فحسب، قرب الميدان، أشار إليه هو، أمّا سائر الشواطئ فكانت مسورة بسور عالٍ ليس له من باب سوى باب الجسر، وقد وردت صورة هذا السور في صورة بغداد التي رسمها نصوح السلاحي المطراقي سنة ٩٤٤هـ-١٥٣٧م، وخريطة بغداد من عمل تافرنيه سنة ١٠٨٧هـ-١٦٧٦م^(٣)، ومنها يظهر أنّه لم تكن لبغداد مشاريع على دجلة، ولعل هذا هو ما دفع حكام المدينة الأوائل إلى مدّ القنوات على عقود الأجر لتزود سقاياتها الداخلية، ويؤكد هذا القول إنّ دواليب هذه القنوات لم تكن تأخذ مياهها من دجلة رأساً، وإنّما من آبار عميقة حفرت خصيصاً بها.

ويدل بئر قناة الشيخ عبد القادر الكيلاني، وهو آخر ما بقي من هذه الآبار، على أنّ مواقع الآبار كانت بعيدة عن دجلة بمسافة كافية لإقامة الأسوار

(١) أوليا چلبى: سياحتنامه سي، إستانبول، ١٣١٤هـ، ج ٤، ص ٤٢٠.

(٢) رسالة في شؤون السقايات ووقفها، الورقة ٨ (مخطوط).

(٣) انظر أطلس بغداد للدكتور أحمد سوسة (بغداد ١٩٥٢)، ص ١٢-١٣.

والحصون^(١). وإذ بقيت هذه الأسوار قائمة إلى نهاية القرن الثاني عشر على أقل تقدير، فإنَّ بإمكاننا أن نتصور بقاء مشكلة إيجاد موارد كافية لمياه الشرب، عدا الآبار، حتى ذلك التاريخ، حتى إنَّ عدداً من السيَّاح الذين أقاموا ببغداد أو مرُّو بها، نوَّهوا بهذه المشكلة، ووصفوا متاعب البغداديين في الحصول على ماء الشرب، فأشار الرحالة الإيطالي الأب فنشنسو (Vincenzo) الذي زار بغداد سنة ١٠٦٧هـ - ١٦٥٦م إلى أنَّ الماء الذي يباع ببغداد، يأتي ملوثاً بالقار - وإن كان لا ضرر في هذا التلوث - ووصف طريقة جلبه إلى المدينة، أنَّه كان ينقل على ظهور الثيران والجياد، في قِرب كبيرة من الجلد^(٢). والمعروف إنَّ جلب الماء إلى المنازل بالقِرب المدبوغ لا يؤدي إلى ما لاحظته من تلوث الماء بالقار، فالظاهر أنَّ الماء الذي شربه كان من مياه السقايات العامة التي تبطن مجاريها وأحواضها بطبقة كثيفة من القار لحفظها من الضياع، وليس من مياه القِرب المحمولة على الطريقة التي وصفها.

ولم ينتبه سائح آخر هو البريطاني جاكسون في رحلته إلى بغداد سنة ١١٨١هـ - ١٧٦٧م إلى وجود قنوات عامة لنقل الماء في المدينة، وإنَّها أشار إلى أنَّ كثيراً من الفقراء كانوا يستخدمون لنقل الماء من النهر في ظروف من الجلد يحملها البعض منهم على ظهورهم، في حين يحملها البعض الآخر على الحمير والبغال^(٣).

ومثل ذلك ما وصفه الرحالة البريطاني بكنغهام (Buckingham) عند قدومه إلى بغداد سنة ١٢٣٢هـ - ١٨١٦م حيث ذكر أنَّ المدينة تزوَّد بمياه الشرب

(١) انظر ما سيأتي عن هذه السقاية. والشكل (٤).

(٢) رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بطرس حداد، مجلَّة المورد العدد ٢، المجلَّد ٥، (بغداد ١٩٧٦) ص ٧٧.

(٣) مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٦٧٦، ترجمة سليم طه التكريتي ص ٧٥.

من نهر دجلة في قرب من جلود المعز تنقل على ظهور الدواب وتصل باب منزل كل عائلة، إذ إن وسائل نقل الماء والصهاريج والأحواض غير معروفة فيها^(١).

ونظراً لما كان يكتنف عملية نقل مياه الشرب من صعوبات، وما يكلفه شراءها من مال، فقد نالت شؤون السقايات العامة ببغداد اهتمام الولاة وأرباب الدولة والأعيان وأهل الخير، وشارك عدد من السيدات المحسنات بإنشاء جملة من السقايات المهمة، ووقف الجميع عليها الوقوف الدارة بموجب وقفيات وحجج شرعية رسمية، وثبت بعضهم عدد العاملين على خدمة السقاية، وحدد رواتبهم بدقة، وصار للسقائين الذين ينقلون الماء إلى السقاية راتب معلوم.

واحتاط بعض الواقفين فحدد عدد (قرب) الماء التي يحملها السقاء كل يوم، فنص والي بغداد داود باشا على أن تكون عشر قرب يومياً لقاء راتب قدره ٣٦٠ قرشاً، وجعلت السيدة نازدة خاتون لسقايتها ١٨٠٠ قرشٍ رائج (٤٥٠ قرشاً صاعاً) في حين حدد نقيب الأشراف سليمان القادري راتب من يقوم بخدمة سقايته بـ ٤٥ قرشاً صاعاً كل شهر.

ومثلما اهتم أولئك المياسير بالإنفاق على هذه المشاريع الحيوية، فقد تفنن المهندسون والنقاشون في تصميم عماراتها، وتزيينها بألواح الرخام المنقوش والقاشاني الملون وبشبابيك النحاس الفاخر، وسجلت على معظم السقايات، بخطوط بديعة، آيات قرآنية، وأبيات شعرية تؤرخ إنشاءها، وتذكر اسم صاحبها أحياناً، وزاد آخرون بأن أقاموا حولها حدائق صغيرة، وزرعوا فيها أشجاراً تظلل الشارين.

فكان من نتائج هذا الاهتمام أن زاد عدد السقايات العامة التي يملؤها

(١) بكنگهام: رحلتي إلى العراق سنة ١٨١٦، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد ١٩٦٨)، ج ١،

السقاؤون بسرعة منذ مطلع القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) إلى الحد الذي أصبح إنشاءها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية في المدينة، وامتدت خدماتها لتشمل محلات عديدة من بغداد^(١).

أمّا القنوات الآجرية المرفوعة على العقود فقد توصلنا إلى ثلاثة مشاريع منها، وهي تغطي مساحة كبيرة من بغداد الشرقية، لكننا لا نقطع بعدم وجود غيرها في أجزاء أخرى من المدينة ويرتقي إنشاء هذه المشاريع إلى عهود مختلفة من القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة (١٧ و ١٨م). أمّا السقايات الآخذة منها فهي عديدة ومتنوعة، وفيما يأتي من البحث عرض تفصيلي عن هذه المشاريع.

قنوات المياه المرفوعة :

- ساقية (قناة) الشيخ عبد القادر الكيلاني :

ليس من المحدد تاريخ إنشائها، وأوّل إشارة إلى وجودها كانت سنة ١٠١٣هـ - ١٦٠٤م، حين وصفها الرحالة البرتغالي بيدرو تكسيرا Pedro texeira أثناء زيارته بغداد، قال واصفاً جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وإن لم يسمه، أنّه واقع في طرف المدينة عند بساتين النخيل، وأنّ الماء ينقل إليه من فوق قنوات خاصة، على نمط بديع^(٢).

وأشار إليها السائح الدنمركي نيبور c. niebuhr عند قدومه بغداد سنة ١١٨٠هـ - ١٧٦٦م، وذلك في أثناء وصفه التكية القادرية قال: «ولتكيته واردات مالية وقفية تقوت أكثر من ثلثائة إنسان، ولأكثرهم فيها حجر وغرف

(١) انظر الخريطة السابقة.

(2) texeira, p. the travels of pedro texeira, p. 64 (london 1902).

يسكنونها بالمجان، ولها كرد (دولاب) يساق ماؤه إليها من دجلة في ساقية»^(١).

كما أشار إليها سنة ١٢٦٣هـ-١٨٤٦م الكوماندنر فيلكس جونز f.Jones فذكر أنّ من عقود محلّة رأس الساقية: (عقد الساقية) وعدّ من معالم محلّة باب الشيخ، قهوة (المزملّة)^(٢) على أنّه لم يشر إليها في خريطته التي رسمها، وكولنكوود، لمدينة بغداد، وإن كان رسم الدرب الذي تجري فيه.

بلغ طول هذه القناة ما يزيد على كيلومتر وتبدأ من شاطئ دجلة في محلّة السنك، قرب قصر السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب الأشراف الأسبق (بستان محمد أكريوز) ثمّ تمتد فوق جدار عالٍ يبلغ ارتفاعه ٣٠, ٢ متراً عند حديقة (بقجة) كان قد وقفها محمد بن جواد أوطه باشي سنة ١٢٢٤هـ-١٨٠٩م، ومن هناك تنعطف فتعبر على عقد كان فوق باب حديقة عبد الجبار غلام، وتمضي مشرّقة في شارع الكيلاني، فتعبر الطريق الذاهب إلى الباب الشرقي عند جامع النعماني على عقد، ثمّ تجتاز الطريق الذاهب إلى مرقد الخلاني على عقد آخر، وتمضي فتعبر الدرب المتجه إلى محلّة الصدرية، عند مسجد رأس الساقية، والدرب الواقع قرب حوض سقايتها، على عقود مشابهة، وتنتهي عند جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، حيث تملأ حوض سقايتها بالماء المخصص للشرب، وقد عرفت هذه الساقية بـ (المزملّة البرانية) لوقوعها خارج أسوار الجامع لا داخله^(٣)، كما سميت المنطقة التي في غرب محلّة باب الشيخ، بمحلّة (رأس الساقية) نسبة إليها، وما تزال تعرف بهذا الاسم^(٤).

(١) بغداد في رحلة نيور: ترجمة د. مصطفى جواد (مجلة سومر، المجلد ٢٠، ج ١-٢) بغداد ١٩٦٤، ص ٥٢.

(2) jones, f. selections from the record of bombay government., p. 327.

(٣) كان موقعها عند الزاوية الجنوبية من مقبرة الجامع.

(٤) عماد عبد السلام رؤوف: متى تم أول مشروع لإسالة الماء في بغداد، جريدة التآخي البغدادية

وكان مأخذ هذه القناة من دولاب يرفع الماء من بئر عميقة واسعة عند شاطئ النهر، وما تزال هذه البئر موجودة إلى يومنا هذا، وعندها آخر بقايا القناة المذكورة.

والظاهر أنَّ هذه السقاية بقيت على وضعها القديم دونما تغيير حتى سنة ١٢٤٧هـ - ١٨٣١م، وهي سنة تولي علي رضا باشا اللاز ولاية بغداد، فقد ذكر السيد محمود شكري الألوسي أنَّ هذا الوالي أمر بإنشاء سقاية في جوار جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وصفها أنَّها: «غزيرة الماء كثيرة الإرواء» وقال إنه أجرى إليها جدولاً من نهر دجلة وأوقف عليها عقاراً لتبقى على مرَّ الأيام وتعاقب الأعوام^(١).

ونحن نرجَّح أنَّ تكون هذه السقاية هي نفسها سقاية الشيخ عبد القادر الكيلاني، وإنَّما قام علي باشا اللاز بتجديدها، أو إضافة أشياء إليها، وليس بعيد أن يكون تجديد القناة وترميمها هو ما دفع السيد الألوسي إلى ذلك القول، مستنداً إلى ما كان مدوَّناً على رخامة السقاية من أبيات، مع أنَّ البيت الخامس منها يدل صراحة على أنَّها جدِّدت، لا أنشئت إنشاءً، وفيما يأتي هذه الأبيات:

لله ساقية قد شاد مبناها	والي العراقي أقصاها وأدناها
أعني علي رضا بل حيدري وغى	سميه لجميع الناس مولاها
من ماء دجلة أجرى سلسيل ندى	يروى العطاش من الرمضاء أصفها
أنعم بها كعبة للائذين بها	لقد صفا زمزم الجدوى ومرواها

بتاريخ ١٢/٨/١٩٦٨.

(١) محمود شكري الألوسي: مساجد بغداد، ص ٦٠، (مخطوطة المتحف العراقي المرقمة ١٠٦٤) وقد نشر السيد محمد بهجة الأثري هذا الكتاب، بتغييرات رأها، تحت عنوان: مساجد بغداد وآثارها (بغداد ١٣٤٦)، وإشارتنا في هذا البحث، إلى المخطوط.

تطوعاً واحتساباً من فواضله تجددت وسمت أركانه عليها
 فيا لها نية لله خالصة تفرّت عن شنب الحسنى ثناياها
 صحّ القبول جرى فوراً فأرخه (تجرى فينبوع بسم الله مجراها)

١٢٤٧

ونظراً لأهمية جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ومدرسته، وسعة محلّته، وكثافة السكن في تلك الناحية، فقد حظيت هذه القناة وسقايتها بعناية فائقة، وأوكل أمر التولية على أوقافها والإنفاق على مصالحها من تجديد وصيانة السادة نقباء الأشراف ومتولو الأوقاف القادرية، وذلك بموجب الحجج الشرعية التي كان يصدرها ولاية بغداد، وتحتوي كلُّ حَجَّة - عادة - على وصايا على بشأن وجوب الاهتمام بالقناة والعناية بمرافقها^(١).

وقد وصفت السقاية في مطلع هذا القرن أنّها بناية كبيرة لها حوض، وفيه ثلاث حنفيات، وأمام الحوض طارمة ذات ثلاثة أطواق متصلة على شكل ثلاث أضلاع مثلثة^(٢).

وفي حدود سنة ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م قام أحد الأغنياء الهنود بتثبيت أنبوب

(١) انظر مثلاً الوثيقة الشرعية المتضمنة تولية السيد محمود أفندي بن ذكريا القادري على ساقية الماء العائدة لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (سجل المحكمة الشرعية ببغداد، عدد ١٥٨، ص ٥٩ بالتركية، وتذكر أنّ والي بغداد سليمان باشا الصغير أصدر بيوراوولدي (أمر رسمي) سنة ١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م يقضي بتسليم التولية إلى السيد حبيب سنه بك؛ وذلك لتدهور العلاقات بينه وبين متوليها السابق السيد رمضان القادري، وبقي الوضع كذلك حتى استعادها السيد محمود الكيلاني سنة ١٢٣٣هـ - ١٨١٧م ذلك لأنّ القناة المذكورة موضوعة أصلاً لخدمة جامع الشيخ عبد القادر، وبما أنّه يتولى أوقافه فمن الأولى والأرجح أن يتولى ساقيته أيضاً.

(٢) محمد رؤوف الشياخي: المعجم الجغرافي لمدينة بغداد، (البصرة ١٩٧٧)، ص ١٤٢.

حديد في داخل قناة الآجر، ورفع العقود القديمة التي كانت القناة تجتاز عليها الدروب والطرق الجانبية، ووضع بدلاً منها أنابيب، فكان الأنبوب ينزل إلى الأرض عمودياً، حيث يتصل بأنبوب أفقي مدفون تحت الأرض باستقامة الساقية، ثمَّ يتصل بأنبوب آخر عمودياً، فيربط بالأنبوب الذي في الساقية من الجهة الأخرى.

وفي سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م ألغي العمل بالدولاب، واستعيز عنه بمضخة حديثة وقام السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب الأشراف برفع قناة الماء تماماً^(١)، ومدّت الأنابيب المعدنية تحت الأرض، بخط مستقيم، إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وعند فتح جادة خليل باشا (الشارع العام، ثمَّ شارع الرشيد كما سمّي فيما بعد) زمن ولاية خليل باشا سنة ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م قضى على آثار القناة المرفوعة، فأدخل جدارها وقسم قليل من حديقة أوطه باشي (المقدم ذكرها) في الشارع المذكور، ولم يبقَ من آثارها سوى ذلك الجزء الواقع عند البئر الشاطئية وهو - على الحقيقة - آخر ما تبقى من آثار قنوات مياه الشرب القديمة ببغداد كلّها (انظر الشكل ٧).

تبعد البئر عن شاطئ دجلة أكثر من عشرين متراً، وكان جزء من هذه المسافة مشغولاً بسور بغداد وحصونه المطلة على دجلة، ثمَّ شغل في بداية القرن الحالي بقصر السيد عبد الرحمن الكيلاني^(٢)، وكانت مسناة السور لم تنزل مرئية

(١) وقد تبرع لغرض إذابة القار الذي في القناة المرفوعة بألف أوقية من الحطب، ثمَّ تبعه السيدان غياث الدين آل جميل وداود الكيلاني، فترعا بمبلغ خمسمائة أوقية أيضاً، على ما نشرت الخبر في حينها جريدة الزوراء ونقلته جريدة صدى بابل البغدادية الصادرة في ١١ ذي القعدة سنة ١٣٢٨هـ.

(٢) من القصور الفخمة، البديعة المنظر، ببغداد. وقد قامت المؤسسة العامة للسياحة أخيراً بترميمه، وإعادةه إلى وضعه القديم أيام كونه عامراً.

عند هذا القصر عندما رسم جونز وكولنكوود خريطة بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)^(١).

تتخذ البئر شكلاً بيضوياً يبلغ محيطه ٨٧, ١٦ متراً، وأطول قطريه ٩٢, ٤ متراً، وأقصاهما ٣ أمتار، وهي مسورة بسور من الآجر عرضه ٣٥ سنتماً، تعلوه حافة عرضها ٤٥ سنتماً، ويرتفع السور عن الأرض بـ (١٢, ١) متراً، ويبلغ عمق البئر حالياً من حافة سورها ٥٥, ٣ متراً، ومن المعتقد أن عمقها الأصلي كان يزيد على ذلك بأربعة أمتار أخرى على الأقل ويزين الجدار الداخلي للبئر (بعمق ٦٠, ٢ متراً) زخرفة بقطع الآجر مرتبة عمودياً (يعرفها البناؤون المحليون باسم سكة) تعلوها زخرفة بالآجر أيضاً بارزة وغائرة على شكل خمس أضلاع متوازية متجاورة (ويعرفها البناؤون المحليون باسم بقلابة). انظر الشكل (٦).

ويتصل بحافة البئر من ناحية الجنوب الشرقي (بشكل يوازي مجرى نهر دجلة) بناء متين من الآجر والحصص، كان قد ثبت في أعلاه دولا ب الدلاء، وهو يتخذ شكلاً هندسياً غير منتظم، انظر الشكل (٥). ويبلغ ارتفاع هذا البناء ٣٠, ٢ متراً، ويتخذ عند البئر هيئة قوس يتمم الشكل البيضوي لها، وكانت على سطحه إسكلة الخشب مهمتها استقبال المياه المرفوعة إليها بالدولاب، ثم يضيق عرض البناء بعد مسافة ٣٠, ٢ متراً ليصبح عرضه متراً واحداً، بطول قدره ٨٢, ٣ متراً. وكان على هذا الجزء مجرى يأخذ الماء من الدولاب ويصبه في الحوض التالي الذي يتصل به.

يؤلف هذا الحوض شكلاً هندسياً غير منتظم الزوايا، كانت مهمته تجميع المياه الآتية من المجرى المذكور، لتصب بعده في قناة الشيخ عبد القادر الممتدة إلى

(١) انظر أطلس بغداد: ص ١٥.

جامعه، وقد بطنت أرضية المجرى والحوض والقناة بطبقة كثيفة من القار، يبلغ ثخنها نحو ستة أو سبعة سنتمترات، وذلك منعاً من تسرب الماء أثناء جريانه وضياعه بدداً^(١). (الصورة رقم ٥).

يعمل الدولاب (الكرد) بقوة الدواب، حيث تدور الدابة محرّكة ذراعاً قد ثبتت نهايتها بمحور رأسي، وبدوران هذا المحور يدور مسنن أفقي ثبت في أعلاه، وينقل المسنن الأفقي العلوي المذكور الحركة إلى مسنن رأسي يتصل به محور أفقي، وينقل الأخير الحركة إلى دولاب الدلاء فيرفع الماء بذلك إلى القناة (انظر الشكل ٣).

ويختلف أسلوب عمل هذا الدولاب عن الدواليب العادية الأخرى الموجودة على شواطئ الأنهار بأنّ في مقدوره رفع المياه رأساً إلى ما يزيد على المترين فوق مستوى سطح الأرض، في حين ترفع الدواليب الأخرى الماء إلى سطح الأرض فحسب، ومنشأ هذا الاختلاف أنّ المسنن الرأسي المحرك لمحور دولاب الدلاء، يعلو على المسنن الأفقي بخلاف الدواليب الأخرى، التي يكون المسنن الرأسي فيها في الأسفل، وهذا الوضع يفسح المجال للمحور الأفقي أن ينقل الحركة إلى دولاب الدلاء بالارتفاع نفسه، دون أن يشكل عائقاً لدوران الدابة تحته. (الشكل ٣).

ويمكن القول - بناءً على ما تقدم - إنّ هذا التصميم هو الذي كان متبعاً في جميع الدواليب التي ترفع مياه الآبار إلى قنوات عالية، كساقية الشيخ عبد القادر الكيلاني، ومنها قناة الشيخ عمر السهروردي، وقناة الشيخ سراج الدين الآتي ذكرهما.

(١) قامت المؤسسة العامة للسياحة بترميمه ترميماً حسناً ورفع ما كان في داخل بئرهِ من أنقاض.

- ساقية (قناة) الشيخ عمر السهروردي:

أنشأ هذه القناة والي بغداد الوزير حسين باشا السلاحدار (محرم ١٠٨٣ هـ - ١٦٧٢ م / ١٠٨٥ هـ - ١٦٧٤ م) ووقف عليها الأوقاف الكثيرة لإدامتها والعناية بمراقبتها. ومنها سوقٌ كبيرة أنشأها عند باب المدرسة المستنصرية، وعقارات أخرى اشتراها، منها دكاكين متفرقة في جانبي بغداد، ومقهى كان يعرف بقهوة مراد، وبستانٌ قرب مرقد الشيخ عمر السهروردي^(١) فكانت تلك الأوقاف سبباً في استمرار عمل المشروع مدة تقرب من ثلاثة قرون^(٢).

وكانت هذه القناة تأخذ مياهها بوساطة دولاب يرفع الماء من بئر عميقة عند شاطئ دجلة، في شريعة الميدان، بين مبنى المتحف العسكري السابق ونادي الضباط الحالي، ثمّ تمتد من هناك مرفوعة على عقود عالية بنيت بالآجر والجص على ضفة قناة الشيخ عبد القادر الكيلاني، حتى تصل إلى منطقة (الميدان) قرب جامع الأحمديّة، فتجتازه مشرّقة في درب طويل تقع عليه معظم محلات القسم الشمالي من بغداد الشرقية، فتمدّ بمياه الشرب محلّة الصابونجية، ثمّ محلّة إيلان دلي، فمحلّة الفضل، والجلالي، ثمّ تمتدّ باستقامة حتى تصل إلى غربي جامع الفضل، فتجتاز الدرب الذي يقع عليه فوق عقود^(٣) وتمضي مخترة محلّة خان لاوند، تتجه في أرض قاحلة حتى تصل إلى جامع الشيخ عمر السهروردي،

(١) مجموعة من وقيّات بغداد (مخطوط).

(٢) حكم هذا الوالي ستين فقط، وقام خلالها بمشاريع كبيرة ذكرها مرتضى نظمي زاده في كتابه گلشن خلفا (ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد ١٩٧١)، ص ٢٧٧-٢٧٨. ومن غير المتصور أن تكون هذه الأوقاف كلّها من ماله الخاص، وإنّما هو قد اشتراها من واردات الولاية، وربّما من الجزء المخصص لإرساله إلى الدولة (وغالبا ما يجري هذا بعلم الدولة فهذا المشروع وغيره من الأعمال الكبيرة التي يقوم بها الولاة، هي في الحقيقة أعمال حكومية عامة، وإن ظهرت بمظهر الأعمال الخيرية لأفراد).

(٣) في أرض شارع الكفاح اليوم.

حيث تصب هناك في سقايتين كبيرتين، ويجري الفائض من مائها ليسقي بستان السلاحدار الموقوفة عليها، ترفيهاً للمارة في تلك النواحي النائية الموحشة^(١).

استمرت هذه القناة البديعة بأداء مهمتها حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) فقد وردت في خريطة بغداد التي رسمها الكوماندر فيلكس جونز وكولنكود سنة ١٢٦٣هـ - ١٨٤٦م على نحو يظهر امتدادها إلى جامع الشيخ السهروردي، وذكر جونز أنَّ من عقود محلَّة إيلان دلي عقداً سمَّاه (عقد الساقية)^(٢).

ولقد تعطلت أجزاء من هذه القناة في عهد والي بغداد نامق باشا الكبير (من ١٢٦٧هـ - ١٨٥٠م إلى ١٢٦٨هـ - ١٨٥١م)^(٣)، وهي الأجزاء التي تصل بين محلَّة خان لاوند، وبين جامع عمر السهروردي، أمَّا الأجزاء الباقية فقد بقيت سليمة تؤدي مهمتها في نقل مياه الشرب إلى المحلَّات السكنية، ولم تندثر تلك الأجزاء أو تتعطل إلَّا في عهد والي بغداد مدحت باشا (١٢٨٦ - ١٢٨٩هـ / ١٨٦٨ - ١٨٧٢م).

ويبدو أنَّ خراب هذه الأجزاء من القناة هو ما دفع ببعض أعيان بغداد وأهل الخير منهم إلى إنشاء عدَّة سقايات جديدة تأخذ مياهها من الأجزاء السليمة الباقية منها، وقد وقفنا على ثلاث من تلك السقايات، تقع الأولى في (الميدان) والثانية في محلَّة (البارودية) أمَّا الثالثة فتقع في محلَّة (خان لاوند) إلى الشرق من

(١) عماد عبد السلام رؤوف: سقاية الشيخ عمر السهروردي، جريدة التأخي البغدادية، بتاريخ ١٩٦٨/٩/٢٢م.

(٢) Jones, F. Op. Cit., P. 320. وأعيد نشر الخريطة في (أطلس بغداد) من وضع الدكتور أحمد سوسة، بغداد ١٩٥٢، ص ١٥.

(٣) على ما أفادنيه الشيخ كمال الدين إمام جامع عمر السهروردي عن أبيه الشيخ عبد المحسن السهروردي، في صيف سنة ١٩٦٥.

محلّة الفضل، فكانت هذه السقايات تشكل بمجموعها مشروعاً واسعاً - نسبياً - لإيصال مياه الشرب إلى محلات بغداد في تلك الجهات. ويلاحظ أن تواريخ إنشاء السقايات المذكورة كانت ترقى إلى عهود مختلفة، كما يتضح لنا من تتبع أخبارها.

أ- سقاية شوكت بك:

أنشأها دفتر دار بغداد شوكت بك سنة ١٢٧٢هـ - ١٨٥٥م في (الميدان) إلى الشرق قليلاً من جامع الأحمديّة (مدخل شارع الرشيد حالياً) ولكنها لم تلبث أن عطلت بعد مضي عهد قصير من إنشائها، ثمّ قام حفيد مؤسسها قدرت بك بن عصمت بك، بتعمير سقاية جدّه سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م، وكان يومذاك مديراً للأموال الأجنبية، فطلب من المهندس الفرنسي غودارد Godard أن يصمم بناءها على هيئة بديعة، ففعل، وأجرى لها الماء من تلك القناة، وبلغت كلفة المشروع كلّهُ (١٠٨) ليرات عثمانية^(١).

وكان للسقاية واجهتان، على الأولى منها أبيات عربية، وعلى الأخرى أبيات فارسية وتركية وكلُّها مكتوبة على الآجر القاشاني، وتحيط بالكتابة صور لأغصان مورقة، وثمار ملوّنة، ونقوش. أمّا الأبيات فهي هذه^(٢):

ناظر أوقاف العراق الفتى شريف رب الحسب الطاهر
في البلدة الزورا قضى نجه وفاز بالغفران من غافر

(١) وهم الأستاذ يعقوب سرّكيس في أمر هذه السقاية، وسقاية الشيخ عمر السهروردي نفسها، وحقيقة القناة الموصلة بينهما، والآخذة من دجلة، فقال في مجلّة البيان النجفية (عدد ١٥ شباط ١٩٤٦): «هل يمكن أن تكون سقاية في الميدان لمدرسة في جامع السهروردي والمسافة بينهما لا تقل عن كيلومترين؟».

(٢) مجلّة لغة العرب: ٢ (بغداد ١٩١٢)، ص ٣٩-٤٠.

فسخر الباري له صاحباً كان له في الزمن الغابر
محمد شوكت أقلامه تغني عن الذابل والباتر
أنشأ له هذا السبيل الذي أبيح للوارد والصادر
أصفى من الدمع على فقدته ما قد جرى أرخ من الناظر

١٢٧٢

وأنشئت حوالي السقاية حديقة نزهة غنّاء، دامت أمداً من الدهر، ثمّ اندثرت عند فتح جادة خليل باشا (شارع الرشيد الحالي) قبيل الاحتلال البريطاني لبغداد^(١) (انظر الصورة رقم ١).

ويبدو أنّ لهذه السقاية أوقافاً، أوقفها مؤسسها الأوّل شوكت بك، فقد جاء في ترجمة الشيخ محمد الأمين ابن الشيخ عبد الرحمن السهروردي (ت ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م): «أنّه كان متولياً على أوقاف سبيل خانت (كذا) شوكت بك»^(٢).

ب- سقاية البارودية :

لا يعلم تاريخ إنشائها، إذ لم تكن على جذرها وشباكها شيء من الكتابات الدالة على ذلك، وكان موقعها في محلة البارودية، في موضع مطّل على شارع الفضل، متّصل بقناة الشيخ عمر السهروردي، ووصفها بعض من عاصرها بأنّها كانت تتألف من طابقين، على أسفلها شبابيك من نحاس، على هيئة متينة بديعة، وفي داخلها حباب كبيرة تملأ بمياه الشرب وبعد انقطاع تزويدها بالماء من الساقية المذكورة، أصبحت تملأ كلّ يوم بوساطة السقائين.

(١) رسمها السيد رشيد الخوجة في خريطة بغداد التي وضعها سنة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٨م (انظر أحمد سوسة: أطلس بغداد ص ١٦).

(٢) محمد صالح السهروردي: لب الألباب، (بغداد ١٩٣٣)، ج ٢، ص ٢٥٩.

ج- سقاية سري باشا :

أنشأها والي بغداد سري باشا (١٣٠٧-١٣٠٨هـ / ١٨٨٩-١٨٩٠م) على أنقاض مبنى خان لاوند العتيق، وجعل ما حولها بستاناً غرس فيه أنواع الشجر، وصمم السقاية على هيئة حوض كبير من الرخام المتين، ووضع في وسطه نافورة تقذف الماء في الهواء.

وقد أطرى العلامة عبد الوهاب النائب (ت ١٣٤٥هـ-١٩٢٦م) هذا المشروع الخيري بقصيدة، منها قوله^(١):

هذي العدالة لا عدمتك منصفاً تسقي العطاش إذا أتوك نميرها
إنَّ النفوس لمثل ذاتك ترتجى لتكون في زمن الإياس بشيرها
ولما انتقل المشروع إلى البلدية لإدارته أصابه الإهمال فتلفت منشأته، وصارت حفرة من الحفر، وأخيراً اشترى العلامة عبد الوهاب النائب أرضه وقسمها إلى دور وحوانيت وخانات، منها المدرسة التي عرفت بالحميدية، وهي اليوم مدرسة الفضل الابتدائية.

وبهذا انتهى تاريخ آخر سقاية من سقايات هذا المشروع الكبير، بعد أن لبث يزود أهل بغداد بحاجتهم من مياه الشرب قرابة ثلاثة قرون.

- سقاية (قناة) الشيخ سراج الدين :

أنشأها والي بغداد الوزير حسن باشا (١١١٦-١١٣٦هـ / ١٧٠٤-١٧٢٣م) عند تعميره جامع الشيخ سراج الدين في محلة الصدرية (جزء من محلة سراج الدين حالياً) سنة ١١٣١هـ-١٧١٨م، وذلك لمدّ الجامع والأسواق

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٢٤-٢٥.

المزدهمة حوله بمياه الشرب^(١).

ولقد اتبع في تصميم هذه القناة وضع قناة الشيخ عبد القادر وطريقة عملها، فكانت تأخذ مياهها من دولا ب عند شاطئ دجلة، في شريعة السيد سلطان علي، وتمتد من هناك إلى شارع السيد سلطان علي، فتدخل يميناً في الدرب المعروف بطرف حاج فتحي، وتخرج منه لتجتاز محلات السويدان والعوينة والصدرية، حتى تصل إلى سقاية الشيخ سراج الدين^(٢)، فتزودها بالماء، أي: إنها كانت تبلغ طولاً قدره نحو ٧٠٠ متر تقريباً.

تقع سقاية الشيخ سراج الدين في الجهة المقابلة للجامع من جهة الشمال، وكان فوق شباكها لوح من الرخام والحجر القاشاني، عليه أبيات لامية تؤرخ لهذا العمل النافع، منها^(٣):

أجريت للناس سبيلاً لهم فيه سبيل الخير في كل حال
قد نزل الناس بساحاته واجتذبوا الماء بدون الحبال
للشرب والطهر ورفع الأذى حباك ربي نعمة لا تزال

(١) قال الرحالة الدمشقي مصطفى بن كمال الدين الصديقي البكري، عند قدومه بغداد سنة ١١٣٩ هـ - ١٧٢٦ م: «ولما وصلت جامع الشيخ سراج الدين - قدس الله سره المتين - الذي بناه المرحوم حسن باشا.. وقفت لدى الشباك والأسواق في اشتباك». كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان، الورقة ٢٣ (مخطوط).

(٢) أشار السيد محمد رؤوف الشخيلي إلى جزء من هذه القناة، وهو الواصل من دجلة إلى جامع الحاج فتحي، ولكنه خلط بينها وبين سقاية الشيخ عبد القادر الكيلاني، حين ظن أنها تمضي من هناك إلى جامع الشيخ الكيلاني فتزود سقايته بالماء، والصواب إنها تنتهي إلى جامع سراج الدين، أمّا سقاية الشيخ الكيلاني فلها قناة مستقلة غيرها على ما قدمنا. انظر الدليل الجغرافي لمدينة بغداد: ص ٥٧ و ١٤١.

(٣) مساجد بغداد: ص ٥٨ (مخطوط).

هذا الذي فيه ينال الرضا في عطش المحشر يوم السؤال
الله قد يَسَّرَ تاريخه أجرى لك الكوثر ماء زلال

١١٣١

قال السيد محمود شكري الألوسي في وصفه هذه القناة: «وأوصل أيضاً (يريد حسن باشا) إلى هذا المسجد ساقية من ماء دجلة، وأنشأ سقاية يشرب منها المار وابن السبيل»^(١). وذكرها الشيخ عباس بن رجب البغدادي بصفتها (سقايات) لا واحدة^(٢)، ممَّا دلَّ على سعتها ووفرة مياهها.

وكانت تتشعب من القناة، فروع تزود سقايات أخرى، موزعة على طول مجراها، وقفنا منها على:

أ- سقاية الشيخ عبد الكريم الجيلي:

لا يعلم تاريخ إنشائها، وكانت عند جامع الشيخ عبد الكريم الجيلي^(٣)، في الدرب المسمَّى بطرف الحاج فتحي^(٤)، المتفرع من شارع السيد سلطان علي، وزالت هذه السقاية عند نقض الجامع المذكور قبل سنين.

ب- سقاية الحاج فتحي:

لا يعلم تاريخ إنشائها أيضاً^(٥)، ولعلَّها ترقى إلى عهد سقاية الشيخ عبد

(١) مساجد بغداد: ص ٥٦.

(٢) نيل المراد في أحوال العراق وبغداد: نشرنا بعض فصوله في مجلَّة الرسالة الإسلامية (العدد ١١٧-١١٨) بغداد ١٩٧٨، ص ٤٧.

(٣) مسجد عامر قديم، فيه قبر الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي (ت ٨٣٢هـ).

(٤) رقم بابه ١٩٧ وبعد نقضه لبث سنين ساحة خالية، إلا من القبر، ثمَّ قامت الأوقاف ببناء مدرسة في أرضه، تحوَّلت إلى مدرسة ثانوية للبنات، وما يزال القبر قائماً.

(٥) جامع قديم كان يطلُّ على شارع الجمهورية، ينسب إلى أحد صلحاء الموصليين وقد أنشأه

الكريم الجيلي المتقدمة لتقارب الموضوعين، وكانت تقع في جامع الحاج فتحي، في آخر الدرب المنسوب إليه.

ولقد استمرت هذه القناة بالعمل حتى استبدلت، في مطلع القرن الحالي، بأنابيب معدنية دفنت تحت الأرض، ثم زالت سقاياتها تدريجياً، أو انقطع ماؤها، بعد انتشار استخدام الأنابيب الحديثة في تلك الناحية من بغداد.

السقايات العامة :

- سقاية حسب الله الشابندر^(١) :

أشار إليها أوليا چلبی في رحلته إلى بغداد سنة ١٠٥٨هـ - ١٦٧٤م وسنة ١٠٦٦هـ - ١٦٥٥م، وذكر أن مؤسسها حسب الله قصرأ عدّه بين قصور المدينة البارزة، وحاماً عاماً ذكره في موضع آخر من رحلته^(٢).

- سقاية أبي بكر خواجه :

أشار إليها أوليا چلبی، وعدّ مؤسسها من أعيان بغداد في أيامه، أي: في تضاعيف القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م)^(٣).

سنة ١١٦٩هـ - ١٧٥٥م وكنا قد شاهدناه وقرأنا ما عليه من كتابات أثرية قبل قرابة عشر سنوات، إلا أنه هدم وأزيلت أنقاضه، ومنها تلك الكتابات، وهو اليوم ساحة خالية.

(١) الشابندر تخفيف ل (شاه بندر) شاه: ملك، بندر: ميناء، أو فرعه (أو مدينة تجارية) وفي الاصطلاح: الشاهبندر هو كبير تجار المدينة ورئيس طائفتهم، وشيخ بندر قريبة من شاهبندر بالمعنى والمبنى، وبخاصة أن الأتراك يلفظون الطاء هاء، وقد أوردتها على هذا الشكل مرتضى نظمي زاده: گلشن خلفا، ص ٢٥١.

(٢) أوليا چلبی: سياحته سي، ج ٤، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٢٠.

- سقاية سمير موسى باشا :

أنشأها والي بغداد موسى باشا الملقَّب (سمير) أي: السمين (١٠٥٧هـ - ١٦٤٧م / ١٠٥٨هـ - ١٦٤٨م)^(١) وأشار إليها أوليا چلبی في رحلته^(٢).

- سقاية حسين باشا :

أشار إليها أوليا چلبی في رحلته، ولعلَّ مُنَشِّئُهَا والي بغداد حسين باشا (١٠٦٠ - ١٠٦١هـ / ١٦٥٠م).

- سقاية مراد باشا :

أنشأها والي بغداد مراد باشا (٩٧٧ - ٩٧٨هـ / ١٥٧٠ - ١٥٧١م) عند جامعته المعروف بالمرادية، في محلة الميدان، قبالة قلعة بغداد (وزارة الدفاع حالياً). أشار إليها أوليا چلبی في رحلته.

- سقاية حيدر چلبی الشابندر :

أنشأها حيدر چلبی شابندر التجار في بغداد في القرن الحادي عشر للهجرة، وكان من أعيان بغداد وسراتها^(٣)، وهو صاحب الحمام الشهير باسم (حمام حيدر) في شارع النهر، أشار إلى ذلك أوليا چلبی في رحلته، وذكر أنَّ له قصرًا أيضًا.

(١) گلشن خلفا: ص ٢٤٢، وتاريخ نعيم (إستانبول ١٢٨٠)، ج ٤، ص ٤٣٠، والأثر الوحيد الذي ما يزال قائماً من آثار هذا الوالي لوحة رخام مثبتة على المرقد المنسوب لابن الجوزي في محلة السنك، قرب بئر ساقية الشيخ عبد القادر الكيلاني.

(٢) أخباره في گلشن خلفا: ص ٢٥٢.

(٣) أوليا چلبی: سياحته سي، ج ٤، ص ٤٢١.

- سقاية آل مدلج:

أنشأها الشيخ مدلج الصغير ابن الشيخ ظاهر ابن الشيخ أحمد الرحبي، مفتي بغداد، والمدرس في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت ١٠٨١هـ - ١٦٧٠م) وألحقها بمسجد ابتناه باتصال الشارع الذي يمرُّ على مرقد الخلاني، قرب زاوية العيدروسي، في محلة الشيخ عز الدين الجديداوي (قسم من محلة السنك فيما بعد).

وقد تعهد آل مدلج هذه السقاية والمسجد بالعناية المستمرة، ففي سنة ١١٨٤هـ - ١٧٧٠م حبس الشيخ عبد القادر مدلج عليهما الدار العائدة له والمتصلة بجامع النعماني، مقابل مسجد العلامة محمد بن عبد الرحمن الرحبي مفتي الشافعية ببغداد، بموجب الوقفية المؤرخة في السنة نفسها.

وفي سنة ١٢٤٠هـ - ١٨٢٤م وقفت السيدة عائشة خاتون بنت الشيخ عبد القادر مدلج بستان في قصبة الكاظمية على مصالح المسجد والسقاية بموجب الوقفية المؤرخة في ٢٧ من ذي القعدة من السنة المذكورة^(١).

- سقاية أبي سيفين:

شَيَّدها والي بغداد حسين باشا السلاحدار (١٠٨٣ - ١٠٨٥هـ / ١٦٧٢ - ١٦٧٤م) عند المرقد والمسجد المنسوبين إلى (أبي سيفين)^(٢) الواقعين في محلة الطاطران، وهي آخر المحلات المعمورة من بغداد الشرقية في العصر العثماني،

(١) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط).

(٢) ورد اسمه في قائمة أولياء بغداد (مخطوط كتب في القرن الحادي عشر للهجرة) على النحو الآتي: «الشيخ محمد أبو سيفين في محلة الطاطار» وذكر عباس بن رجب البغدادي أنه أحد «المجاهدين الذين أتوا مع المرحوم السلطان مراد خان الرابع». نيل المراد في أحوال العراق وبغداد: مخطوطة نشرنا بعض فصولها في مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ١١٧ - ١١٨، ١١٩ - ١٢٠، ١٢١ - ١٢٣ (بغداد ١٩٧٨).

وقد وردت الإشارة إليها في وقفية حسين باشا المذكور، المؤرخة في سنة ١٠٨٦هـ-١٦٧٥م^(١).

- سقاية مرقد الغزالي :

شيّدها والي بغداد حسين باشا السلاخدار، عند القبر المنسوب إلى الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى في طوس سنة ٥٠٥هـ-١١١١م) وقد أثير إليها في الوقفية المتقدمة^(٢).

- سقاية مرقد أم موسى الكاظم :

شيّدها والي بغداد حسين باشا السلاخدار، في ناحية قاحلة خارج المنطقة المأهولة من بغداد الشرقية، وقد وردت الإشارة إليها في الوقفية المشار إليها آنفاً^(٣).

- سقاية جامع علي أفندي :

أنشأ هذا الجامع الحاج علي أفندي بن مراد من أهالي القرم سنة ١١٢٣هـ-١٧١١م، وموقعه في محلة رأس الكنيسة (جزء من محلة الميدان حالياً). وأنشأت سقايته السيدة أمينة، إحدى المحسنات ببغداد في العصر العثماني، وكتبت على جدار السقاية الأبيات الآتية^(٤):

ذا سلسبيل مأؤه سلسل راق ومنه طاب نفساً وارده

(١) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط).

(٢) المجموعة نفسها.

(٣) وقد وقف عليه عقارات حمة، فصلها في وقفيته المؤرخة ٨ جمادى الأولى سنة ١١٢٢هـ-١٧٢٠م.

(٤) محمود شكري الآلوسي: مساجد بغداد، ص ٧٠ (مخطوط).

زلاله عذب فرات سائغ شرابه يروي العطاش بارده
عين الرضا قد سلسله صافياً موصولة لشارب عوائده
خيراته أمينة من ريبة نافعة والخير طاف شاهده
مرصعاً بجوهر العقد أتى تاريخه حوض صفت موارده
وقد زالت هذه السقاية عند هدم الجامع وشقَّ شارع الجمهورية، ثمَّ قامت
الأوقاف بإعادة بنائه على صورة حديثة لا صلة لها بشكله القديم.

- سقاية السيدة سكيّنة العباسية :

شيّدتها السيدة سكيّنة بنت محمد العباسية في المسجد الذي كانت أسرتها
تتولاه منذ سنة ١٠٤٨هـ - ١٦٣٨م، وموقعه في أرض (سراي بغداد) وكان
موضع السقاية منه ممّا يلي باب الجامع عن شرقيه في السوق، ورتبت للسبيل
مسبلاً وسقاء ماء النهر إلى حوض السبيل، وشرطت للأوّل يوماً خمس آقجات
وللثاني ست آقجات، وثبتت ذلك في نص الوقفية، وقد بقيت هذه السقاية
قائمة حتى هدمها في أيام ولاية مدحت باشا (سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٨م) وقيل
إنَّ كتابات أثرية كانت عليها حطمت في أثناء هدمها^(١).

- سقاية كنج عثمان :

كانت تقع عند قبر كنج عثمان، أحد المحاربين العثمانيين الذين أسهموا في
فتح عدد من المدن العراقية، قبل قدوم السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٨هـ -
١٦٣٨م^(٢). وليس من المعروف تاريخ إنشاء هذه السقاية عند قبره، ومن المرجح
أنَّها أنشأت سنة ١١٢٣هـ - ١٧٢٠م عند قيام والي بغداد حسن باشا بتجديد قبة

(١) محمد صالح السهورودي في جريدة العراق البغدادية، بتاريخ ١٥ تشرين الأوّل سنة ١٩٣٠.

(٢) أخباره في تاريخ نعيما: ج ٣، ص ١٩، ومحمد ثريا: سجل عثماني، ج ٣، ص ٤١٨.

قبره ومصلاًه، وتزيينه بقطع القاشاني، وفيه ما يسجل المناسبة ويؤرخها، وقد لبثت هذه السقاية قائمة حتى مطلع هذا القرن، وقامت دائرة الأوقاف بتعميرها وما حولها من آثار، سنة ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م، ولكنها هدمت وسويت بالأرض سنة ١٣٣٣هـ-١٩١٤م، ولم يبق منها سوى القبر وحده في الطريق.

وفي ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٦هـ-١٩١٧م قام المحتلون الإنكليز بإزالته وتسويته في الطريق، ونقلت بقايا رفات كنج عثمان إلى مقبرة الشهداء خارج سور بغداد^(١).

- سقاية جامع النعمانية :

أنشأتها السيدة فاطمة خاتون بنت بكتاش بن ولي سنة ١١٨٥هـ-١٧٧١م وألحقها بالمسجد الذي ابتنته في محلة الشط (جزء من محلة الميدان حالياً)، ووقفت على المسجد والسقاية أوقافاً كثيرة، وجعلت التولية من بعدها لزوجها نعمان أغا بن الحاج إبراهيم أغا (ومنه اكتسب الجامع اسمه) ومن بعده لأولاده^(٢).

وكان موضع السقاية من المسجد قرب بابه، يطلُّ شباكها على الطريق (انظر الصورة رقم ٢)، وفي سنة ١٣٢٢هـ-١٩٠٢م أعاد من اسمه عبد الحميد تعمير السقاية، فكتبت عليها ستة أبيات دالية، على ثلاثة أسطر، تؤرخ ذلك، هي^(٣):

هذا السبيل على تقى حوض أجر حميد السجاي قد بناه جديداً

(١) رزوق عيسى في مجلة لغة العرب: ج٤، ص٣٢٢، وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج٥، ص١٨.

(٢) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط).

(٣) نقلتها من على شباكها مباشرة في صيف سنة ١٩٦٧م وكانت قد فقدت معالمها تحت طبقات من الإسمنت في أثناء بعض إصلاحات الجامع، فلم تعد تقرأ. فقامت بحكها وإزالة مايشوهها، فظهرت جلية إلى العيان.

وهذب بالطبع السليم نميره فأصبح عذباً للشفاء مفيدا
وراق به الماء الزلال كخلقه من الطبع أن تجني الورود ورودا
له الطالع السعد المنور بالهدى أبى الله إلا أن يعيش سعيدا
ألا أيها الظامي لك الشرب سائغ هنيئاً مريئاً إن قضيت ورودا
ترى الكوثر الصافي عليه مؤرخاً ورودك حوض السلسيل حميدا

- سقاية مسجد الست نفيسة :

ترقى إلى القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، أنشأها بعض أهل الخير في مسجد الست نفيسة في الجانب الغربي من بغداد^(١)، ونالت أهمية خاصة نظراً لموقعها في آخر عمران هذا الجانب، وقربها من خط الترامواي الذي أنشأه مدحت باشا والي بغداد.

ولبثت هذه السقاية موجودة حتى توسيع الشارع الذي تطل عليه (شارع موسى الكاظم عليه السلام) سنة ١٩٥٤، فنقضت مع قسم من المسجد، وعند إعادة بناء المسجد لم تبين السقاية المذكورة^(٢).

(١) ينسب إلى السيدة نفيسة القشطيني من فضليات بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة ويرى بعضهم أن مؤسسه هو محمد سعيد القشطيني الأول، عمّره بخالص ماله، في حين يرى آخرون أنه محمد سعيد المشهور بالحاج أسعودي التكريتي. ووصفه محمد أفندي الناصري التكريتي فقال: «فيه غرفة تحتانية فيها قبور عديدة، منها قبر الرجل الصالح المشهور بالكرامات الشيخ موسى الجبوري (ت ١٢٤٦هـ - ١٨٣١م) وقبر الشيخ عبد الغفور أحد خلفاء الشيخ خالد النقشبندي (ت ١٢٧٣هـ - ١٨٥٥م)». ولم أفق على تاريخ تأسيسه، وفيه قبر بجانب البئر عن يمين غرفة المقبرة للداخل فيها يقال إنه هو محمد سعيد أفندي الحاج أسعودي والله أعلم، أمّا اليوم فالأوقاف قائمة بمصارفه وفيه خطيب وإمام ومؤذن وخادم، تقام فيه الجمع والأعياد والجماعات». ذيل مساجد بغداد (مخطوط).

(٢) الآلوسي: مساجد بغداد، ص ٥٦ (مخطوط).

- سقاية زكريا الخضيرى:

أنشأها الحاج زكريا بن عبد الوهاب ابن ملا خضر المعروف بالخضيرى، أحد وجهاء بغداد وتجارها في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر للهجرة (١٨ و ١٩ م) ألحقها بمسجده الذي شيّده في محلة التسايل، القريبة من محلة باب الشيخ في شرقي بغداد، وهو المعروف بمسجد التسايل، وكان افتتاح السقاية سنة ١٢٢٨ هـ - ١٨١٢ م، وقد كتبت على شباكها خمسة أبيات لامية هي:

أباح لورّادٍ من الماء صافيا وأوردهم عذباً فراتاً وأنهلا
وصيّره وقفاً على كلّ وارد أراد وضوءاً أو تطلب منهلا
فحاز ثواباً كالذي صام دهره وصلى دوام العمر طولاً وهلا
ترى زمر الورّاد تأتي صوادياً وترجع من ريّ من الماء عللا
لذلك أضحو قائلين وأرّخوا سقى زكريا ليوم يبعث سلسلا

(١٢٢٨)

وعند وفاة الواقف سنة ١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م، دفن في مسجده، قرب السقاية المذكورة.

ومع جسامة الأوقاف التي حبسها الواقف^(١) أهمل مسجده وترك، وأفرزت مديرية الأوقاف محلّ السقاية واقتطعت قطعة من ساحة الجامع، فأدخلتها ضمن أرض السقاية، ودفعتها إلى وزارة المعارف يومذاك بالإجارة الطويلة فأنشأت عليها الأخيرة مدرسة ابتدائية تسمى بمدرسة الدسايل، فكان

(١) الوقفتان المؤرختان في ٢٥ من ذي الحجة ١٢١١ هـ و ١٧ شعبان ١٢١٧ هـ الصادرتان من المحكمة الشرعية ببغداد.

هذا آخر العهد بالسقاية.

- سقاية خضر بك:

أنشأها خضر بك بن عبد الله چلبی بن أمير الحاج محمد یاسین چلبی، أحد أمراء الحلة في القرن الثاني عشر^(١)، في جامعه الذي شیده في محلة إمام طه من شرقي بغداد سنة ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٥ م، وخصص لها شيئاً من الأوقاف، وشرط أن يشتري الماء من شاطئ دجلة بـ (١٢٠) آقجة يومياً، وخصص رواتب ثابتة للعاملين فيها، وفي سنة ١٢٣٩ هـ - ١٨٢٣ م وقفت السيدة رحمة خاتون بنت عبد الكريم چلبی بن محمد یاسین چلبی، من أسرة الواقف الأول، عدداً من البساتين على مصالح الجامع وسقايته^(٢).

بيد أن الخراب لم يلبث أن استولى على هذه المنشآت الخيرية حيناً من الدهر، وعند قيام المتولي بتعمير الجامع وتجديده، أهملت السقاية فانقطعت أخبارها منذ ذلك الحين^(٣).

- سقاية إسماعيل الشطي:

أنشأها الحاج إسماعيل چلبی بن عبد الرحمن چلبی الشطي البغدادي من التجار البارزين ببغداد في القرن الثالث عشر للهجرة^(٤)، سنة ١٢٠٧ هـ - ١٧٩٢ م وكان موقعها قرب جامع القزازة في محلة الفناهرة من شرقي بغداد^(٥).

(١) توفي سنة ١٢١٢ هـ - ١٧٩٧ م وهو من الأسرة التي عرفت فيما بعد بـ (آل عبد الجليل) و(حكمت الحلة) في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة.

(٢) مجموعة من وقفیات بغداد (مخطوط).

(٣) يقع الجامع اليوم قريباً من شارع الجمهورية، مجاوراً لمركز شرطة المهديّة.

(٤) ولد سنة ١١٨٢ هـ - ١٧٦٨ م ولا أعلم تاريخ وفاته.

(٥) نقض هذا الجامع وأدخلت أرضه في شارع الجمهورية عند فتحه.

- سقاية عادلة خاتون :

أنشأتها السيدة عادلة خاتون بنت والي بغداد أحمد باشا (توفيت ١١٨٢ هـ - ١٧٦٨ م) سنة ١١٦٠ هـ - ١٧٤٧ م، في مسجدتها المعروف بجامع العادلة الصغير^(١) على طريق الجسر القديم (جسر الشهداء حالياً)^(٢). وكان على باب المسجد لوحة من الرخام عليها ستة أبيات دالية فيها إشارة إلى السقاية، وتاريخها، منها:

فلما زها بنيان باب دخوله وجلت ماء الظمان من الصدى
هناك اقتباسيانه (كذا) الذكر أرخوا لرب السما الهادي أدخلوا الباب سجداً
(١١٦٠)

- سقاية جامع السراي :

لا يعلم منشؤها، وكانت تقع في جامع السراي^(٣)، ويطل شباكها على الطريق المؤدية إلى ساحة مديرية الشرطة، أشار إليها عباس بن رجب البغدادي سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م^(٤) وبقي حوض السقاية موجوداً في موضعه، وهو من حجر الحلان المنقور، المتوفر في نواحي الموصل، وله ثلاث فتحات لصب الماء منه، وعند تدمير الجامع مؤخراً أزيل هذا الحوض الأثري وكسر، فلم يبق للسقاية

(١) ويعرف باسم جامع الدنكجية نسبة إلى (العقد) الذي يقع فيه.

(٢) نقض هذا الجامع وأدخلت أرضه في شارع المأمون، وشيّدت الأوقاف جامعاً كبيراً باسمه على يسار الذهاب إلى الأعظمية.

(٣) ويسمى جامع جديد حسن باشا، وكان يسمى قديماً بالجامع السليمانى نسبة إلى السلطان سليمان القانوني الذي عمّره سنة ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م ثمّ جدّده والي بغداد الوزير إبراهيم باشا سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٢ م وأعاد بناءه ووّسّعه والي بغداد حسن باشا (ت ١١٢٥ هـ - ١٧٢٢ م) ولبث جامعاً خاصاً بالولاية والوزراء طيلة العصر العثماني.

(٤) مجلّة الرسالة الإسلامية: العدد ١٢١ - ١٢٢، (بغداد ١٩٧٨)، ص ٨٦.

أي أثر.

- سقاية نابي خاتون:

أنشأتها السيدة نابي خاتون بنت عبد الله، زوج والي بغداد سليمان باشا الكبير (١١٩٤-١٢١٧هـ / ١٧٨٠-١٨٠٢م) ووالدة والي بغداد سعيد باشا (١٢٢٨-١٢٣٢هـ / ١٨١٣-١٨١٦م)^(١) باتصال مدرستها التي شيّدها في السوق الجديد من (الميدان) بالجانب الشرقي من بغداد سنة ١٢٣٦هـ - ١٨٢٠م ووقفت عليها وعلى مدرستها، عقارات عديدة، أثبتتها في وقفيتها المؤرخة في ٢٨ رجب ١٢٣٧هـ - ١٨٢١م^(٢).

- سقاية السيف:

أنشأها والي بغداد داود باشا (١٢٣٢-١٢٤٧هـ / ١٨١٦-١٨٣١م) عند جامع السيف^(٣)، حين قام بتعميره تعميراً شاملاً في السنوات (١٢٣٦-١٢٤٠هـ / ١٨٢٠-١٨٢٤م) «ليستقي منها الناس ويشرب من مائها أبناء

(١) شاركت هذه السيدة في الحكم وأسهمت في توجيه سياسة زوجها وولدها، وبعد مقتل الأخير، اعتكفت عن الناس، وتركت الحياة العامة، ثم شرعت بجملة أعمال خيرية نافعة منها هذه السقاية. انظر سليمان فائق: مرآة الزوراء في أخبار الوزراء (المسمى تاريخ بغداد) ترجمة موسى نورس، ص ٥١، وتاريخ الممالك الكوله مند في بغداد، ترجمة نجيب الأرمنازي، ص ٤٩.

(٢) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط).

(٣) مسجد قديم كان على شاطئ دجلة الغربي، قريباً من جسر الشهداء الحالي، كنا قد رجّحنا أن أصله في العصر العباسي دار القرآن البشرية المشيئة سنة ٦٥٢هـ - ١٢٥٤م وعُمر في عهد السلطان سليم الثالث سنة ١٢٠٢هـ - ١٧٨٨م، ومن المؤسف أن ينقض هذا الأثر المهم ويحطم ما عليه من كتابات أثرية، ليمسي ساحة لوقوف السيارات!. عماد عبد السلام رؤوف: دار القرآن البشرية وهل هي مسجد السيف القديم، جريدة البلد البغدادية، بتاريخ ١٠/١١/١٩٦٦.

السبيل»^(١)، وقد امتدحها الشيخ محمد صالح التميمي بأبيات بائية كتبت على جدرانها، هي:

أرى كلَّ مكرمة في الورى إلى غير داود لا تنسبُ
حبي الكرخ من بركة سيها إذا نضب البحر لا ينضب
وما يبتغى الناس من صيب ونائل راحاته صيب
إذا ذقت من مائها فاستعن بآخر ري به يعذب
وأرخ وناد بواردها هنيئاً مريئاً لمن يشرب
واندثرت هذه السقاية عند نقض الجامع نفسه سنة ١٩٦٦م، فلا أثر لها اليوم.

- سقاية جامع الأزبك:

أنشأ هذه السقاية أو جدّدها والي بغداد داود باشا سنة ١٢٤٢هـ-١٨٢٨م، وكانت تطلُّ بشباكها من جامع الأزبك على الطريق العام، فهي قريبة من باب المعظم، إلى يمين الداخل منه إلى بغداد. وبقيت موجودة حتى الربع الأوّل من هذا القرن^(٢).

- سقاية جامع الحيدرخانة:

أنشأها والي بغداد داود باشا سنة ١٢٤٣هـ-١٨٢٩م في جامع الحيدرخانة

(١) ديوان محمد صالح التميمي.

(٢) انظر عن هذا الجامع: عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٥، ص ٢٥، وديوان محمد صالح التميمي: ص ٧٩.

الذي عمّره، أو أتمّ تعميره في تلك السنة^(١). وكان لها شبّاك مطلٌّ على سوق الحيدر خانة ينهل منه المارّون^(٢).

وشرط مؤسّسها في وقفه: «لمن يناول الماء للشاربين من الماء المسبل للشرب خمسين قرشاً.. وللسقاء الذي يأتي بهاء الجامع في كلّ يوم عشرة قِرب، ثلثائة وستين قرشاً»^(٣).

- سقاية خاتون بنت عبد الله :

شيّدتها السيدة خاتون بنت عبد الله وزوجها أحمد آغا بن إسماعيل آغا سنة ١٢٣٨هـ - ١٨٢٢م. وكانت تقع في محلة الميدان ببغداد الشرقية، مطلةً بشبّاكها على الشارع العام^(٤)، ووقفت عليها أربعة دكاكين في المحلة نفسها، وشرطت أن تصرف الغلة على لوازم السقاية والفضلة تكون لذريتها، وبعد انقراضها تصرف جميع الغلة على السقاية وتعميرها، وسجلت هذه الوقفية في ٧ صفر من السنة نفسها^(٥).

- سقاية عاتكة خاتون :

أنشأتها السيدة عاتكة خاتون بنت السيد علي القادري الكيلاني نقيب الأشراف (توفيت سنة ١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م) في مدرستها التي شيّدتها قرب جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد سنة ١٢٢٦هـ - ١٨١١م وعرفت

(١) أسامة النقشبندي: جامع الحيدر خانة، عمارته وموضعه، مجلّة سومر، مج ٢٩، ج ١ - ٢ (بغداد ١٩٧٣)، ص ٢٤٥.

(٢) زال هذا السوق، وكان يقع في أرض شارع الرشيد، ويتصل بالواجهة الحالية للجامع بعقود.

(٣) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط).

(٤) في نص الوقفية أنّها تقع بين الشارع العام وملك عبد الكريم النفطجي.

(٥) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط).

بالمدرسة الخاتونية^(١)، وقد وقفت على مدرستها هذه وسقايتها أوقافاً جمّة، وشرطت للسقاية كلّ يوم مبلغاً قدره (٢٤) آقجة^(٢). ولكنّ خراباً أصاب جميع المنشآت نتيجة الطاعون الجارف والغرق الذي ألمّ ببغداد سنة ١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م، فاندرست ومُحي أثرها^(٣).

- سقاية نازدة خاتون :

أنشأتها السيدة نازدة خاتون بنت مصطفى آغا (توفيت سنة ١٢٨٤هـ - ١٨٦٧م) زوج علي باشا والي بغداد (١٢١٧-١٢٢٢هـ / ١٨٠٢-١٨٠٧م) وافتتحها سنة ١٢٦٣هـ - ١٨٤٦م^(٤).

وكانت تقع في الجامع الذي شيّده في محلة الحيدر خانة، قريباً من شارع الرشيد، يطلُّ شبّاكها على الطريق، وخصّصت لها منشأتها من الأوقاف العديدة التي وقفتها مبلغاً قدره (١٨٠٠) قرشٍ رائجٍ للإنفاق على صيانتها، ومدّها بالماء على الدوام^(٥).

وقد تعطلّت هذه السقاية منذ أن لحق الخراب الجامع نفسه، في أوائل القرن الحالي^(٦).

(١) عماد عبد السلام رؤوف: الآثار الخطية في المكتبة القادرية (بغداد ١٩٧٤)، ج ١، ص ٢٩.
(٢) وقفية المدرسة الخاتونية مؤرخة في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٣٥هـ. المحكمة الشرعية، سجل ١١، ص ٢٠٧.

(٣) إبراهيم الدروبي: البغداديون، أخبارهم ومجالسهم، بغداد ١٩٥٨، ص ٣٣٤.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٤٠.

(٥) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط).

(٦) أعادت الأوقاف بناءه ليكون مدرسة دينية باسم (مدرسة نازدة خاتون).

- سقاية دكان سناوه:

لا يعلم مؤسسها، وكانت تقع في محلة (دكان سناوه) بين محلة الحيدر خانة جنوباً، والقراغول شرقاً والصابونجية شمالاً والميدان غرباً، ذكرها فيلكس جونز سنة ١٢٦٢هـ - ١٨٤٦م، إذ أشار إلى أن عقداً من عقود هذه المحلة يسمى (عقد السيلخانة)^(١)، ولا ندري إلى أي عهد بقيت.

- سقاية صبغة الله الحيدري:

أنشأها السيد صبغة الله بن إبراهيم الحيدري البغدادي، مفتي الشافعية ببغداد (ت ١٢٧١هـ - ١٨٥٤م)^(٢) سنة ١٢٦٧هـ - ١٨٥٠م وكان موقعها قرب جامع الخلفاء (جامع القصر قديماً) ببغداد الشرقية، وكتب على جدارها - بالرخام - خمسة أبيات حائية، تضمّنت اسم المنشئ، وتاريخ إنشائها، وكان السيد محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م) قد سجّل هذه الأبيات، قبل نقضها، وهي^(٣):

ذي بركة يرتوي منها بضحضاح	كادت تؤلف أبداناً بأرواح
فصبغة الله أجرى ماءها غدقاً	للواردین بتبريد وإصلاح
يرجو الثواب من الرب الكريم بها	يوم الحساب وأن يسقى بأقداح
بشراه قد ربحت فيها تجارته	وفاز في خير محصول وأرباح
إن جئت ضمآن قلب يا مؤرخها	اشرب هنيئاً مريئاً بارداً الراح

(1) Jones, f., op. cit., p. 314.

(٢) ترجم له ابنه إبراهيم فصيح في كتابه: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد (بغداد ١٩٦١)، ص ١٢٠-١٢١.

(٣) مساجد بغداد: ص ٦٧ (مخطوط).

وعند هدم الجامع سنة ١٩٥٨ لشق شارع الجمهورية زالت هذه السقاية وفقدت الرخامة المذكورة، وبقيت كذلك، حتى أسعدني الحظ بالعثور عليها، وإذا بها ما تزال في حالة جيدة، يبلغ طولها ٣٦ سم وعرضها ٣٥ سم وتحنها ٥ سم، وقرأت عليها بعد حگّها وتنظيفها الأبيات الخمسة المذكورة، وهي مكتوبة بخط النسخ البديع، ومنقوشة بإتقان وعناية.

ومما يلفت النظر أنَّ الآلوسي سجل تاريخ شطر الشعر في الرخامة (١٢٦٠) مع أنَّ المكتوب على الرخامة نفسها (بالأرقام إضافة إلى مجموع الحروف) هو (١٢٦٧) وعليه جرى الأستاذ يعقوب سر كيس في بحثه عن (منارة جامع سوق الغزل)^(١) والأستاذ عباس العزاوي في مقال (جامع الخلفاء)، لعدم اطلاعهما على النص الوارد فيها عياناً (انظر الصورة رقم ٣).

- سقاية خلف آغا :

أنشأها خلف آغا، قائم مقام الحلة^(٢) في عهد والي بغداد نامق باشا الكبير سنة ١٢٧٧ هـ - ١٨٥٣ م قرب حديقة له ظاهر سور الكرخ، في الجانب الغربي من بغداد وكان «يبرد فيها الماء العذب لشرب أبناء السبيل» وكتب على جدار السقاية قصيدة بائية، فيها تاريخ إنشائها، وهي^(٣):

هذا سبيل لا عيب فيه قد راق لأبناء السبيل مشربا
كوثر ماء في رياض جنة يجنى جنى الجود منها رحبا
رق لظمان الحشا سلساله رقى سلسال زلال الصهبا

(١) مباحث عراقية: (بغداد ١٩٤٨) ج ١، ص ٢٤٦. وفيه ما يوافق السنة (١٢٦٠ هـ) حسب التاريخ الميلادي، وهو (١٨٤٤ م).

(٢) يوسف كركوش: تاريخ الحلة (النجف ١٩٦٥)، ج ١، ص ١٤٣.

(٣) مساجد بغداد: ص ١٣١ (مخطوط).

مدى عليه للقري قصر علا طال الزمان في علاه الشهبأ
أكرم به من (خلف) سلسيله أوقفه لله منه حسبأ
وراح كلُّ وارد وصادر يشكره شكر الرياض السحبا
وكم وري قلباً به لحاسد وكم به روى لصاد قلبأ
ومن تكن عقباه مثل هذه فلا يخف يوم المعاد العقبا
يا حبذا سيب سبيل ورده فأرخت شراباً عذبا

(١٢٧٧)

- سقاية نائلة خاتون:

أنشأتها السيدة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم سنة ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م ظاهر
أسوار الجانب الشرقي من بغداد، على الطريق المؤدية إلى قسبة الأعظمية، ضمن
البستان المعروف ببستان الوقف، قريباً من سقاية الحجية^(١) ووقفت عليها أوقافاً
دائرة، وشرطت أن يصرف عليها من غلتها، وما يتبقى يصرف على المدرسة التي
أنشأتها قبالة جامع الحيدرخانة ببغداد^(٢). كذلك جعلت هذه السقاية مدفنأ
لزوجها مراد أفندي المتوفى سنة إنشائها، ثمَّ مدفنأ لها بعد وفاتها سنة ١٢٩٤هـ -
١٨٧٧م.

وقد بقيت السقاية قائمة للنفع العام حتى إزالتها عند توسعة الشارع سنة
١٩٣٥ ونقل رفات دفينيها إلى مقبرة الإمام الأعظم، ولما بنى السيد عبد الحميد
الدهان جامعاً على قطعة أرض تعود إلى هذه الواقعة، بنى فيه سقاية، وهي

(١) سيأتي الكلام عليها في هذا البحث.

(٢) الوقفيات المؤرخات في ٩ ربيع الأول ١٢٩١ و ١٦ من ذي الحجة ١٢٩١ و ٦ ربيع الأول

موجودة إلى اليوم^(١).

- سقاية سلمان القادري:

أنشأها السيد سلمان بن علي بن سلمان القادري الكيلاني، نقيب الأشراف ببغداد (ت ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م) سنة ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م. وتقع باتصال المسجد الذي شيّده في السنة نفسها، والواقع في محلة السنك من شرقي بغداد^(٢)، وقد وقّف على مصالح سقايته ومسجده أوقافاً جساماً، فصلّها في نص وقفيته، وشرط «أن يكون الماء جارياً بلا انقطاع شتاءً وصيفاً يستقي كل من أراد من أبناء السبيل والمترددين، ومن أراد حمل الماء بالأواني المخصصة إلى بيته من الحوض المعدّ لذلك فلا يسوغ لأحد منعه، ومن منعه وقطعه فعليه ما يستحق من الله تعالى!، وشرط أن يعطى لمن يقوم بخدمة السقاية ٧٥ قرشاً صاغاً كلّ شهر، إضافة إلى مخصصات مالية عديدة لتغطية مصارف السقاية الأخرى^(٣)، وثبتت فوق شبّاكها لوحة رخامية نقشّت عليها خمسة أبيات بائية، فيها تاريخ إنشائها، وهي:

سيد القوم وفخر النجبا من له فوق الثريان نسب
رضي الله على أفعاله وبه يعلو العلى والرتب
بالندى يمناه أجرت مورداً جلة الوارد منه تشرب
فإذا قلت لعمرى دجلة ماؤها عذب فرات طيب

(١) البغداديون: ص ٣٠٦، وهاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام الأعظم، (بغداد ١٩٦٥)، ج ٢، ص ١٩٠.

(٢) محمد صالح السهروردي: لب الألباب، ج ٢، ص ١٢١.

(٣) وقفية السيد سلمان القادري، مؤرخة في ١٧ رمضان ١٣١٢ هـ، (المحكمة الشرعية السجل (٤٤).

قلت بالواحد لطفاً أرخوا سلسبيل القادري أعذب

(١٣٠٠)

وما تزال هذه السقاية قائمة، وعليها ما نقلناه من أبيات، إلا أن الماء انقطع عنها منذ عهد بعيد (الصورة رقم ٤).

- سقاية عبد الرزاق الخضيري:

أنشأها الحاج عبد الرزاق چلبی بن یاسین بن عمر الخضيري سنة ١٣٠٣هـ - ١٨٨٥م عند مسجد الشيخ عبد العزيز الأنصاري في محلة الشيخ سراج الدين من شرقي بغداد، وذلك بمناسبة تعميره للمسجد المذكور في تلك السنة، ووقف عليها بعض الأوقاف ضمناً لدوامها^(١).

- سقاية عطية خاتون:

أنشأتها السيدة عطية خاتون بنت محمود آغا بن عبد الله سنة ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م باتصال باب جامع العاقولي^(٢) في شرقي بغداد، ووقفت عليها داراً في محلة جديد حسن باشا، وشرطت صرف غلتها على إصلاح السقاية وترميمها، وأوكلت أمر توليتها إلى إسماعيل أفندي بن الحاج سليم بن أمين بن شعبان، وجعلت النظارة عليها للعلامة السيد نعمان خير الدين الآلوسي (ت ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م)^(٣)، ولم يبق للسقاية اليوم أثر، وقد علمت ممن عاصرها أنها زالت في الأربعينيات من هذا القرن.

(١) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط).

(٢) جامع قديم كبير في محلة العاقولية التي نسبت إليه، كان في الأصل داراً للشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن العاقولي مدرس المستنصرية، وبعد وفاته سنة ٧٢٨هـ - ١٣٢٧م تحوّل إلى مسجد، وقبره فيه ظاهر إلى اليوم، وجرى تعميره غير مرّة آخرها سنة ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م.

(٣) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط).

- سقاية صالح بن محمد :

أنشأها الشيخ صالح بن محمد بن فتاح في محلة (فضوة عرب) التي هي جزء من محلة باب الشيخ، ووقف على إدارة مصالحها دار سكناه وكانت تقع بقربها بموجب الوقفية المؤرخة في ٧ من ذي القعدة سنة ١٣١٣هـ - ١٨٩٥م^(١).

- سقاية جاسم الحجية :

شيدها جاسم الحاج محمد خلف الحجية سنة ١٣١٨هـ - ١٩٠٤م في الحديقة (البقعة) المحاذية لبستان الربع التي ورثها عن والده الحاج محمد الحجية متعهد أرزاق الجيش العثماني في بغداد في عهد مدحت باشا، على الطريق العام المؤدي إلى جامع الإمام الأعظم، حيث كان المازة وعابرو السبيل يستريحون هناك ويتوضؤون إن كان وصولهم إليها في أوقات الصلاة، حيث كان في الجهة المقابلة لمدخلها مصلى واسع.

ولضمان تزويد السقاية بالماء، فقد مدّ مُنشئها إليها قناة من شاطئ دجلة، يرفع إليها الماء بوساطة دولاب كان يسقي أيضاً بستان الربع، ويصب في حوض كبير، مطلى داخله بالقار، موضوع داخل مبنى السقاية، ممّا يلي شباكها مباشرة، وفي هذا الحوض يتسبب الماء، ويتعهده بالملء والتنظيف عامل خاص له مرتب شهري، وكانت ساحة السقاية (١٥٦) متراً مربعاً، إضافة إلى مصلى مقابلها، وبئر لاستعمالها عند انقطاع مياه القناة.

وكتبت فوق محلّ شرب المياه ثلاثة أبيات للعلامة عبد الوهاب النائب (ت ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م) فيها تاريخ إنشائها. ومنها^(٢):

جاسم قد بنى وأحسن صنعا لأبيه محمد خير منهل

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) عزيز جاسم الحجية: بغداديات (بغداد ١٩٦٧)، ج ١، ص ١٦٩ - ١٧١.

وبعد انتفاء الحاجة إلى هذا المشروع الخيري بوصول العمران بين الأعظمية وبغداد، واستعمال وسائل النقل الآلية، هدم جاسم الحجية سقايته، إلّا جداراً واحداً كان يشتمل على المدخل ومحلّ شرب الماء وفوقه الرخامة المذكورة، وبقيت هذه الآثار حتى باعها الورثة سنة ١٩٥٩م، فهدم من اشتراها محلّ الشرب وأدخله في بيته.

- سقاية كامل الزند :

أنشأها كامل بك بن الحاج أمين الزند سنة ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م، عند المسجد الذي شيّده على قسم من دار أبيه مفتي بغداد، في محلة البارودية من محلات شرقي بغداد، وكتب فوق باب المسجد خمسة أبيات تشتمل على تاريخ العمارة، وفيها إشارة إلى السقاية المذكورة، هي^(١):

مزهرة فليعمل العامل	ذا جامع فيه رياض التقى
ينال من جوهرها السائل	مكتبة فيه لأهل الهدى
فليس يحكيه الحيا الهاطل	وماؤه العذب غدا كوثرأ
سليل صدر العلم الكامل	شيده محتسباً موقناً
قد نار هذا المسجد الكامل	على التقى مذتم أرخته

(١٣٢١)

وقد هدم هذا المسجد في تموز سنة ١٩٦٤ فضاء أثر سقايته.

- سقاية سالم الحيدري :

أنشأها السيد سالم الحيدري سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م في محلة النصّة، على

(١) مساجد بغداد: ص ٩٧ (مخطوط).

طريق الأعظمية، اشترى أرضها لتكون مقبرة له، وكانت قبل ذلك قسماً من بستان (بقال بكر)^(١)، ثم شيد عليها مسجداً صغيراً، دفن فيه قريبه السيد صالح الحيدري المتوفى في السنة المذكورة، وألحق به سقاية ذات طابقين، وجعل فوق شبّاكها لوحة رخام كتب عليها بخط بارز جميل سطرين، يؤلفان العبارة الآتية: «قد أنشأت هذه السبيل خانة إلى المرحوم الشهيد حيدري زادة صالح أفندي سنة ١٣٣٠». تلي ذلك قصيدة عينية من عشرة أبيات كتبت على ستة أسطر، وهي في رثاء السيد صالح الحيدري.

وما تزال بناية هذه السقاية قائمة، وهي تقع ملاصقة دائرة البريد في الأعظمية.

- سقاية هيبت خاتون:

أنشأتها السيدة الحاجة هيبت خاتون سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩٦٦ في محلة النصّة من محلات قصبة الأعظمية، عند المدرسة التي شيّدها هناك ووقّفت عليها أوقافاً بموجب الوقفية المؤرخة في ١٢ ربيع الأوّل سنة ١٣٣٦ هـ - ١٩١٨ م^(٢).

- سقاية مسجد آل جميل:

لا يعلم تاريخ إنشائها، وكانت تقع عند مسجد آل جميل في محلة قنبر علي بشرقي بغداد، وفي سنة ١٣١٥ هـ - ١٩٠١ م وقفت السيدة صفية خاتون بنت محمد أفندي ابن السيد عبد الغني آل جميل مفتي بغداد بعض الدكاكين على هذا المسجد وعلى السقاية، وشرطت أن يعطى (٣٥٠) قرشاً لتصرف على لوازم السقاية^(٣).

(١) تاريخ جامع الإمام الأعظم: ج ٢، ص ١٩٢.

(٢) البغداديون: ص ٣٤٤، وتاريخ جامع الإمام الأعظم: ج ٢، ص ٥٨.

(٣) البغداديون: ص ٣٦٠.

- سقاية حاجبة خاتون:

لا يعلم تاريخ إنشائها، وكانت تقع في مسجد حاجبة خاتون، في محلة الإمام طه بشرقي بغداد، ذكرها الشيخ محمد بهجة الأثري سنة ١٩٢٥م^(١)، ونقضت مع المسجد عند توسعة شارع الرشيد.

- سقاية الملا حمادي:

أنشأها شاكر الملا حمادي سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م في المسجد الذي جدد عمارته قرب جامع السيد سلطان علي في شرقي بغداد، وأشار إليها عباس بن رجب البغدادي سنة ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م^(٢).

- سقاية سيد محمد:

أشار إليها السيد رشيد الخوجة في خريطته لبغداد^(٣)، وموقعها - كما تظهر فيها - خارج باب المعظم، في أرض المدرسة الغربية المتوسطة اليوم، وفيها قبر صاحبها.

- سقاية الشيخ معروف الكرخي:

لا يعلم تاريخ إنشائها، وموقعها عند جامع الشيخ معروف الكرخي ومقبرته في الجانب الغربي من بغداد^(٤).

(١) مساجد بغداد وآثارها: الفوائد، ص ١٤٠.

(٢) مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ١١٧-١١٨ (بغداد ١٩٧٨).

(٣) خريطة بغداد كما مسحها السيد رشيد الخوجة عام ١٩٠٨، ص ١٦. وعام ١٩٠٨م (أطلس بغداد: ص ١٦).

(٤) محمد رؤوف الشخلي: مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، (البصرة ١٩٧٢)، ص ٨٢.

خاتمة :

شهدت بغداد في أواخر العصر العثماني محاولات متفرقة لتحسين الوسائل القديمة المتبعة في رفع مياه الشرب ونقلها إلى محلاتها، ولقد انصبَّت تلك المحاولات - بالدرجة الأولى - على استبدال الآلات القديمة التي تعمل بقوة الحيوانات بآلات ذاتية الحركة، أكثر حداثة، دون أن تستهدف إنشاء نظام جديد لتوزيع مياه الشرب على المحلات، أو إدخال فكرة تنقيتها من شوائبها أو تعقيمها، فلم تتجاوز تلك المشاريع، في أغلب الأحيان، رفع القنوات الآجرية القديمة، واستبدالها بأنابيب معدنية لتعمل على الأسلوب القديم نفسه، ولتزود سقايات المدينة العامة بالطريقة المتبعة سابقاً.

ولعلَّ أوَّل محاولة من هذا النوع هي التي جرت في آخر عهد الولاية المماليك^(١)، ففي سنة ١٢٣٦هـ - ١٨٢٠م عرض مهندس إيراني يدعى (ميرزا عبد المطلب) كان قد قدم بغداد آنذاك على والي بغداد داود باشا (١٢٣٢ - ١٢٤٧هـ / ١٨١٦ - ١٨٣١م) أن يقوم بصنع مضخة (طلمية) تسحب الماء إلى أيِّ مكانٍ مرتفع على أن تتعهد الحكومة بدفع ما يلزم من النفقات، فوافق داود باشا بعد أن درس المشروع بعناية، وخصَّص له عدداً من الحدادين والعمال للعمل معه، وسهَّل له كلَّ الوسائل التي تعينه على إنجازهِ المشروع، فصنعت المضخة في مدة قصيرة، ونصبت على دجلة، وأخذت بضخ الماء بكثرة هائلة، فكانت موضع إعجاب الناس على اختلاف طبقاتهم^(٢)، وسميت بـ (چرخ يوسف) أي دولا ب يوسف، نسبة إلى ابن اللوالي يدعى طورسون يوسف.

ومع أنَّ داود باشا طلب من المهندس المذكور الإقامة ببغداد «ليتعلم سائر

(١) دام حكمهم من ١١٦٢ إلى ١٢٤٧هـ / ١٧٤٨ - ١٨٣١م.

(٢) رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت، ص ٢٩٤.

الناس منه» وأجرى له راتباً^(١)، فإننا لا نجد في أخبار السنين التالية على هذا الحادث ما يدل على إنشاء مشاريع أخرى من النوع المذكور، إذ بقيت الدواليب القديمة مستمرة في عملها في مد أهل بغداد بمياه الشرب حتى مدة متأخرة من القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) وأغلب الظن أن خراباً لحق بمشروع داود باشا نفسه بعد سنوات قليلة من تأسيسه إذ خلت المصادر، وبخاصة أخبار المشاريع التالية، من أدنى إشارة إليه.

وفي عهد والي بغداد المصلح مدحت باشا (١٢٨٦-١٢٨٩هـ / ١٨٦٨-١٨٧٢م) بدأ التفكير جدياً بإنشاء مشروع دائم لربط دور بغداد وسقاياتها العامة بأنابيب، وتضخ إليها المياه بوساطة مكائن حديثة تنصب في أماكن مختلفة من شاطئ دجلة، وتكون تحت إدارة بلدية بغداد المنشأة حديثاً، وقد أوصي لهذا الغرض على خمس مكائن من لندن، قوة كل منها (١٢) حصاناً، ووضعت واحدة منها في مشرعة (شريعة) الميدان على سبيل التجربة، إلا أنه لا دليل على إتمام المشروع على ما وعدت به جريدة الزوراء الرسمية في حينه، وكانت هذه الجريدة قد نشرت في ٧ ربيع الأول سنة ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م خبراً يبشر البغداديين بانتهاء مشكلة مياه الشرب في مدينتهم على النحو الآتي:

«لا يخفى أن سطح بلدة بغداد بحسب ارتفاعه مقدار ذراعين ثلاثة أعشارية عن سطح نهر الدجلة، فلهذا لا يمكن دخول الماء إلى دار من الدور أصلاً، والماء الذي يشربه الأهالي ينقل بوساطة سقائي الحمير وسقائي الظهر، فالمشقة الحاصلة للخلق من هذه الجهة وعلى الخصوص لبعض العجزة من النساء، فحوصلة البيان لا تسع إيضاح ذلك. بناء على هذا لأجل دفع احتياج أهالي مملكتنا من جهة الماء، وإن الذين يرمون (يرومون) إدخال الماء إلى دورهم يعطى في بعض

(١) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٦، (بغداد ١٩٥٤) ص ٢٦٨.

الأمكنة حياض فيها مَزَمَلَات يأخذ بوساطتها الماء، كان قبل هذا قد أوصى على جلب خمس ماكينات لأجل الماء من لوندرة، وقوة كل منها في قوة اثني عشر حصاناً، وأن تدخل تحت حساب دائرة البلدية، وبهذه الدفعة قد وردت تلك الماكينات ووضعت واحدة منها بحذاء مطبعتنا لأجل التركيب والتجربة، فهذه المادة ما عدا أنّها تكون دافعة للضرورة العارضة للخلق من جهة تصل الماء، فكذلك يكون الماء الجاري دائماً في كل دار، وحيث إنّ هذه الفائدة هي موجهة لكسب معمورية البلدة درجة أخرى، فالحق أنّها لايقة بالتشكر والامتنان، وأنّها ألطف من الماء الزلال لدى الظمآن»^(١).

وفي سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م أمر والي بغداد حازم بك (١٣٢٥ - ١٣٢٦هـ / ١٩٠٧ - ١٩٠٨م) بنصب ماكينة أخرى في مشرعة الميدان وأجرى الماء بالأنابيب إلى داخل بغداد، فكانت تمدّ بمياه الشرب محلات الميدان وبعض المحلات الأخرى مثل الحيدرخانة والصابونجية وجديد حسن باشا والطوب، وبلغ مجموع الدور التي يوزع عليها الماء (٣٦٠) داراً حسب^(٢).

وفي سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م نصبت ماكينة مشابهة عند دولا ب الشيخ عبد القادر الكيلاني فأمست تزود سقايته بالماء^(٣)، بيد أنّ إشراف البلدية بقي قاصراً على المشروع الحكومي الوحيد، وهو المنشأ عند شريعة الميدان.

وعند سقوط بغداد على يد المحتلين البريطانيين تولّت سلطات الاحتلال إدارة المشروع ثمّ عهد به بعد تأسيس الحكومة العراقية إلى إدارة (البلدية)، فبقي

(١) جريدة الزوراء: نمر ١٤٧، ٧ ربيع الأول ١٢٨٨.

(٢) محمد رؤوف الشخيلي: مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، (البصرة ١٩٧٢) ج ١، ص ٩٨. ومما يذكر أنّ أجرة الماء الشهرية لكل دار كانت تبلغ عشرة قروش صحيحة، أي: ما يعادل ١٠٠ فلس. عبد الكريم العلاف: بغداد القديمة (بغداد ١٩٦٠) ص ٧٥.

(٣) انظر ما تقدم عن هذه السقاية.

تحت إدراتها حتى إنشاء أوّل هيئة عامة لمياه الشرب في بغداد والعراق باسم
لجنة إسالة الماء لمدينة بغداد) سنة ١٩٢٤.

ومع أنّ حالة الإسالة والتوزيع كانت في هذه الفترة بدائية للغاية^(١)، إلّا أنّها كانت بداية لأعمال عديدة نشطة، ذات صفة علمية وتقنية حديثة^(٢)، وبذلك ينتهي تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة ببغداد، ليبدأ بعدها تاريخ مشاريع حديثة، آخذة بأسباب التطور والتقدم.

(١) كان طول الأنابيب الموصلة لمياه الشرب في الأيام الأولى لتسلم المشروع سنة ١٩٢٤ (٢٠,٠٠٠) متر، وكانت ميزانية المشروع تحوم أرقامها حول ما يقارب (١٧,٠٠٠) دينار، أمّا عدد المشتركين فلم يزد على (٧٠٠٠) مشترك، ولم تكن هناك عملية ترسيب أو تصفية، وكانت الأنابيب ترفع غالباً من أماكنها لتنظيف ما في داخلها من الأطنان والرواسب، ولم تكن هناك مقاييس البتة، وإنّما تستوفى الأجور بالتقدير.

(٢) في سنة ١٩٢٥-١٩٢٦ ابتدأ الاهتمام بالتصفية، وألحق بعد ذلك مركز الكرادة بالمشروع، وكان بعهدة وزارة الطيران، وفي سنة ١٩٢٧ وضع منهج إنشاء مركز تصفية جديد لمنطقة الكرخ تضم إليه منطقة الكاظمية، وقد صدر بالفعل سنة ١٩٢٩ قانون بتشكيل أعمال اللجنة على منطقة الكاظمية وكمل المشروع في أواسط ١٩٣٠. وفي الوقت نفسه كانت أعمال التصفية قد بدأت بالتحسن، واستعملت أحواض الترسيب وبدأ بتعقيم الماء بالكلورين، وفي أواخر سنة ١٩٣٠ استقرضت اللجنة أوّل قرض من البنوك، وفي سنة ١٩٣١ صدر قانون تأسيس لجنة إسالة الماء لمنطقة بغداد رقم ١٠٤ لسنة ١٩٣١، وأصبح للجنة شخصية حكومية، وزيد عدد أعضائها، وفي أواسط ١٩٣٤ لأول مرة زودت جهتها جهتي الرصافة والكرخ بالماء لمدة (٢٤) ساعة متصلة، وفي أيلول ١٩٣٥ افتتح مركز التصفية في الصرافية الذي عدّ بداية لضخ الماء النقي لجانب الرصافة وكانت مراكز المشروع في هذا التاريخ هي ثلاثة: الصرافية والشالجية والكرادة، وفي أواخر ١٩٣٥ عدل قانون اللجنة بحيث أصبح مرجعها الأعلى وزارة الداخلية، وفي أواسط ١٩٣٩ أدمج مشروع الأعظمية بأعمال اللجنة وأدخلت عليه تحسينات شاملة ومنح صاحب الامتياز تعويضاً عن ممتلكاته. وفي حزيران ١٩٥٣ أضيف مركز صخ وتصفية جديد إلى مراكز اللجنة هو مركز المسبح وبصدور القانون رقم ٥٤ لسنة ١٩٥٥ أصبح اسم المشروع (مصلحة) ثمّ زادت أعمال هذه المصلحة وتوسعت بتوسع مدينة بغداد نفسها في الستينات والسبعينات.

دليل خريطة

سقايات بغداد في العصر العثماني

- ١- سقاية جامع الأزبك.
- ٢- سقاية مراد باشا.
- ٣- سقاية جامع علي أفندي.
- ٤- سقاية البارودية.
- ٥- سقاية سري باشا.
- ٦- سقاية الشيخ عمر السهروردي.
- ٧- سقاية دكان شناوه.
- ٨- سقاية نابي خاتون.
- ٩- سقاية خاتون بنت عبد الله.
- ١٠- سقاية جامع النعمانية.
- ١١- سقاية كنج عثمان.
- ١٢- سقاية جامع السراي.
- ١٣- سقاية نازنده خاتون.
- ١٤- سقاية جامع الحيدر خانة.
- ١٥- سقاية سكينه العباسية.
- ١٦- سقاية حاجبة خاتون.
- ١٧- سقاية عطية خاتون.
- ١٨- سقاية خضر بك.
- ١٩- سقاية جامع الأصفية.
- ٢٠- سقاية عادلة خاتون.
- ٢١- سقاية مسجد آل جميل.
- ٢٢- سقاية أبي سيفين.
- ٢٣- سقاية صبغة الله الحيدري.
- ٢٤- سقاية أم الكاظم.
- ٢٥- سقاية عبد الرزاق الخضير.
- ٢٦- سقاية الشيخ سراج الدين.
- ٢٧- سقاية جامع الحاج فتحي.
- ٢٨- سقاية جامع عبد الكريم الجيلي.
- ٢٩- سقاية الملا حمادي.
- ٣٠- سقاية آل مدلج.
- ٣١- سقاية إسماعيل الشطي.
- ٣٢- سقاية الشيخ عبد القادر الكيلاني.
- ٣٣- سقاية عاتكة خاتون.
- ٣٤- سقاية صالح بن محمد.
- ٣٥- سقاية سلمان القادري.
- ٣٦- سقاية الغزالي.
- ٣٧- سقاية كامل الزند.
- ٣٨- سقاية زكريا الخضير.
- ٣٩- سقاية جامع السيف.
- ٤٠- سقاية معروف الكرخي.
- ٤١- سقاية شوكت بك.
- ٤٢- سقاية سيد محمد.
- ٤٣- سقاية الست نفيسة.



المخطوطات العربية في خزائن كربلاء

السيد سلمان هادي آل طعمة

عُرفت كربلاء بتاريخها الحافل الوضاء وآثارها الفكرية الخالدة، وجمعت حضارتها المجيدة بين ثنايا معارفها الكثير من العلوم كالفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء والطب والتاريخ واللغة والدين والأدب، وكان لها عباقرتها وأفذاذها الذين بحثوا في كلّ واردة وشاردة من العلوم ذات الأبعاد العميقة في ثقافة هذه الأمة العربية العظيمة الشأن، وعلاوة على هذا فقد هاجر إلى كربلاء كثير من خيرة العلماء وجعلوها محلّ إقامتهم ومركز استجمامهم من عناء العمر الطويل، فجلبوا كل ما جمعه في حياتهم، فأضافوا على هذا علماً جماً، ومن بين أولئك الشيخ عبد الحسين الطهراني الشهير بشيخ العراقيين، الذي كانت مكتبته أغنى مكتبة عراقية في القرن الثالث عشر الهجري، وبعد وفاته توزعت على عدّة مكاتب كربلائية وعراقية وعربية وأوروبية.

وقد رغبت في تسجيل المخطوطات العربية التي تضمها خزائن مكاتب كربلاء العامرة وتعريف الناس بها فبادرت إلى تنظيم هذا الفهرس خدمة للتراث العربي والإسلامي. ومن الله السداد والتوفيق.

(١)

خزانة مدرسة الترك (البادكوبه)

- ١- الأدعية والزيارات: نسخة في شعبان سنة ١٣٥٧هـ الشيخ حسن النايثي.
- ٢- الأدعية والزيارات: نسخ الشيخ جمعة الشيخ محسن الشاعر الكربلائي المتوفى سنة ١٣٥٠هـ.
- ٣- ألفية ابن مالك: في النحو. نسخ محمد الحسيني.
- ٤- بحار الأنوار: لمحمد باقر بن محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١١١٠هـ، عليه ختم الشيخ مرتضى الأنصاري سنة ١٢٦٨هـ.

- ٥- تفسير الصافي (الجزء الأول): لمحمد بن مرتضى المدعو بالمولى محسن القاشاني المتوفى سنة ١٠٩١هـ.
- ٦- تفسير الصافي (الجزء الثاني): نسخه ابن محمد إسماعيل محمد قاسم الغوري القايني في جمادى الأولى سنة ١١١٥هـ.
- ٧- نسخة أخرى.
- ٨- تهذيب الأحكام: للشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢هـ، تمّ تسويده سنة ١٠٨٧هـ، كتبه أبو تراب بن ملا عبد الله الأردبيلي عليه تملك درويش علي بن محمد فطيم الحلي سنة ١١٥٠هـ.
- ٩- حق اليقين: لمحمد باقر بن محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١١١٠هـ.
- ١٠- خلاصة منهج الصادقين: لملا فتح الله بن شكر الله بن لطف الله، (الجزء الأول). كتبه حيدر علي بن محمد الخوانساري في يوم الجمعة ١٦ رمضان سنة ١٠٥٢هـ.
- ١١- دلائل الدين لملا عبد الله اليزدي.
- ١٢- رسائل فقهية، للسيد علي نقى الطباطبائي المتوفى سنة ١٢٨٩هـ.
- ١٣- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية لزين الدين بن علي بن أحمد الشامي العاملي المتوفى سنة ٩٦٦هـ. كتب ليلة الجمعة ٩ ربيع الآخر سنة ١٢٢٩هـ، عليه تملك حسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الحسيني النجفي الهمداني، سنة ١٣٢٥هـ.
- ١٤- روضة الشهداء: لملا حسين واعظ الكاشفي المتوفى سنة ٩١٠هـ (١٥٠٥م). تاريخ نسخه ٢٧ من ذي الحجة ١٢٤٣هـ.
- ١٥- زبدة الأصول: لمحمد المشتهر ببهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١١٠٤هـ. نسخه غلام رضا نيشابوري سنة ١٢٤٣هـ.
- ١٦- شرائع الإسلام: لنجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، كتبه محمد علي بن حاجي أحمد يار أحمد الطالقاني في ذي الحجة

سنة ١٠٧٨هـ.

١٧- شرائع الإسلام (الجزء الثاني): كتبه محمد صادق بن محمد رضا لنكرودي في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣٨هـ.

١٨- شرح اللمعة الدمشقية: تاريخ الوقفية سنة ١١٨٧هـ.

١٩- شرح اللمعة الدمشقية: كتبه ابن محمد باقر محمد جعفر هزار جريبي يوم ٧ شعبان سنة ١٢٢٩هـ.

٢٠- شرح الكافية.

٢١- القرآن الكريم.

٢٢- نسخة أخرى.

٢٣- نسخة أخرى.

٢٤- قصص ولطائف: تاريخ الوقفية سنة ١٣٧٦هـ.

٢٥- القوانين المحكمة في الأصول: للمحقق أبي القاسم القمي الجيلاني المتوفى سنة ١٢٣١هـ. تاريخ الوقفية ١٢٦٣هـ.

٢٦- مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: في الفقه، لأحمد بن محمد الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣هـ. تاريخ الوقفية سنة ١٣١٤هـ.

٢٧- نسخة أخرى: تمت كتابتها في ربيع الأول سنة ٩٧٨هـ، في مشهد الحسين وآتفق الفراغ من نقله يوم ١٨ من ذي القعدة سنة ١٠٤٧هـ. عليها تملك ابن حسين جمال الدين محمد الخوانساري.

٢٨- نسخة أخرى (كتاب الصيد والذبابة): عليه تملك مسيح بن محمد سعيد، في شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٩هـ.

٢٩- مسالك الأفهام في الفقه: تأليف زين الدين بن علي بن أحمد الشامي العاملي الشهير بالشهيد الثاني (٩١١ - ٩٦٦هـ).

٣٠- مسالك الأفهام (الجزء الثاني): فرغ مصنفه من تعليقه يوم الاثنين ربيع الآخر سنة ٩٦٤هـ، وفرغ من تسويده ابن عبد الله إسماعيل سنة ١١٦٥هـ.

- ٣١- معالم الأصول: للشيخ حسن بن زين الدين بن الشهيد الثاني المتوفى سنة ١٠١١هـ. كتب في ذي القعدة سنة ١٣٢٥هـ.
- ٣٢- من لا يحضره الفقيه: في الفقه للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ تاريخ الوقفية شهر رجب سنة ١٢٨١هـ.

(٢)

خزانة الشيخ مهدي التترك

- ١- الدرة البهية: لمحمد علي بن محمد حسن الكاشاني (١٢٤٢هـ).
- ٢- ذكر القائم وغيبته: للشيخ حرز بن الشيخ علي بن الحسين الشناطري العسكري البحراني، بخط تاج الدين بن رضي الدين المازندراني، ١٠٦٧هـ.
- ٣- رياض العابدين في شرح صحيفة سيد الساجدين: للمولى بديع الهروي.
- ٤- رياض المؤمنين في مقتل الحسين الشهيد: للمولى محمد علي بن الحسين البهشتي.
- ٥- زاد المسافرين في الطب: لمحمد علي بن علي نقى الشريف.
- ٦- صفات الحيوان: ترجمة منصور بن حسن إبراهيم الملقب بغياث بن علاء الدين (سنة ٩٣٠هـ).

(٣)

خزانة السيد محمد علي خير الدين

- ١- تحفة الأبرار.
- ٢- حقائق الإيمان: للشيخ السعيد زين الدين بن علي الشهيد، سنة ٩٦٦هـ (ربيع الآخر ١١٠١هـ).

- ٣- درر الفرائد (أرجوزة في أصول الفقه): للمولى علي القزويني الخويني الحائري المتوفى سنة ١٣١٨هـ، بخط السيد حسين بن نوازش علي الهندي آل خير الدين الحائري المتوفى ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ.
- ٤- ديم النسيان: للسيد محمد علي بن السيد حسين بن محمد علي آل خير الدين الموسوي. (ديوان شعريقع في ١٣١٢ بيتاً) سنة ١٣٤٢هـ.
- ٥- سبحة اللآلئ (منظومة في الفقه): للسيد محمد علي آل خير الدين، جاء فيها: سميتها بسبحة اللآلي يضبط فيها صالح الأعمال
- ٦- سبل السلام (منظومة في الحكمة والكلام): للسيد محمد علي خير الدين يقول فيها:
- وبعد فالناشيء من ياسين محمد العلي خير الدين
- يقول هذي سبل الإسلام في علمي الحكمة والكلام
- ٧- الصراط المستقيم في المناقب: للمولى علي أكبر اليزدي الحائري.
- ٨- العرائس (في علم الكلام): لأبي سعيد حبيب الله، كتب سنة ١١٠٥هـ.

(٤)

خزانة السيد محمد رضا الطبسي

- ١- جامع المعجزات: للملا محمد الدهنوي، (١٢٨٠هـ).
- ٢- السرائر: لمحمد بن إدريس الحلي، (٩٧٢هـ).
- ٣- غاية الوصول وإيضاح السبل: المتن لابن الحاجب، والشرح للعلامة الحسن ابن يوسف الحلي. كتب السماوي التعليق التالي:
- «وجدت نسخة أخرى ناقصة وأكملتها على النسخة التي وجدت في خزانة الرضا عليه السلام والذي أظنه قوياً أنَّ جملةً من هذه النسخة بخط العلامة أعلى الله

مقامه نظراً لما ملكته من خطه قدس سره. وقد مدح ابن حجر هذا الكتاب في الدرر الكامنة عند ذكره العلامة باسم الحسين لا الحسن بن يوسف المطهر الحلي. محمد السماوي، حرّره سنة ١٣٦٦هـ.

- ٤- كفاية الآخوند: للملا محمد باقر السبزواري، في الفقه (١٣٢٩هـ).
 ٥- وسيلة النجاة وذريعة المعاد: كتبه ابن دروش خان عناية الله الكشميري سنة ١١٢٦هـ. وهو من تصانيف محمد جعفر محمد طالب العاملي.

(٥)

خزانة حسن عبد الأمير المهدي

- ١- إتحاف أهل الإسلام: لمحمد بن علي الصبان (١١٧٥هـ).
 ٢- الألفين: لجمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ، بخط المؤلف في غرة رمضان سنة ٧١٢هـ ببلدة جرجان وفرغ من تصيغها فخر الدين بن المصنف سنة ٧٥٤هـ، ببلدة الحلة.
 ٣- أحاديث: (من مخطوطات القرن الثاني عشر الهجري).
 ٤- تذكرة الفقهاء: للحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، من مخطوطات القرن الثاني عشر الهجري عليه، تملك محمد صالح حسن الموسوي.
 ٥- تعريفات السيد الشريف الجرجاني.
 ٦- حاشية على المرادي.
 ٧- حاشية المير على المطول: (نسخ في ٢١ صفر سنة ١٠٥٩هـ، في خراسان وعلى الورقة الأولى ختم السيد زين العابدين القمي في جمادى الأولى سنة ١٣٢٠هـ، وختم محمد بن علي الحسيني حكيم زاده).
 ٨- ديوان القطيفي: للسيد محمد بن مال الله الموسوي القطيفي المتوفى سنة ١٢٦١هـ.

- ٩- ديوان الشيخ كاظم بن صادق الهر: المتوفى سنة ١٣٣٠هـ.
- ١٠- ديوان الحاج محمد جواد بن عواد البغدادى المتوفى سنة ١١٤٠هـ.
- ١١- ديوان الشيخ محمد حسن أبى المحاسن الكربلايى المتوفى سنة ١٣٤٤هـ.
- ١٢- ديوان السيد نصر الله الفائزى الحائري المقتول فى الآستانة سنة ١١٦٤هـ.
- ١٣- رحلة السيد أحمد بن كاظم بن قاسم الحسينى الرشتى لإيران: سنة ١٢٧٧هـ.
- ١٤- رسالة فى الهندسة: من تصانيف القاضي زاده رومى، قدمها إلى سنان باشا أحد ولاة بغداد
- ١٥- شرح ملا عبد الرزاق بن علي بن الحسين اللاهيجي المتوفى سنة ١٠٥١هـ، بخط ابن نور الدين الموسوي السيد علي سنة ١٢٤٩هـ.
- ١٦- القرآن الكريم: نسخة خزائنية مزوقة الطالع بنقوش بديعة ومؤطرة الصفحات بمداد ذهبي وأوائل السور مزوقة، نسخها أمير زاد الحاج حافظ محمد وهبي أفندي من تلامذة ابن إبراهيم أدهم أفندي سنة ١٢٩١هـ.
- ١٧- القرآن الكريم: نسخة خزائنية مزوقة الطالع بالألوان الجميلة، مؤطرة الصفحات بمداد ذهبي، وأوائل السور مزوقة وملونة، نسخها علي الشكري من تلاميذ الحاج أحمد زهي سنة ١٢٦٧هـ.
- ١٨- قصص وأحاديث مقدسة.
- ١٩- قطعة من فصوص الحكم.
- ٢٠- قسم من ديوان السيد أحمد الرشتي: المقتول سنة ١٢٩٥هـ.
- ٢١- قسم من ديوان الشيخ محمد بن الشيخ فليح حسون الجشعمي: المقتول سنة ١٢٩٥هـ.
- ٢٢- كتاب فى صلاة الجماعة: كتبه أبو الحسن اليزدي (١٥ رجب سنة ١٣٣٦هـ).
- ٢٣- كتاب فى التوحيد: كُتب فى رمضان سنة ١٢٦٩هـ.
- ٢٤- كتاب فى الفقه.

- ٢٥- مجموعة العقائد والأدعية: فرغ من كتابتها يوم الخميس صفر ١٢٦٨هـ
أحمد بن يوسف تركي، يليها كتاب لمحمد بن شهاب الدين.
- ٢٦- مذكرات: لأحمد بن إسماعيل الخراساني (سنة ١٢٦٢هـ).
- ٢٧- ملحمة الشاعر الحاج جواد بدقت الأسدي الكربلائي: المتوفى سنة ١٢٨١هـ.
- ٢٨- المصابيح: لحميد الدين أحمد عبد الله بن محمد الكرمانى الداعي بجزيرة العراقين المتوفى سنة ٤١٢هـ.
- ٢٩- ملتمقى الأبحر: لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الجلبى، كتب بخط تعلقي معتاد سنة ١٢٧٥هـ.
- ٣٠- ملحمة الشاعر الحاج جواد بدقت الكربلائي المتوفى سنة ١٢٨١هـ، بلغ عدد أبياتها ١٢٦٥ بيتاً، وهي على غرار هائية الأزري مطلعها:
أهي الشمس في سماء علاها أخذت كلَّ وجهة بسناها

(٦)

خزانة السيد مجيد عبد الوهاب آل طعمة

- ١- أدب الرحلات:
- ٢- أسرار قاسمي: لحسين بن علي الواعظ البيهقي السبزواري الشهير بالكاشفي المتوفى سنة ٩١٠هـ.
- ٣- بيان طالع.
- ٤- تفسير الأحلام.
- ٥- ديوان عبد الباقي الموصلي العمري المتوفى سنة ١٢٧٨هـ (بخط عبد الله ثابت العمري الموصلي بمدينة السلام بغداد ١٠ من ذي الحجة سنة ١٢٧٠هـ).
- ٦- الصحيفة السجادية.

٧- الفتوحات: لعبد القادر الجيلي ومحيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلي،
نسخه في يوم الخميس ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٢٧٩هـ عبد العزيز بن
سعيد النجار.

٨- كتاب في الأدعية.

٩- كتاب في الطلسم.

١٠- مجموع الأدعية: بخط المرزا أحمد (جمادى الآخرة سنة ١١٩١هـ).

١١- مجموع فيه:

أ. كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: لمفتي العراقيين محدث الشام
صدر الحفاظ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي
الشافعي، فرغ من تسويده محمد حسن بن شيخ جواد البصير بن الحاج
مهدي أغائي الكاظمي.

ب. البيان في أخبار صاحب الزمان: لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد
القرشي.

ج. باب في الرسالة المذهبة المعروفة بالذهبية.

١٢- مذكرات.

١٣- مفتاح الفلاح: لبهاء الدين العاملي بخطه سنة ١٠١٥هـ، ببلدة كنجه.

(٧)

خزانة السيد مهدي الحكيم الشهرستاني

١- إرشاد الأذهان في علم البيان في الطب: للسيد مهدي بن خليل الحكيم
الشهرستاني المتوفى سنة ١٣١٨هـ، نسخه المصنف سنة ١٣١٤هـ.

٢- تحفة البيان في حفظ أبدان الإنسان في الطب: لابن كمال الدين حسين عبد
الله الطبيب، دون تاريخ.

- ٣- ترجمة إقليدس: في الهندسة، لعبد الرحمن بن يحيى بن حسن القرشي، كتبت يوم الأربعاء ٣ من ذي القعدة سنة ٧٥٣هـ.
- ٤- تحف السلف ومعارج الشرف: للسيد مهدي بن خليل الحكيم الشهرستاني المتوفى سنة ١٣١٨هـ.
- ٥- تشريح المسيحي: في الطب، لمسعود بن مرتضى بن محمد بن عربشاه الحسيني، نسخة خزائنية كتبت في أوائل محرم سنة ٧١٧هـ.
- ٦- جواهر الطب في ما جرّب في الطب: للسيد مهدي بن خليل الحكيم الشهرستاني المتوفى سنة ١٣١٨هـ.
- ٧- درة الغواص في أوهام الخواص: في اللغة، تأليف الشيخ الرئيس أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري.
- ٨- فقه الأطباء: في الطب، للسيد مهدي بن خليل الحكيم الشهرستاني المتوفى سنة ١٣١٨هـ، (١٤ شوال سنة ١٣١٤هـ).
- ٩- قانون ابن سينا: في الطب، لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ.
- ١٠- مجموعة شعرية: للسيد مهدي بن خليل الحكيم الشهرستاني المتوفى سنة ١٣١٨هـ، كتبت سنة ١٣٠٠هـ.
- ١١- الموجز: في الطب، تأليف علي بن أبي الحزم القرشي المتوفى سنة ٦٨٧هـ.
- ١٢- نتائج الحكمة في كشف الغمة: في الطب، للسيد مهدي بن خليل الحكيم الشهرستاني المتوفى سنة ١٣١٨هـ، (شعبان سنة ١٣٠٧هـ).
- ١٣- هياكل الحكمة وصور النعمة: في الطب، للسيد مهدي بن خليل الحكيم الشهرستاني المتوفى سنة ١٣١٨هـ (دون تاريخ).

(٨)

خزانة السيد محسن الجاللي الكشميري

- ١- الدرر المنثورة في الأدعية الماثورة.
- ٢- زاد المعاد: لمحمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١٠هـ، نسخه محمد علي التبريزي، رمضان ١١٧٠هـ.
- ٣- شرح الصمدية: تمّ نسخه سنة ١٢٥٥هـ.
- ٤- الصحيفة السجادية.
- ٥- كتاب في النحو.
- ٦- كتاب في النكاح.
- ٧- مجموعة الأدعية.
- ٨- مجموعة أشعار.
- ٩- مجموعة زيارات.
- ١٠- مقتل آل الرسول ﷺ.
- ١١- القرآن الكريم.
- ١٢- مقتل أبي مخنف.
- ١٣- ناسخ التواريخ.

(٩)

خزانة السيد محمد هادي الخراساني

- ١- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: للشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر ابن عبد الرحيم الشهير بصاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦هـ، نسخه محمد باقر بن ملا محمد كريم المازندراني يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٤١هـ.

- ٢- تفسير القرآن.
- ٣- القرآن الكريم.
- ٤- نسخة أخرى.
- ٥- كتاب في الأدعية.
- ٦- كتاب في الأدعية.
- ٧- كتاب في الأشعار.
- ٨- كتاب في الزيارات، نسخ سنة ١٠٨٥ هـ.
- ٩- كتاب في علم الأصول.
- ١٠- كتاب في الفلسفة: نسخه زاهد بن الشيخ يوسف، سنة ١٢١٤ هـ.
- ١١- كتاب في المراسلات.
- ١٢- كشف الآيات: نسخه محمد علي الكربلائي.
- ١٣- كشف الصدق: لجمال الدين أبي منصور الحسن ابن سديد الدين يوسف ابن زين الدين علي بن محمد بن المطهر الحلي المعروف بالعلامة (٦٤٨-٧٢٦ هـ).
- ١٤- كشكول في تاريخ آل الرسول ﷺ.
- ١٥- مجموعة أشعار.
- ١٦- مشهد السبطين.
- ١٧- مفتاح الفلاح: للشيخ محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ.
- ١٨- منهاج الصادقين.
- ١٩- نور الأنوار: تاريخ نسخه سنة ١٢٦٦ هـ.
- ٢٠- نجات العباد: للشيخ محمد حسن الشيخ باقر صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ، نسخه هادي الحلي سنة ١٣٢٤ هـ.

(١٠)

خزانة الشيخ جاسم النصار الإخباري

- ١ - إبطال الاجتهاد والتقليد بغير المعصوم: لجاسم بن حسن النصار الإخباري المتوفى سنة ١٣٣٤هـ. نسخه بتاريخ ١٣٣٢هـ.
- ٢ - إرشاد المسترشدين في الفرق بين المجتهدين والإخباريين: لجاسم بن حسن النصار الإخباري (٦ من ذي القعدة سنة ١٣٣١هـ).
- ٣ - الأصول الأصلية والقواعد الشرعية: لعبد الله بن محمد رضا شبر الحسيني الكاظمي المتوفى سنة ١٢٤٢هـ، نسخه أحمد بن قاسم في ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ.
- ٤ - جوامع التفسير: كتبت في جمادى الأولى سنة ١٢٨٢هـ.
- ٥ - حاشية ملا عبد الله: نسخه محسن بن محمد مهدي ليلة الخميس ١٠ صفر سنة ١٢٦٣هـ.
- ٦ - الحقائق في علم الأخلاق: لمحمد بن مرتضى المدعو بالمولى محسن الفيض القاشاني المتوفى سنة ١٠٩١هـ، تليه رسالة منقولة من كتاب الكافي، ورسالة منقولة من اعتقادات الشيخ الصدوق، نسخ إسماعيل بن ملا علي الجيلاني في يوم الأربعاء ١٨ رجب سنة ١١٣٢هـ.
- ٧ - الصحيفة السجادية.
- ٨ - الفرق بين المحدثين والمجتهدين: للشيخ جاسم بن حسن النصار الإخباري، نسخه المؤلف سنة ١٣٢٧هـ.
- ٩ - نسخة أخرى: (١٣٢٩هـ).
- ١٠ - كتاب في الصناعات: (٥ شهر جمادى الأولى سنة ١١٦٢هـ)، تليه رسالة

كتبها محمد باقر بن محمد تقي.

١١- كتاب في الأدعية.

١٢- الكشكول.

١٣- مجموع فيه:

أ. إرشاد القلوب إلى الصواب: لأبي محمد الحسن بن أبي الحسن بن محمد

الديلمي، نسخه مُلاً محمد نقي.

ب. فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) والرد على مخالفيه.

١٤- مقياس المصاييح: لمحمد باقر المجلسي المتوفى ١١١٠هـ، كتب في شهر

شعبان سنة ١٢٨١هـ.

١٥- النفحة القدسية في أحكام الصلاة اليومية.

١٦- هداية العباد في إبطال طريقة أرباب الحاكمين على الخلق في غيبة مولانا

صاحب الزمان للشيخ جاسم بن حسن النصار (١٨ من ذي القعدة سنة

١٣٢٨هـ).

١٧- هداية الإخوان: لمحمد قاسم الشيخ حسن الحائري المتوفى سنة ١٣٣٤هـ

(يوم السبت ١٧ رجب ١٣٣٤هـ).

١٨- هداية المرتاد في إبطال الاجتهاد: للشيخ جاسم بن حسن الإخباري (١٤

جمادى الأولى سنة ١٣٣٠هـ).

(١١)

خزانة السيد محمد رضا الحسيني الأعرجي

١- انتقال الأنوار في زواج النبي المختار (صلى الله عليه وآله).

٢- تحفة الأنظار في الأدعية والأذكار.

٣- حاشية قاف: كتبه علي بن خضر في يوم الجمعة أوائل الشهر المبارك سنة

٨٥٣هـ.

- ٤- الحسنية أو هداية الأحكام وبداية الأنام: في الفقه، للشيخ محمد حسن بن محمد صالح الهروي، كتب ليلة الجمعة ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٠٨٨هـ، تليه رسالة في غيبة الإمام عليه السلام تاريخها سنة ١٢٦٩هـ.
- ٥- دستور العلاج في الطب: لعلي أكبر مرزا خان بن مرزا مهدي الموسوي الحسيني، كتب في شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٠هـ.
- ٦- هداية العقول إلى غاية السؤال في علم الأصول.

(١٢)

خزانة السيد حسن أغامير القزويني

- ١- الإمامة الكبرى: للسيد حسن أغامير القزويني.
- ٢- إكمال الدين في شرح تكملة تبصرة المتعلمين: للسيد حسن أغامير القزويني، في الفقه (١٣٥١هـ).
- ٣- إكمال الدين في شرح تبصرة المتعلمين للسيد حسن أغامير القزويني، (١٣٤٢هـ).
- ٤- نسخة أخرى: (٨ شوال ١٣٤٣هـ).
- ٥- الحبل المتين: للشيخ محمد المشتهد ببهاء الدين العاملي.
- ٦- جواهر الأصول: للشيخ محمد باقر بن مرزا جعفر المراغي.
- ٧- رسالة في البراءة والاشتغال: للسيد حسن أغامير القزويني، (٢٠ شوال ١٣٣٠هـ).
- ٨- رسالة في الرهن: للسيد حسن أغامير القزويني.
- ٩- رسالة في النواهي: للسيد حسن أغامير القزويني (٨ رمضان سنة ١٣٣٣هـ).
- ١٠- في المفاهيم والعام والخاص والمطلق والمقيد: في الأصول، للسيد حسن

- أغامير القزويني (٢٩ شعبان ١٣٤٩هـ).
- ١١- كتاب في الاستصحاب: للسيد حسن أغامير القزويني (يوم الخميس رجب ١٣٢٢هـ).
- ١٢- كتاب الفراق: في الطلاق، في الفقه، للسيد حسن أغامير القزويني (١٠ شوال ١٣٤٩هـ).
- ١٣- لوامع: للشيخ محمود صاحب جامع الشتات.
- ١٤- مباحث ألفاظ: للآخوند الملا علي الدرذري.
- ١٥- نزهة الخاطر وسرور الناظر: لفخر الدين بن محمد علي الطريحي النجفي. كتبه يوم ١٧ من ذي القعدة سنة ١١١٢هـ علي بن يحيى بن علي حديد الحسيني.
- ١٦- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام: للشيخ محمد بن حسن الحر العاملي سنة (١٠٩١هـ)، كتبه ابن أمير حسن مير محمد طاهر الحسيني سنة (١١٠٨هـ).

(١٣)

خزانة السيد مهدي الحجة الطباطبائي

- ١- تذكرة العابدین: لمحمد بن علي أصغر الطوسي، نسخه غلام حسين حسين بن محمد إبراهيم سنة ١٢٤١هـ.
- ٢- تعليق على السفر الأوّل من الأسفار الأربعة: للهادي بن المهدي السبزواري.
- ٣- تفسير القرآن: لمحمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١١١٠هـ.
- ٤- حاشية على شرح الجرجاني: لنعمة الله بن عبد الله الحسيني سنة ١٢٣٣هـ.
- ٥- حاشية ملا عبد الله، سنة ١٢٢٦هـ.
- ٦- حاشية على حاشية الخيالي على شرح العقائد للفتازاني: لحيدر بن أحمد الكردي الحسيني آبادي، كتبه محمد بن عمرو بن ملا عبد الله سنة ١٢٤٦هـ.

- ٧- حاشية على معالم الأصول: للشيرواني.
- ٨- حاشية على شرح تلخيص المفتاح: سنة ١٠٧٣هـ.
- ٩- الحجة الساطعة.
- ١٠- رسالة النخبة العملية.
- ١١- سفينة النجاة: لمحمد بن عبد الفتاح التنكابني المتوفى سنة ١١٢٤هـ كتبه إبراهيم سنة ١٢٨٢هـ.
- ١٢- شرح تجريد: لعبد الله الأردبيلي (المجلد الثاني) سنة ١٠٨١هـ.
- ١٣- شرح ألفية ابن مالك.
- ١٤- شرح كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: لمحمد بن جمال الدين ابن رمضان الشيرواني.
- ١٥- شرح على شرح التوضيح على ألفية بن مالك: لخالد بن عبد الله الأزهري، كتبه محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل سنة ١٢٢٦هـ.
- ١٦- غاية المراد في شرح كتاب الإرشاد.
- ١٧- فرائد الفوائد: لغلام علي بن محمد بن عبد الكريم الهروي، كتبه إبراهيم سنة ١٢٨٤هـ.
- ١٨- القاموس المحيط والقابوس الوسيط: في اللغة، لمحمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمرو بن أبي بكر بن محمود بن إدريس بن فضل الله بن الشيخ إسحاق بن إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي، نسخه أبو طالب عبد الرشيد في ذي العقدة سنة ١١١٧هـ. تملكه السيد زين العابدين بن السيد محمد سنة ١١٠٠هـ.
- ١٩- كتاب حاشية الهبات: لابن مرحوم بلا حيدر.
- ٢٠- كتاب العتق للعتق: لعلي بن محمد علي الطباطبائي، فرغ من تأليفه سنة ١١٩٢هـ، كتبه محمد بن محمد علي سنة ١٢٢١هـ.
- ٢١- كتاب في اللغة.

- ٢٢- كتاب فيه مجموعة رسائل منها (مراح الأرواح).
- ٢٣- مختصر على دراية الحديث: نسخه محمد سعيد سنة ١٠٦٤هـ.
- ٢٤- مختصر في الأحكام الشرعية: لعلي رضا.
- ٢٥- مخطوط في الأدعية.
- ٢٦- مخطوط في الأصول: لأبي القاسم بن الحسن الجيلاني، نسخه علي بن الجليل بن السيد هاشم الموسوي (السنة التاسعة من المائة الثالثة من الألف الثاني).
- ٢٧- مخطوط في أصول الفقه: لمحمد بن الحسن بن زين الدين، كتبه محمد يونس ابن ياسين سنة ١٠٩هـ، وأظنه سنة ١٠٠٩هـ.
- ٢٨- مخطوط في الفقه: لمحمد بن يوسف الاسترابادي، كتبه المؤلف بخطه سنة ١٢٦٩هـ ويتضمن رسالة صغيرة كتبت سنة ١٢٦٧هـ.
- ٢٩- مخطوط في الفقه: لمحمد علي بن محمد باقر، وفيه تعليق «على الروضة البهية على شرح اللمعة الدمشقية».
- ٣٠- مخطوط في النحو.
- ٣١- مشكاة الأنوار.
- ٣٢- النافع يوم الحشر من شرح الباب الحادي عشر: نسخه مهدي بن مرزا أبي القاسم سنة ١٢٤٦هـ.

(١٤)

خزانة الشيخ محسن أبو الحب

- ١- الاحتجاج على أهل اللجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.
- ٢- الأدعية والزيارات.
- ٣- بهجة المتقين: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين.

- ٤- ديوان الحائريات للشيخ محسن بن محمد حسن أبو الحب المتوفى سنة ١٣٠٥هـ، بخط ولده الشيخ محمد محمد حسن المتوفى سنة ١٣٥٧هـ.
- ٥- شعر البحري أوله بعد البسملة: قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحري، الفصل الأول في المديح.. آخره: تمّ وكمل ديوان أبي عبادة البحري بخط الشيخ محمد حسن أبو الحب المتوفى سنة ١٣٥٧هـ.
- ٦- الصراط المستقيم: وقع الفراغ من تسويده يوم السبت ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٠٦١هـ.
- ٧- الكامل: للمبرد، نسخ في جمادى الآخرة سنة ١١١٩هـ.
- ٨- كشف الغمة في أحوال الأئمة: كتبه علي بن عيسى بن أبي الفتح، في التاريخ.
- ٩- مختصر شرح العوامل: للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تمّ نسخه يوم ٧ رمضان سنة ١٢٤٤هـ.
- ١٠- مجموعة شعرية.
- ١١- من لا يحضره الفقيه.

(١٥)

خزانة الشيخ محمد صالح البرغاني

- ١- إكمال الدين: لابن بابويه القمي، تمّ تصنيفه سنة ١٠٧٨هـ.
- ٢- تفسير البرغاني: لمحمد صالح بن محمد البرغاني، تمّ تأليفه سنة ١٢٦٩هـ.
- ٣- تفسير بحر العرفان (المجلد ١٤).
- ٤- تفسير بحر العرفان (المجلد ١٦) تمّ تأليفه سنة ١٢٧٦هـ.
- ٥- التقويم الشرعي: لمحمد صالح الحسيني، تمّ تأليفه سنة ١١١٠هـ.
- ٦- رياض الأحران: لمحمد علي البرغاني.
- ٧- شرح خطب نهج البلاغة: لمحمد صالح بن محمد البرغاني.

- ٨- شرح اللمعة: للشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (٩١١-٩٦٦هـ).
- ٩- شرح الفوائد: لزين الدين أحمد الإحسائي، (جزآن). فرغ من تأليفه في جمادى الآخرة سنة ١٢٤٠هـ.
- ١٠- ضوابط الأصول: تأليف السيد إبراهيم بن محمد باقر القزويني الحائري. نسخه عبد الجواد بن ملا محمد البرغاني يوم الاثنين من شهور سنة ١٢٥٦هـ.
- ١١- الضوابط الكلية في المسائل الأصولية: لمحمد صالح البرغاني.
- ١٢- غنيمة المعاد في شرح الإرشاد: لمحمد صالح البرغاني، تمّ تصنيفه سنة ١٢٢٣هـ.
- ١٣- قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام: تأليف العلامة الحلي، كتبه صالح التميمي في بلدة كيلان يوم الجمعة من أوّل جمادى الأولى سنة ١٠٣٠هـ.
- ١٤- كنز الباكين في مصيبة ساداتنا الأكرمين: لمحمد صالح البرغاني.
- ١٥- كنز الزائرين: تمّ تأليفه سنة ١٣٤٢هـ، على يد محمد سعيد الحسيني الحائري.
- ١٦- كنز الواعظين: لمحمد صالح البرغاني، كتبه محمد بن محمد نقى سنة ١٢٧٠هـ.
- ١٧- مخزن الأبرار: لمحمد صالح البرغاني.
- ١٨- مصابيح الجنان في حلّ رموز القرآن: لمحمد صالح البرغاني (جزآن)، كتبه سنة ١٢٧٠هـ.
- ١٩- معدن البكاء، لمحمد صالح البرغاني، (جزآن).
- ٢٠- معتصم الشيعة: للملا محسن الفيض المتوفى سنة ١٠٩١هـ.
- ٢١- مفتاح الفلاح: لمحمد بن الحسين بن عبد الصمد المعروف بالشيخ البهائي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، كتب سنة ١٠٥٨هـ.
- ٢٢- من لا يحضره الفقيه: نسخة قديمة نادرة، تأليف الشيخ أبي جعفر محمد بن من علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ.

٢٣- الاجتهاد: للشيخ محمد تقي بن محمد البرغاني المعروف بالشهيد الثالث ٢٤ مجلداً (في الفقه).

٢٤- النخبة: لمحمد بن مرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني الفيض المتوفى سنة ١٠٩١هـ. كتبه رضي الدين بن نصر الله الليثي الجزائري.

٢٥- النعمة في إثبات الغيبة: لابن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ، كتب في محرم سنة ١٠٧٨هـ.

(١٦)

خزانة السيد محمد باقر الحجة الطباطبائي

١- تبصرة المتعلمين: تصنيف جمال الدين أبي منصور الحسن ابن سديد الدين يوسف ابن زين الدين علي بن محمد المطهر المعروف بالعلامة (٦٤٨هـ) ٧٢٦هـ) تمّ نسخه سنة ٩٥٩هـ.

٢- تهذيب الحديث: للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، نسخه علي بن منصور ابن إبراهيم بن ناصر الفارابي في ذي العقدة سنة ١٠١٩هـ.

٣- حاشية الإرشاد والمختصر النافع والشرائع: في الفقه لعلي بن عبد العالي المتوفى سنة ٩٤٠هـ، كتبه عبد الكاظم بن نور الدين في ٢٤ من ذي الحجة سنة ٩٤٠هـ.

٤- الحاشية على شرح المختصر للعضدي: تأليف السيد شريف، نسخه في ١٨ من ذي الحجة سنة ٩٨٥هـ صدر الإسلام أبو المعالي النيسابوري.

٥- شرح مقامات الحريري: نسخه محمود بن محمد بن إبراهيم عواد كوازي الشافعي في ٢٣ عاشوراء سنة ١١٥٨هـ.

٦- الشواهد الربوبي: في الحكمة، لصدر الدين الشيرازي المتوفى سنة ١٠٥٠هـ، تمّ نسخه سنة ١٠٨٠هـ.

- ٧- الصحيفة السجادية: في الأدعية، من إنشاء الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام. تمّ نسخه في ربيع الأوّل سنة ٥١٦هـ.
- ٨- نسخة أخرى نسخها مقصود على سنة ١٠٦٨هـ.
- ٩- القواعد والفوائد: في الأصول، للشهيد الثاني، كتبه محمد بن الحسن الحر العاملي في رجب سنة ١٠٧٨هـ.
- ١٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: في النحو، لابن هشام الأنصاري. نسخ في شهر ذي القعدة سنة ٧٠٥هـ.
- ١١- مجموع فيه:
- أ. البهجة المرضية في شرح الألفية: لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تمّ نسخه في ١٢ رمضان سنة ١٠٧٧هـ.
- ب. جوامع الأدوات: رسالة في النحو، لمحمد جليبي.
- ج. قواعد الإعراب: لابن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١هـ.
- د. شرح الألفية: تمّ النسخ في رمضان سنة ١٠٩٣هـ.

(١٧)

خزانة الشيخ أحمد الحائري

- ١- كنز العرفان في فقه القرآن: نسخ سنة ١٠١٨هـ، وعليه تملك مؤرخ سنة ١٢٨٦هـ.
- ٢- مطالع الأنوار: لمحمد بن باقر بن تقي بن شاه قاسم، (خمسة مجلّدات)، نسخه إبراهيم بن أحمد الحسيني سنة ١٢٥٤هـ.
- ٣- المقاصد العلوية في شرح الرسالة الألفية: تأليف أبي عبد الله الشهيد المحقق، نسخه شرف الدين الشيخ محسن سنة ١٠٨٦هـ.

(١٨)

خزانة الشيخ محمد مهدي الواعظ

- ١- الاستبصار: في الفقه، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، نسخه محمد محسن بن هاشم خليلان، سنة ١٠٦٢هـ.
- ٢- الإعراب عن قواعد الإعراب، لمحمد جواد الزنجاني، نسخ في ٢١ صفر سنة ١٣٣٠هـ في كربلاء.
- ٣- بحر اللآلئ والدرر: لمحمد صادق بن علي بن أبي طالب اليزدي.
- ٤- البهجة المرضية في شرح الألفية: لجلال الدين السيوطي.
- ٥- تفسير البيضاوي للقرآن الكريم: للقاضي ناصر الدين البيضاوي.
- ٦- تهذيب الأحكام: في اللغة، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي نسخه في ١١ رمضان المبارك سنة ١٠٤٦هـ، مقصود بن محمد أمير جربادقاني.
- ٧- جواهر الكلام (قسم النكاح): للشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، نسخ بتاريخ ١٢٦٨هـ.
- ٨- نسخة أخرى (قسم الخمس والحج).
- ٩- نسخة أخرى (كتاب القضاء). نسخ يوم الأربعاء من ذي الحجة سنة ١٢٥٧هـ.
- ١٠- نسخة أخرى (باب التجارة)، نسخه محمد باقر بن عبد الكريم، يوم الأربعاء ٢ رمضان المبارك سنة ١٢٦٤هـ.
- ١١- نسخة أخرى (باب نكاح الشيخ)، نسخه في العاشر من العشر الأوائل من صفر من شهور سنة ١٢٥٨هـ، الشيخ زين العابدي الحائري الكربلائي.
- ١٢- نسخة أخرى، (باب الحدود والتعزيرات) نسخ في ٢٧ من ذي القعدة سنة

١٢٥٩هـ.

- ١٣- الحبل المتين: في الحديث، للشيخ محمد المشتهر بالشيخ البهائي كتبه محمد باقر بن محمد حسن بن ملا علي سنة ١٣١٤هـ.
- ١٤- شرح اللمعة الدمشقية: للشهيد الثاني محمد بن مكّي العاملي، في الفقه (الجزء الأول) تمّ نسخه يوم الثلاثاء ٢٤ من شهر ذي القعدة سنة ١٢٤٥هـ.
- ١٥- شرح اللمعة الدمشقية (الجزء الثاني) نسخه يوم الجمعة ٢٣ من ذي الحجة سنة ١٢٤٠هـ أبو الحسن بن شاه محمد بن الهادي.
- ١٦- شرح اللمعة الدمشقية (نسخة أخرى من الجزء الثاني). تمّ نسخها على يد أقل الطلاب عبد النبي، سنة ١٢٤٤هـ.
- ١٧- شرائع الإسلام: للمحقق الحلي (في الفقه)، تمّ نسخه يوم السبت ١١ ربيع الأول ٧١٣هـ.
- ١٨- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، نسخه محمد حسين بن طالب الأبهري الأصفهاني بتاريخ سنة ١١٠٦هـ.
- ١٩- مسالك الأفهام: لمحمد بن زين الدين الشهير بالشهيد الثاني (باب الفرائض)، كتبه أبو الحسن شاه محمد بن محمد هادي سنة ١٢٥٩هـ.
- ٢٠- نسخة أخرى (باب الصلاة)، كتبه أقل الناس علي بن حبيب بن شكر الله بن إبراهيم بن رستم بن خسرو الربيعي.
- ٢١- نسخة أخرى، (كتاب النكاح) كتبه زين الدين بن علي بن أحمد الشامي العاملي في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ٩٦٣هـ.
- ٢٢- نسخة أخرى، (كتاب الزكاة)، كتب في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥١هـ، في مشهد الحسين عليه السلام بكربلاء.
- ٢٣- نسخة من القرآن الكريم، بخط جلي بديع نسخ سنة ٩٠٦هـ.

(١٩)

خزانة السيد مهدي شمس الفقهاء

- ١- أحكام منجزات المريض: للسيد مهدي بن السيد على شمس الفقهاء الموسوي المتوفى سنة ١٣٨١هـ.
- ٢- البحث في أصل البراءة والاستصحاب: في الفقه وأصوله، للسيد مهدي شمس الفقهاء.
- ٣- التمدن والوطنية: للسيد مهدي شمس الفقهاء.
- ٤- تنبيه الأمة: للسيد مهدي شمس الفقهاء.
- ٥- شرح قصيدة بانث سعاد: في الأدب، للسيد مهدي شمس الفقهاء.
- ٦- شرح قصيدة لامية الطغرائي: في الأدب، للسيد مهدي شمس الفقهاء.
- ٧- الشروط في ضمن العقود: في الفقه، للسيد مهدي شمس الفقهاء.
- ٨- قاعدة من ملك شيئاً ملك الإقرار به: للسيد مهدي شمس الفقهاء.
- ٩- مرآة القضاء: كتب بخط المؤلف السيد مهدي شمس الفقهاء سنة ١٣٦٠هـ.

(٢٠)

خزانة الشيخ محمد بن داود الخطيب

- ١- التذكرة في شرح التبصرة: للشيخ محمد بن داود الخطيب المتوفى سنة ١٣٨٠هـ.
- ٢- الدورة الفقهية في أحكام الجعفرية: (عدة أجزاء) للشيخ محمد الخطيب.
- ٣- رسالة في حضانة الطفل: للشيخ محمد الخطيب.
- ٤- رسالة في مناسك الحج والعمرة: للشيخ محمد الخطيب.

- ٥- رسالة في طلاق المريض: للشيخ محمد الخطيب.
- ٦- رسالة في عملية إتمام الصلاة والطهارة: للشيخ محمد الخطيب.
- ٧- رسالة في طب النبي ﷺ: للشيخ محمد الخطيب.
- ٨- رسالة في صلاة الجمعة: للشيخ محمد الخطيب.
- ٩- رسالة في أجوبة الأسئلة الطهرانية: للشيخ محمد الخطيب.
- ١٠- صحاح الخبر في الأدلة على إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام: للشيخ محمد الخطيب.

(٢١)

خزانة السيد محمد سعيد آل ثابت

- ١- أنساب النواصب: للشيخ علي بن داود الخادم الأسترابادي، ألف في شهر محرم الحرام سنة ١٠٧٦هـ، كتبه العبد الفاني عند الرب العزيز الباقي سميّ الشهيد بكربلاء سنة ١٢٦٩هـ.
- ٢- أدعية في أعمال أيام السنة: بخط محمد صادق بن محمد قاسم، حرره يوم الثلاثاء ١٦ ربيع الأول سنة ١١٥٦هـ.
- ٣- خلاصة علم الأصول: للشيخ محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي كتبه علي أكبر محمد بن بن زين العابدين بن بير أحمد سنة ١٢٤٥هـ.
- ٤- رسالة الاستصحاب: للشيخ مرتضى الأنصاري، تمّت عصر يوم الجمعة شهر شوال سنة ١٢٦٩هـ.
- ٥- رسالة وجيزة في فرض الصلاة: تاريخ كتابتها في ٢٣ من ذي الحجة سنة ١٢٢٢هـ، بيد العبد محمد علي بن الأمير تقي القويني.
- ٦- زاد المعاد: في الأدعية والزيارات، لمحمد باقر بن محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١١١٠هـ، ناقص الآخر.

- ٧- الصحيفة السجادية: في الأدعية، كتبت سنة ١١٠٧هـ بيد المجلسي محمد باقر بن محمد تقي.
- ٨- كشف الغمة في معرفة الأئمة: لعبد الله علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي كمل في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان ليلة القدر سنة سبع وثمانين وستمائة، نسخه في ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٢٧١هـ أبو القاسم ابن الحاج حسين علي الشريف القزويني الغروي.
- ٩- كليله ودمنة: للفيلسوف الهندي الحكيم بيدبا، كتبه ميرزا إلياس في ١٣ صفر سنة ١٢٣٦هـ.

(٢٢)

خزانة الشيخ محمد علي السنقرى

- ١- اعتقادات الصدوق واثنى عشرية البهائي: للشيخ بهاء الدين العاملي، أكمله كاتبه ابن حاجي محمد باقر الحافظ في ٢٤ رمضان سنة ١٠٢٧هـ.
- ٢- كشف الحجة في أحوال الحجة: كتب سنة ١٣٤٣هـ.
- ٣- مجموعة الأحاديث: تمّ نسخه يوم الاثنين غرة شهر ذي القعدة سنة ١٠٢٢هـ.

(٢٣)

خزانة السيد محمد طاهر البحراني

- ١- الفصول البهية في أخبار الحجج المرضية: للسيد محمد بن محسن البحراني (١٣٠٣هـ).
- ٢- اللؤلؤة الغالية في الرد على الفرقة المغالية: للسيد محمد بن محسن البحراني.
- ٣- النفحات العنبرية في أنساب آل خير البرية: تأليف السيد أبي فضل محمد

- الكاظم بن أبي الفتوح الأوسط الحسيني، نسخ سنة ٨٩١هـ.
 ٤- نسخة نفيسة من القرآن الكريم تُنسب إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

(٢٤)

خزانة السيد عبد الرزاق عبد الوهاب آل طعمة

- ١- الجواهر الزاهرة والفواكه المثمرة: للسيد حسون البراقي.
 ٢- كاشف الإعجاز: تصنيف محمد إبراهيم بن محمد كريم الهمداني الكربلائي أوقفه في كربلاء في شهر رمضان من شهر سن ١٢٤٤هـ.
 ٣- كربلاء في التاريخ (جزآن: الأوّل والثاني) تمّ تصنيف الكتاب سنة ١٣٧٠هـ.
 ٤- نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين: للسيد حسن الصدر المتوفى سنة ١٣٥٤هـ.
 ٥- نزهة الإخوان في وقعة البلد المقتول العطشان: لمؤلف مجهول، تمّ تحرير الكتاب نقلاً عن نسخته الأصلية في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ.

(٢٥)

خزانة الشيخ محمد حسين بن سليمان الأعلمي

- ١- حاشية على الكشاف: تأليف مير سيد شريف، تاريخ نسخه سنة ٩٠٠هـ.
 ٢- حاشية عبد الله (المعروفة بشرح التهذيب)، للشيخ إبراهيم عجمي، نسخه عبد العظيم بن السيد علي الموسوي سنة ١٠٩٨هـ.
 ٣- كتاب الطرائف: لابن طاووس، نسخه أبو المكارم بن شيخ جنيد سنة ٩٠٨هـ.

(٢٦)

خزانة الحاج وداي العطية

- ١- تاريخ أنساب القبائل الفراتية ووقائعها: تأليف الحاج وداي العطية المولود سنة ١٣١٠هـ، (١٠ أجزاء) بخط المصنف.
- ٢- حديقة الزوراء في سيرة الوزراء: لعبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين الشهير بالسويدي، تمّ نسخه في ربيع الآخر سنة ١٣٦٤هـ.
- ٣- قلائد الدر والمرجان: للسيد حسون البراقي، تاريخ نسخه ١٠ محرم سنة ١٣٢٨هـ.
- ٤- وفيات الرؤساء والزعماء: للحاج وداي العطية (٨ أجزاء) بخط المصنف.

(٢٧)

خزانة الراجة محمود آباد

- ١- إرشاد الطالبين: للفاضل المقداد، نسخ بتاريخ سنة ٧٩٢هـ.
- ٢- تحرير الأحكام: (المقصد الحادي عشر)، في الفقه، تأليف شكر الله بن عارف محمد، نسخ سنة ٩٣٣هـ.
- ٣- فضول الأصول: لمحمد حسين بن محمد إبراهيم، نسخ سنة ١٢٦٥هـ.

(٢٨)

خزانة الأستاذ محمد حسين الأديب

- ١- أسرار قاسمي: (في علم الكيمياء)، ناقص الآخر.
- ٢- الأمالي: لابن بابويه القمي، كتبه محمد معصوم بن ملا محمد طالب الدرزي بتاريخ سنة ١٢٨٧هـ.

- ٣- رسالة في أحكام النجوم: تأليف علي بن محمد شريف البكري.
٤- قصائد سلمان عليه الغفران: شعر بالفارسية والتركية، نسخ سنة ١٢٨٧هـ.

(٢٩)

خزانة السيد محمد السيد مرتضى الطباطبائي

- ١- الرياض: تأليف السيد علي السيد محمد علي الطباطبائي المتوفى سنة ١٢٣١هـ.
٢- من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، كتبه في ٩ ربيع الآخر سنة ١١٠٩هـ
محمد هاشم بن سلطان محمد الكلبيكاني.

(٣٠)

خزانة السيد أحمد السيد صالح آل طعمة

- ١- البحار: وهو المجلد الثاني والعشرون من كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي المتوفى سنة ١١١٠هـ.
٢- ديوان الأزري: للشيخ كاظم الأزري البغدادي المولود ببغداد سنة ١١٤٣هـ، المتوفى سنة ١٢١١هـ، تاريخ استنساخه مجهول.
٣- مفتاح الفلاح: للشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، ناقص الأول (دون تاريخ).
٤- نخبة الأزهريّة: للسيد محمد علي بن محمد حسين الحسيني المرعشي، نسخ يوم الأربعاء ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٢٧هـ.

(٣١)

خزانة السيد كاظم السيد محمد النقيب

- ١- اللمعة الدمشقية: في الفقه، للشهيد الأوّل كتبه فاضل النقيب آل دراج

- بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٠هـ.
- ٢- قطر الندى وبل الصدى: لابن هشام، كتبه إسماعيل بن المرحوم الشيخ حافظ في ٢٨ من ذي القعدة سنة ١٢٣٢هـ.
- ٣- نهج الكرامة في إثبات الإمامة: للعلامة الحلي، نسخه السيد مهدي الحسيني (١٣١٤هـ).

(٣٢)

خزانة مكتبة النهضة الإسلامية

- ١- الاحتجاج: للشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.
- ٢- مصباح الكفعمي: للشيخ إبراهيم الكفعمي المتوفى سنة ٩٠٠هـ، ناقص الأول والآخر.
- ٣- نجات العباد: للشيخ محمد حسن ابن الشيخ باقر، كتبه موسى بن جعفر الكرمانشاهي الحائري، في سابع شهر الثاني عشر من السنة الثانية من المائة الرابعة من الألف الثاني.

(٣٣)

خزانة السيد سلمان هادي آل طعمة

- ١- الأربعون حديثاً: للشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي الشهير ببهاء الدين العاملي (٩٥٣-١٠٣١هـ) نسخ سنة ١٠١٠هـ.
- ٢- أسهل المسالك في نظم ترغيب المريد السالك: تأليف محمد بشار الرشدي، نسخه سنة ١١١٦هـ.
- ٣- أقوال كونفوشيوس: تأليف يوتل جيتز تعريب السيد مصطفى السيد سعيد السيد أحمد آل طعمة المتوفى سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، نسخ بتاريخ

١٩٤٧/٤/٢١.

٤- ألفية ابن مالك: في النحو، لمحمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجنائي المتوفى سنة ٦٧٢هـ. أولها بعد البسملة:

قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك
كتبها محمد موسى في غرة شهر ذي القعدة في سنة ألف وإحدى وأربعين
وثلاثمائة ١٣٤١هـ.

٥- أهازيج الجنوب: في الأدب، شعر هادي بن محمد بن حس الشربتي، نسخ
بتاريخ ٢ محرم سنة ١٣٩٢هـ.

٦- أهوال الآخرة: لمجهول.

٧- آيات قرآنية.

٨- آيات قرآنية: نسخها عبد الرحمن فهمي بك.

٩- أين حقي؟ في الأدب، شعر محمد صالح بحر العلوم.

١٠- البرهان القاطع والنور الساطع: تأليف محمد صالح بن عضد الدين
مسعود، نسخ في محرم الحرام سنة ١٢٦٥هـ.

١١- البرهان في أسرار علم الميزان: تأليف الشيخ أيدير بن علي الجلدكي المتوفى
سنة ٧٤٣هـ، من مخطوطات القرن الثاني عشر.

١٢- بيان أحكام الفرائض: لسيدي أحمد البدوي، نسخه محمد بن علي بن
يوسف في جمادى الأولى سنة ١٢٥٨هـ.

١٣- التاريخ الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية: تأليف جادل بيرد وماري
بيرد تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة، نسخ في ٥/ ١٠/ ١٩٣٣.

١٤- نسخة أخرى، (دون تاريخ).

١٥- تدبير حجر الذخيرة لكل ما حدث وأحدث حيرة: لخليل حسانين، كتب
في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣١٥هـ.

- ١٦- التعاليم الطاوية: تأليف ليه تزو تعريب مصطفى السيد سعيد آل طعمة. نسخ في ٢٧/٤/١٩٢٧.
- ١٧- نسخة أخرى، كتبت في ١٥/٥/١٩٢٧.
- ١٨- تعديل الشمس والقمر: مجهول المؤلف والتاريخ.
- ١٩- تعطير الأنفاس: مجهول المؤلف والتاريخ.
- ٢٠- تعليقات على كتاب تراث كربلاء: للسيد صالح بن السيد إبراهيم الشهرستاني، كتبت في ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٨٦هـ.
- ٢١- تفسير الأحلام: مجهول المؤلف والتاريخ.
- ٢٢- تفسير نور على نور: (الجزء الأول) مجهول المؤلف والتاريخ.
- ٢٣- تنبيه العقول: نسخه عبد الرضا الخراساني في ١٣ محرم سنة ١٣٢٢هـ.
- ٢٤- الثمرة^(١)، تأليف: بطليموس الحكيم.
- ٢٥- الجامع العباسي: للشيخ محمد المشتهر بهاء الدين العاملي.
- ٢٦- جداول محكمات القمر: تأليف الصوالحي باصول ألغ بيك، تتخلله جداول تاريخها سنة ٨١٨هـ.
- ٢٧- الحاشية الخليلية: لخليل الله القزويني، ١٩ جمادى الأولى سنة ١٠٨٦هـ.
- ٢٨- خلاصة الحساب: للشيخ محمد المشتهر بهاء الدين العاملي بخط السيد عبد الكريم قلمي، بتاريخ سنة ١٢٦٧هـ.
- ٢٩- الدرة الغراء^(٢) في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء: لمحمود بن إسماعيل بن إبراهيم الخيري، توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تاريخها ذو الحجة سنة ٨٤٣هـ.
- ٣٠- دلال الدلال: لمؤلف نصراني.
- ٣١- ديانة السيك: تأليف دوروثي فيلد، تعريب مصطفى السيد سعيد آل

(١) انظر فهرس المخطوطات: تأليف فؤاد سيد (القاهرة، ج ١، ص ٤٣١).

(٢) راجع فهرس المخطوطات: لفؤاد سيد، ج ١، ص ٣١٠.

طعمة.

٣٢- ديوان الشيخ محمد تقي الحائري: في الأدب، كتب في شهر رجب سنة ١٣٤٧هـ.

٣٢- نسخة أخرى، دون تاريخ.

٣٤- ذكريات في الأدب: شعر عباس بن مهدي (أبو الطوس) (١٣٥٠-١٣٧٧هـ)، كتب في ١٣٧٦هـ.

٣٥- رباعيات: في الأدب، شعر عباس بن مهدي (أبو الطوس)، كتب في ١٣٧٦هـ.

٣٦- رسالة إسحاق اليهودي: (بالتركية)، في علم الهيئة، لمؤلف طنجي.

٣٧- رسالة في الحج: لمجهول.

٣٨- رسالة في الكيمياء: من حواشي مراد أفندي مختار، (من مخطوطات القرن الثالث عشر الهجري).

٣٩- رسالة في الوفق المثلث الأكبر: (من مخطوطات القرن الرابع عشر الهجري).

٤٠- رسالة المريض وكتاب الرمل: لمجهول. نسخها مرزا محمود بتاريخ ١٠ شوال ١٣٠٩هـ.

٤١- الرسالة الوفية بتحقيق خلق أفعال العباد الاختيارية: للدسوقي علي الملاح كتبت في ١٠ رمضان سنة ١٣٥٢هـ بخط المؤلف.

٤٢- الركب الضائع: في الأدب، شعر علي بن محمد بن محمد علي الحائري، كتب في ٥ شوال سنة ١٣٨٥هـ.

٤٣- روح البيان في الإجازة للسيد سلمان: إجازة السيد محمد مهدي الموسوي الأصفهاني الكاظمي للسيد سلمان هادي آل طعمة، نسخ الكتاب بتاريخ شهر رجب سنة ١٣٨٨هـ.

٤٤- زاد المعاد: للشيخ محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١١١٠هـ.

٤٥- زئير العاصفة: في الأدب، شعر عباس (أبو الطوس)، نسخ سنة ١٣٧٧هـ-

١٩٥٧م.

٤٦- زيارات: نسخ السيد محمد مهدي بن سليمان بن مصطفى بن أحمد آل طعمة الموسوي بتاريخ سنة ١٣٢٢هـ.

٤٧- زيارة الإمامين الكاظمين عليه السلام: نسخ في ١٥ جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ.

٤٨- زيارة الحسين عليه السلام: نسخ السيد محمد هادي بن محمد مهدي بن سليمان آل طعمة الموسوي بتاريخ ٢ من ذي القعدة سنة ١٣٩٢هـ.

٤٩- زيارات مخصوصة: كتبها السيد محمد رضا بن محمد مهدي بن سليمان آل طعمة الموسوي بتاريخ ٢٨ رجب سنة ١٣٤٤هـ.

٥٠- سوانح عابرة: في الأدب، نسخ عباس (أبو الطوس) بتاريخ ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

٥١- شرح ألفية ابن مالك: في النحو، للشيخ بدر الدين أبي عبد الله محمد، ويعرف بشرح ابن الناظم.

٥٢- شرح آيات وأحاديث.

٥٣- شرح على دعاء تفريج الكرب: للشيخ إبراهيم صومع الدسوقي.

٥٤- شرح العلامة الأمير علي رسالة الصبان: في المنطق، فرغ منه كاتبه مصطفى الحكيم بن الحاج أحمد الحكيم يوم الخميس ١٨ رمضان ١٣٠٤هـ.

٥٥- شرح تجريد الكلام^(١): نسخه فتح الله في عام ١١٢٦هـ.

٥٦- شرح قانونجه: المنسوب إلى محمود بن محمد الجعمني، نسخه الحسين بن محمد علي الأسترابادي عليه تملك تاريخه سنة ١٢٩١هـ.

٥٧- شرح المغني: في النحو، لمحمد بن عبد الغني الأردبيلي.

٥٨- شرح المواجهات: لمنصور المنوفي الشافعي، وقع الفراغ من تأليفه في جمادى الأولى سنة ١٠٩٠هـ، فرغ من نسخه بتاريخ ١٧ رجب سنة ١١٧٢هـ عبد

(١) أصل الكتاب (تجريد الكلام في تحرير عقائد الإسلام) للخواجه نصير الدين الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢هـ.

الرحمن الصعيدي.

٥٩- شروط الصلاة: كتبه عثمان بن مصطفى في يوم الجمعة أوّل ذي القعدة سنة ١١٧٣هـ.

٦٠- شروط الصلاة: صاحب الكتاب ومالكه إسماعيل بن إبراهيم سنة ١١٨٢هـ.

٦١- الشعب والسلطان: في الأدب، شعر مهدي بن جاسم الشماسي، كتبه سنة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

٦٢- شعر السيد جواد الهندي: في الأدب، للسيد جواد بن محمد علي الحسيني الشهير بالهندي المتوفى سنة ١٣٣٣هـ.

٦٣- شعر السيد حسين العلوي، في الأدب، للسيد حسين بن محمد علي الموسوي الشهير بالعلوي المتوفى سنة ١٣٦٤هـ، تاريخه ١٣٦٩هـ.

٦٤- شعر السيد مرتضى الوهاب: في الأدب، شعر السيد مرتضى بن محمد بن حسين الوهاب الموسوي المتوفى ٣ رجب سنة ١٣٩٣هـ، كتب في ١٦ شوال سنة ١٣٩٢هـ.

٦٥- شواهد الغيب: في الأدب، للسيد أحمد بن كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي الحائري المقتول سنة ١٢٩٥هـ، نسخ في الثاني من ربيع الأوّل سنة ١٢٧٤هـ.

٦٦- صناعة التصريف: في اللغة، للزنجاني كتبه حسين علي يوم السبت من شهر ذي القعدة سنة ١٢٤١هـ.

٦٧- عظماء العلم: تأليف كروو ويلسن تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة كتب في ٢٥ / ٢٠ / ١٩٤٦.

٦٨- العوامل: للشيخ عبد القاهر بن محمد الجرجاني.

٦٩- فصوص الحكم: في البلاغة، للشيخ محيي الدين بن عربي، نسخ في ٢٥ ربيع الأوّل سنة ٨١٧هـ.

- ٧٠- في أخبار غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام: للشيخ محمد علي الحائري السنقري، كتب في ٦ محرم سنة ١٣٥٥هـ، نسخه السيد محمد رضا ابن السيد محمد مهدي آل طعمة.
- ٧١- في محراب باخوس: في الأدب، شعر عباس (أبو الطوس) كتب بتاريخ ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.
- ٧٢- فوائد طبية: لمجهول.
- ٧٣- فوائد في الكيمياء: يرقى المخطوط إلى القرن الثالث عشر الهجري.
- ٧٤- القرآن الكريم: آخره «كتبه العبد المذنب المجرم العاصي ابن مير محمد باقر سيد عبد الله اللاهيجاني يوم الجمعة من شهر ربيع الأول سنة ١٢١٧هـ».
- ٧٥- قصائد حسينية: في الأدب، نسخه السيد محمد هادي السيد محمد مهدي بن سليمان آل طعمة في ٨ ذي القعدة سنة ١٣٨٩هـ.
- ٧٦- قصائد في مدح الرسول ﷺ: في الأدب (بالتركية) كتبه السيد الحاج حافظ عبد الله خاكي، المعروف بشيخ داود سنة ١٢٦٦هـ.
- ٧٧- قصيدة: في الأدب، للشيخ حسين نجف المتوفى سنة ١٢٥٤هـ، نسخه السيد محمد هادي السيد محمد مهدي سليمان آل طعمة.
- ٧٨- قصيدة الشيخ علي المقرب: في الأدب، للشيخ علي بن مقرب الأحسائي (٥٧٢-٦٢٩هـ)، ١٥٣ بيتاً، بخط الشيخ فرج آل عمران القطيفي (٧ رجب سنة ١٣٩٠هـ).
- ٧٩- قطعة من صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، كتب بخط عبد الباقي البكري، ١٣٠٤هـ.
- ٨٠- كتاب في الأدعية.
- ٨١- كتاب في الأدعية.
- ٨٢- كتاب في الأدعية: نسخه درويش سيد أحمد.
- ٨٣- كتاب في الأدعية.

- ٨٤- كتاب في الأدعية: نسخ بتاريخ ١٢٧٨ هـ.
- ٨٥- كتاب في الحديث: نسخة قديمة جداً نسخها محمد بن الرمض الحنفي في سنة ٧٩٨ هـ.
- ٨٦- كتاب في الفقه: حرره يحيى أفندي الشهير بمنقاري زاده سنة ١٢١٥ هـ.
- ٨٧- كتاب في الفقه: (كتاب الطهارة)، عليه ختم السيد محمد عزيز وختم حافظ إدريس فائق الأسبري، سنة ١٣١٩ هـ.
- ٨٨- كتاب شعري في الفقه: ناظمها الأقل محمد علي ابن الشيخ حيدر ابن الشيخ خليفة، فرغ من تسويد المنظومات يوم السبت ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣ هـ في النجف.
- ٨٩- كتاب في النحو.
- ٩٠- كتاب في المنطق: لمؤلف نصراني.
- ٩١- كشكول: في الأدب، نسخه الشيخ محسن ابن الشيخ محمد حسن أبو الحب (١٣٠٥ - ١٣٦٩ هـ) في شهر رجب سنة ١٣٦٥ هـ.
- ٩٢- كلمات قصار أمير المؤمنين عليه السلام، نسخه محمد حجة الإسلام زاده في السادس من ربيع الآخر ١٣٣٣ هـ.
- ٩٣- كنوز المعارف الإلهية: نسخه السيد محمد هادي بن السيد محمد مهدي بن سليمان آل طعمة بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ.
- ٩٤- لم نحطم الذرة؟ تأليف آرثر كي سليمان، تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة، نسخ في ٢ / ١٠ / ١٩٤٧.
- ٩٥- متن السنوسية.
- ٩٦- مجمع المنافع البدنية^(١): في الطب.
- ٩٧- مجموع شعري: في الأدب، بخط السيد سلمان ابن السيد محمد هادي آل طعمة نسخ في ٢٩ شوال سنة ١٣٨٣ هـ.

(١) انظر فهرس المخطوطات المصورة لفؤاد سيد، ص ١٦٦.

٩٨- مجموع شعري: في الأدب، بخط السيد محمد هادي ابن السيد محمد مهدي آل طعمة نسخ في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٨٨هـ.

٩٩- مجموع شعري: في الأدب، بخط السيد محمد هادي السيد محمد مهدي آل طعمة، نسخ في ٢٩ شوال سنة ١٣٨٣هـ.

١٠٠- مجموع شعري: في الأدب، شعر باللغة الدارجة، تاريخ نسخه سنة ١٢٥٩هـ.

١٠١- مجموع فيه:

أ. شرح قصيدة البردة: للبوصيري، نسخ عبد الله بن يونس (١٢١٠هـ).

ب. كتاب في النحو (١٢٤٢هـ).

١٠٢- مجموع فيه:

أ. كتاب في النحو (١٠٧٠هـ).

ب. المصباح: في النحو، للمطرزي أبي الفتح ناصر.

١٠٣- مجموعة ابن نصار: في الأدب (شعر باللغة الدارجة) بخط السيد عبد الحميد ابن السيد عبد الجليل بن السيد محمد علي آل طعمة، نسخ سنة ١٣٣٨هـ.

١٠٤- مجموعة الأدعية والختومات (بالتركية).

١٠٥- مجموعة أدعية وأوراد وأذكار: بخط السيد محمد هادي ابن السيد محمد مهدي السيد سليمان آل طعمة (١٣٦٠هـ).

١٠٦- مجموعة رسائل فيها:

أ. رسالة في الأوفاق: لمجهول، (١٢٢٣هـ).

ب. رسالة في الموضوع السابق.

ج. فائدة لنفح السارق.

د. جدول الغالب والمغلوب.

١٠٧- مجموعة آل أبي الحب: في الأدب، نسخ السيد محمد هادي بن السيد محمد

- مهدي آل طعمة (١٥ جمادى الآخرة ١٣٨٨هـ).
- ١٠٨- مجموعة آل كمونة: في الأدب، بخط محمد سعيد بن محمد كاظم الطريحي (١٥ ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ).
- ١٠٩- مذكرات في الأدب: نسخه عباس (أبو الطوس) سنة ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م.
- ١١٠- مذكرات آغا خان الأول: في الأدب، تعريب الحاج مصطفى أسد خان، سنة ١٣٨٦هـ.
- ١١١- مصرع الحسين عليه السلام: في التاريخ، لمحمد علي بن طه الكاظمي.
- ١١٢- المطول: في البلاغة، شرح تلخيص المفتاح لسعد الدين (مسعود) بن عمر ابن عبد الله التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢هـ، نسخ في ١٢ رمضان ٧٤٢هـ.
- ١١٣- المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة^(١)، في اللغة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ.
- ١١٤- معرفة الساعات.
- ١١٥- معشر العشاق: في الأدب، شعر شعبي لمحمود عبود الكربلائي (١٣٧٣هـ-١٩٥٤م).
- ١١٦- من أغاني الشباب: في الأدب، شعر عباس (أبو الطوس) (١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م).
- ١١٧- منتخب الدعوات في الأدعية، نسخه السيد محمد هادي ابن السيد محمد مهدي آل طعمة في ١٥ من ذي الحجة سنة ١٣٨٠هـ.
- ١١٨- منتخبات الأدعية: نسخه السيد محمد هادي ابن السيد محمد مهدي آل طعمة في ٢٥ رمضان سنة ١٣٨٨هـ.
- ١١٩- منتخبات البحار: نسخه السيد محمد هادي ابن السيد محمد مهدي آل طعمة في ١٤ رمضان سنة ١٣٩١هـ.

(١) معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: ليوسف إيلان سركيس، ص ١٠٨٤.

- ١٢٠ - منتخبات الزيارات والدعوات الزاكيات: نسخه السيد محمد هادي ابن السيد محمد مهدي آل طعمة في ١٤ محرم سنة ١٣٩٣هـ.
- ١٢١ - منطق العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية: تأليف نورث شبروت تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة، نسخ في ٢٠ / ٤ / ١٩٥٠.
- ١٢٢ - المنظومة المرجانية: في الأدب، نسخ السيد كلب باقر بن كلب حسين المولوي النقوي الحائري، في ذي القعدة سنة ١٣٢٣هـ.
- ١٢٣ - المنهج إلى أصول المذهب المبرج: لمحمد الأمين بن أحمد زيدان نسخه عبد الله بن عبد الله عثمان التونسي خريج الأزهر الشريف، عن نسخة فاسية.
- ١٢٤ - مواليد النساء والرجال: لصالح منصور اليافي الحنفي (غرّة رمضان ١٢٥٨هـ) عليه تملك أحمد حسين.
- ١٢٥ - نهاية التحرير: في الأدب، للسيد محمد تقي القزويني المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، نسخ سنة ١٢٢٣هـ.
- ١٢٦ - نزهة الإخوان في وقعة البلد المقتول العطشان: في التاريخ، لمجهول، (١٢٤٤هـ) بخط السيد سلمان ابن السيد هادي ابن السيد محمد مهدي آل طعمة، نسخة منقولة عن نسخة السادة آل النقيب في كربلاء.
- ١٢٧ - النشيد الظافر: في الأدب، شعر عباس (أبو الطوس) (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).
- ١٢٨ - النظرية الذرية: تأليف سرور وتيلر، تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة في ١٦ / ١١ / ١٩٤٦.
- ١٢٩ - هداية العقول إلى غاية السؤال: في علم الأصول، نسخ في سنة ١٢٦٥هـ.
- ١٣٠ - هدير الشلال: في الأدب، شعر عباس (أبو الطوس) (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).
- ١٣١ - الهزل في ترويح النفس: في الأدب، تأليف حسين صالح البيضاني.

(٣٤)

خزانة مكتبة سيد الشهداء العامة

- ١- البداية في علم الدراية: للشهيد الثاني، نسخه محمد أحمد (٩٥٩هـ).
- ٢- الكافي: (كتاب الروضة) للشيخ الكليني، نسخه محمد باقر الحسيني (١٠٧١هـ).
- ٣- مجموع فيه:
أ. منهاج اليقين: للعلامة الحلي.
ب. جامع الدرر في شرح الباب الحادي عشر: للشيخ خضر، نسخ بتاريخ ٩٤١هـ.

(٣٥)

خزانة مكتبة أبي الفضل العباس عليه السلام العامة

- ١- الحدود والتعزيرات.
- ٢- حلية المتقين: كتب في سنة ١٠٨٧هـ.
- ٣- كتاب الطهارة: للشيخ مرتضى الأنصاري.
- ٤- مسالك الأفهام: في الفقه، للشيخ زين الدين بن علي الجبعي العاملي (٩١١هـ-٩٦٦هـ).
- ٥- نسخة من القرآن الكريم: كتبت في محرم ١٢٣٦هـ.
- ٦- نسخة أخرى كتبت في ١٢٢٠هـ.



خصائص الخط العربي

الخطاط وليد الأعظمي

تلك الحروف بحجم صغير، وذلك للتوضيح وعدم الالتباس، وحتى لا يظن القارئ أن هذا الحرف معجم وإن الخطاط قد نسي نقطته.

وأما الحرف المعجم فلا يكتبون تحته مثله، وذلك يكون خاصة في الحروف المتشابهة في صورتها وهيئتها عندما تكون في وسط الكلمة كالجيم والحاء والخاء والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين، ومثال ذلك - لاحظ الحروف المهملة:

الْمَغْضُوبُ الْمَغْضُوبُ الْمَغْضُوبُ

وكل هذه الحروف الصغيرة تكتب عادة تحت الحروف الكبيرة بأصل السطر، عدا حرف الهاء الصغير، فإنه يكتب فوقه مثال:

اللَّهُ عَقِيدَةُ مَكْتَبَةٍ

وهناك بعض الحروف المهملة، لا تصلح أن يكتب تحتها مثلها، وتكون قبيحة إذا وضعنا ذلك كحرف الدال واللام والواو.

لذلك كان الحذاق المجودون من كبار الخطاطين، يضعون تحت تلك الحروف المهملة نقطة، ويجعلونها على شكل دائرة، لتختلف في صورتها وهيئتها عن النقط الأخرى التي هي من أصل الحروف، ومثالها:

اِنَّ لِلنَّبِيِّ عِبَادَةَ الْاَسْهَلِ قُلُوبًا لِلَّهِ اَجَدُ اِنَّ الْاَعْجَامَ بِالنَّبِيَّاتِ

هذه هي أصول التشكيل التي اتفق على وضعها أئمة الخط العربي، وأكثر الخطاطين المعاصرين لا يدركون ذلك، فنراهم يضعون الحروف الصغيرة تحت الحروف الكبيرة كيفما اتفق لهم، عن غير قصد ولا معرفة يضعونها تحت الحروف المهملة والمعجمة على السواء.

كما نجدهم يضعون بعض حركات الإعراب في غير مواضعها، حتى إن بعضهم يضع على الحرف حركتين يصعب معها النطق بالكلمة.

وأستاذنا المرحوم هاشم محمد الخطاط يعرف ذلك جيداً، وعنه أخذنا هذه الأصول، إلا أنه كان لا يلتزم بها هو أيضاً. وكنا نوقره ونستحيي أن نعترض عليه.

التنقيط:

تختلف النقط في الخط العربي، من حيث هيئاتها وأوضاعها، وذلك تبعاً للنوع الذي تنتمي إليه، وتكتب به، ففي خط الثلث تكون النقطة مستطيلة الشكل، ولا تتقابل زواياها مثال:



والنقطة في خط النسخ تكون على شكل (المعين) تقريباً إلا أنَّها غير متقابلة الزوايا أيضاً ومثالها:



وفي خط التعليق (الفارسي) تكون النقطة محدّبة من الأعلى ومقعّرة من الأسفل، وتكون لها زاويتان فقط من يسارها ومن أسفلها مثال:



وتكون النقطة في خط الرقعة، بمقدار نصف نقطة الثلث تماماً وهي على شكل مستطيل هكذا:



ونقطة الخط الديواني كالرقعة تماماً، وتكتب أحياناً على شكل دائرة، والنقط تكتب بالأصل متفرقة في الخطوط كافة.

وتكون النقطتان في التاء والقاف والياء المتصلة، الواحدة بجوار الأخرى هكذا:



وإذا كانت الكلمة ذات حروف معجمة، وخشي الخطاط أن يلتبس وضع النقط على القارئ، أو تكون النقط بشكل قبيح، فيستطيع الخطاط عند ذلك أن يجعل الواحدة فوق الأخرى مثال:

اَزَّالْمُنْقِيَرُ فِي ظِلِّ الْوَعْمِ
تَنْزَلُ تَنْزَلُ

أمَّا في خط الرقعة، فتكون النقطتان متصلتين، وكذلك النقط الثلاث في حرف الشاء والشين، ولا يجوز تفريقها، كما هي في الخطوط الأخرى مثال:

.. م نبت

وفي الخط الديواني إذا كانت النقط فيه على شكل دوائر، كما ذكرنا، فإنها تكون متفرقة هكذا:



وإذا كانت النقط في الخط الديواني كالرقعة، فإنها تجمع عندئذ.

وقليل من الخطاطين المعاصرين يدركون ذلك، فتراهم يجعلون النقطة على شكل واحد في سائر الخطوط، وأستاذنا المرحوم هاشم الخطاط، كان الوحيد الذي يعطي النقطة حقّها ويوفّيها شكلها ووضعها، حتى إنك لتمييز الخط الذي يريده من شكل النقطة التي تراها في السطر.

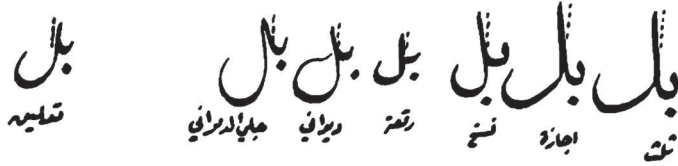
اتجاه الحروف:

يعدّ الخطاطون حرف الألف هو المقياس المعوّل عليه، والعلامة الفارقة المميزة لكل نوع من أنواع الخطوط؛ وذلك لأنه يختلف في كلّ نوع عن غيره، وقد تكون بقية الحروف متقاربة بعض الشيء في وضعها وهيئتها مثل حرف الهاء في خطي الرقعة والديواني فإنها تكون متقاربة جداً في شكلها مثال:



وكذلك حرف العين الوسطى، تتقارب في الشكل عند خطوط النسخ والديواني والتعليق (الفارسي) ومثالها:

أَنَّهَا متفقة ومشابهة لحرف الألف في الخطوط كلّها، إلّا في التعليق (الفارسي) ومثالها:



وكذلك نزول حرف الميم يكون كحرف الألف متجهاً من اليسار إلى اليمين في الخطوط كافة عدا خط التعليق (الفارسي) ومثالها:



والصعود إلى حرف الدال يتّجه من اليمين إلى اليسار عدا خط التعليق (الفارسي) مثال:



القياس والأبعاد:

يعدّ حرف الألف كما ذكرنا مقياساً للنوع وللبعد في الخط العربي، ويقاس ارتفاع الألف وبقية الحروف المنبسطة والمنكبة والمعقوفة، بنقط معدودات، اصطلاح عليها الخطاطون الكبار وتواضعوا على الالتزام بها واعدوها الموازين الثابتة المقررة، والقواعد المحررة، التي لا ينبغي للخطاط أن يتجاوز حدّها.

وهي لم تأت اعتباراً ولا طرفة ولا رغبة وقتية، ولا مدعاة للشهرة والصيت

والمخالفة، وإنما جاءت نتيجة لتجارب طويلة، ومراحل عديدة انتقل فيها الخط العربي في أطوار التطور حتى استقرت على هذا القسط من الجمال والتنسيق في الوضع والأحكام.

ويكون ارتفاع حرف الألف في خط الثلث سبع نقط من نفس القلم الذي يكتب به الخطاط، ويكون البعد بينه وبين الحرف الذي يليه من نقطة إلى نقطتين، وكذلك بين كل حرف وحرف ما لم يكن هناك مدٌّ، مثال:

البلد وليد علوان

أنظر البعد بين كل حرف والذي يليه.

ويضطر الخطاط إلى المد أحياناً، وذلك عند بعض الحروف مثل أسنان السين والشين وإتصالها بالباء والتاء والثاء والنون والياء، وخشية من الالتباس والتماساً للجمال والتنسيق يعتمد الخطاط إلى المد مثال:

شديد نشيط

وكذلك يخشى الخطاط بعض الكلمات التي تحتوي حروف الباء والتاء والثاء والسين والشين والنون والياء بالتعاقب، فيضطر الخطاط عندها إلى تمييز بعض نبرات الحروف وذلك بارتفاعها عن أخواتها؛ حتى لا تتشابه مثال:

بِتَشَبُّثِنَا

فلو لم يرتفع الخطاط بحرف التاء ويمد حرف الشين ثم يرتفع بعد ذلك بحرف التاء لكانت أسنان الحروف متشابهة كلها، ممّا يجعلها مرتبكة وغير جميلة مثال:

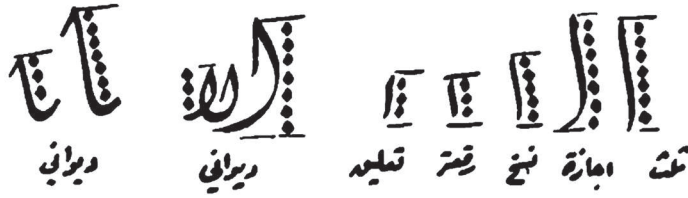
بِتَشَبُّثِنَا

انظر الفرق بين الوضعين جمالاً وتنسيقاً ووضوحاً عند جمع الحروف أولاً ثم ارتفاعها ومدّها ثانياً.

ويكون حرف الألف بالثلث سبع نقط في السطر الاعتيادي، والكلمة المفردة، أمّا في التركيب حين تكون الكتابة على شكل بيضوي أو دائري أو مربع أو مثلث أو غير ذلك فيكون هناك متسع للتصرف عند الخطاط، ويزيد في طول الألف أو ينقص حسب موضعه في اللوحة، ولكنه لا يزيد على تسع نقط، ولا يقل عن خمس، ومعنى ذلك إن زيادة طول الأوّل تمتد إلى نقطتين.. وقصره يقل نقطتين.

وارتفاع حرف الألف في خط النسخ يكون خمس نقط، وفي الرقعة ثلاث نقط، وفي التعليق (الفارسي) ثلاث نقط أيضاً، وخط الإجازة كالثلث سبع نقط، كل ذلك بنفس القلم الذي يكتب به الخطاط حرف الألف، أمّا الخط

الديواني وجلي الديواني فيتراوح حرف الألف من ثلاث إلى سبع نقط، مثال:



أنواع الخطوط واسماؤها :

ينقسم الخط العربي إلى قسمين:

القسم الأول: ذو الحروف اليابسة المستقيمة، وهو الخط الكوفي بأنواعه العديدة ومشتقاته الكثيرة، والخط الكوفي لا يحاسب به الخطاط؛ لأنه واسع المجال، يستطيع الخطاط من خلاله أن يتصرّف كثيراً، ويتفنّن في الإبداع وإظهار مواهبه الفنية، والخط الكوفي يكتب عادة بالمسطرة، وهو إلى الرسم أقرب، حيث يتخذ أشكالاً هندسية بديعة كالمربعات والمخمسات والنجوم والزوايا والعقود والصفائر وغيرها من تشكيلات الرياسة.

ولا يتمرن الخطاط بالخط الكوفي عند بدء الكتابة، وإنما تترك له حرية الإبداع في كتابته.

القسم الثاني: ذو الحروف اللينة المطاوعة لحركة القلم في أثناء الكتابة وهي المسطحة والمنكبة والمقوّرة والمعقوفة، ولا تكون فيه حروف مستقيمة أبداً، ولا يستطيع الخطاط أن يكتب حرفاً أو جزءاً من حرف بالمسطرة، وإنما يكتب بالقلم مباشرة.

ومن القسم الثاني خطوط الثلث المرسل والمحقق والمركّب وخط الإجازة والنسخ والرقعة والديواني وجلي الديواني والتعليق (الفارسي).

وبحثنا هذا في خصائص القسم الثاني حسب؛ وذلك لأن الخط الكوفي الحاد اليابس هو إلى الرسم أقرب كما ذكرنا.

الثالث:

يعدُّ خط الثلث رأس الخطوط العربية، وأجملها وأصعبها، وبه يقاس وزن الخطاط وتعرف منزلته ودرجته من خلاله، ويحاسب الخطاط بخط الثلث، فإذا تمكن الخطاط من الإجادة والضبط بالثلث، فإنّه يتمكّن من سائر الخطوط الأخرى.

والثلث في الخط العربي كالبحر الطويل في الشعر العربي، يحتاج إلى ثروة لغوية ومادة وافرة من التعابير، يعاني النظم فيه كبار الشعراء ويكادون يخصّصونه إلى الأحداث الجليلة.

وقد تطوّر خط الثلث على أيدي الخطاطين الأتراك حتى بلغوا به الكمال أو كادوا، ومن العظماء الذين تفنّنوا في الإبداع بخط الثلث الخطاط عبد الله الزهدي كاتب السطور الرائعة في المسجد النبوي الشريف، وشفيق بك كاتب سطور المسجد الأقصى (قبة الصخرة) في القدس الشريف، وراقم وأحمد الكامل وحقي وسامي ونظيف وعمر الوصفي وشوقي وخلوصي وعثمان ياور وعزيز الرفاعي وماجد الزهدي وحامد الأمدي وحليم، وهؤلاء كلهم من الأتراك.

وفي مصر الخطاط حسني ومكاوي وعبد الرحمن والشيخ علي بدوي وسيد إبراهيم ومحمد إبراهيم البرنس، كاتب سطور المسجد الحرام في مكة المكرمة، وفي الشام الحاج محمد بدوي الديراني وفي لبنان الشيخ نسيب مكارم، وفي العراق المرحوم سفيان الوهبي البغدادي ومحمود الثنائي وإسماعيل الأنوري وعبد الجبار زاده ومحمد صبري الهلالي، وهاشم محمد البغدادي، مفخرة العراق ومعجزة الخط الذي فاق من سبقه من الخطاطين خلال العصور.

وعلى يد المرحوم هاشم محمد عادت رئاسة هذا الفن البديع، إلى العرب، بعد أن تولّاها الأتراك زهاء أربعة قرون، حيث لم يصل خطاط عربي إلى مستوى كبار الخطاطين الأتراك فضلاً عن أن يبرزهم كما صنع المرحوم هاشم.

وليس في المغرب العربي كلّ خطاط مبرز في الثلث سوى الخطاط الخماسي في تونس وهو لا يرقى إلى هؤلاء العظماء.

وخط الثلث تكتب به اللوحات الفخيمة كواجهات المساجد والقباب والمحاريب، ومن السطور الرائعة في الثلث عندنا ببغداد واجهة جامع الإمام الأعظم، وهي سورة الفتح كتبها الخطاط عبد الجبار زاده البغدادي سنة ١٣٢١هـ، وكذلك قبة الشيخ معروف الكرخي كتبها الخطاط عثمان ياور وسطور جامع فتاح باشا بالكاظمية كتبها محمد صبري الهلالي وسطور جامع البنية والسطر الجديد في واجهة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني كتبها الأستاذ هاشم.

ومن أبرع اللوحات بالثلث اللوحة المعلقة فوق محراب جامع الإمام الأعظم وهي «رأس الحكمة مخافة الله» كتبها عثمان ياور سنة ١٣١١هـ، ومنها نسخة في جامع الشيخ معروف الكرخي.

وتكتب بالثلث أيضاً عناوين الكتب والصحف واللوحات الفنية التي تزين بها المجالس، ولا أدري من أين جاءت تسميته بالثلث، وتعريفات كتب المتقدمين لا تبين ذلك، والذي يبدو لي أنّه سمّي بالثلث، لانحراف القلم عند الكتابة بمقدار ثلث عرضه أصلاً وعسى أن يكون هذا الرأي مقبولاً؛ لأنه تعليل قريب من الواقع الذي عليه انحراف القلم ومقداره الثلث مثال:



وعند الخطاطين الثلث وخفيف الثلث وثقيل الثلث، ويسمّى الأخير الجلي أو الجليل أي الواضح، وهو عكس الدقيق، قلت: ولا عبرة بعرض القلم ودقته؛ ذلك لأن القياس واحد عند كل كتابة، حيث تقاس الحروف بنفس القلم الذي يكتب به الخطاط.

وخفيف الثلث إنّما سمّي بهذا الاسم لكونه دقيقاً، لا ترويس لحروفه، وذلك لصغرهما كرأس الألف ورأس الدال والراء واللام والنون والهاء؛ لأنّها صغيرة، فلا تتضح مثل الحروف الكبيرة، ولأن الخطاط لا يعود على الحرف بعد كتابته ليسوّي رأسه وحاشيته كما يفعل بالجليل، انظر رؤوس الحروف عند الكتابة، ثمّ تسويتها بعد الكتابة:



ولعل الثلث هو النوع المشهور بالكتابة العريضة الواسعة في واجهات المساجد، وهو النوع الوحيد الذي يحمل اسم الجليل أي الواضح العريض، وفي المثل البغدادي: «أحكي بالقلم العريض»، وإلى ذلك أشار المرحوم معروف

الرصافي الشاعر بقوله:

وَلَوْ لَا بَائِي أَزْلُخَاطِبِ مُلَجِّنَا
كَتَبْتُ هَجَاءَ الدَّهْرِ بِالْقَلَمِ الثَّلَاثِي

هذا إذا لم تكن القافية قد اضطرتته إلى القلم الثلثي، وربما لو كانت القافية حرف الخاء لكتب الرصافي بالقلم النسخي ولو كانت فاءً لكتب بالقلم الكوفي. وخط الثلث بديع جداً في الكلمة المفردة وفي السطور الاعتيادية وفي التراكيب، ومن الثلث (المحقق)، وهو الذي تأخذ حروفه أوضاعها كاملة بإشباع كالراء والواو مثال:

ورث ورث
نك غير محقق نك محقق

والثلث المحقق تبقى ميمه مفتوحة ولا تعور مثال:

حامد مركامه
نك غير محقق

ولا يحق للخطاط أن يجعل كؤوساً لحروف الجيم والحاء والخاء والعين والغين في الثلث المحقق، بل تبقى مرسله دون أن تعقف، مثال:

ح ح
محمّد غير محمّد

ولا يجوز في المحقق أن تكتب (لام ألف) مشدودة، مثال:

لا لا
محمّد غير محمّد

كما إن حرف (لام ألف) بصورة مشدودة لا يجوز الابتداء بها في الثلث عامة وإنّما يبدأ بالثانية، وتكتب المشدودة في الوسط مثال:

لا لا لا
لا يجوز الابتداء بها

وأجمل شاهد لخط الثلث المحقق هو السطر الجديد في واجهة جامع الحيدرخانة على شارع الرشيد، فإنّه من أروع خطوط المرحوم هاشم وأبدع كتابته.

ومما يؤسف له إنه نسي (ألف الجماعة) في ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ وقد وقع في آخر السطر هكذا: كتبه هاشم بخط المحقق سنة ١٣٩١ هجرية.

ولو أنّه كتب (بالخط المحقق) أو بالثلث المحقق، لكان أوضح، وأبعد عن الالتباس خشية أن يُقرأ بخط المحقق بكسر القاف الأولى.

وخط الثلث هو النوع الوحيد الذي تفتح عينه المتصلة، ولا تغمض أبداً وتكون العين المتصلة مغمضة في سائر الخطوط الأخرى مثال:

للمجمعُ العِليُّ العِراقِيُّ بغدادُ

والثلث خط جميل بديع في الكتابة بحجم متوسط، وإذا كبرت حروفه كانت أكثر جمالاً وأبدع تنسيقاً.

النسخ:

النسخ خط جميل، ويزداد جمالاً كلما كانت حروفه صغيرة ودقيقة، ويكون غير جميل في الكتابات الكبيرة.

وتكتب به عادة المصاحف الشريفة والربعات والأدعية والأوراد، وتكون حروف المطابع بحرف النسخ في الأغلب الأعم.

وقد اتخذ هذا الاسم من كونه يستعمل في نسخ الكتب؛ لأنه يكتب بسرعة عادة، وإن كانت الكتابة بخط الرقعة أسرع منه.

وخطُّنا في الكتابة الاعتيادية في أمورنا الحياتية إلى الرقعة أقرب منها إلى النسخ، وإن آتت عناية يديها الكاتب في أثناء الكتابة، تنقله من الرقعة إلى النسخ أو يقترب منه، وهو لا يشعر، ومن خصائص خط النسخ إنه يصلح لكتابة السطور، وتكون سطوره مستوية ويحتمل التشكيل أيضاً للتوضيح وللزينة، ولكنه أقل من الثلث عادة، وتكون النقط في خط النسخ متفرقة ولا يجوز جمعها، ولا تفتح عينه المتصلة، ولا تكون سينه أو شينه ممدودة دون أسنان.

ولا يصلح النسخ للتركيب.

ومن العظماء الذين تفنّنوا بخط النسخ إمام الخطاطين المرحوم الحافظ عثمان التركي المتوفى سنة ١١١٠هـ. وهو يعدُّ طبقة وحده، ثمَّ المرحوم محمد أمين الرشدي كاتب المصحف الذي طبعته رئاسة ديوان الأوقاف العراقية في ألمانيا، ومنهم نظيف قدره علي (كاتب مصحف الأستانة المطبوع)، والحاج أحمد الكامل وإبراهيم قهوجي باشي كاتب المصحف المهدي لحضرة الإمام الأعظم من قبل الوزير العثماني أنور باشا، والمرحوم هاشم محمد البغدادى، مثال لخط النسخ:

الحمد لله رب العالمين

الإجازة:

خط الإجازة يكون مجموعاً من خطي الثلث والنسخ، وهو خط جميل، وقد قيل إنه أقدم من خطي الثلث والنسخ، وإنهما تفرّعا منه ولا أرى ذلك صحيحاً؛ لأن اسمه يدل على التجوز للخطاط في الجمع بين النوعين.

وليست هناك قاعدة لضبط الإجازة في أوضاع حروفه من حيث تسلسلها في النوعين، فالخطاط حرٌّ في خط الإجازة، أن يكتب حرفاً من الثلث والذي يليه من النسخ، أو أن يكتب حرفين أو ثلاثة حروف بالثلث ثمَّ يعقبها بحرف أو أكثر من النسخ، وبالعكس، ولذلك لو أخذنا كلمة واحدة وطلبنا كتابتها من ثلاثة خطاطين، لوجدنا كل خطاط قد استقلَّ بوضع حروفه وتسلسلها من النوعين (الثلث والنسخ) حسب ما يترأى له من الجمال في أوضاع الحروف وحسن تنسيقها، مثال:

الأخطيئة الأعظيمة الخطيئة

وبالعكس من ذلك، لو أخذنا كلمة واحدة وطلبنا من الخطاطين الثلاثة أنفسهم كتابتها بالثلث أو النسخ، لتشابهت خطوطهم وتقاربت من حيث أوضاع الحروف وأبعادها، ويبدو لي إن خط الإجازة متأخر عن الثلث والنسخ، وإنه مولد ومتفرع منهما، وهو خط التمرين عند الخطاطين، وغالباً ما نجد الخطاط إذا مسك القلم وابتدأ بالمشق، قبل كتابة اللوحة الفنية التي يروم كتابتها، فإنه يبدأ بالثلث ثم ينتقل فجأة إلى الإجازة.

وكذلك بعد قطّ القلم نرى الخطاط يكتب بالإجازة قبل غيره من الأنواع، ليحرب طواعية القلم، وامتداد الخبر وجودة الورق، وليهيء أعصابه للكتابة.

ويكون خط الإجازة كالتمرين قبل لعبة كرة القدم، وذلك أن اللاعبين قبل السباق يتمرنون على هدف واحد، ويستعرضون قواهم ويهيئون أنفسهم للسباق، ويبدون أروع الحركات وأعنف الضربات، ولكنهم في الوقت نفسه غير محددين بنظام، ولا مقيدين بخطوط الساحة، ولمس الكرة باليد وغيرها من المخالفات.

وخط الإجازة يكتب به عادة عناوين السور القرآنية الكريمة، وعدد آياتها، وقيل إن الإجازات العلمية كانت تكتب به فسمي خط الإجازة، وهذا الرأي صحيح ومقبول، ولكن الرأي الأول إنه سمي بالإجازة لتجوّز الخطاط فيه بالجمع بين النوعين أقرب.

وخط الإجازة بين الخطوط العربية، كمعلقة عبيد بن الأبرص بين المعلقات.

أقفر من أهله ملحوب فalcطبات فالذنوب
فلا هي قصيدة ولا هي خطبة، وفيها البيت والبيتان والثلاثة موزونة ثمَّ
يعقبها بيت أو أكثر مختلّ الوزن معلول.

التعليق:

هو خط جميل منسّق، ويسمّى (الفارسي) أيضاً، ويبدو أنّه اتخذ هذا الاسم
(التعليق) لأنّه كان يستعمل في كتابة التعليقات في الحواشي والهوامش، ليخالف
فيه أصل خط الكتاب.

ويسمّيه العجم (نستعليق) وأصله (نسخ التعليق) ويلفظ نستعليق
للسهولة، وهو خط جميل في الكتابة الدقيقة والوسطى والكبيرة، وفي الكلمة
المفردة والسطر، ومن خصائصه أنّه يتحمل المدّ كثيراً ويزيده المدّ جمالاً وحسناً
وتوزيعاً، ولا تكون سطور مستوية، ففيه حروف صغيرة مجموعة ثمَّ يعقبها
حرف ممدود مثال:

ولضحى للسهل اذا سجد

وربما يرجع بعض حروفه فيغطي حرفين أو أكثر، ولا يجوز هذا في غير
التعليق (الفارسي) مثال:

في جنا الفروس نبتلم

وخط التعليق (الفارسي) مثل مقام الدشت أو الأوشار، من حيث الجواب
والقرار، فالجواب في الأصوات هو العالي المرتفع، والقرار المنخفض كاسمه،

وكما يغني الفارسي فيسر د اربع أو خمس كلمات متتابعة بسرعة، ثمَّ يصيح بحرف واحد عالياً وطويلاً، فكَذلك خط التعليق (الفارسي) تجتمع حروف الكلمة في مكان ضيق، ثمَّ يمتد بعدها أحد الحروف طويلاً، مثال:

طهاسب طهاس

وتارة تكون حروفه عالية جداً، ثمَّ يعقبها انحدار ونزول مفاجئ، ممَّا يجعل سطره غير مستوية استواء الثلث والنسخ، مثال:

إن اكرمكم عن انفاكم

ولذلك يعتمد الخطاط أن يحيط الكتابة بما يشبه الغمام من الزخارف، ويصعب إحاطة الكتابة الفارسية بمستطيل من الخطوط أو الزخارف الأخرى، كما هي في الثلث، والتعليق هو النوع الوحيد الذي تكتب فيه نقطة الظاء عن يمين ألفها وعن يساره وفوقه أيضاً، وذلك عند التأكد من عدم الالتباس بغيرها، مثال:

خير حافظاً حافظاً حافظاً

ولكأس حرف النون في خط التعليق (الفارسي) شأن كبير، حيث يشترك فيه ثلاثة عشر حرفاً، وهي: النون، والسين، والشين، والصاد، والضاد، واللام، والياء، والقاف، والجيم، والحاء، والخاء، والعين، والغين. مثال:

شبه نسخ نسر شرس ض ق ل ي ج ح خ ع غ

ومن الخطاطين العظماء في خط التعليق (الفارسي)، مير عماد الحسيني، وأسعد اليساري، ومن المعاصرين الشيخ حسن المعروف بزرين خط (الخط الذهبي)، ويواهقه المرحوم هاشم محمد البغدادي والحاج محمد بدوي الديراني في الشام والخطاط حسني بمصر.

الرقعة:

خط الرقعة رائع وجميل، اخترعه الخطاطون الأتراك، وأوّل من أجاد فيه وميز خصائصه الخطاط التركي ممتاز بك.

وهو لا يصلح للتركيب ولا للتوليد، وكتابتنا الاعتيادية في أمورنا الحياتية العامة أقرب إلى خط الرقعة من سائر الخطوط.

ومن خصائص خط الرقعة، إنه تغمض منه العين المتصلة، والواو ابتداء واتصالاً كما تغمض منه الفاء ابتداء وتنفتح اتصالاً، مثال:

جمعية يوسف الفرقة

وتغمض القاف ابتداءً وتنفتح وسطاً وتغمض انتهاءً، مثال:

العقبي رقي

وخط الرقعة تجمع فيه النقط، ولا يجوز تفريقها، كما إنه النوع الوحيد الذي يجوز فيه أن تتصل نقط الشين والضاد والقاف والنون والياء في آخر الحرف، مثال:

جئ حئ ارض عرب
س س رى

ويكتب حرف الجيم والحاء والحاء في خط الرقعة على وضعين:
الأول: إذا كان الحرف الذي يلي حرف الجيم صاعداً فيكتب بهذه الصورة:

أجر جهم حمزة خميس

الثاني: إذا كان الحرف الذي يليه نازلاً فيكتب هكذا:

جاء جئت جيت حين خير

ويستعمل خط الرقعة في الكتابات الكبيرة والإعلانات التجارية، والمكاتب، والدوائر الرسمية، لسهولة قراءته، وكذلك في عناوين الصحف والمجلات وبعض الكتب، وهو لا يحتمل التشكيل.

وقد أخذ خط الرقعة هذا الاسم من (الرقعة) وهي قطعة الورق الصغيرة

في المكاتبات، وأشهر من يكتب خط الرقعة هو المرحوم الخطاط محمد صبري الهلالي البغدادي، وحسني الخطاط بمصر والخطاطون الأتراك.

وخط الرقعة متأخر زمنياً عن الثلث والنسخ، وهو غير (خط الرقاع) المذكور قديماً، وفي خط الرقعة يكون حرف (لام ألف) بمقدار نصف حرف الألف، مثال:

الأول الآخر الإيمان

الديواني:

ان الخط الديواني اخترعه الخطاطون الأتراك، وولدوه من خط الرقعة، وهو يشترك مع خط الرقعة في كثير من أوضاع الحروف وهيئاتها.

وقد خصّصوه لكتابة الأوامر والمراسيم التي كانت تصدر عن ديوان السلطنة، فسمي (الخط الديواني) كما يسمّى (الخط الهمايوني) و(الخط السلطاني) أيضاً، وتكتب به عادة اللوحات الفنية ذات الأهمية الكبيرة كالمراسيم الجمهورية، والشهادات العلمية، والسندات، كما تكتب به المعايدات والبطاقات الشخصية.

والخط الديواني تكون سطوره مستوية من الأسفل في الأغلب، وقد ينزل منها بعض الحروف كالجيم والحاء والحاء والعين والغين والميم، ولا تستوي سطوره من الأعلى، مثال:

الديوانية والخط الديواني

والديواني كخط الرقعة، لا يحمل التشكيل، وتكون نقطه مجتمعة ومتفرقة، وتكتب أحياناً على شكل دائرة.

وأشهر من يكتب الخط الديواني، هو المرحوم الخطاط مصطفى غزلان بك المصري، وقد أدخل عليه بعض التطوير وجعل حروفه متداخلة متصلة وسمي باسمه (الخط الغزلاني) وهو من الديواني.

وكذلك من البارعين فيه محمد صبري الهلالي وهاشم محمد البغدادي. والخط الديواني جميل في الكلمة المفردة، وفي السطر، ويكون جميلاً في الكتابة الدقيقة والكبيرة على السواء.

جلي الديواني:

وهذا النوع يسمي الأتراك (جلي ديوان) وأصله (الديواني الجلي)، وقد اخترعه الخطاطون الأتراك أيضاً، وولدوه من خطي الديواني والإجازة. وكان اسم هذا الخط من الأضداد، حيث كان ينبغي أن يسمى بـ (دقيق الديواني) أو (مطموس الديواني) أو (خفي الديواني).

ومن خصائص هذا الخط أنّه يحتمل التشكيل كثيراً، ويضاف إلى التشكيل النقط الصغيرة الدقيقة، ممّا تزيد الخط جمالاً وبهجة.

ويتخذ جلي الديواني أشكالاً بديعة وتراكيب لطيفة في أثناء الخط، ويتصرف فيه الخطاطون كثيراً.

ويستعمل في نفس الأغراض التي يستعمل فيها الديواني.

وأشهر من يكتبه الخطاط التركي مصطفى عزة، والشيخ عزيز الرفاعي، والشيخ نسيب مكارم والأستاذ هاشم محمد البغدادي، مثال لخط جلي الديواني:



فن التركيب:

التركيب فن رائع جميل، ولا يكون إلا في الثلث والإجازة وجلي الديواني، ومعنى التركيب أن تتداخل الحروف ويشتبك بعضها ببعض، وتتصل فيما بينها، بحيث تكون اللوحة كلها قطعة واحدة أو قطعتين أو ثلاث قطع، على أكثر تقدير.

وأجل التراكيب وأبدعها ما كان قطعة واحدة، بحيث لو نقلت اللوحة على خشب أو معدن، يستطيع الصانع لها أن ينصبها مرة واحدة، من دون تعب أو

حيرة في أوضاع الحروف وأبعادها وتقديمها وتأخيرها، مثال:

وَالضُّحَى
وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى

وَلَوْ لَسَمِعْتُ الْعُلَمَاءَ

وغالباً ما تكون كؤوس حروف الجيم والحاء والخاء والعين والغين تامة، حتى يتمكن الخطاط من ربط الحروف بها، وخاصة الياء فإنها تكون مردودة حتى تربط الحروف المفردة كالألف والdal.

ولا يكون التركيب في الخط المحقق من الثلث؛ وذلك لأن المحقق تكون حروفه على أوضاعها في الأصل، ولا تعقف ولا ترد.

ومن التراكيب الرائعة لوحة المرحوم الشيخ عزيز الرفاعي التركي ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^(١):

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

انظر تقسيم الحروف الصاعدة، من كل جانب أربعة متقابلة بشكل بديع،

(١) سورة الملك: الآية ١.

ومن التراكيب الفاشلة لوحة للمرحوم عزيز الرفاعي أيضاً ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١):

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

إن الفشل في هذه اللوحة أنّها تقرأ (.. إن الله رحيم غفور) والصواب: (... إن الله غفور رحيم)، والأصل في التركيب أن لا تصعب قراءته، ولا تكون حروفه مرتبكة في التقديم والتأخير.

والخطاط يضع الكلمة الأخيرة فوق سابقتها، لا تحتها.

ومع هذا الفشل فإن المرحوم الرفاعي هو المقدم في التراكيب، وهو أكثر الخطاطين إنتاجاً، وأبدعهم تركيباً.

ومن الفشل في التركيب لوحة للمرحوم هاشم محمد البغدادي في محراب جامع مظهر الشاوي ببغداد ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾^(٢) فقد كتبها المرحوم هاشم هكذا:

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا

وهي تقرأ بهذه الصورة (وجدتها عند رزقاً).

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٩.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٣٧.

ومن المبرزين في التركيب المرحوم حقي وأحمد الكامل المعروف برئيس الخطاطين، ونظيف وعمر الوصفي ومصطفى عزة وحليم وسامي وشوقي وعبد القادر وحامد وماجد وكلهم من الأتراك.

والمرحوم حسني في مصر والأستاذ هاشم محمد البغدادي في العراق.

فُنُّ التوليد:

التوليد فن جميل، وقابلية خاصة يتمتع بها بعض الموهوبين المتفوقين من الخطاطين، ومعنى التوليد أن يولد الخطاط حرفاً من حرف أو جزء منه، أو أن يكون بعض الحروف مشتركاً في كلمة واحدة أو كلمتين.

ويكون التوليد بصورة فنية مقبولة بحيث لا يشعر القارئ بأن هناك تكلفاً أو ضعفاً، ويخدع الخطاط نظر القارئ، كما فعل الأستاذ هاشم محمد البغدادي في الآية الكريمة ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(١) وهي لوحة جمعت بين التركيب والتوليد، حيث جعل الياء مردودة وربطت الحروف كلها، ثم جعل حرف الهاء من كلمة ﴿وَزِدْنَاهُمْ﴾ مشتركاً مع كلمة ﴿هُدًى﴾ بالرغم من وجود (الميم) بين الحرفين، وهو من أبدع ما ولَّده الخطاطون:

إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى

ومن التوليد ما يكون جزءً من الحرف مشتركاً بين حرفين كرأس الواو والميم وهو كثير شائع، مثال:

(١) سورة الكهف: الآية ١٣.

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

ومن التوليد الرائع البديع لوحة المرحوم ماجد الزهدي المدرس بمعهد
الفنون الجميلة ببغداد سنة ١٣٧٦هـ في الآية الكريمة: ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(١) فقد جعل (ألف) أكرم جزءاً من حرف (الكاف) مثال:

إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

وتوليد المرحوم هاشم في باب جامع المرادية قد أبدع فيه، حيث ولد حرف
(الطاء) من رقبة حرف (العين) وكأسه في كلمة (العظيم)، مثال:

صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

ومن التوليد الفاضل لوحة في أعلى محراب جامع المرادية ببغداد كتبت
سنة ١٣٢٠هـ وهي الآية الكريمة: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي
الْمِحْرَابِ﴾^(٢).

فقد جعل الخطاط حرف (الياء) الأخير من كلمة (يُصَلِّي) مشتركاً مع (الياء)

(١) سورة العلق: الآية ٣-٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

من كلمة (في)، فلم يوفق الخطاط بذلك حيث أصبحت تقرأ (يصلفي) هكذا:

وَمَوْقِلُهُ يَصْلِفِي الْحَرْبِ
يَصْلِفِي فِي

ومن التوليد جعل حرف الياء جزءاً من حروف الكاف الزنادي مثال:

عَلَى الشَّيْءِ قَدِيرٌ

لام الجلالة :

يكون حرف اللام بمقدار طول حرف الألف، أو قريباً منه، في أنواع الخطوط كافة.

وربما يكون حرف اللام فوق حرفين فيقلُّ بعض الشيء عن طول الألف، وفي مثل هذه الحالة يصعد حرف اللام ابتداءً عن حرف الألف مثال:

الْقُدْرَةُ الْخَفَّةُ

وإذا كان حرف اللام فوق حرفين أو حرف واحد، فإنه يصعد عن الألف بمقدار نقطة واحدة، مثال:

المختلّ الممتلّ

أمّا حرف اللام في لفظ الجلالة، فإنّه يكون بمقدار نصف حرف الألف في كلّ الأنواع، مثال:

الله الله الله الله الله
مت اجانة نحي رقة نعيم مبراني

ولو جعلنا حرف اللام في لفظ الجلالة كاملاً بطول حرف الألف، فلا يكون له من الجمال أي نصيب حينئذ، انظر الفرق بين اللامين القصيرة والطويلة في لفظ الجلالة واحكم أيهما أجمل:

الله الله الله الله

أوهام الخطاطين:

إنّ الحذاق من الخطاطين يؤنسهم ويزيد في متعتهم، أن تتكرر بعض الكلمات في أثناء كتابتهم في اللوحة الواحدة؛ وذلك ليظهروا مقدرتهم الفنية وقابليتهم في الإبداع، بإظهار تلك الكلمات بشكل واحد ومقدار واحد.

وبعض الخطاطين إذا مرّت بهم أمثال تلك الكلمات، فإنّهم يتصرفون في أوضاعها وتنويعها ابتغاء الزينة وإبراز جوانب الجمال في أوضاع الحروف.

ومع هذا الإبداع في تنويع وضع الحرف، فقد يعتبره الخذاق منهزماً أكثر منه مبدعاً، مثال ذلك في الآية الكريمة ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾^(١).

إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ

انظر الوضع الثاني لكلمتي ﴿رَبَّهُمْ﴾ و﴿بِهِمْ﴾.

رَبَّهُمْ بِهِمْ

ومثال ذلك في الآية الكريمة ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٢) وانظر أوضاع حرف الكاف:

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

ومثاله أيضاً في حرفي النون والألف وتكرارهما في الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾^(٣):

(١) سورة العاديات: الآية ١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩٣.

بِنَا إِنَّا سَمِعْنَا مَنَادًا يُنَادِي لِلْإِمَامِ

أو أن تتكرر كلمة واحدة مرتين متتابعتين في آية واحدة كآية ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾^(١):

وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ

أو أن تتكرر كلمتان مرتين كما في الآية الكريمة: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾^(٢):

وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ

إن الخطاط في هذه الآية الكريمة يجعل كلمة (إن) كلسان الميزان عن يمينها (قرآن الفجر) وعن يسارها (قرآن الفجر).

وكذلك تكرار الحروف مثل حرف الكاف في الآية الكريمة: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۖ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۖ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾^(٣):

(١) سورة الشعراء: الآية ١٣٠.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٣) سورة طه: الآية ٣٣-٣٥.

كَيْ نَسِيحُ كَثْرًا وَنَذْكُرُ كَثْرًا إِنَّكَ نَبِيٌّ بَصِيرٌ

إن هذا الجنس اللطيف يجعل الخطاط مرتبكاً ومشغول الذهن، حيث يريد أن يجانس في الخط كمجانسة اللفظ، ويجعل حروفه بشكل متناسق مقبول، يثير البهجة والمتعة، ومما لا شك فيه إن الخطاط الحاذق يشعر بالسرور واللذة بالجناس اللفظي والخطي، كما ذكرنا ولو أنه يلاقي صعوبة في وضع الحروف. ولكن السعادة التي يشعر بها عند امتلاك ناصية الحرف، والتصرف بوضعه بشكل مستقر غير قلق ولا مضطرب أو متأرجح.

إن تلك السعادة تغطي تعبهُ وتنسيه ما عانى وكابد. (ودون اجتناء الشهد ما جنت النحل).

قلنا: إن انشغال بال الخطاط بوضع حروفه المكررة قد يجعله يشدُّ ويغلط في النص، ومن هذا القبيل كان غلط المرحوم عبد الحميد حمدي في السطر المحيط بقبة حرم جامع الإمام الأعظم من الداخل، حيث كتب الخطاط الآية الكريمة: ﴿...فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِّزُهَا لَكُمْ نَكُوسُهَا لَحْمًا...﴾^(١).

إن المرحوم عبد الحميد حمدي قد أبدع في كتابة السطر كثيراً، وقد مرّت به في الآية الكريمة كلمة ﴿انْظُرْ﴾ ثلاث مرات فأبدع فيها غاية الإبداع وكتبها على نسق واحد يثير العجب، ومرّت به كلمة (عظام) وكلمة (طعام) في الآية الكريمة، ولما أبدع بكتابة كلمة ﴿طَعَامِكَ﴾ انشغل باله وانصرف ذهنه إلى

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

كلمة ﴿الْعِظَامُ﴾ فكتبها (ظعام) بتقديم الظاء على العين كل ذلك حتى يجانس بين الكلمتين كما فعل في كلمة ﴿وَانْظُرْ﴾. فصحف الكلمة من حيث لا يشعر وصارت هكذا:

فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ ... وَانْظُرْ إِلَى الظِّعْمِ ..

بدلاً من ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ وأخرجها بشكل واحد وبذل فيها جهداً فنياً مضنياً ولكنه غلط، وقد رفع هذا السطر عند تعمير الجامع سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

وكذلك غلط المرحوم محمد صبري الهلالي في السطر المحيط بحرم جامع الدهان في الأعظمية، من الخارج، حيث كتب الآية الكريمة: ﴿... ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا...﴾^(١). لقد كتب صبري كلمة ﴿بَعْضٍ﴾ مرتين بصورة متناسقة جميلة، وكتب كلمة ﴿يَدُهُ﴾، فانشغل باله بجناس كلمة ﴿بَعْضٍ﴾ مرتين، وسَهَا فكتب (لم يكد يراه) بدلاً من ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ كما هي في المصحف الشريف، وقد جانس صبري حرف (الهاء) المفرد من (يراه) مع الهاء من (يده) هكذا:

إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا

وكذلك غلط المرحوم صبري في إحدى اللوحات المحيطة بحرم جامع

(١) سورة النور: الآية ٤٠.

فتاح باشا من داخله في الكاظمية، حيث كتب الآية الكريمة: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١). فأضاف كلمة (سبيل) وهي غير موجودة في المصحف فكتبها هكذا:

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (سبيل)

والذي يبدو أن المرحوم محمد صبري في هذه الآية قد جاءه الوهم من ناحيتين: الأولى: كثرة ما ورد في القرآن الكريم عن الجهاد مقرونا في سبيل الله وكذلك الاتفاق في سبيل الله، فظنَّ المرحوم صبري أنَّها كذلك في هذه الآية الكريمة أيضاً. والثانية: إن الخطاطين قد اصطلحوا وتواضعوا على أن يجعلوا كلمة (الله) لفظ الجلالة في أعلى السطر دائماً، وأن لا يكتبوا فوقه حرفاً أو كلمة، ونتيجة لانشغال بال الخطاط في وضع (لفظ الجلالة) بأعلى السطر فقد غلط وكتب تحتها كلمة (سبيل) وهي زائدة.

وقد ذكرت ذلك للعلامة المرحوم عبد القادر الخطيب، حين كان إماماً في الجامع المذكور، فأمر بنحتها وكانت الحروف بارزة، فنحتت بالفأس، وبقي أثرها وفراغها مشوهاً للسطر.

وهذه الأوهام قد وقع بها كبار الخطاطين في أروع سطورهم وأبدع كتاباتهم ومنها ما وقع فيه المرحوم هاشم محمد البغدادي في السطر الكائن بأعلى واجهة جامع عادلة خاتون بالصرافية، فقد كتب الآية الكريمة: ﴿... كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.

يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ ﴿١﴾.

إن الخطاط يسرّه أن ينتهي سطره بحرف الألف حيث ينتهي بصورة بديعة ليس فيه فراغ وهو مريح للخطاط، مثال:

وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا

ويزعجه ويؤذيه أن ينتهي سطره بحرف (الهاء) المفرد، مثال:

عِنْدَكَ .. بَعْدَكَ

لذلك يبدو أن الخطاط قد ارتبك لشدة تفكيره واهتمامه بنهاية سطره، وكيف سيضع حرف (الهاء) في النهاية، وهو غير محمود عند الخطاطين.

ولما تكرر حرف الهاء في كلمة ﴿يَجِدْهُ﴾ ولانشغال باله في الهاء من كلمة ﴿عِنْدَهُ﴾ في نهاية السطر، كل ذلك جعل الخطاط يشدُّ ويغلط في النص فكتبها هكذا:

لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَهُ اللَّهُ عِنْدَهُ

بزيادة حرف الهاء في كلمة ﴿وَوَجَدَ﴾ فصارت (ووجده) وما يزال الغلط

في السطر المذكور، وكذلك غلط المرحوم هاشم في السطر المحقق الكائن في واجهة جامع الحيدر خانة من جهة شارع الرشيد حيث كتب: ﴿...فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾^(١) ونسي ألف الجماعة من كلمة ﴿وَآتُوا﴾، هكذا:

فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وكذلك غلط المرحوم هاشم أيضاً في السطر الجديد في أعلى واجهة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني من جهة المصلى الصيفي، كتب فيه الآية الكريمة: ﴿...الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ...﴾^(٢) ونسي ألف الجماعة من كلمة ﴿آمَنُوا﴾، هكذا:

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ

وغلط المرحوم هاشم أيضاً في السطر نفسه مرة أخرى وفي الآية نفسها فكتب: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾^(٣) ونسي ألف الجماعة كسابقته، هكذا:

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وعظماء الخطاطين البارعين يستأنسون بالآية الكريمة ﴿...كَمْ شُكَاةٍ فِيهَا

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٩.

مُصْبَاحُ الْمُصْبَاحِ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ... ﴿١﴾، وذلك لتكرار الكلمات فيها، فيحاولون الإبداع ويبدلون أقصى جهودهم لإظهار مواهبهم في كتابتها بشكل موحد متناسق بديع.

.. مُصْبِحُ الْمِصْبَحِ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ ..

الحروف المنفردة:

إن الخطاط يفرح ويتنعم عند خطه الكلمات التي تتصل حروفها، ويبدع في أوضاع حروفه وجمعها ومدّها، وتوليد بعضها من بعض مع حسن تركيبها، وبالعكس من ذلك فإن الخطاط يمتعض ويشعر بالضيق والانقباض عند خطه الكلمات المنفصلة الحروف.

ذلك لأنه لا يستطيع أن يمدّها، ولا يحق له أن يباعد بين حرف وآخر فلا يدري كيف يكتبها، وبخاصة إذا كان العنوان من كلمتين أو كلمة واحدة ولدى الخطاط متسع في اللوحة، وذلك في سائر الخطوط، مثال:

أوراق الوردة أوراق الوردة

وكذلك يزعجه أن يكون العنوان من كلمتين واحدة متصلة الحروف وأخرى متفرقة، مثل:

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

مُحَمَّدٌ دَاوُدُ مُحَمَّدٌ دَاوُدُ

نجد هنا الخطاط قد مدَّ كلمة (مُحَمَّد) كثيراً، بحيث أصبحت ضعف مساحة كلمة (داود) المفردة.

أمَّا في (أوراق الورد) فلا يستطيع الخطاط أن يمدَّ؛ لأن الحروف منفصلة غير متصلة، وهي على العموم غير جميلة.

هذا في الخطوط التي تصلح للمد كالثلث والنسخ والإجازة والديواني والتعليق (الفارسي) فكيف به في الخط الذي لا يصلح للمد أصلاً، ولا يجوز فيه كخط الرقعة؟ مثال:

اوراق الورد محمد داود

وكذلك هناك بعض الكلمات ليس فيها حرف الألف، فهي غير جميلة في خط الرقعة؛ لأن حروفه صغيرة، وإنَّما تصلح للثلث فقط، مثال:

دروزة درون تلت

دروزة درون فنة

وإذا كانت الكلمة متفرقة الحروف، وفيها حرف الألف، فربما يرفع حرف الألف من شأنها بعض الشيء في نفس الخطاط، وهي في الغالب ممَّا لا يجب

الخطاطون، مثال:

وَأَمْرٌ وَكَأَنَّ

تناسب الحروف:

من الأمور التي لا يرتاح لها الخطاط بعض الأسماء التي لا تتناسب حروفها عند الكتابة، فبعض الحروف مرتفع كالألف واللام والكاف، وبعضها نازل كالجيم والعين والميم، وقد يرد اسم يتضمن هذه الحروف الصاعدة والنازلة، ثمَّ يعقبه اسم ليس فيه حرف مرتفع أو نازل، بل كل حروفه منبسطة، فلا يدري الخطاط كيف يتصرف في كتابة هذا العنوان، مثال:

الكرم عِيدُ عبد الحكيم عِدْ

مثل هذه الأسماء لا تصلح كتابتها بالتعليق (الفارسي)؛ ذلك لأن هذا النوع لا يحتمل التشكيل حتى يملأ الفراغ فوق الكلمة الخالية من الحروف العمودية (الصاعدة والنازلة).

وكذلك لا تصلح كتابتها بخط الرقعة؛ لأنه كخط التعليق لا يحتمل التشكيل، مثال:

كامل رَسِيد عبد الحكيم سعد

وفي مثل هذه الحالة يعتمد الخطاط إلى كتابتها بالثلث أو النسخ ويستعمل فيها حرف الكاف المعقوف (الزنادي) باصطلاح الخطاطين، ويعقف الميم كذلك، كما يستفيد من ارتفاع حرف الدال في الثلث، وكذلك يسعفه التشكيل في إملاء الفراغ، مثال:

أَكْرَمُ سَعِيدُ عبد الحكيم سَعِيدُ

أو يكتبها بالنسخ وذلك لنفس الفوائد من الثلث مثال:

أَكْرَمُ سَعِيدُ عبد الحكيم سَعِيدُ

وهناك بعض الأسماء من النحوسة بمكان لا يؤتمن معها الالتباس، حيث إنَّها تخدع نظر القارئ، إذ يمتد الاسم الأوَّل فيأخذ الحرف الأوَّل من الاسم الثاني، مثال:

عَطَا رَفَعَتْ عَطَا رَفَعَتْ

مثل هذا الاسم أوَّل ما ينظر إليه القارئ يحسبه (عطار)، ثُمَّ ينتبه بعد ذلك إلى أن حرف الراء من اسم أبيه (رفعت).

ولا يستطيع الخطاط أن يباعد بين الاسمين أكثر ممَّا ينبغي، وهو نقطة أو

نقطتان، وإذا باعد أكثر من ذلك فإنه يعاب عليه، فالخطاط حائر في مثل هذا الاسم، ومتردّد بين العيب في خطه أو الالتباس في قراءته، ويكون بين أمرين أحلاهما مرّاً، وتعتبر مثل هذه الأسماء من المحن والهموم التي تفعل فعلها في نفس الخطاط وهمّته ومزاجه، ولا يشعر بها كثير من الناس، حيث:

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده ولا الصبابة إلّا من يعانيها

تراث الأجداد:

إنّ أجدادنا رحمهم الله قد أبدعوا وتفننوا في أصول وقواعد الخط العربي، وهذبوه، حتى ارتقوا به في مدارج الكمال، ومعارج الازدهار والجمال، ويعدّ الخط العربي من أجمل الفنون، وأعز التراث الذي ينبغي أن نحافظ عليه ونعتز به، ولكن ممّا يؤسف له إن المتحف العراقي خالٍ تماماً من هذا الفن البديع الجميل، وكان أجدادنا يقولون:

الخط يبقى زماناً بعد كاتبه وكاتب الخط تحت الأرض مدفون

أمّا نحن اليوم فقد أصبح عندنا الخط وكاتبه تحت الأرض مدفونين.

لقد كان في جامع الشيخ عمر السهروردي ببغداد، سطر بخط التعليق (الفارسي) كتبه على الكاشاني الخطاط البغدادي الشهير سفيان الوهبي المتوفى سنة ١٢٦٥هـ، وهو الأثر الوحيد الباقي في بغداد من خطوطه.

إلا أن دوائر الآثار والسياحة والأوقاف، تعاونت على إخراج قوس عباسي في البناء وراء ذلك السطر الرائع، فقررت الدوائر الثلاث هدم الباب والسطر لإخراج ذلك القوس، وحسناً فعلت الدوائر الثلاث بإخراج ذلك القوس (العقد) - وإن كانت في بغداد أمثلة عديدة من العقود والأقواس العباسية المماثلة - ولكنها في الوقت نفسه أهملت ومحت أثراً فريداً مهماً ليس في بغداد

سواه.

وقد رفعت أجزاء ذلك السطر اليتيم وألقيت مع الأنقاض (الكلك)، ثمَّ انتبهوا بعد ذلك لهذا التفريط الشنيع والإثم الفظيع، فطلبوا من المرحوم هاشم محمد البغدادي أن يكتب سطرًا جديدًا بالتعليق أيضاً ووضع داخل العقد العباسي، وذلك سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، وضاع الأثر الوحيد للخطاط سفيان الوهبي، وكان الأجدر أن ينقل ذلك السطر الجميل والأثر الجليل إلى المتحف العراقي في قاعة خاصة تضم آثار خطاطي بغداد، وكذلك فعلت الأوقاف عند تعمير جامع الإمام الأعظم سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م حيث وضعت تصميمًا للزخارف الأندلسية الرائعة في رواق الجامع وحرمة وقبة الضريح، ونتيجة لهذه العمارة الجديدة، فقد رفعت السطر البهيج المحيط بقبة الضريح من الداخل، وهو (آية الكرسي) كتبه الخطاط عبد الجبار خان زاده البغدادي سنة ١٣١٣هـ وهو من أروع السطور وأجملها، ورمي مع الأنقاض أيضاً.

وكذلك فعلت الأوقاف في السطر الكائن في جانبي المحراب وفوقه بالثلث كتبه عبد الحميد حمدي سنة ١٣١٢هـ، والكتابة عند مدخل ضريح الإمام الأعظم، وهي قصيدة للشاعر عبد الغفار الأخرس كتبها بالتعليق عبد الحميد حمدي فرميت مع الأنقاض.

أمَّا السطر المحيط بقبة حرم الإمام الأعظم من الداخل، فلم يرفع بل وضعت الزخارف الأندلسية فوقه وغطته فانطمس في البناء، ولعل الأوقاف بعد جيل أو جيلين تأمر برفع الرياسة لإخراج السطر، وهكذا نصحني بأثر من أجل أثر، ولم يبقَ من خطوط عبد الجبار زاده سوى السطر الرائع في أعلى طارمة جامع الإمام الأعظم وهو (سورة الفتح) كتبه سنة ١٣٢١هـ، وكذلك الخطوط في باب الساعة بجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد كتبها سنة ١٣١٨هـ.

ونخشى أن تجدد الأوقاف هذين الجامعين وترمي بالخطوط النفيسة مع الأنقاض، ويضيع هذا التراث العزيز.

وتبقى مديرية الآثار تنفق آلاف الدنانير من أجل (قحف) مجهول، فتؤصّله وتفصّله وتنسبه إلى أهله وصانعيه، في الوقت الذي تضيع فيه الآثار المعروفة والمنسوبة إلى أهلها بتواقيع كتابها أنفسهم.

إن مساعي الآثار والأوقاف مشكورة في تجديد وصيانة الجوامع، ولكن ينبغي أن لا تفرط في السطور الفريدة الغالية.

لقد توفي بعض خطاطي بغداد وتركوا لنا جملة من الآثار البديعة وهي كتاباتهم في تزيين جوامع بغداد وقبابها ومدارسها، ينبغي أن نحافظ عليها ونوليها عنايتنا واعتزازنا، وأن تسعى مديرية الآثار بتهيئة قاعة خاصة لخطاطي بغداد الراحلين، إن المرحوم الخطاط صالح صبري ترك لنا سطوراً رائعة في جامع السيد سلطان علي، كتبها سنة ١٣١٠ هـ وليس له فيها بغداد من أثر غيره. وكذلك المرحوم علي صابر ترك لنا سطوراً في غاية الجمال في واجهة جامع الحيدر خانة وعليها توقيعه، فهدمت الواجهة وضاعت السطور مع الأنقاض.

وبقي له بعض السطور في واجهة جامع السيد سلطان علي من جهة شارع الرشيد، وجامع الخفافين وجامع عثمان بن سعيد وجامع الشيخ عمر السهروردي وجامع الأغا والثانوية المركزية ببغداد ودار المعلمين الابتدائية في الأعظمية، وجامع عثمان أفندي وفيه اسم المعمار وهب السهيل مع اسم الخطاط سنة ١٣٤٢ هـ.

وكذلك توفي المرحوم صبري الهلالي، وترك أثراً في غاية النفاسة والجمال منها كتاباته في واجهة جامع عادلة خاتون مقابل المحكمة الشرعية وجامع

حسبة الباجه جي في الكرادة الشرقية، وجامع الدهان في الأعظمية، وجامع فتاح باشا في الكاظمية، ومدرسة التفيض الأهلية ببغداد، ودائرة الآثار القديمة وخان أمين الدين مرجان، وأجمل خطوطه السطور الرائعة في الحضرتين الحسينية والعباسية في كربلاء، وأخيراً توفي عميد الخط العربي المرحوم (هاشم) وهو الذي زين المساجد والمعاهد بخطوطه الزاهية الباهية.

إن مثل هذه السطور ينبغي أن نحافظ عليها كتراث جليل وثروة فنية غالية وأن ننقل بعضها في قاعة خاصة في المتحف العراقي تمثل آثار خطاطي بغداد الذين ساهموا في إحياء التراث وتطويره، أو في المتحف البغدادي، وعلى الأقل أن نصورها إذا تعذر نقلها، خشية أن يكون مصيرها الإهمال والضياع، كخطوط سفيان الوهبي، وذلك أضعف الإيمان، وليس وراء ذلك من الوفاء والاعتزاز حبة خردل.

تطوير الخط:

إن فن الخط العربي، لم يأتنا منزلاً من السماء، وهو كسائر الفنون الحضارية ثمرة يانعة لجهود جبارة، ومساع مباركة، بذلها أجدادنا جيلاً بعد جيل، حتى أصبح فناً راقياً نعتز به غاية الاعتزاز، ونفتخر به منتهى الافتخار، ونحترم المتخصصين فيه، والعاملين على تطويره وتنسيقه وتحجوده.

ومما لا شك فيه إن الذين نتأمل منهم تطوير الخط العربي نحو الأحسن والأبدع إنهم الصفوة المختارة من أئمة هذا الفن، الذين قضوا مدة طويلة في ممارسته ومعاناته حتى بلغوا درجة التمييز والنظر والاجتهاد، وارتفعوا بمستواهم الفني عن التقليد والجمود، وعلى رأس هؤلاء العظماء المرحوم (هاشم محمد البغدادي)، وهو الخطاط الأوّل في العالمين العربي والإسلامي.

مثل هذا المتفنن العظيم المتمكن من أصول وقواعد الخط العربي والمتوسع

فيه وفي آفاقه الرحبة، إذا وجد الأستاذ هاشم وأمثاله بعض الضيق والعنت في أبعاد الحروف وقياساتها واتجاهاتها وأوضاعها، وحاول أن يكتب لوحة، فلم يجد في مجالات أنواع الخطوط ما يسد رغبته ويشبع نهمته، فيحق له حينئذ أن يولّد ويخترع ويبتكر من الأوضاع للحروف ما يتناسب مع ذوقه الرفيع، وإخلاصه في الحفاظ على التراث واعتزازه به.

ذلك لأن الذين اخترعوا الخطوط وجوّدوها من قبل، إنّما هم رجال مثله وليسوا ملائكة، وهاشم أرقى منهم فنّاً وأسلم ذوقاً وأرحب أفقاً.

أمّا أن يأتي شاب خطاط مبتدئ، لم يحسن بعد أن يكتب سطرّاً مضبوطاً بالقواعد والأصول، فيطفر طفرة واحدة، ويعمل على تطوير الخط العربي، شئنا أم أبينا، فهذا أمر لا يقرّه عاقل.

إن هذه الأنواع من الخطوط العربية، لم تأتِ اعتباطاً، وإنّما جاءت نتيجة لدراسة طويلة، وتجارب عديدة، حتى استقرت على هذا الشكل اللطيف والتنسيق المنيف، وأخذت الحروف في كلّ نوع أشكالها وأبعادها بما يتناسب والذوق الذي يبعث في القلب السرور وفي النظر البهجة والارتياح.

ولو أنّنا أخذنا كلمة واحدة وكتبناها حسب الأصول، لكانت جميلة في كلّ نوع من أنواع الخطوط، وتثير في النفس الرضا، ولو أخذنا نفس تلك الكلمة، وكتبنا كل حرف منها بنوع لكانت في غاية القبح والسماجة، يعافها الذوق وتنفر منها الفطرة السليمة، ولو كان كل حرف منها مضبوطاً حسب قواعده وأصوله، ولكن الاختلاط والارتباط غير المنسجم غير محمود، مثال:



انظر جمال كل نوع مستقل مضبوط، وانظر الكلمة ذات الحروف المتنوعة المختلطة كل حرف منها كتب بنوع، واحكم أيهما أجمل وأبهج في النفس. هذا إذا كانت الحروف مضبوطة، ولكنها مختلطة بغيرها، تكون قبيحة كما رأينا إذن، فكيف تكون إذا كتبناها بحروف غير مضبوطة حسب القواعد والأصول وكلها هجينة، لا أصل لها ولا علاقة بأي نوع من الأنواع؟ مثال:

الأعظمية

من يصدق أن هذه الكلمة أجمل بالخط من سابقتها؟! ومن يستطيع محاسبة الخطاط، وعلى أي أساس نتمكن من نقده! وما الفرق بين هذا المستوى ومستوى المبتدئين من الأطفال؟

إن الخط العربي كالشعر العربي، فلو أخذنا قصيدة واحدة من بحر معين وحشرنا بين أبياتها بيتاً واحداً، أو شطراً من بحر آخر، لأحسَّ به السامع أول وهلة، وأدرك أن هناك خللاً وبعداً، ولو كان البيت أو الشطر الغريب موزوناً ومضبوطاً، ولكن موسيقاه تغاير موسيقى القصيدة، فينفر منه الطبع السليم، وكذلك الأصوات، فلكل حالة نفسية ألحانها التي توافقها وتشيع في جوانبها

الرضا، والارتياح، والسرور، والبكاء، والنواح، فلأعراس الحان وللمآتم الحان، وللأطفال الحان وللنساء وللرجال أصوات وموسيقى مختلفة، وليس هناك من يستحسن ويتذوق (الزغردة) في مجلس العزاء ولا الصراخ والنواح في حفلة الزفاف، حتى لو كان فاسد الذوق.

ولقد تفنن أجدادنا في بحور الشعر العربي، ومجزوءاتها وموشحاتها، حتى جاوزوا بها الأربعين ضرباً من الأوزان والموسيقى.

فلو أراد شاعر كبير متمكن راسخ القدم في الشعر، أن ينظم قطعة شعرية ولم يجد في هذه البحور كلها، بموسيقاها وأوزانها المتنوعة، ما يكفيه للتعبير عما يحس به من خواطر، وما يعرض له من هواجس وعواطف، فلا عليه إلا أن يبتكر لنا نوعاً آخر من البحور بموسيقى عذبة متناغمة وبجرس مقبول، حلو الوقع على الأذن والقلب.

أمّا أن يتقدم شاب غرير في أوّل الطريق، لم يحسن بعد أن يعرب بيتاً واحداً من شعر غيره أو حتى من شعره، ثمّ يطفر طفرة واحدة على غير هدى، ويهذي لنا بكلام ممسوخ قلق مفكّك، ثمّ يسميه لنا شعراً جديداً، فهذا ينافي الفطرة والتطور والإبداع.

ولقد بدأت محاولات لتطوير الخط العربي عن هوى وشهوة وإدعاء، وهي محاولات هجينة غريبة نخشى أن تسيء إلى جمال الخط وحسنه، أو تفسد أذواقنا ونظرتنا إلى الفن، وقديماً قال أجدادنا: «فاقد الشيء لا يعطيه»، كما قالوا:

«لا تظلم القوس اعط القوس باريها».



ضبطُ النصِّ والتعليقُ عليه

بشار عواد معروف

مقدمة :

يحتل ضبط النص والتعليق عليه أهمية عظيمة في علم تحقيق المخطوطات العربية ويشير كثيراً من الاختلاف والجدل بين المعنيين بهذا الفن الجليل، فمنذ أن بدأ العرب يعنون بتحقيق المخطوطات العربية ونشرها ظهر رأيان متضاربان حول الطريقة التي ينبغي اتباعها عند نشر التراث العربي، الأول: يرى الاختصار على إخراج النص مصححاً مجرداً من كل تعليق، والثاني: يرى أن الواجب يقضي توضيح النص بالهوامش والتعليقات وإثبات الاختلافات بين النسخ والتعريف بالأعلام، وشرح ما يحتاج إلى شرح وتوضيح.

وأقام الفريق الأول رأيه على أن الغاية من التحقيق هي إخراج ما يسمّى بـ «النص الصحيح»، فلا حاجة بعد ذلك إلى إثقاله بالهوامش والتعليقات، وقد أخذت به كثرة كاثرة من المستشرقين ومن سار على نهجهم من العرب.

وارتأى الفريق الثاني أن طبع النص مجرداً هو تحريف لطبيعة البحث العلمي واستقامته باعتبار «إنَّ الأصل في إخراج النص أن ينظر المحقق فيه وفيما حوله.. وأن يكشف إثاراته وأن يبين عن إشارات، وأن يدل على المنازع التي صدر عنها... ومثل هذا الجهد الذي لا بد منه في التحقيق، لا بد منه بعد ذلك في الدراسة.. فمن الخير إذاً أن يندمج هذان الجهدان معاً، فيتولى محققو النصوص بالذات، عمليات الشروح الأولى هذه، لكي تصبح جاهزة للبحث الأدبي الصرف، أو للبحث التأريخي الصرف، أو لهما معاً فتجلى مضيئة من غير عتمة، نيرة من غير لبس، مخدومة خدمة محررة تتيح للباحث أن ينطلق بعد ذلك عنها، دون أن يضطر إلى معاودة الجهد الذي بذله المحققون»^(١).

(١) راجع مقدمة العالم الفاضل الدكتور شكري فيصل للجزء الثالث من «الخريدة» الشامية:

وقد بالغ بعض المتعانين لهذا الفن فأثقلوا هوامش الكتب التي عنوا بنشرها بتعليقات وتعاريف لا مبرر لها ولا مسوّغ، كأنهم يريدون تَوْبلة الكتاب بها تاركين خلفهم الصعب المبهم الذي هو بالتعليق خليق، حتى بلغ الأمر ببعضهم أن عرّف بأعلام الناس كـبعض الصحابة ومالك والشافعي ونحوهم، وعرّف بمشاهير المواضع والبلدان مثل دمشق وحلب وحمص وبغداد والموصل والبصرة والقاهرة والاسكندرية ونحوها، كما أن بعضهم كرّر التعريف بالعلم المشهور في أكثر من موضع فأخرجوا التحقيق الدقيق عن طريقه القويم^(١).

ومع كل الذي ذكرت فالحق: إن نشر النص مجرداً من كل مراجعة وتعليق

(١) انظر مثلاً لا حصراً التعليقات على (معجم السفر) للسلفي بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسنية، والتعليقات على «تاريخ» ابن الفرات للدكتور الشماخ، والتعليق على كتاب «الروض النضر» للعمري الذي نشره الدكتور سليم النعيمي. وقد عرف الدكتور الشماخ بمدن من مثل اذريجان (٣/١) وحمص (٥/١)، ودمياط (٦/١)، وسمرقند (١٥/١)، وخوزستان (١٦/١)، وبلبك (٤٩/١)، وحماء (٩٤/١)، واشبيلية (١٣١/١)، وحلب وحيفا وعكا (١٢/١)، وصور (٩/٢)، والموصل (٤٥/٢)، ودمشق (٥٧/٢) ونحوها، وقد عرف بدمشق بما يأتي: «دمشق، البلدة المشهورة، قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف، قيل: سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي سارعوا. فتحها المسلمون في رجب سنة ١٤ هـ بعد حصار ومنازلة بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرابيل ابن حسنة. وتبعد عن بلبك يومين، وطرابلس ثلاثة أيام، وصيدا ثلاثة أيام، وحمص خمسة أيام، وحماء ستة أيام، والقدس ستة أيام، ومصر ثمانية عشر يوماً، وحلب تسعة أيام». فانظر أين الفائدة المتوخاة من مثل هذا التعليق البارد الذي ليس له أدنى قيمة أو فائدة.

وعرف الدكتور سليم النعيمي - عضو المجمع العلمي العراقي السابق - عند تعليقه على كتاب «الروض النضر» للعمري بأعلام المؤلفين وترك المغمورين لعدم مراجعته، فعرف مثلاً بأعلام الناس مثل ابن خلكان (٦٨/١)، وابن الوردي (١٣٧/١)، ومعن بن زائدة الشيباني (٢٣١/١)، وابن الجوزي (٢٣٤/١)، وكرر التعريف بكبار الأعلام من غير أن يشعر كما يظهر من تعريفه بالصلاح الصفدي (أولاً في: ١٠٥/١ ثم في: ١٤٣/١)، والحافظ ابن حجر العسقلاني (أولاً في: ١٥٢/١ ثم في: ١٩٩/١)، وابن عبد الظاهر (أولاً في: ٦٩/١ ثم ثانية في: ١٥٤/١) فتأمل ذلك وتدبر الفائدة!

لا يصلح لتحقيق المخطوطات العربية من عدّة وجوه، أبرزها:

١- ندرة النسخ الخطية الصحيحة المتقنة السليمة الخالية من التصحيف والتحريف، وأن أغلب المخطوطات العربية كثيرة التصحيف والتحريف والسقط ونحو ذلك ممّا هو معروف عند أهل المعرفة به.

٢- والغالبية العظمى من المخطوطات لم تصل إلينا بخطوط مؤلفيها، بل بخطوط نسّاخ فيهم الجاهل والعالم فتعرض كثير منها إلى التغيير والتبديل والتحريف بحيث يؤدي نشرها على ما هي عليه إلى أخطار علمية وتربوية؛ لأنّ القراء ليسوا دائماً من المتخصصين المتعمقين في العلم الذي يتناوله النص، فضلاً عن إن إخراجها بهذا الشكل ينفي بطبيعته مصطلح «النص الصحيح».

٣- إن جمهرة المؤلفين والنسّاخ لم يعنوا بالإعجام ووضع الحركات الموضحة للنص، بل ندر ذلك عندهم، وكانوا يعتمدون على ما للقارئ من معرفة في موضوع الكتاب، لذلك يصبح نشر مثل هذه الكتب بحالتها التي هي عليها لا يتعدّى في أكثر الأحيان توفير نسخ خطية - قد تكون محرفة مصحفة مبهمة - من الكتاب وهو أمر ما أبعد عن التحقيق الدقيق.

٤- افتقار المؤلفين والنسّاخ إلى وحدة كتابية، ممّا يؤدي إلى تباين كبير في رسم بعض الكلم، واستخدام كثير من الصيغ الكتابية غير المعروفة عند أهل عصرنا، كما سنبينه بعد قليل.

ولكن إذا كان الأمر كما بيّنا والحال على ما ذكرنا، فما هي السبل الصحيحة لضبط النص ومتى يقوم المحقق بالتعليق عليه؟

إننا نعتقد أن ضبط النص والتعليق عليه أمران متلازمان، فالغاية من التعليق يجب أن تتجه نحو خدمة ضبط النص وتوضيحه ودفع كل إيهام عنه ورفع كل غموض وإيهام فيه، ولا يتأتى ذلك فيما نرى إلّا بالعناية التامة بجملة

أمور نوجزها بما يأتي:

أولاً: تنظيم مادة النص:

لم يكن المؤلفون والنسّاح يعنون في الأغلب الأعم بتنظيم مادة النص كما هو متعارف عليه في عصرنا من حيث بداية الفقرات ووضع النقط عند انتهاء المعاني، ووضع الفواصل التي تظهرها وتميزها، بل يسردون الكلام سرداً ويوردونه متتالياً، فيتعين على محقق الكتاب عندئذ إعادة تنظيم المادة بما يفيد فهم النص فهماً جيداً، ويوضح معانيه ويظهر النقول والتعقيبات بصورة واضحة، وذلك عن طريق تقسيمه إلى فقرات وجمل.

ولعل من أكثر الأمور أهمية في تنظيم النص تعيين بداية الفقرة، حيث إنّ بداية الفقرة تقدم انطباعاً بأن المادة التي تتضمنها تكون وحدة مستقلة ذات فكرة واحدة، ومرتبطة في الوقت نفسه بالسياق العام لمجموع النص، ففي التراجم مثلاً يمكن تقسيم الترجمة إلى عدة مجاميع مستقلة تكون بداية للفقرات وهي في الوقت نفسه العناصر الرئيسة المكونة للترجمة عند مؤلف معين، وعلى الرغم من أن المادة المتوفرة في ترجمة ما عند مؤلف معين تختلف حسب منهج ذلك المؤلف من جهة، وحسب طبيعة المترجم له ومكانته العلمية أو الأدبية أو السياسية من جهة أخرى، فإن المحقق يستطيع بعد دراسة النص أن يضع لنفسه منهجاً موحّداً في تنظيم النص استناداً إلى ذلك، ولو ضربنا مثلاً لتنظيم تراجم العلماء لاستطعنا من غير شك أن نرسم الوحدات الرئيسة الآتية:

أ- اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته.

ب- مولده أو ما يدلُّ على عمره.

ج- نشأته ودراساته وأخذه عن الشيوخ.

د- إنتاجه (مؤلفاته) وتلامذته.

هـ- مكانته العلمية وآراء العلماء فيه.

و- تحديد تاريخ وفاته.

ز- بعض الأمور المتصلة به.

وقد تتوفر هذه الأمور جميعها في الترجمة الواحدة، وقد توجد طائفة منها أو لا يتوفر منها إلا القليل حسب الموازين التي ذكرناها قبل قليل، وفي كتب اللغة مثلاً تكون المادة اللغوية الواحدة وحدة موضوعية قائمة بذاتها فتوضع في فقرة مستقلة وإن بدت قصيرة في بعض النصوص.

وفي كتب التاريخ المعنية بذكر الحوادث تكون الحادثة الواحدة وحدة موضوعية توضع مستقلة وحدها، وهلم جراً استناداً إلى طبيعة النص المحقق.

ومما لا شك فيه أن النقل عن كل مورد من الموارد التي اعتمدها مؤلف النص، يكون وحدة قائمة بذاتها، فيتعين على المحقق حينئذ أن يبدأ النقل بفقرة مستقلة ينهيها عند الانتهاء من النقل.

وهنا تكمن الصعوبة وتظهر براعة المحقق، وذلك لعدم وجود أسلوب واضح عند مؤلفي النصوص العربية في ذكر المصادر، فكان بعضهم يشير إليها والآخر يغفل عنها، وكان المؤلفون الذين يعنون بذكر مصادرهم يستعملون عادة عبارات دالة على بداية النقل مثل «قال» و«ذكر» و«وجدت بخط فلان»^(١) ونحوها، ويستعمل بعضهم عبارات دالة على انتهاء النقل نحو قولهم «انتهى»^(٢) أو «هذا آخر كلام» فلان^(٣) ولكن الصعوبة تظهر في عدة أمور منها:

(١) انظر مثلاً تاريخ الإسلام للذهبي، الورقة: ١٩٦ (أيا صوفيا ٣٠٠٨)، والورقة: ١٠٦ من مجلد السعودية، والورقة: ٢٠-٦٥، ٧٢-٨٨، ١٠٨، ١٣٩، ١٥٦، ١٨٥، ١٨٦ (أيا صوفيا ٣٠١١) وغيرها.

(٢) مثلاً تاريخ الإسلام، الورقة: ٨٠ (أيا صوفيا).

(٣) نفسه، الورقة: ٢٤٤ من المجلد السابق.

أ- إن بعض المؤلفين يرجئ ذكر المصدر إلى نهاية النص فيعبر عنه بما يدل عليه، نحو قول الذهبي في تاريخ الإسلام عند انتهاء نقله: «قاله الفلاس»^(١) أو «قال يحيى بن مندة ذلك»^(٢) أو «ذكر هذا ابن الساعي»^(٣) أو «ذكر هذا كله المسبحي»^(٤) ونحوه، فهذا تعيين لانتهاء النقل ولكننا نبقى في حيرة لمعرفة بداية النقل لعدم وجود ما يثبت بدايته، وليس لنا إلا الرجوع إلى الموارد الأصلية لتثبيت مواضع النقول، أمّا إذا كان الكتاب مفقوداً فليس للمحقق إلا معرفته الواسعة وبراعته وتفهمه لطبيعة الكتب ما يعينه على معرفة ذلك.

ب- عدم إشارة كثير من المؤلفين إلى انتهاء النقل البتّة.

ج- إن الغالبية العظمى من المؤلفين كانوا يذكرون المؤلف ولا يعينون الكتاب فيقتصرون مثلاً على القول: «قال خليفة»، أو «قاله الإدريسي» أو «قال موفق الدين ابن أبي أصيبعة» ونحو ذلك، مع أن كثيراً من المؤلفين العرب قد ألفوا أكثر من كتاب، ولا يستطيع إلا المحقق البارِع معرفة مواضع النقول وتعيين الكتاب المقصود.

كل هذه الأمور توضح أن عملية تنظيم النص ليست من السهولة واليسر بالذي يتصوره بعضهم، وإنما تحتاج إلى معرفة تامة بمناهج المؤلفات العربية وسعة اطلاع عليها واضطلاع بها.

ثانياً: ضرورة التعليل عند الترجيح؛

جرت عادة كثير من المحققين أن يشبّثوا الاختلافات بين النسخ عند المقارنة

(١) نفسه: ٢/ ٣١، ٤٥ و ٣/ ١٢٦، ٧/ ٤ (من الأجزاء المطبوعة) وغيرها.

(٢) الورقة: ٣٤٠ (أيا صوفيا ٣٠٠٩).

(٣) الورقة: ٢٣٥ (أيا صوفيا ٣٠١٢).

(٤) الورقة: ٢٢٨ (أحمد الثالث ٩١٧/ ٩).

بينها في هامش الكتاب، وبالغ كثير منهم في إيراد كل اختلاف بين النسخ وإن كان تافهاً، لكنهم في الأغلب الأعم كانوا يتخذون النسخة الأم أصلاً ويثبتون كل الاختلافات الأخرى في الهامش من غير ترجيح، وهي عملية لا تقدّم فائدة كبيرة؛ إذ إنّها تترك عملياً الترجيح للقارئ الذي لم يسبر غور النص كما سبره محققه من طول معاناته له وصرف جُمّاع وقته وهَمَّته إليه.

ومن هذا المنطلق يتعين على المحقق إثبات ما يراه صواباً في أصل النص، وتدوين ما يراه غلطاً أو ضعيفاً في الهامش^(١) اللهم إلا إذا كانت النسخة بخط المؤلف أو إذا تأكد له من غير أدنى ريب أن هذا هو اختيار المؤلف، فعليه في مثل هذه الحالة أن يثبت اختيار المؤلف في أصل النص وإن كان غلطاً^(٢)، ويصحح في الهامش.

والمهم في كلّ هذه الأحوال التي ذكرناها أن المحقق مطالب دائماً بتعليل الترجيح وبيان الأدلة التي دفعته إلى هذا الاختيار، حيث تصبح المقارنة بغير هذا التعليل خالية من أيّة فائدة ولا تقدم أي توثيق أو دعم لصحة النص، أمّا الترجيح بغير تعليل فإنّه يوقع في الوهم ولا يقدم قراءة صحيحة للنص، فمن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب (العبر) للذهبي حيث رجّح محقق الجزء الرابع الدكتور الفاضل صلاح الدين المنجد اسم «الخطئة» بدلاً من «الخطيئة» في ترجمة أبي العباس أحمد ابن عبد الله بن أحمد بن الخطيئة المتوفى سنة ٥٦٠هـ من غير تعليل، بل قال في

(١) جاء مثلاً في المطبوع من كتاب الوافي للصفدي (١/٤٦ تحقيق ريتز): «نقلت من خط الإمام العلامة الحجة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن». فعلق المحقق الفاضل على لفظ «أبو» بقوله: «لعله أبي». وهذا تعليق واه وكان حرياً بالمحقق أن يصحّحه في الأصل من غير نقاش لعدم وجود أدنى احتمال بصحة نسبته إلى الصلاح الصفدي العالم المشهور بالعربية.

(٢) ولا ينطبق ذلك على الآيات القرآنية الكريمة، فالكتاب العزيز واحد ثابت محفوظ قد تولى الله سبحانه حفظه ولا يأتيه الباطل من أيّة جهة كانت.

الهامش: «كذا ضبط في الأصل، وفي الشذرات (الخطية) وفي النجوم (الخطية) خطأ^(١)». هكذا قال، ولو علل لوجد نفسه مخطئاً هذا الترجيح غير المعلل ولوجد أن الذي أثبتته في الهامش هو الصحيح؛ ذلك أن الناسخ قد كتب الهمزة ياءً فلماً اجتمعت عنده ياءان دمجها وشددها، فكتبه «الخطية» وقرأه المحقق «الخطئة»، وقد قيده شمس الدين ابن خلكان بالحروف فقال: «بضم الحاء المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد الهمزة هاء»^(٢).

ومن ذلك مثلاً ما ورد في كتاب (المشتبه) للذهبي الذي حققه الشيخ البجاوي فرجح وفاة أبي الحسن علي بن عبد الله ابن البتّي المشهور بسرعة القراءة سنة ٦٧١ بدلاً من سنة ٦٠٧ وعلق في الهامش قائلاً: «فيم، ص: ٦٠٧»^(٣) وترك الأمر هكذا، فلوراجع ودقق وأتعب نفسه قليلاً لوجد أن الذي أثبتته في الهامش هو الصواب، وإن الذي أثبتته في الأصل خطأ مبين لم يقل به لا الذهبي ولا غيره، وقد ذكره الذهبي نفسه في وفيات سنة ٦٠٧ من تاريخ الإسلام^(٤) وأكد وفاته هذه في المختصر المحتاج إليه^(٥) ومعرفة القراء الكبار^(٦)، كما ذكر وفاته في الثامن من رمضان من السنة قبله ابن الديبني^(٧)، والزكي المنذري^(٨)، والجمال

(١) العبر: ٤/ ١٦٩.

(٢) وفيات الأعيان: ١/ ١٧١ من طبعة العالم إحسان عباس.

(٣) المشتبه: ١١٧-١١٨.

(٤) م ١٨ ق ١ ص: ٢٧٨ بتحقيقنا.

(٥) المختصر: ٣/ ١٥٠.

(٦) الورقة: ١٨٦.

(٧) ذيل تاريخ مدينة السلام، الورقة: ١٧٥ (من مجلد كيمبرج).

(٨) التكملة، الترجمة: ١١٦٦ وتعليقنا عليها.

ابن الصابوني^(١)، وذكره بعده العلامة ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه^(٢) وغيرهم^(٣).

وجرت العادة عند بعض المعنيين بالتحقيق مقارنة النص ببعض الكتب المطبوعة التي أوردت المادة التاريخية الموجودة في النص من غير اعتناء باختيار الطبعات الدقيقة التي تستحق أن يقارن المحقق نصّه بها، حيث تؤدي المقارنة بالطبعات الرديئة إلى زيادة اضطراب النص وتكثير الهوامش بغير فائدة ترتجى ولا عائدة تعمّ النص، مثال ذلك ما جاء في مقدمة (معجم السفر) للسلفي أبو العباس أحمد بن عبد الغفار بن أمشته، فعلّقت المحققة الفاضلة على لفظ «أمشته» بقولها: «في تذكرة الحفاظ: أسنة»^(٤) وما انتهت إلى أن كلا اللفظين مصحف وأن الصواب فيه «أشته» بفتح الهمزة^(٥) وسكون الشين المعجمة وفتح المثناة كما في (المشتبه) للذهبي^(٦) والطريف أن السلفي نفسه قد ترجم له في (معجم السفر)^(٧) لكن المحققة لم تنتبه إلى ذلك، فلو إن المحققة رجعت إلى الكتب المختصة لما وقعت في هذا الخطأ الذي هو كثير في هذا الكتاب.

ومن ذلك ما ورد في الجزء الأول من تاريخ ابن الفرات^(٨): «وقال الحافظ ابن الجوزي... وحدثني عبد الحياني»، وعلّق عليها المحقق بقوله: «في الأصل: وحدثني عبد الله الجبائي العبد الصالح - صححت بعد مراجعة المصدر السابق

(١) تكملة إكمال الإكمال: ٦١.

(٢) توضيح المشتبه، الورقة: ١٥٠ (من نسخة سوهاج).

(٣) وانظر أيضاً غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٥٢٦.

(٤) معجم السفر: ٢١.

(٥) وقد ضمّها بعضهم (انظر تبصير المنتبه لابن حجر: ١/ ٢٠).

(٦) المشتبه: ٢٨ وانظر العبر: ٣/ ٢٣١.

(٧) معجم السفر: ١/ ١١٣.

(٨) ص: ٢٠٦.

وابن خلكان وفيات الأعيان: ١ / ٣٣٦»، فهذا تعليق واه إذ إنَّ كتاباً مثل المنتظم المطبوع طبعة رديئة لا يمكن أن يتخذ أساساً في التصحيح، ولا طبعة الشيخ محيي الدين عبد الحميد لكتاب (وفيات الأعيان) الرديئة السقيمة المليئة بالتصحيف والتحريف والسقط، والحق أن النص كان صحيحاً فأبدله المحقق خطأ فالرجل المذكور هو: «عبد الله الجُبَّائي» قيده الذهبي في المشتبه فقال^(١): «وعبد الله بن أبي الحسن الجُبَّائي، من الجُبَّة من عمل طرابلس نزل أصبهان وحدث..»، وذكره ياقوت الحموي في (جبة) من معجم البلدان^(٢) وابن نقطة في (الجبائي) من إكمال الإكمال، وفي كتاب التقييد له أيضاً^(٣)، والزكي المنذري في التكملة^(٤) وابن رجب^(٥)، والتادفي^(٦)، وابن العماد^(٧)، والقنوجي^(٨) فلو رجع المحقق إلى بعض هذه الكتب الجيدة لما وقع في هذا الخطأ، لا سيما مشتبه الذهبي، وتوضيح ابن ناصر الدين، وتبصير ابن حجر، ومعجم ياقوت وغيرها.

والحق أن السلف الصالح من علمائنا قد تنبَّه إلى أهمية مراجعة النسخ الصحيحة أو الكتب المعنية عند ضبط أسماء الناس وكناهم وألقابهم وأنسابهم وأسماء المواضع ونحوها، فكانوا يعنون بانتقاء أصح النسخ عند اعتمادها في النقل، وينبهون إلى أن ما نقلوه هو من خط المؤلف أو خط عالم ثقة متقن صحيح النقل جيد الضبط، ولا شك أن غايتهم من كل ذلك، إنَّما كانت ترمي

(١) ص: ١١٧.

(٢) ٣٢ / ٢.

(٣) الورقة: ١٣١ من نسخة الأزهر.

(٤) الترجمة: ١٠٥٩.

(٥) الذيل: ٤٤ / ٢ - ٤٧.

(٦) فلائد الجواهر: ١٢٩ - ١٣٠.

(٧) شذرات: ١٥ / ٥ - ١٦.

(٨) التاج المكلل: ٢١٩.

إلى تصحيح النص وتدقيقه وتطمين القارئ إلى صحة ما كتبوه، من ذلك قول الذهبي في تاريخ الإسلام «قرأت بخط الكندي في تذكرته»^(١)، و«نقلت هذا وما قبله من خط أمين الدين محمد بن أحمد بن شهيد، قال: وجدت بخط عبد الغني ابن سعيد الحافظ فذكر ذلك»^(٢)، و«وفاته بخط أبي حكيم أحمد بن إسماعيل ابن فضلان العسكري اللغوي»^(٣)، و«قرأت بخط الضياء»^(٤) و«قرأت بخط ابن نقطة»^(٥) ونحو ذلك، ولما أراد التأكد من مساحة بغداد راجع نسختين من كتاب طيفور إحداهما برواية الصولي والأخرى برواية غيره^(٦)، ولما نقل نسب آل بويه عن ابن خلكان، قال: «كذا ساق نسبه القاضي شمس الدين وعدّ ما بينه وبين بهرام ثلاثة عشر أباً، وقابلته على نسختين»^(٧).

ثالثاً: توحيد النسخ:

اختلف الكتّاب والنسّاخ في عصر المخطوطات وحتى هذا اليوم في رسم بعض الألفاظ والحروف، واستخدموا صيغاً متنوعة لعدة أسباب من أبرزها:

- أ- دفع الاشتباه وخوف وقوع القارئ في قراءة خاطئة.
- ب- تسهيل عمل النسخ.
- ج- عدم وجود وحدة كتابية تنظم مثل هذه الأمور كالطباعة الحديثة عندنا.

(١) الورقة: ١٥٠ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٢) الورقة: ٨١ (أيا صوفيا ٣٠٠٨).

(٣) الورقة: ١٦٤ (أيا صوفيا ٢٠٠٨).

(٤) الورقة: ٢٠، ٦٥، ٧٢ (أيا صوفيا: ٣٠١١)، والورقة: ٢٨، ٣٨، ٤٠، ٤٦ (أيا صوفيا): ٣٠١٢.

(٥) الورقة: ٤٦، ٤٨ (أيا صوفيا: ٣٠١١).

(٦) ٦/ ٢١ من القسم المطبوع.

(٧) الورقة: ٢٢ (أحمد الثالث: ١٧/ ٢٩١٧).

ولذلك حذفوا بعض الحروف التي كان حقها أن تكتب، وزادوا حروفاً لم تكن من أصل اللفظ، وأبدلوا حروفاً مكان حروف أخرى.

١- فمن ذلك حذف الألف الوسطية في كثير من الأعلام مثل «الحارث» و«خالد» و«إبراهيم» و«إسماعيل» و«إسحاق» و«هارون» و«مروان» و«سليمان» و«عثمان» و«معاوية» فكتبوها: «الحرث» و«خلد» و«إبراهيم» و«إسماعيل» و«إسحق» و«هرون» و«مرون» و«سليمن» و«عثمن» و«معوية» على التوالي. وكتبوا: «السموات» و«ثلاثة» و«ثلثين» و«ثمانية» و«ثمانين» و«الملئكة» و«سبحنه» ونحو ذلك من غير ألف، فينبغي في رأينا إرجاع ما حذف لزوال العلة.

٢- ومعظم القدماء، وكثير من أهل عصرنا، يكتبون «مئة» بزيادة ألف «مائة»، وإنما فعلوا ذلك خوفاً من اشتباهها بلفظة «منه»^(١)، ولكن كثيراً من المتعلمين صاروا يقرؤونها بلفظ الألف، وهو خطأ مبين، ما نحن بحاجة إليه بعد زوال العلة بظهور الطباعة الحديثة.

٣- ومنه أيضاً عدم وضع النقطتين تحت الياء المتطرفة في معظم المخطوطات وقد أخذ به كثير من الناشرين والمحققين في عصرنا، ولا سيما المصريون، فصارت تلتبس بالألف المقصورة، فالتبست عشرات أسماء منقوصة بأسماء مقصورة، أو صفات بمصادر، أو مصادر بمصادر، أو نحو ذلك، وما يزال الناس حتى يومنا هذا يعانون التباس «المتوفى» الذي هو الله سبحانه وتعالى بـ «المتوفى» الذي هو الإنسان بسبب عدم إعجام الياء، وقد حاول بعض النساخ القدماء التفرقة بين الياء المتطرفة والألف المقصورة بأن رسم كل ألف وردت في آخر الكلم ألفاً قائمة.

ومن طريف ما وجدت في المخطوطات أن العلامة أبا الحجاج يوسف المزي

(١) انظر صبح الأعشى للقلقشندي: ١٧٩/٣ والوافي للصفدي ٣٨/١ وغيرهما.

قد أعجم الألف المقصورة التي على صورة الياء وأهمل الياء المتطرفة في الأجزاء التي بقيت من كتابه العظيم «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»^(١)، والظاهر أنه إنما أعجم الألف لقلة دورها في كتابه إذا قيس بكثرة دور الياء المتطرفة، وهو في كل حال إنما قصد التمييز فحسب، لذا نرى ضرورة إعجام الياء المتطرفة دفعاً لمثل هذا اللبس وتيسيراً للقارئ وتقويماً لقراءته.

٤- ولم يكن القدماء في الأغلب الأعم يكتبون الهمزة ونادراً ما يفعلون ذلك، فأدى هذا الأمر إلى اختلاط المقصور بالمدود، والكتب المطبوعة مليئة بمثل هذا الاختلاط، حسبك أن تمنع النظر فيها لتجد منها عشرات الأمثلة، فينبغي للمحقق ملاحظة هذا الأمر والتروي فيه ومراجعة المعجمات اللغوية والرجالية قبل القطع به.

ويلاحظ أن كثيراً من النساخ يضع مدة على الألف الذي يسبق الهمزة نحو كتابتهم «علياً» و«شيماً» ونحوهما فيتعين الانتباه إلى ذلك.

٥- ومنه أيضاً إثبات همزة «ابن» أو حذفها، حيث تجد هذه الهمزة محذوفة وتجدّها تارة أخرى مثبتة في الموضع الذي حذفت فيه، وأهل العربية مختلفون في ذلك اختلافاً كبيراً^(٢)، فيتعين وضع قاعدة عامة لذلك يسير عليها المحققون. أمّا نحن فنرى حذفها في جميع المواضع إلّا عند مجيئها مفردة أو في بداية السطر أو قبل الصفات المادحة مثل «الإمام» و«الحافظ» و«الشيخ» والأنساب مثل «البغدادي» و«الدمشقي» و«البصري» ونحوها، والألقاب مثل «جمال الدين» و«محيي الدين» و«الأثير» و«الفاروق» ونحوها.

(١) انظر مقدمتنا للمجلد الأوّل من «تهذيب الكمال»، بيروت: ١٩٨٠.

(٢) انظر درة الغواص في أوهام الخواص لأبي محمد القاسم الحريري ومقدمة شيخنا العلامة المرحوم الدكتور مصطفى جواد للمختصر المحتاج إليه، ومقدمتنا لكتاب التكملة.

٦- واستعمل المؤلفون والنسّاخ جملة مختصرات اعتاد المحدثون خاصة استعمالها في الأسانيد من قديم الزمان وهلم جراً إلى أزمنة متأخرة، واقتصروا على الرمز في ألفاظ التحمل فكتبوا مثلاً من «حدثنا» الثاء والنون من غير نقط «ما» وقد تحذف الثاء ويقتصر على «ما»، وكتبوا من «أخبرنا» الهمزة والنون والألف من غير نقط «أما» أو الهمزة والباء والنون والألف من غير نقط «أما»، والأحسن في رأينا إثباتها كاملة كما تلفظ؛ لأن كثيراً من طلبة العلم صاروا يقرأونها بصورتها المختصرة من جهة، ولأن كثيراً منهم أيضاً صار يظن أن «أما» إنما هي اختصار للفظ «أبنا» مع أن المحدثين لم يجوزوا فيها اختصاراً البتة^(١).

وقد تبدو هذه الأمور أول وهلة أنّها ليست بمجموعها من الإهمام بحيث يقال فيها أخطأ فلان وأصاب فلان، لكنها صارت من غير شك تؤدي إلى أخطار لا يمكن تجاهلها منها على سبيل الاختصار:

- أ- التباس المقصور بالممدود
- ب- التباس المقصور بالياء.
- ج- ظهور تسميات غير موجودة أصلاً مثل «الحرث» و«خلد» و«صلح» ونحوها مع أنّها «الحارث» و«خالد» و«صالح» وهلم جراً.
- د- صعوبة قراءة الخط العربي بسبب الحذف أو الزيادة.
- هـ- ظهور أخطاء القراءة عند جمهرة المتعلمين في قراءة «مئة» بسبب رسمها بزيادة الألف «مائة».

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت مسألة رسم الكتابة من الأمور المهمة في عصرنا؛ لأنّها أولى وسائل المعرفة يشكو منها العالم كما يشكو منها المتعلم على ما

(١) انظر كتب مصطلح الحديث ومنها مثلاً: تدريب الراوي للسيوطي: ٣٠٢ فما بعد.

قرره علامة العراق أستاذنا الشيخ محمد بهجت الأثري^(١).

رابعاً: تقييد النص بالحركات؛

وينبغي للمحقق أن يقيّد النص ويضبطه بالحركات ولا سيما فيما يشبه من الألفاظ وأسماء الناس وكناهم وأنسابهم وألقابهم وأسماء المواضع والبلدان، فضلاً عن تقييد ما يراه حرياً بالتقييد من اللغة والنحو بغية توضيح المعنى ودفع الاشتباه عنه.

وقد صرت اعتقد في السُّنَيَات الأخيرة أن ضبط النص بالحركات من أكثر الأمور أهمية في تحقيق النصوص؛ لما يتوخى من فوائده الجمة التي منها:

أ- تمييز التحقيق الجيد من الرديء والتعرف على جهود المحقق ومراجعته وتحريره وتدقيقه.

ب- إظهار المعنى الحقيقي للنص ودفع أي إيهام قد يقع فيه القارئ بسبب عدم وضوح موقع الكلمة الإعرابي له.

ج- إن هذه الطريقة تقوّم لسان القارئ وتعوّده القراءة السليمة والنطق الصحيح ثمّ الحفظ القويم، سواء أكان ذلك في اللغة أم أسماء الأعلام، أم غيرهما فتغنيه القراءة الكثيرة عن كثير من القواعد وحفظها، إذ يصبح النطق السليم عنده عادة لا يحتاج إلى تفكير كثير.

د- رفع الاشتباه عن الأسماء والكنى والألقاب والأنساب والألفاظ المؤتلفة الرسم والنقط، المختلفة الحركات مثل «حَمِيد» و«حُمَيْد»، و«سَلِيم» و«سُلَيْم»، و«مُسْلِم» و«مُسَلَّم»، و«الْبَرْقِي» و«الْبَرْقِي» و«الْبَطِّي» و«الْبَطِّي» و«الْبَطِّيَّ» و«الْجَلَّابِي» و«الْجَلَّابِي» و«السَّلْفِي» و«السَّلْفِي»

(١) راجع تقريره المانع المرفوع إلى المجمع اللغوي بالقاهرة والمنشور في مجلّة المجمع العلمي العراقي: مج ٤، العدد (١)، ص ٣٢٠ فما بعد، بغداد: ١٩٥٦.

و«السلقي» ونحو ذلك ممّا هو معروف عند أهل هذا الفن.

يضاف إلى ذلك أن على المحقق تقييد كل ما يشته من الألفاظ والأعلام سواء أكان الاشتباه بالرسم أم باختلاف النقط أم بالحركات، وينبغي للمحقق الرجوع إلى الكتب المتخصصة في كلّ فن من هذه الفنون، فيرجع في تقييد اللغة وضبطها إلى المعجمات اللغوية المعتمدة كـ (صحاح) الجوهري و(لسان) ابن منظور و(قاموس) الفيروزآبادي و(تاج) السيد الزبيدي ونحوها، وفي الأنساب إلى كتب الأنساب مثل (أنساب) السمعاني و(لباب) ابن الأثير وغيرهما، وفي الألقاب إلى المؤلفات المختصة بها كتلك التي لابن الفوطي وابن حجر والسخاوي، وفي المواضع إلى المعجمات الجغرافية كـ (معجم) ياقوت و(مراصد) ابن عبد الحق البغدادي ونحوها.

ولعلّ من أعظم الكتب في هذا الفن خطراً وأكثرها نفعاً وأبقاها على الأيام أثراً هي كتب المشتبه، وقد بذل العلماء المسلمون من السلف الصالح جهوداً جبارة في تقييد من فيه أدنى اشتباه من أسماء الناس وكناهم وألقابهم وأنسابهم وأسماء المواضع باعتبار أن الأسماء شيء لا يدخله القياس، ليس هناك شيء قبلها يدل عليها ولا شيء بعدها يدل عليها، فليس لها إلاّ التقييد والضبط، سواء أكان التقييد والضبط بالقلم (يعني وضع الحركات فوق الحروف) أو التقييد والضبط بالحروف كما هو مشهور، وهذه الكتب هي المرجع الأمين والركن الركين، التي يجب على كل محقق أن يعرفها ويطلع عليها ويقتنيها.

وتضم المكتبة العربية اليوم عدداً لا يستهان به من الكتب المؤلفة في هذا الفن الجليل الخطير، حيث شمر العلماء عن سواعدهم منذ فترة مبكرة وألفوا فيه منهم مثلاً:

١ - حمزة الأصفهاني المتوفى سنة ٣٦٠هـ في كتابه (التنبيه على حدوث التصحيف

- والتحريف) عرض فيه للخط العربي وصفته وتطوره، وما وقع فيه كبار العلماء وغيرهم من التصحيف الشنيع^(١).
- ٢- أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٣٨٢هـ في كتابه (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف)^(٢).
- ٣- أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي المتوفى سنة ٣٨٥هـ في كتابه (المؤتلف والمختلف)^(٣) وهو من الكتب الرئيسة التي أفاد منها الخطيب البغدادي في مؤلفاته كما أفاد منه كتاب المشتبه الآخرون.
- ٤- أبو محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري المتوفى سنة ٤٠٩هـ في كتابه (مشتبه النسبة)^(٤).
- ٥- الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ في كتابه (تلخيص المتشابه الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم) وهو كتاب حافل^(٥).
- ٦- ومن كتب في المؤتلف والمختلف من أسماء القبائل الأديب المشهور محمد بن حبيب البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥هـ في كتابه (مختلف القبائل ومؤتلفها)^(٦).
- ٧- وألف أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي المتوفى سنة ٣٧٠هـ (المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم)^(٧).
- ٨- أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني الأندلسي المتوفى سنة

(١) طبع بدمشق سنة ١٩٦٨ بتحقيق المرحوم الدكتور أسعد طلس.

(٢) طبع بالقاهرة سنة ١٩٦٣ بتحقيق عبد العزيز أحمد.

(٣) منه نسخة خطية في المكتبة التيمورية الملحقه بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٦.

(٤) طبع بالهند سنة ١٣٢٧هـ بتحقيق محمد محيي الدين الجعفري.

(٥) وذيل على ابن نقطة محدث الاسكندرية وجيه الدين أبو المظفر منصور منه نسخة بدار الكتب المصرية.

(٦) طبعه وستنفلد الألماني سنة ١٨٥٠.

(٧) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٤.

٤٩٨ هـ في كتابه النافع (تقييد المَهْمَل وتمييز المُشْكَل) ضبط فيه كل ما يقع فيه اللبس من رجال صحيحي البخاري ومسلم، وعندني منه نسخة مصوّرة.

٩- وفي القرن الخامس الهجري وضع أضخم كتاب في هذا الفن حتى ذلك العصر هو كتاب (الإكمال)^(١) للأُمير ابن ماکولا المقتول سنة ٤٧٥ هـ حيث جمع فيه معظم الكتب المتقدمة واستوعبها استيعاباً ذكياً فصار كتابه معوضاً عن معظم تلك الكتب وهو كتاب لا يستغني عنه المحققون المعنيون بتحقيق الكتب التي تناولت عصره والعصور السابقة له.

١٠- وفي بداية القرن السابع الهجري ألف الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغني المعروف بابن نقطة البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٦٢٩ هـ كتابه الذي كَمَّل فيه كتاب ابن ماکولا وذيل عليه وسماه (إكمال الإكمال)^(٢).

١١- وذيل على ابن نقطة محدث الاسكندرية وجيه الدين أبو المظفر منصور ابن سَلِيم بن فتوح الهمداني المتوفى سنة ٦٧٣ هـ^(٣)، وكان من طلبة المستنصرية.

١٢- كما ذيل على ابن نقطة أيضاً أبو حامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني المتوفى سنة ٦٨٠ هـ بكتابه النافع (تكملة إكمال الإكمال)^(٤).

١٣- وفي القرن الثامن الهجري ألف مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله

(١) حقق الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني المكي ستة أجزاء منه كان آخرها سنة ١٩٦٧ وتوفي قبل إتمامه.

(٢) منه نسخ بدار الكتب الظاهرية برقم ٤٢٩، حديث، وفي دار الكتب المصرية برقم ١٠ مصطلح الحديث، وفي دار التحف البريطانية برقم ٤٥٨٦ شرقي.

(٣) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٨١ مصطلح الحديث وجاء العنوان فيه «ذيل على كتاب مشتبہ الأسماء للحافظ أبي بكر محمد بن عبد الغني» والمعروف أن كتاب ابن نقطة يسمّى «إكمال الإكمال».

(٤) حققه شيخنا العلامة المرحوم الدكتور مصطفى جواد ونشره المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٧.

أحمد محمد بن بن عثمان الذهبي كتابه العظيم المختصر (المشتبه في الرجال: أسماءهم وأنسابهم)^(١) سنة ٧٢٣هـ، وقد رتب الذهبي كتابه على حروف المعجم وجعل لكل حرف باباً، واعتمد فيه أمهات الكتب المؤلفة في هذا الفن مثل كتب: عبد الغني بن سعيد الأزدي، وابن ماكولا، وابن نقطة، وابن الصابوني، ومنصور ابن سليم الاسكندراني وغيرهم، فضلاً عما أخذه من شيوخه ووقع له وتبَّه إليه في أثناء دراساته الواسعة وممارساته لعلم الرجال وعلم التراجم، ولما كان موضوع الكتاب على غاية من الاتساع فإن مؤلفه بالغ في اختصاره واعتمد القلم في ضبط المشتبه إلا فيما يصعب ويشكل فكان يقيده بالحروف، وهو نادر، وكان الذهبي يعلم جيداً صعوبة الاعتماد على ضبط القلم فنَّبه على ذلك في المقدمة بقوله: «فاتقن يا أخي نسختك واعتمد على الشكل والنقط ولا بد، وإلا لم تصنع شيئاً».

وقد احتل كتاب الذهبي هذا مكاناً رفيعاً بين الكتب المؤلفة في هذا الفن العسير وهو في حقيقته يغني عن كثير من الكتب الأخرى لكنه يحتاج إلى تمرس ودربة للإفادة منه.

١٤- وفي القرن التاسع الهجري طالع علامة الشام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢هـ كتاب (المشتبه) للذهبي، وضبط لنفسه نسخة نفيسة منه، ثم ألف كتابه العظيم (توضيح المشتبه)^(٢) قيّد فيه الأسماء والأنساب والكنى والألقاب بالحروف؛ لايئانه بأن القلم لا يمكن اعتماده

(١) حققه أولاً المستشرق الهولندي دي يونغ ونشره في ليدن سنة ١٨٦٣ في ٦١٢ صفحة، ثم أعادت طبعه مكتبة عيسى الحلبي سنة ١٩٦٢ بعناية علي البجاوي في جزأين معتمداً نسخة أحمد الثالث (رقم ٣٠٢٨) مع وجود نسخ أحسن منها.

(٢) منه نسخة ناقصة في مكتبة سوهاج بالبلاد المصرية، وعنهما نسخة مصورة بدار الكتب المصرية وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق نسخة كاملة منه.

في مثل هذه الأمور، فأوضح بعض ما أهمله الذهبي، وشرح بعض ما رأى أنه شديد الاختصار، واستدرك على مؤرخ الإسلام استدراكات نفيسة تدل على علم جم ومعرفة واتقان وبراعة تامة في هذا الفن، ولذلك يعد كتابه هذا - فيما أرى - من أنفس الكتب الموضوعة في هذا الفن على الإطلاق.

١٥- كما شرح كتاب الذهبي أيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب سماه (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه)^(١) وهو كتاب قيم ولكن أئى له أن يبلغ مرتبة توضيح ابن ناصر الدين.

١٦- وحاول تلميذ الذهبي تقي الدين محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ أن يستدرك على كتاب شيخه في المشتبه^(٢) فعمل جزءاً جعله كالذيل عليه.

هذه هي أشهر الكتب المؤلفة في هذا الفن - وليس جميعها - وهي سلاح المحقق الأول في ضبط الاسماء والأنساب والكنى والألقاب المشتبهة، لكنها تحتاج في الوقت نفسه إلى دراية ودربة عند استعمالها، فلا ينبغي للمحقق عند الرجوع إليها أن يجزم بصحة تقييد الاسم المشتبه إلا عند نصها عليه وتصريحها به، وإلا انعدمت الفائدة وما صارت ترتجى منها العائدة، فمن أمثلة ذلك ما جاء

(١) نشرته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر بالقاهرة بعناية البجاوي أيضاً (١٩٦٧).

(٢) نشره الفاضل الدكتور صلاح الدين المنجد ببيروت سنة ١٩٧٤ على نسختين من استنبول، وذكر أنه قابل «تبصير» ابن حجر بذييل ابن رافع فتبين له أن ابن حجر لم يطلع عليه مدلاً بذلك على نفاسة الكتاب. ومثل هذه الأحكام المتسرعة كثيرة عند هذا العالم الفاضل، فقد أخطأ في هذا الحكم خطأ كبيراً؛ لأن ابن حجر قد اطلع عليه ونص على ذلك، تصريحاً في آخر كتابه فقال: «وقد ذيل عليه الحافظ تقي الدين ابن رافع تلميذه في هذا المختصر جزءاً قدر عشر أوراق غالية لا يرد عليه؛ لأنه إما أن يكون قد ذكره أو يكون لا يشتبه إلا على بعد (التبصير: ١٥١٢/٤-١٥١٣) فتأمل!

في وفیات سنة ٥١٣هـ من (العبر) للذهبي: «وفيها توفي أبو الوفاء علي بن عقيل ابن محمد بن عقيل البغدادي الظفري» فعَلَّقَ محققه الفاضل علي «الظفري» في الهامش بقوله: «نسبة إلى ظفر بفتح الظاء المعجمة والفاء، بطن من الأنصار»^(١) وأحال على كتاب (اللباب في تهذيب الأنساب) لابن الأثير، نعم ذكر ابن الأثير لفظ «الظفري» في اللباب ولكنه لم يصرِّح بنسبة ابن عقيل إليه.

ومثل هذه الإحالة على اللباب تشعر آثر ذي أثر بأنَّه منصوص على نسبته، وليس الأمر كذلك، فلم يكن ابن عقيل العلامة من بطن «ظفر» الأنصارين بل كان منسوباً إلى الظفرية المحلَّة المشهورة من محال بغداد الشرقية، وهذه المحلَّة والنسبة إليها مذكورة أيضاً في (اللباب) لكن تسرَّع المحقق وعدم التزامه بضرورة نص مؤلف الكتاب على النسبة أوقعه في هذا الغلط المستعظم على فاضل من مثله، ومثل هذا الذي ذكرت كثير في هذا الكتاب.

خامساً: التعريف بالمبهم المغمور وترك المشهور:

توسَّع بعض المحققين فصاروا يعرفون بكل علم يرد في النص من مواضع وبلدان وأسماء وكتب ونحوها، ويغرقون في ذكر المصادر والمراجع الدالة عليه، فتضخَّمت حواشي الكتب المحققة بما لا طائل تحته، فإن عمل المحقق أن يخرج نصاً صحيحاً ويعلق عليه بما يفيد تصحيحه وتوضيحه لا أن يكون شارحاً لكل صغيرة وكبيرة ممَّا يعرفه الخاص والعام، ولما كان قراء مثل هذه الكتب هم في الأغلب الأعم من المتخصصين أو من ذوي الثقافة الجيدة، أو في الأقل ممن نالوا منها قسطاً جيداً، فإن التعريف بالمشهور لا ضرورة له البتة، وينبغي الاقتصار على التعريف بالمغمور بطريقة مختصرة تدفع الوهم أو توضح الأمر حسب، ومن أسفٍ إننا لاحظنا كثيراً من المتعانين لهذا الفن قد عكس الآية فعرف بالمشهور

وترك المغمور؛ لأنه يحتاج إلى جهد وتعب ومراجعة وطول أناة.

والحق: إننا بعد أن ذكرنا أن من واجب المحقق تقييد النص وضبطه وتدقيقه ومراجعة الكتب المختصة التي تعينه على ذلك، فإن المحقق يبقى بعد كل ذلك هو المسؤول الأول عما يقع في النص الذي يحققه من تصحيف أو تحريف أو سقط أو عدم وضوح أو ضبط غير صحيح، إننا حينما طالبنا المحقق بالرجوع إلى الكتب المختصة لم نطلب منه أن ينقل لنا شروح تلك الكتب أو يذكر لنا مواضع مراجعته في المهم وغير المهم، وإنما كانت مثل هذه المراجعات لفائدته هو وإعانتته ومساعدته في التوصل إلى الضبط الجيد، وبهذا نتخلص من تضخم الحواشي في الكتب المحققة على حساب النص، ولا أشك في أن استفادة القارئ إنما تكون من النص المتقن التحقيق المجود الضبط والتدقيق.

سادساً: التخريج:

وأغرق بعض المحققين في تخريج الأعلام فذكر كل مصدر ذكرها على الاستقصاء ومثلها البلدان، وبالغ كثير من المحققين في تخريج القصائد والمقطعات والأبيات الشعرية فأثقلوا حواشي الكتب بذكر المكان والاختلاف في الروايات.

وعني آخرون بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة فصار يذكر كل المصادر التي ورد فيها الحديث دون النظر إلى قيمتها وأهميتها، وكل هذا من حيث العموم عمل مبالغ فيه ليس هناك مبرر أو مسوغ له، يصرف فيه من الوقت والجهد ما كان أحق أن يصرف لغيره مما هو أكثر نفعاً.

فأما التراجم فلا بأس بذكر بعض المصادر المختارة شرط أن تكون الغاية المتوخاة منها توثيق النص بالمقارنة والمقابلة بين النصوص ومحاولة التوصل إلى الصحيح منها لا أن تذكر من باب الجمع والاستكثار، علماً بأن الاستقصاء فيها

يكاد يكون مستحيلاً لوقوف المحقق بعد ذلك على مصادر خطية أو مطبوعة لم يطلع عليها سابقاً.

وأما الشعر فقد روي - وسيظل يُروى - باختلاف كبير بين كتاب وآخر، وهو فيما نرى من الأمور البديهية حتى في الشعر الذي يرد في الدواوين، لاختلاف الرواة وتعدددهم، فإذا ورد الشعر في نص من النصوص وثبت للمحقق أن هذه هي الرواية التي أرادها مؤلف النص أو الشاعر أو جامع الشعر وراويها، ثبتها المحقق ولم يلتفت إلى غيرها باعتبارها تكون رواية مستقلة، اللهم إلا أن يكون في البيت عيب من العيوب الشعرية فيتوجب على المحقق أن ينبّه عليه ويثبت في الهامش - أو الأصل حسب أصالة النسخة واقتناعه - ما يراه صواباً في بعض المصادر الأخرى، ويستحسن الرجوع إلى الدواوين إذا كان قائل الشعر من أصحاب الدواوين المعروفة عنده.

وأما الحديث فإنه بالتعليق خليف؛ لأنه يكون المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد الكتاب العزيز، إلا أن العبرة ليس في ذكر مصادر الحديث وتركها على رسلها فليست هذه هي الغاية التي نرمي إليها، وإنما يجب أن تتجه الغاية إلى تبيان درجة الحديث من الصحة والسقم حسب الأصول والقواعد المتبعة في علم مصطلح الحديث، ولا سيما في الكتب التاريخية والأدبية والعقائدية التي تكثر فيها الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة، والتي لم يعتنِ مؤلفوها ببيان درجة صحتها أو سقمها، وقد أدّى انتشار مثل هذه الكتب بين الناس إلى أن أصبح كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة تدور على ألسنة الكثرة الكاثرة من الخطباء والمدرسين والمؤلفين ويتلقاها عنهم الناس، فيعملون بها وبما يستفاد منها، وهي بذلك أصبحت تكوّن خطراً عظيماً على أفكار الناس وعقائدهم وسلوكهم الاجتماعي والفكري والديني، وهي فضلاً عن كل ذلك

تشوّه حقائق الإسلام بتقديمها صورة غير حقيقية له^(١)، لذا يتعيّن على المحقق المدقق أن يصرف جُلّ عنايته ليس إلى ذكر مصادر الأحاديث واستقصائها من غير معرفة ولا دراية، بل إلى بيان درجتها من الصحة والسقم فيميز صحيحها من حسنها من ضعيفها من موضوعها.

سابعاً: نقد النص:

لقد قرّرنا سابقاً أن عمل المحقق يتعين بأن ينصرف إلى ضبط النص وتوضيحه للقارئ التراثي، لكن هذا لا يمنع في الوقت نفسه من أن ينبّه المحقق المدقق إلى بعض الأوهام التي وقع فيها مؤلف النص ويبين الصحيح الذي ينقض هذا الوهم ويدمغه بالدليل، فالمؤلف من آحاد الناس يخطئ ويصيب وينبغي للمحقق - إن كان قادراً - أن يكشف عن هذا الخطأ.

وهذه العملية، وإن تبدّ أول وهلة خارجة عن عمل المحقق لكنها في واقع الأمر تدخل في صلب عمله، فليس هناك من أحد صرف وقتاً في هذا النص كالذي صرفه هو ولا عرف خباياه كمعرفته هو، فهو إذن أخبر الناس به ومن ثمّ أحقّهم بتبيان أوهامه، وهو في كلّ ذلك يقدم خدمة جلي للباحثين عند تنبيههم إلى خطأ أو إلى رأي ضعيف ورد في الكتاب، مع الإشارة إلى الصحيح أو الرأي الأقوى فيتنبهون عند الإفادة من الكتاب والنقل عنه ممّا ييسر عليهم عملية البحث العلمي، ويوفّر عليهم وقتاً وجهداً كبيرين.

ولاشكّ في أنّنا يجب ألاّ نلزم المحققين بمثل هذا العمل الشاق المتعب المضني الذي يتطلب سعة في المعرفة وبسطة في العلم واطلاعاً عظيماً بموضوع

(١) انظر المقدمة الجيدة التي كتبها العالمان الشاميان الفاضلان: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط لكتاب «زاد المعاد» لابن القيم الذي بتحقيقهما (ص: ١٠-١٢ من طبعة دار الرسالة).

النص، والكتب المؤلفة فيه، لكننا نطمح إلى أن يذكروا بعض الذي يعرفونه ويقفون عليه نتيجة قيامهم بالمقارنات الكثيرة، لا سيما أولئك نفر من المحققين البارعين الذين حصلوا على مرتبة عالية من الخبرة ودرجة كبيرة من التمكن والإتقان.

فمن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - ما قاله العلامة شمس الدين ابن خلكان عند الكلام على تاريخ مولد المحدث الكبير أبي طاهر السلفي: «مع أننا ما علمنا أن أحداً منذ ثلاث مئة سنة إلى الآن بلغ المئة فضلاً عن أنه زاد عليها سوى القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري فإنه عاش مئة سنة وستين»^(١) فنقل بعض الناس هذا القول من غير مناقشة^(٢)، مع إنه قول ساقط لا قيمة له، فقد جربنا الوقوف على عدد كبير ممن بلغ المئة أو جاوزها خلال الثلاث مئة سنين التي سبقت العلامة ابن خلكان^(٣).

ومن ذلك - مثلاً - تكرر بعض التراجم عند ثقات المؤرخين من غير أن يشعروا، منهم الزكي المنذري^(٤)، والذهبي^(٥)، وابن الملقن^(٦)، وغيرهم، وهو مما ينبغي التنبيه عليه.

وينبغي للمحقق أن يفيد من ملاحظات المؤلفين الذين جاؤوا بعد مؤلف

(١) وفيات الأعيان: ١/ ١٠٧.

(٢) انظر مقدمة (معجم السفر) السلفي: ١٥.

(٣) انظر كتاب «أهل المئة فصاعداً» للذهبي بتحقيقنا ص ١٣٠ فما بعد، والتجوير للسمعاني: ١/ ٢٦٦، ٦١١، وعبر الذهبي: ٤/ ١٣٣، ١٣٧، وإرشاد ياقوت: ٦/ ٤٢٢، وتكملة ابن الصابوني: ٢٧٧، وتاريخ ابن الديبشي، الورقة: ٦٠ (شهيد علي)، وعقد الجمان للعيني: ١٦/ الورقة ٦١٧ وغيرها.

(٤) التكملة، التراجم: ١٢٧٥، ١٩٠٧.

(٥) تاريخ الإسلام، الورقة: ٧٢، ١٩٨ (أيا صوفيا ٣٠١١).

(٦) العقد الثمين، الورقة: ١٧٢.

الكتاب وألفوا في موضوعه، فاستدركوا عليه أو صححوا له أو نبهوا إلى بعض ما في الكتاب من عوز، فإثبات مثل هذه الملاحظات - بعد تدقيقها ودراستها والتأكد من قيمتها - من الأعمال الجليلة التي يقوم بها المحققون البارعون.

فمن ذلك مثلاً - لا حصراً - ما استفاده المحقق الكبير المرحوم الشيخ المعلمي اليماني من كتاب (اللباب) لابن الأثير عند تحقيق (الأنساب) للسمعاني وما استفاده من (إكمال الإكمال) للحافظ محمد بن عبد الغني ابن نقطة البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩هـ عند تحقيق كتاب (الإكمال) للأثير ابن مأكولا.

وحينما قمت بتحقيق كتاب (تهذيب الكمال) للعلامة أبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ انتفعت انتفاعاً شديداً بالكتب التي ألفت على (التهذيب) سواء أكانت من الكتب المستدركة مثل (إكمال تهذيب الكمال) للعلامة علاء الدين مغلطاي الحنفي المتوفى سنة ٧٦٢هـ، أم كتباً مختصرة مستدركة مثل (تذهيب التهذيب) للذهبي، و(الكاشف) له أيضاً، و(تهذيب التهذيب) لابن حجر، أم كتباً مختصرة فقط مثل (بغية الأريب في اختصار التهذيب) لابن بردس البعلبكي المتوفى سنة ٧٨٦هـ و(المجرد) للذهبي، وغيرها ممّا بينته في مقدمة الكتاب، وقد أعانني هذه الكتب - ولا سيما كتب الذهبي ومغلطاي وابن حجر - على استدراك بعض الأوهام التي وقع فيها مؤلف الكتاب أو ترجيحه لرأي أو ضبط غير مرجّح.

وبعد:

فإن التعليق على النص مسؤولية تأريخية وأدبية وعلمية في آن واحد، لذا يتوجب على المحقق أن يكون في غاية الالتزام عند التعليق، يحسب لكل كلمة وجملة حسابها وقيمتها العلمية فلا يجعل من الحواشي مكاناً لإظهار معرفته في غير موضوع النص وتصحيحه وفائدته، ويجتهد دائماً أن تكون تعليقاته في جميع

ما يصح أو يوضح أو يستدرك أو ينقد جامعة نافعة مختصرة غاية الاختصار شرط أن تكون مجزية دالة في الوقت نفسه.

إن التعليقات تكشف عن شخصية المحقق ومدى التزامه بالمنهج العلمي والتأدب مع زملائه العلماء والدارسين، وهي بعد كل الذي ذكرنا تقدم انطباعاً عن مكانته العلمية.



نظام التعليم في المدرسة المستنصرية

السيد حسين أمين

تعد المدرسة المستنصرية التي أسَّسها المستنصر بالله العباسي والتي تم بناؤها في سنة ٦٣٠هـ من أعظم المدارس في القرون الوسطى الإسلامية واتفق أكثر الباحثين «أنه ما بني على وجه الأرض أحسن منها»^(١)، «وإنها جاءت في نهاية الحسن»^(٢)، «وصفها غريب وحسن ترتيبها عجيب شاخحة إلى عنان السماء»^(٣)، وهي أعظم من أن توصف وشهرتها تغني عن وصفها^(٤)، وإنها في الحقيقة تعتبر أمراً عظيماً في القرن السابع الهجري؛ لأنَّها كانت خطوة كبيرة في سبيل تقدم التعليم ورقيه، كما يعتبر نظام المدرسة المستنصرية من أحسن النظم المتبعة في مدارس ذلك العصر، بل لقد غدا هذا النظام مثلاً يحتذى به في العراق وخارجه.

وقد أُسِّست هذه المدرسة لتدريس المذاهب الأربعة: الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية، واختار الخليفة مدرساً لكل مذهب وشرط أن يكون لكل مدرس أربعة من المعيدين، وكان المدرس يتقاضى راتباً شهرياً قدره اثنا عشر ديناراً وإلى جانب هذا الراتب كان يصرف له حاجته من الطعام وقدرها في كل يوم عشرون رطلاً من الخبز وخمسة أرطال من اللحم بخضرها وحوائجها وخطبها^(٥).

وكانت تراعى في اختيار المدرس شروط كثيرة منها الأخلاق والسمعة الحسنة والعلم الوافر والصحة في المذهب والاعتقاد.

والمعيد دون المدرِّس وأرقى درجة من عامة الطلبة، وهو الذي يعيد الدرس

(١) القرماني: أخبار الدول، ص ١٨٠.

(٢) مجهول: إنسان العيون، ورقة ٢٤٩ مخطوطة.

(٣) الإربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٣١٢.

(٤) ابن الطقطقي: الفخري، ص ٣٤٢.

(٥) الحوادث الجامعة: ص ٥٨. راجع مجلَّة المجمع العلمي بدمشق، مج ٤، ج ١، سنة ١٩٢٤.

بعد إلقاء المدرّس المحاضرة على الطلبة كأنه معين الشيخ على الطلبة^(١). وقد خصص الواقف في شروط المدرسة لكل معيد في كلّ يوم سبعة أرطال خبزاً وغرفان طبيخاً وفي كل شهر ثلاثة دنانير^(٢).

وكان الطالب المجد والذي يجد فيه الأستاذ كفاءة يُعيّن معيداً، فيوسف ابن عبد الحمود بن عبد السلام البغدادي المقرئ الفقيه قرأ بالروايات على عبد الرزاق بن الفوطي خازن كتب المدرسة المستنصرية وابن الطبال مدرسه، واستفاد في الفقه من الشيخ تقي الدين الزويراني مدرس المستنصرية وعين معيداً عنده في المدرسة^(٣). وهناك كثير من المعيدين في المدرسة المستنصرية بدأوا معيدين ثمّ رُقوا إلى درجة مدرسين، فالشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الواعظ مدرس طائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية كان معيداً وفي سنة ٦٥٩ هـ رقي إلى درجة مدرس^(٤).

وكان المدرس يجلس على كرسي عند التدريس ويلبس ثياب السواد معتماً وعلى يمينه ويساره معيدان^(٥)، وكان بعض المدرسين ينقلون من مدرسة لأخرى، فالشيخ عبد الرحمن بن عمر بن أبي القاسم البصري كان مدرساً في المدرسة البشيرية ونقل إلى تدريس المستنصرية في شوال سنة ٦٨١ هـ^(٦)، ورتب نجم الدين بن أبي العز مدرس المستنصرية للشافعية مدرساً في المدرسة

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٥٠.

(٢) الحوادث الجامعة: ص ٥٨.

(٣) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ص ٣٧٩ طبعة حامد الفقي.

(٤) الحوادث الجامعة: ص ٣٤٦.

(٥) ابن بطوطة: الرحلة، ج ١، ص ١٤٠.

(٦) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ص ٤٨٧ مخطوط في الأوقاف.

النظامية^(١). وكان بعض المدرسين يجمعون بين التدريس وبعض الوظائف الأخرى، فالشيخ محيي الدين بن الجوزي مدرس الحنابلة في المستنصرية رتب أستاذ الدار إضافة إلى التدريس، والشيخ عبد الله بن محمد بن حماد الواسطي درس بالمستنصرية وولي القضاء^(٢)، كما كان بعض المدرسين يجتمع له التدريس في مدرستين، فالشيخ تاج الدين ابن السباك درّس بمشهد أبي حنيفة مضافاً إلى تدريس المستنصرية^(٣).

والظاهر أنه لم يكن هناك نظام إحالة المدرس إلى التقاعد (إلى المعاش) في العصر العباسي، فقد ذكر ابن الفوطي أن الشيخ كمال الدين أبا الفرج عبد الرحمن المعروف بأبي وريدة البغدادي كان يطيل الجلوس مع طلاب العلم ولا يضجر، وإنه ينف على التسعين وكان شيخاً بدار الحديث المستنصرية^(٤). كما ذكر السلامي أن ابن الصباغ المنعوت بالشمس طبيب المستنصرية توفي سنة ٦٨٣هـ وناهز على المائة ونيف عليها^(٥). كما إنَّ نظام المدرسة كان يسمح أن يتولى الضرير التدريس فقد تولى عبد الرحمن بن عمر الحنبلي الضرير تدريس المستنصرية^(٦).

ويمكن اعتبار شيخ دار القرآن ومعيده من الهيئة التدريسية في المدرسة ودار القرآن أشبه بالكتّاب، ففيه يعلم الصبيان القرآن، ولأهمية دراسة الحديث كان يراعى في اختيار شيخه أن يكون من المعروفين بعلو الإسناد. كما يلحق الطبيب

(١) الحوادث الجامعة: ص ٤٤٩ و ص ٤٥٦.

(٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٣) السلامي: المنتخب المختار، ص ١٤١.

(٤) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، مخطوطة في دار الآثار، ص ١٤١.

(٥) السلامي: المنتخب المختار، ص ١٦٤، والحوادث الجامعة: ص ٤٤٥، ذكر أن عمره مائة

وست سنين.

(٦) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ص ٤٨٧.

الذي يدرس العلوم الطبية بالهيئة التدريسية، وكذلك النحوي يشغل بعلم العربية.

والذي ألاحظه أن المدرس في هذا الدور تقدم من الناحية الاجتماعية وأصبحت له مكانة عالية ووسع له في الرزق، وأصبحت له شخصية معتبرة في المجتمع، وصار المدرسون يتولون المناصب العالية، فالشيخ يوسف بن عبد الرحمن بن الشيخ جمال الدين بن الجوزي كان مدرساً للمستنصرية وولي أستاذية الدار^(١)، وعين جمال الدين العاقولي مدرس المستنصرية لقضاء القضاة^(٢). كما عين كمال الدين اللمغاني أفضى القضاة مدرساً في المستنصرية^(٣). وهناك بعض النصوص تشير إلى أن المدرسين في المستنصرية كانوا يشتغلون بتأليف الكتب، مما يدل على أن المدرسة كانت تهتم بإنتاج المدرس العلمي والأدبي.

أمّا ما يخص جانب الطلاب من نظام المدرسة، فقد كان من شروط ذلك النظام أن يكون بها مائتان وثمانية وأربعون طالباً، من كل طائفة اثنان وستون وأن يجري لكل واحد منهم كل يوم أربعة أرتال خبزاً وغرف طبخ مما يطبخ في مطبخ المدرسة وفي كل شهر ديناران غير الحلوى والفاكهة والصابون والزيت^(٤).

أمّا كيف كان يختار الطلاب عند قبولهم في المدرسة، فإني أرجح أن المدرس كان يتعاون في هذا مع إدارة المدرسة وللطلاب الحق بعد قبوله في اختيار المادة التي يريد دراستها، أمّا هل كان هناك شرط لقبول الطلاب في سن معينة؟ الذي اعتقده أن الطلاب الذين يقبلون في المدرسة المستنصرية كانوا على نوعين من حيث السن: الطلبة الصغار وهم الذين يقبلون في دار القرآن الملحقة بالمدرسة

(١) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ص ٤٥٤.

(٢) السلامي: المنتخب المختار، ص ٧٤.

(٣) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ص ١٩٥.

(٤) الإربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢١٢.

المستنصرية؛ وذلك لأن المؤسس نص في شروط نظام المدرسة: «أن يكون في دار القرآن شيخ يلقي القرآن وثلاثون صبياً أيتاماً ومعيد»^(١)، والنوع الثاني هم الطلبة الكبار الذين يقبلون في أقسام الفقه والحديث والطب وغيرها من الأقسام الأخرى، وأعمارهم كبيرة بدليل أن الواقف نص في نظام المدرسة: «إن عدد الفقهاء بها مائتان وثمانية رجلاً من كل طائفة»^(٢)، فكلمة رجل معناها الشخص الذي بلغ سن الرشد وتجاوزته.

كما أعتقد أن طلبة دار القرآن لهم الحق أن يستمروا في دراستهم بعد أن يكملوها في دار القرآن ويبلغوا سنّاً معينة، ولهم أن يكونوا في زمرة طلبة الفقه أو الحديث في المدرسة المستنصرية.

ونظام المدرسة المستنصرية كان يوفر كل وسائل الراحة والمعيشة للطلاب، وذلك كي يتفرغوا تفرغاً تاماً للمدرسة، وقد خصّص المؤسس في شروط نظام المدرسة لكل طالب من طلبة الفقه أربعة أربال خبزاً وغرفاً طبيخاً وفي كل شهر ديناراً من غير الحلوى والفاكهة والصابون والزيت^(٣)، وكان الطلاب يعيشون في غرف خاصة مجهزة بالضوء الكافي والبسط وكل ما يحتاجه الطالب من الحاجيات الضرورية له.

وقد وفد الطلاب على المدرسة المستنصرية من جميع أنحاء العالم رغبة في التحصيل والاستزادة من العلم؛ وذلك لافتقار مناطقهم إلى المدارس الكبيرة والأساتذة الكبار، ولأن المدرسة المستنصرية حديثة العهد عن المدرسة النظامية وإنها جديدة في نظمها وشروطها ومواضيع علومها المختلفة التي تتفق ورغبات

(١) الحوادث الجامعة: ص ٥٥.

(٢) مجلّة المجمع العلمي بدمشق مج ٤، ج ١، ص ٤١، سنة ١٩٢٤، مقال لراغب الطباخ.

(٣) مجلّة المجمع العربي بدمشق مج ٤، ج ١، ص ٤١.

الطالب، كما إنَّ الطالب وجد في هذه المدرسة أمله في المستقبل وإنَّها تحقق رغبته في العيش بصورة كريمة محترمة، فطبيعي أن خريجي هذه المدرسة كانوا يعيّنون في الوظائف الراقية، كما إنَّ أصحاب المذاهب السنية المالكية والحنابلة والحنيفة رأوا في المستنصرية متنفساً لهم ومكاناً لتلقي العلم؛ وذلك لأن النظامية كانت مقصورة على أبناء الشافعية، ولا يقبل في المدرسة إلّا من كان شافعيّاً أصلاً وافرعا^(١)، فأخذ هؤلاء يفدون على المدرسة جماعات كثيرة يتلقون العلم والمعرفة فيها وبرز منهم الكثير في مواضيع أدبية وعلمية مختلفة، وأصبح منهم العلماء والأدباء الذين يشار إليهم بالبنان.

وكان الطلاب ينامون في غرف خاصة بالمدرسة، والذي أرجّحه إن كل ثلاثة طلاب أو أربعة كانوا ينامون في غرفة واحدة وفيها يدرسون أيضاً، ومن الطبيعي أن تتوثق العلاقات بين هؤلاء الطلاب وأن تقوم بين بعضهم والبعض الآخر روابط قوية من المودة والإخاء.

وكان طلاب المدرسة ينقسمون في نظامهم الداخلي إلى قسمين: الطلبة الصغار أي طلبة دار القرآن فلا يمكن إدماجهم مع طلاب الفقه الرجال في مكان واحد؛ لاختلاف أمزجة الصغار عن الكبار، وتباين تفكيرهم، ثمَّ إن الصبيان يكثرون من الكلام والتشويش ممّا يعكّر صفو الكبار، وهناك أيضاً عوامل نفسية وأخلاقية وتربوية تحتم فصل الصبيان عن الطلاب الكبار، لهذا أعدت في دار القرآن غرف خاصة لإقامة طلاب هذه الدار من الصبية الصغار.

أمّا الطلاب الكبار وهم طلبة الفقه والنحو والطب فإن لهم غرفاً خاصة يسكنونها، والذي أعتقده أنّه كان لكل طائفة جانب من هذه الغرف، فالحنابلة مثلاً لهم القسم الواقع إلى يمين الداخل للمدرسة، والمالكية لهم القسم الواقع

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ٦٦.

إلى يسار الداخل، وربع القبلة الأيمن للشافعية وربع القبلة الأيسر للحنفية، وأسكنت غرفها وأجري لهم الجراية الوافرة^(١).

أمّا من منهج التعليم في المدرسة، فقد بيّنت أن المدرسة أسّست لجميع أبناء المذاهب الأربعة، وزوّدت الدولة المدرّس بما يحتاجه من المال والكتب والعينيات، وكذلك هيأت للطالب حاجته من الكتب والورق والخبر والفرش، وكانت الغاية التي تتوخاها المدرسة هو إعداد المواطنين الصالحين لخدمة الدولة، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه نتيجة المفاصد الاجتماعية والسياسية المتخلفة من الحكمين البويهي والسلجوقي، ولإحياء العلم ونشره والمحافظة على تراث الأقدمين.

وكان التخصص واضحاً في المدرسة، وقد نصت شروط المدرسة: «أن يكون لكل طائفة من المذاهب الأربعة مدرّس وأربعة معيدين»^(٢) فالمدرس الحنفي يدرّس الفقه الحنفي والمدرس الشافعي يدرّس الفقه الشافعي، وهكذا بقية المذاهب، كما نصّت شروط المدرسة أن يكون في دار الحديث شيخ عالي الإسناد يشتغل بعلم الحديث، أي أن يختص بتدريس علم الحديث: «وأن يكون بالمدرسة طبيب حاذق يشغل عشرة أنفس يعلمهم الطب»^(٣)، وأن يكون بالمدرسة نحوي يعلم العربية^(٤)، كما شرط: «أن يكون بها من يشتغل بعلم الفرائض والحساب إلى غير ذلك»^(٥).

يمكن القول إذن إن المدرسة خطت خطوة جديدة وكبيرة إلى الأمام في منهاجها العلمي والأدبي، فقد دُرّست فيها العلوم الدينية وغيرها، وأدخلت

(١) الحوادث الجامعة: ص ٥٨.

(٢) مجلّة المجمع العربي بدمشق: مج ٤، ج ١، ص ٤١، سنة ١٩٢٤.

(٣) الإربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢١٢.

(٤) مجلّة المجمع العربي بدمشق، مج ٤، ج ١، ص ٤١ سنة ١٩٢٤.

(٥) الإربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢١٢.

علوم الطب لأوّل مرة في مدارس بغداد^(١)، وطبيعي أن المدرسة إسلامية فكان لا بدّ من أن تهتم أولاً بالعلوم الدينية، إلّا أنّ هذه المدرسة أولت العلوم الأخرى عناية كبيرة وعيّنت لكل فرع مدرساً يقوم بتدريس ذلك الفرع من العلوم.

وكان المدرس هو الذي يختار المادة التي يدرّسها للطلاب وهو المسؤول عن طلابه، ولكن في بداية إنشاء المستنصرية حدّدت الوزارة والخلافة منهج التعليم وطلبتا أن يكون تدريس المدرسين في المدرسة من مصادر كتبها الشيوخ السالفون، وهذا على ما اعتقده أن الوزارة والخلافة كان لهما هذا الرأي؛ وذلك للمحافظة على ما كتب الشيوخ الذين كانت لهم خبرة وتجربة وشهرة في العلم: «احتراماً وتبركاً لتأليفهم»^(٢)، وكذلك لكي يوحّد المنهج ويدرس جميع الطلاب منهجاً واحداً فيوجد المستوى على ما اتفق عليه.

ولكن قد يؤخذ على هذه السياسة التعليمية أنّها تقيّد المدرس بما كتبه الشيوخ السابقون ولا يحاول أن يؤلف أو أن يبتكر، وإن صنّف فلا مجال له لاستخدام كتبه في دروسه ومحاضراته، وقد حاول بعض مدرسي المستنصرية معارضة هذا القرار، وإن الشيخ شهاب الدين الزنجاني مدرّس الشافعية وعبد الرحمن اللمغاني مدرّس الحنفية قالوا للوزير مؤيد الدين بن العلقمي: «إن المشايخ كانوا رجالاً ونحن رجال»^(٣) معنى ذلك أن المشايخ الذين سبقونا كان لهم عقل ورأي ومكانة ونحن أيضاً لنا مثلهم، كما لنا الحق والحرية في الكتابة والتأليف والتدريس بتصانيفنا كما يفعل أولئك، ولكن تدخل الخلافة في الموضوع أنهى المشكلة بالتزام كلام المشايخ واحترامهم.

(١) الحوادث الجامعة: ص ٨٢.

(٢) الحوادث الجامعة: ص ٢١٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٢١٧.

ولا بد لهذه السياسة من أثر في الحياة العلمية فإن الشيوخ والمدرسين سيكونون ملزمين باتباع ما كتبه الشيوخ السالفون والاقتداء بطريقتهم وعدم الحيد عنها، كما لا تؤدي إلى التجديد والابتكار وعدم تشجيع المدرسين على التفكير والتأليف.

ويمكن أن نقسم العلوم التي كانت تدرّس في المستنصرية الى:

١ - علوم دينية: وهي تشمل التفسير والحديث والفقه والفرائض وقراءة القرآن.

٢ - علوم أدبية: وهي تشمل اللغة والنحو والصرف والعروض والأخبار والأدب.

٣ - علوم رياضية: وهي تشمل الحساب والجبر والهندسة والمساحة.

٤ - علوم عقلية: وهي تشمل المنطق وعلم الكلام والأصول.

٥ - علوم طبيعية وعلمية: وهي تشمل الطب والصيدلة وعلم الحيوان.

ويؤيدنا في هذا التقسيم النص الذي أورده المؤرخ الإربلي في خلاصة الذهب المسبوك^(١).

ولسنا نعلم إن كان المجال متسعاً في المستنصرية لدراسات أخرى غير هذه أم لا، ففي ترجمة عبد المؤمن بن فاخر صفى الدين ما يثبت أنه كان طالباً في المستنصرية وإنه درّس المذهب الشافعي، وفي هذه الترجمة يفيد أنه شغف بدراسة الأدب والموسيقى، ولكننا لا نستطيع أن نؤكد أنه درس الادب والموسيقى في المستنصرية أو خارجها^(٢).

أمّا كم يبقى الطالب في المدرسة؟ فهذا السؤال لا يزال جوابه غامضاً عندي،

(١) الإربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢١٢.

(٢) ابن شاعر الكتبي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٣٩.

ولكن معرفته بالقياس، فمن المؤكد أن المدرسة المستنصرية أخذت بالكثير من نظم المدرسة النظامية وأن كثيراً من مدرسي النظامية درسوا في المستنصرية وأول مدرس في المستنصرية لطائفة الشافعية كان مدرساً في النظامية^(١). وفي النظامية تفقه أبو عمران موسى بن حمود بن حمدان قريباً من سبع عشرة سنة^(٢).

وإذا كنا نقيس الدراسة في المدرسة المستنصرية بالدراسة في الجامع الأزهر فإننا نستطيع أن نقول إن مدة الدراسة لم تكن تقل عن عشر سنوات، ففيها يكون الطالب قد استطاع أن يستوعب وأن يحصل على المواد التي يتخصص في دراستها، وبعد أن يقتنع المدرس أن الطالب قد أتقن ما تخصص فيه، أجازه بذلك إجازة، وستكلم عن الإجازة وشروطها فيما بعد.

أمّا عطلة المدرسة فالذي أرجّحه أنّها تصادف في عيد الفطر وعيد الأضحى كما أرى أنّه لم تكن هناك إجازة سنوية طويلة بل كان الطالب يشغل طيلة العام فلم يتمتع بإجازة في شهر رجب مثلاً؛ ذلك لأن المدرسة فتحت أبوابها في خامس رجب، ولم يكن الطلاب يمنحون إجازة في رمضان، فإن محيي الدين ابن الجوزي وصل من مصر في شهر رمضان وخلع عليه بدار الوزارة خلعة التدريس على الحنابلة بالمدرسة المستنصرية وحضر المدرسة بالخلعة ومعه جميع الولاية والحجّاب، فجلس على السدة وخطب وذكر دروساً^(٣).

أمّا مواعيد الدروس فالذي أعتقده أن تلك المواعيد كانت مرتبطة بمواعيد الصلاة، فهي إمّا أن تكون قبل أو بعد الصلاة، فبعد صلاة الفجر مثلاً أو بعد صلاة العصر، كما نظّمت بعض مواعيد الدروس فإن مواعيد دروس الحديث

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٤٤.

(٢) الأسنوي: طبقات الشافعية، مخطوطة في مكتبة الأوقاف، ورقة ٢٦٦.

(٣) المرجع السابق: ص ٦٠.

في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل أسبوع^(١)، فيلاحظ أنها مرتبة ترتيباً تربوياً جيداً بحيث يكون للطالب وقت للتحضير، ولا يحصل له الملل من تعاقب الموضوع الواحد يوماً بعد يوم، كما يكون لدى الطالب الوقت الكافي لدراسة أي موضوع آخر قد تحلو له دراسته.

أمّا كم هو وقت الدرس؟ فهذا على ما اعتقد لم يحدد بل ترك مجاله للأستاذ وعلى الأستاذ أن يقدّر الوقت الكافي للموضوع الواحد أو للدرس الواحد، فقد يجلس للدرس ساعة وقد يجلس ساعتين، فقد كان الشيخ كمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف المعروف بابن وريدة البغدادي المحدث شيخاً بدار الحديث، وكان يطيل الجلوس مع طلاب العلم ولا يضجر^(٢). كما إنَّ الشيخ عبد الله بن محمد بن أبي بكر الزيراني كان يورد دروساً مطولة فصيحة منقحة^(٣).

ولم تكن هناك صفوف شبيهة بالصفوف الحديثة، بل كان المدرس يجلس على كرسي والطلبة تجلس على الأرض أمامه على شكل حلقة.

أمّا طريقة التدريس، فقد كانت الدراسات في المستنصرية من أحدث الدراسات في القرن السابع الهجري، وقد نظمت هذه الدراسات بشكل يؤدي إلى الثمار المطلوبة، فإن النظم التعليمية في المستنصرية كانت من أرقى ما وصلت إليه نظم التعليم في القرن السابع الهجري. ولدينا نص طريف يصف طريقة التدريس في المدرسة المستنصرية، فقد زار ابن بطوطة المدرسة في النصف الأول من القرن الثامن، وشاهد بنفسه حلقات الدرس المختلفة بالمدرسة ووصفها بقوله: «وموضع التدريس وجلوس المدرّس في قبة خشب صغيرة على كرسي

(١) الأسنوي: طبقات الشافعية، مخطوطة في مكتبة الأوقاف، ص ٥٨.

(٢) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ص ١٩٦ مخطوطة بدار الآثار.

(٣) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ص ٤١٠.

عليه البسط، ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لابساً ثياب السواد معتماً وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يمليه، وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة^(١).

والملاحظ إن طريقة التدريس كانت هي طريقة الإملاء، وقد اتبعت الطريقة في المدرسة المستنصرية وذلك لندرة الكتب في تلك الحقبة من الزمن، كما يجب أن نعلم أن عدد طلاب الفقه لكل مدرّس (٦٢) طالباً، فليس هناك من طريقة تتبع لكي يستفيد هؤلاء الطلاب في وقت واحد غير طريقة الإملاء، وفي بعض الأحيان يكون في يد كل تلميذ نسخة من الكتاب الذي يدرس يستنسخها لنفسه لتكون تحت تصرّفه في أثناء إلقاء المدرس أو شرحه أو تعليقه عليه، وإن المدرس بعد الإملاء يبدأ بفتح باب المناقشة والمناظرة ولا يخفى ما للمناظرة من فوائد جمة في رسوخ المعلومات في ذهن الطالب؛ «فإن فائدة المناظرة أقوى من فائدة التكرار، وقيل مطارحة ساعة خير من تكرار شهر» وكان أبو بكر بن عمر الفاروئي مدرّس المستنصرية جيد المناظرة^(٢).

وكان لتدخل الوزارة والخلافة في أمر التدريس في عهد الخليفة المستعصم والطلب إلى المدرسين بأن لا يذكروا من تصانيفهم وألا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها، بل يذكرون كلام المشايخ السابقين تأدّباً معهم وتبركاً بهم^(٣)، وكان لهذا أثر كبير في إيقاف عنصر الابتكار عند المدرسين وجعل المدرسين يقفون في نقطة معينة من مواضيع التأليف، واقتصر التعليم في المدرسة المستنصرية على كتب معينة يراجعها الأستاذ ويدرسها الطلبة، وانحصرت جهود المدرسين

(١) ابن بطوطة: الرحلة، ج ٢، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢٨١. الأسنوي: طبقات الشافعية. العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٤.

(٣) الحوادث الجامعة: ص ٢١٦.

بالحفظ والقراءة وتكرار أقوال السابقين، ولا يجوز لهم الإضافة أو التجديد إلى ذلك التراث.

ونتيجة لانتشار هذه الطريقة ظهرت المختصرات الكثيرة في المدرسة المستنصرية والتعليقات العديدة على الكتب، وقد انتقد ابن خلدون هذه الطريقة في مقدمته، قال: «ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والانحاء في العلوم، يولعون بها ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسراً على الفهم، وربّما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريباً للحفظ كما فعله ابن مالك في العربية، والخونجي في النطق وأمثالهما، وهو فساد في التعليم وفيه إخلال في التحصيل»^(١).

ولم تكن طريقة الإملاء هي الطريقة الوحيدة المتبعة في المستنصرية بل يبدو أن بعض المدرسين بها كانوا أحياناً يشجعون طلابهم على البحث العلمي فكان المدرس يكلف الطالب ببحث موضوع من الموضوعات، فإذا وفق في بحثه نال من تشجيع أستاذه الشيء الكثير من العناية والاهتمام، فإن الحسين بن يوسف ابن محمد الدجيلي البغدادي أحد طلاب المدرسة المستنصرية عرض كتاباً من تصنيفه سَمَّاهُ (الوجيز) في الفقه على شيخه الزيراني مدرس المستنصرية وعلق المدرس على الكتاب بعد مطالعته، ما نصه: «ألفيته كتاباً وجيزاً كما وسمه لمسائل كثيرة وفوائد غزيرة قلَّ أن يجتمع مثلها في أمثاله»^(٢). فالباحث العلمي متوفر في المدرسة المستنصرية لا جدال فيه ولكنه على ما يظهر موقوف على نخبة ممتازة من

(١) الحوادث الجامعة: ص ٢١٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٥٣٠.

نوابغ الطلبة الراغبين في هذا النوع من البحث والقادرين عليه.

أمّا دار القرآن فالتعليم فيها كان قائماً على التلقين والحفظ؛ ذلك لأن سن الطلاب في هذه الفترة يتطلب التحفيظ لا التفهيم والتفسير، وبعد أن يتمكن الطالب في هذه المدرسة من قراءة القرآن وحفظه ينتقل بعض هؤلاء إلى دراسة علم الحديث أو الفقه مثلاً، والطريقة المتبعة لتحفيظهم هي أن الشيخ يقرأ القرآن ويردّد الطلاب قراءته بصورة جماعية، وهكذا يحفظ الطلاب ويلقنون بالإعادة والتكرار.

وكان على المدرس في المستنصرية أن يلاحظ الطلبة ويشرف على دراستهم والمفروض فيه أن يكون متأدّباً معهم ولا يهزأ برأي طالب، وكان بعض المدرسين الكبار كالشيخ الزيراني يتلطف مع الطلبة^(١).

وكان الطلاب في دراستهم يتبعون أساليب عديدة لكي يهضموا المادة العلمية الملزمين بها، وكان الحفظ من أهم الوسائل المتبعة ولذلك أسباب أهمها:

١- ندرة الكتب وصعوبة استنساخ المؤلفات الكبيرة العديدة التي تحتاج إلى الورق الكثير والوقت الطويل.

٢- علو طبقة الحفاظ ومكانتهم السامية في المجتمع الإسلامي، وكان الحافظ يعتبر أسمى درجات العالم بالحديث أو المشتغل باللغة^(٢)، كذلك اعتبر تحفيظ القرآن مثلاً شرطاً أساسياً لاستكمال التعليم.

٣- إن انتشار بعض العلوم ولزوم دراستها في المدارس كالعلوم اللغوية والأدبية التي تتطلب من الطالب الحفظ والاستظهار كان سبباً في شيوع وسيلة الحفظ لدى طلاب المدرسة المستنصرية، والمدارس الأخرى، كما

(١) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة: ص ٤١٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٤١١.

صار الطلاب يحفظون كتباً في الفقه مثلاً، فالطالب سليمان بن عبد القوي البغدادي حفظ كتاب المحرر في الفقه^(١).

ومما لا ريب فيه أن رياضة العقل منذ الطفولة وتعويده على حفظ آيات القرآن الكريم أو الأشعار أو النصوص الفقهية أو الأحاديث النبوية الشريفة من أهم الوسائل التي تقوي الذاكرة وتساعد على يقظة الذهن وتركيز المعلومات، ومن أساليب الحفظ الإعادة والتكرار، والإمام الزرنوجي له رأي في هذا الأسلوب، قال: «تكرار ما حفظه الطلاب بالأمس عدّة مرّات؛ لأن هذا أدعى للحفظ»^(٢).

ولا بدّ من أن نبين إن طريقة التحفيظ هذه ليست بالطريقة التربوية الصحيحة ولعل من أهم عيوبها إنّها تعطل القدرة على التفكير والابتكار وتجعل الطالب ينشغل في محاولة حفظ النصوص دون البحث أو التفكير فيها أو فهم مدلولاتها أو بيان تعاليلها.

وكان الطالب لا يكتفي بالحفظ بل يحاول جهده فهم ما حفظه، وقال الإمام الزرنوجي: «فقد قيل حفظ حرفين خير من سماع وقرين وفهم حرفين خير من حفظ وقرين، وإذا تهاون في الفهم ولم يجتهد مرة أو مرتين يعتاد ذلك، فلا يفهم الكلام اليسير، فينبغي أن لا يتهاون بل يجتهد»^(٣).

وواجب على المدرس أن «يحرص على تعليم الطالب وتفهمه ببذل جهده وتقريب المعنى له من غير إكثار لا يحتمله أو بسط لا يضبطه حفظه، ويوضح لموقف الذهن العبارة ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره ويبدأ يتصور المسائل ثمّ يوضحها بالأمثلة»^(٤).

(١) السيوطي: المزهري، ج ٢، ص ١٩٩.

(٢) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ص ٣٦٦.

(٣) الزرنوجي: تعليم المتعلم، ص ٣٣.

(٤) ابن جماعة: تذكرة السامع، ص ٥٢.

وقد اتبع الطلبة في زيادة الفهم ورسوخ المعلومات في الذهن طريقة السؤال ومناقشة المدرس في بعض مشاكل موضوع الدرس وكان المدرس يفسح المجال للطلاب، وقد أخبرنا ابن جبير بصورة واضحة عن كيفية أسئلة الطلاب لمدرس النظامية^(١). وكان لتوجيه السؤال من قبل الطالب ومناقشته الأستاذ آداب خاصة تكفل للأستاذ هيئته ووقاره وللطالب حرية رأيه وتهميئ له سبيل الاستفادة، ومن الآداب المعروفة أيضاً: «أن لا يهزأ المدرس برأي الطالب ولا يزدري المساكين منهم»^(٢).

والظاهر أن بعض الطلاب كانوا لا يكتفون بالحفظ والفهم والسؤال والمناقشة بل كانوا يرجعون إلى أماكن أخرى ينشدون بها العلم، فقد يسمعون عن وجود أستاذ مثلاً في دمشق أو القاهرة أو أصفهان أو نيسابور وغيرها من المدن التي اشتهرت بالعلم وكثرة العلماء.

فقد سافر الطالب سليمان بن عبد القوي إلى دمشق وجالس المزي والشيخ الحراني ثم سافر إلى مصر وسمع من القاضي سعد الدين الحارثي وقرأ على ابن حيان النحوي مختصراً لكتاب سيبويه ومجالسه^(٣).

وقد قام مدرسو المدرسة المستنصرية بالرحلات الدراسية أيضاً ورحل كثير من مدرسيها إلى مناطق كثيرة في العالم الإسلامي طلباً للعلم، ومما لا شك فيه إن رحلة الطلاب والمدرسين من بلد إلى آخر كانت سبباً مهماً في زيادة التعارف الثقافي بين كثير من شيوخ العلم وطلابه، فكانت المعلومات وأساليب الثقافة تنتقل من بلد إلى آخر نتيجة المشاهدة والدراسة، كما كانت سبباً رئيسياً في وحدة

(١) ابن جبير: الرحلة، ص ١٧٤.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ١٢٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٦٦.

الثقافة وتوطيد علاقات وثيقة بين العلماء في تلك الحقبة.

وكان الطالب بعد أن يستكمل تعليمه ينال من شيخه (أستاذه) إجازة، والإجازة هي الشهادة التي يمنحها المدرس في المدرسة للطالب بعد الفراغ من دراسة كتاب ما أو موضوع ما، ليجيز له تدريسه أو روايته، وقد أصبحت الإجازة من الضرورات المهمة التي يجب على الفقيه الحصول عليها لكي يثبت أنه وصل إلى درجة كافية من العلم تؤهله لتدريس أو رواية ما سمعه أو تلقاه عن شيخه أو أستاذه.

وكان لا بد للطالب من أن ينال الإجازة من أحد الشيوخ أو المدرسين، والمدرس هو الذي يقرر أهلية الطالب ودرجة فهمه، وكان المسلمون يكرهون الشخص الذي يدرس كتاباً معيناً بدون إرشاد أستاذه؛ لما يلحق بذلك من الخطأ والتصحيح، وكذلك أطلقوا على الشخص الذي يتعلم من الكتب بنفسه بالصحفي إنقاصاً لقدره، وقد نعت الجاحظ أحمد بن عبد الوهاب حينما أراد هجاءه والسخرية به بأنه: كان قليل السماع غمراً وصحفيّاً غفلاً^(١). كما أن ياقوت ذكر في معجمه: أن محمد بن يزيد فضل على ثعلب لأنه قرأ كتاب سيبويه على العلماء بينما قرأ الثاني على نفسه^(٢).

ويبدو لي أن المدرسة لم تكن هي المسؤولة أو التي تقوم بمنح طلابها الإجازة العلمية، بل كانت الإجازة تصدر عن المدرس نفسه وباسمه، ويمنح الشيخ الإجازة بعد أن يقدم الطالب التماساً إلى شيخه يطلب فيه منحه الإجازة، يقول ابن الفوطي عن نفسه: فلما قدمت بغداد بإشارة صاحب السعيد عطا ملك كتبت إليه أي إلى كهف الدين بن إبراهيم المخرزي الواعظ ألتمس منه الإجازة

(١) الجاحظ: رسائل الجاحظ، جمعها السندوبي، ص ١٨٧.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء، ج ٥، ص ١٢١.

وما ينظم إلى ذلك من الفوائد والفرائد فكتب إلى إجازة جامعة ومعها كراسة بخطه تحتوي على النثر والنظم^(١). وهذا النص يبين بصراحة أن الإجازة يسبقها الالتباس، أي الطلب، وكانت هذه الطريقة على ما يظهر متبعة عند مدرسي النظامية أيضاً^(٢).

ويتبين لنا من دراستنا النماذج القليلة التي عثرنا عليها للإجازات التي منحها مدرسون بالمستنصرية وغيرها من المدارس المعاصرة أن الشيخ المدرس كان يجيز تلميذه أو طالب الإجازة بوجه عام لرواية كتاب بعينه، أو مجموعة من الكتب من تأليفه أو تأليف غيره، وقد يجيز بالقراءة أو الرواية في علم بذاته أو في مجموعة من العلوم.

ويلاحظ في بعض الإجازات أن الشيخ يكون حريصاً ملتزماً على براءته ممّا قد يعرض من سهو أو تحريف أو غلط أو تصحيف، ويذكر دائماً في الإجازة اسم الطالب ملتمس الإجازة واسم الشيخ مانح الإجازة، كما يذكر كاتبها في نهايتها مع تحديد التاريخ الذي صدرت فيه.

وهذا نموذج إجازة لأحد مدرسي المستنصرية ابن الساعاتي منحها الشيخ زكي الدين السمرقندي:

«قد أجزت لملكها الشيخ الإمام العالم الفاضل الورع الكامل ذي الأخلاق الكريمة والفضائل الجسيمة زكي الدين السمرقندي أدام الله حراسته وكتب سلامته أن يرويه عني وكذلك أجزت له رواية الشرح الذي صنفته بعد إذ وقعت إليه نسخة يثق إلى صحتها وكذلك جميع ما يصح عنده أنّه من مقولاتي أو مسموعاتي أو مستجازاتي فهو أدام الله أيامه يحمل ما يرويه وأنا معتمد على

(١) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ص ٣١٠، مخطوطة في دار الآثار.

(٢) راجع مجلّة المعلم الجديد حيث أوردت صورة إجازة سبقها التماس في ج ٥، ج ٦، ج ٧.

الله تعالى ثمّ ملتمس من خدمته أن يصون هذا الكتاب ويحفظه عن تغيير يقع فيه ما يروى من مخالفة لفظ أو معنى لما في أحد الكتابين فلا يتسرع إلى إنكاره فإن لي فيه مقصداً صالحاً من تحرير نقل أو اختيار ما هو الأصح من الأقوال والروايات، وقد كنت عازماً على التنبيه على ذلك في حواشي الكتاب فلم يتسع الزمان لسرعة التوجه إلى بلاد الإسلام صانها الله تعالى عن التغيير وفتح لها أبواب النصر والظفر، ولكن كل ذلك منقول من مواضعه محرر عند واضعه منبه عليه في شرح الكتاب، والله هو الملهم للصواب، كتبه المصنف أحمد بن الساعاتي الشامي الأصل البغدادي المنشأ بالمدرسة الشريفة المستنصرية رحمة الله على منشئها في رجب سنة تسعين وست مائة»^(١).

هذه صورة لإجازة صادرة عن أحد مدرّسي المستنصرية وتعطينا فكرة واضحة عن أسلوب تلك الإجازات المماثلة.



المصدر: مجلّة الآداب: جامعة بغداد، العدد (١) في ١ كانون الثاني ١٩٥٩ م.

(١) محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ص ١٤٧.

كربلاء

المراحل التاريخية

الدكتور رؤوف محمد علي الأنصاري

توطئة:

نستهدف في هذه الدراسة الجوانب التاريخية لكربلاء وتأثيراتها على الأصعدة المختلفة ومنها الجانب العمراني. وفي العصور التي سبقت الإسلام كانت للمنطقة المحيطة بكربلاء الحالية أهميتها التاريخية والدينية والجغرافية، ومركزاً للعبادة وأرضاً مقدّسة لدى ديانات مختلفة وأقوام متعدّدة.

أمّا مدينة كربلاء الحالية، بصفتها حاضرة إسلامية مقدّسة فقد ولدت مع استشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في واقعة الطف عام (٦١١هـ - ٦٨٠م). وقد شهدت في مراحلها التاريخية المختلفة تطوّرات أثّرت على ازدهارها ونموّها العمراني. ويعزى ذلك إلى الاهتمام والعناية التي حظيت بها المدينة ومراقدها المقدّسة خلال العهود الإسلامية من قبل الكثير من الحكام والولاة الذين تعاقبوا على حكم العراق وكانوا يمثلون دولاً ذات حضارات مختلفة، وخاصة خلال العهود العباسية والبويهية والجلائرية والصفوية والعثمانية.

وقد لعبت مدينة كربلاء المقدّسة في أحقاب زمنية مختلفة دوراً متميزاً في التاريخ الإسلامي، فكانت مركزاً للتمدّن والازدهار الثقافي والديني والعمراني. أمّا حالياً، فتعتبر إحدى أهم مدن العالم الإسلامي. وقد حظيت هذه المدينة باهتمام عددٍ من الرّحالة والمؤرّخين والمستشرقين الذين تناول كلّ واحد منهم جانباً من تاريخها ومعالمها الإسلامية المميزة.

وستتناول هذه الدراسة المراحل التاريخية التي مرّت بها كربلاء، حيث قُسمت إلى خمس مراحل تبعاً لأهميتها وهي:

- كربلاء قبل الإسلام.
- واقعة الطف... وكربلاء.
- تاريخ كربلاء ما بعد واقعة الطف حتى الحكم الصفوي للعراق.

- تاريخ كربلاء خلال الحكمين الصفوي والعثماني للعراق.
- تاريخ كربلاء منذ تأسيس الدولة العراقية سنة ١٩٢١م.

أولاً: كربلاء قبل الإسلام:

أعطى الموقع الجغرافي والبيئي المتميز لكربلاء أهمية خاصة منذ أقدم العصور وهي تنتمي إلى حضارة الأقاليم السامية في العراق - التي تنحدر من سام بن سيدنا نوح عليه السلام - لاسيما البابليين منهم، وذلك لقربها من بابل، وكانت جسراً للهجرات السامية والعربية بين بلاد الشام والجزيرة العربية وبين سواد العراق، وهي أول مركز استيطان سامي عربي في منطقة الفرات الأوسط، وملتقى الطرق البرية الرئيسية عبر منطقة عين التمر باتجاه البلدان كافة.

إن موقعها في الجنوب الغربي لمدينة بغداد وقربها من مجرى نهر الفرات، ووجودها داخل منطقة مناخية معتدلة، لا في أقصى جنوب العراق ولا في أقصى شماله، إضافة لأراضيها الخصبة الصالحة للزراعة، قد جعلها موقع جذب لبعض القبائل والجماعات والقوافل التي كانت تتجول في القسم الشرقي من شبه الجزيرة العربية، ممّا جعل منها أيضاً مركزاً لتجمع سكاني قبل ظهور الإسلام بفترة طويلة.

وقد وجدت لفظة كربلاء في المنحوتات الأثرية البابلية التي عثر عليها الباحثون الأثريون. فقليل إنَّها منحوتة من كلمة «كور بابل» وهي تعني مجموعة قرى بابلية قديمة أشهرها وأكبرها «نينوى» التي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة كربلاء الحالية - وهي غير نينوى عاصمة الآشوريين التي تقع في شمال العراق قرب مدينة الموصل - وكانت قرية عامرة في العصور القديمة، سكنها الساميون، وهي الآن سلسلة تلال أثرية ممتدة من جنوب سدة الهندية على نهر الفرات التي تبعد عن كربلاء الحالية بنحو (٣٠ كلم) حتى مصبّ نهر العلقمي

في الأهوار القريبة من مدينة كربلاء وتعرف بـ «تلال نينوى»^(١).

وجاء في كتاب (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) ما نصه: «إن بسواد الكوفة تقع ناحية تسمى (نينوى) منها كربلاء التي قتل فيها الإمام الحسين (عليه السلام)»^(٢).

وقد جاء في كتاب (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء)، أنه يوجد على بضعة أميال في القسم الشمال الغربي من مدينة كربلاء، أطلال وأكم قيل إنها كربلاء الأصلية.

والجدير بالذكر أنه قبل سني الحرب العالمية الأولى كان بعض الأفراد من المناطق المجاورة لهذه المنطقة يستخرجون من هذه الأطلال طابوقاً (آجر) مسطحاً كبيراً يطلق عليه محلياً بالطابوق الفرشي يحملونه إلى كربلاء^(٣). واستمرت كربلاء على ازدهارها في عهد الكلدانيين، فقد ذكر المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون في كتابه (خطط الكوفة) أن كربلاء كانت قديماً معبداً للكلدانيين في مدينة تدعى (نينوى)^(٤).

وقد أسفرت التنقيبات الأثرية عن اكتشاف آثار ومواقع كثيرة على أراضي

(١) محمد علي هبة الدين الشهرستاني، نهضة الحسين: ص ٨٩، دار الكتاب العربي، (بيروت - لبنان). عبد الرزاق الحسني، موجز تاريخ البلدان العراقية: ص ٦١، ط ٢، مطبعة العرفان (صيدا - لبنان)، ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م.

(٢) صفى الدين بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ص ٢٦١-٢٦٢، الناشر أنتر برس.

(٣) عبد الحسين الكليدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: ص ٨، مطبعة الإرشاد - بغداد. طابوق فرشي كبير: وهو عبارة عن طابوق طيني مفخور (آجر) على شكل مربع وذو سماكة تتراوح بين (٤-٥ سم).

(٤) محمد باقر مدرس، شهر حسين (باللغة الفارسية): ص ١٠، انتشارات كليني، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

كربلاء أقدمها مجموعة من كهوف ومغارات اصطناعية تقع على الكتف الأيمن لوادي الطار الذي كان يمثل نهر الفرات القديم قبل أن توجد بحيرة الرزازة. ويبلغ عددها (٤٠٠) كهف تقريباً.

وتبعد هذه الآثار عن مدينة كربلاء الحالية حوالي (٣٠) كلم إلى الجنوب الغربي في منتصف الطريق بين كربلاء وقصر الأخيضر بامتداد الهضبة الغربية الصحراوية. وقد قام الإنسان بنحتها وحفرها في حدود سنة (١٢٠٠ ق.م)، وربّما استخدمت لأغراض دفاعية أول الأمر، ثم اتخذت قبوراً فيما بعد^(١).

وإلى جانب ما تقدّم، فإن كربلاء ظلّت مزدهرة ومحتفظة بمكانتها في العصور الغابرة، وخصوصاً في عهود التنوخيين واللخمين والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة مملكتهم^(٢).

يتضح ممّا تقدّم أن تاريخ كربلاء موغل في القدم، وأنها كانت من أمّهات مدن طسوج النهرين الواقعة على ضفاف نهر بالاكوباس (الفرات القديم) وعلى أرضها معبد للعبادة والصلاة. كما يستدل على قدمها من الأسماء التي عرفت بها قديماً كـ «عمورا»، و«ماريا»، و«صفورا». وقد كثرت حولها المقابر، كما عثر على جثث بشرية داخل أواني خزفية يعود تاريخها إلى ما قبل العهد المسيحي. أمّا الأقسام التي سكنتها فكانت تعتمد على الزراعة لخصوبة تربتها وغزارة مائها وكثرة العيون التي كانت منتشرة في أرجائها^(٣).

(١) د. قحطان رشيد صالح، الكشف الأثري: ص ٢٢٢، المؤسسة العامة للآثار والتراث في العراق، ١٩٨٧م.

(٢) سلمان هادي طعمة، تراث كربلاء: ص ٢٤، ط ٢، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت - لبنان)، ١٩٨٣م.

(٣) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة، ج ٢، ص ١٦، من قسم كربلاء، ط ١، دار التعارف - بغداد، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

ومن الأدلة أيضاً على قدم كربلاء أو قدم «الأكوار» (جمع كورة في تلك الجهات) هو وجود أطلال وهضبات لم تزل قائمة على بعد بضعة أميال عن كربلاء الحالية^(١)، إلى الشمال الغربي منها.

وعندما استولى الساسانيون على العراق في عهد شاهبور ذي الأكتاف (تاسع ملوك الساسانيين). الذي اعتلى العرش سنة ٣١٠ م. قسّموا العراق إلى عشر استانات (ولايات)، كل منها طسج (قضاء).

وقسمت هذه الوحدات الإدارية بدورها إلى وحدات أصغر سُمّي كل منها رستاق (ناحية). وكانت الأراضي الواقعة بين مدينة عين التمر - التي تقع في البادية على مسافة (٦٧) كلم من كربلاء إلى الجنوب الغربي منها ونهر الفرات هي الولاية العاشرة. وقد قسّمت إلى ست وحدات إدارية سُمّيت إحداها «طسج النهرين». وسبب تسمية هذه الوحدة «بالنهرين» كونها واقعة بين خندق شاهبور ونهر العلقمي^(٢).

ويقال إن كربلاء كانت قبيل الإسلام أيضاً تحتوي على بيوت ومعابد للمجوس وكان يطلق عليها بلغتهم (مه بار سور علم) أي المكان المقدّس^(٣). ويستدل ممّا تقدّم بأن كربلاء كانت على مرّ العصور أرضاً مقدّسة لدى ديانات مختلفة وعند أقوام متعددة، ولذلك كانت تنتشر فيها معابد كثيرة للصلاة^(٤).

يقول الدكتور مصطفى جواد المؤرخ واللغوي العراقي المعروف: «إن اسم كربلاء ليس عربياً، وأن محاولات ردّه إلى الأصول العربية غير صحيحة

(١) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة، المصدر السابق.

(٢) محمد باقر مدرس، شهر حسين: ص ١٠-١١، انتشارات كليني، ط ٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

تسمية العلقمي تسمية عباسية متأخرة. ولعلّ النهر كان باسم آخر جدّد كرية العلقمي.

(٣) سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء: ص ٢٣.

(٤) د. رؤوف محمد علي الأنصاري، مجلّة النور: ص ٢، العدد ٦١، لندن ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

وتصطدم بعقبات تاريخية ولغوية، إذ إنَّ موقعها خارج عن الجزيرة العربية وأنَّ في العراق كثيراً من البلدان ليست أسماؤها عربية كبغداد وبابل وبعقوبة^(١).

ويعتقد فريق من المؤرخين واللغويين أنَّه يمكن ربط اسم كربلاء باللفظة الآرامية كارييلا (Kar-Bella) المتصلة بلفظة كربلاتو (Kar-Ballato) الآشورية أو كارييل (Kar-Bel) التي تعني سور الإله بيل^(٢).

ويرى فريق آخر من المؤرخين واللغويين، ومنهم الأب أنستاس ماري الكرمل، أن لفظ كربلاء ذكر في كتب الباحثين ومنحوت من كلمتين آشوريتين هما «كرب» بمعنى معبد أو حرم والكلمة الثانية «إل» بمعنى إله في اللغة الآرامية ومجموع الكلمتين بمعنى «معبد الإله» أو «حرم الإله»^(٣).

وذهب بعض الباحثين إلى أن لفظ كرب تطور معناه في اللغة العبرية، لذلك نجد الكلمة (كراب Karab)، ومعناه يقترب. تعني في الوقت نفسه (يقاتل ويحارب) ومن هنا كانت كلمة (كراب Karab) بمعنى المعركة^(٤). وقد ذكر آخرون بأن لفظ (كربلاء) مشتقة من الكلمة العربية الكربة أي رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشي مكربلاً، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك، ويقال: كربلت الحنطة إذا هذبتها ونقيتها^(٥).

(١) د. مصطفى جواد، موسوعة العتبات المقدسة: ج ٢، قسم كربلاء، ص ١٦.

(٢) مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية: ص ١٦٨، بغداد ١٩٨٢ م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام.

(٣) عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً: ص ١٢٤، ط ٢، مطبعة العرفان، (صيدا - لبنان)، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م. محمد باقر، مدرس شهر حسين: ص ١٠، المصدر السابق.

(٤) د. مصطفى جواد، موسوعة العتبات المقدسة: جعفر الخليلي، ج ٢، قسم كربلاء، ص ١١.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٧، ص ٢٢٩، ط ١، مطبعة السعادة - مصر، ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م.

ويقول الشيخ آغا بزرك الطهراني: إن كلمة كربلاء متكونة من كلمتين هما «كار» أي الفعل و«بالا» بمعنى السامي والعلوي باللغة الفارسية، وبذلك يكون معنى لفظة كربلاء «الفعل العلوي» أو «العمل السماوي» المفروض من الأعلى وهذا يقارب المعنى الذي ذهب إليه الأب أنستاس ماري الكرمللي كما ذكرنا ذلك سابقاً^(١).

إن اسم كربلاء كان معروفاً للعرب قبل الفتح الإسلامي للعراق، وقبل أن يسكنها العرب المسلمون، وذكرها بعض المسلمين الذين رافقوا خالد بن الوليد عند فتح الجانب الغربي من العراق^(٢).

وورد في معجم البلدان لياقوت الحموي أيضاً: أن كربلاء سُميت بالطف؛ لأنها مشرفة على العراق، وذلك من أشرف على الشيء أي أطل، والطف طفّ الفرات أي الشاطئ. وجاء أيضاً أن الطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل [الإمام] الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدّة عيون ماء جارية، منها (الصيد)، و(القطقطانية)، و(الرهيمة)، و(عين الجمل) وذواتها، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح (الحصون والقصور) التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم^(٣).

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن كربلاء الحالية المعروفة بهذا الاسم اليوم، كانت قبل الإسلام منطقة تحيط بها قرى قديمة عند قدوم الإمام

(١) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ج ٢، قسم كربلاء، ص ١٨.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج ٣، ص ٣٧٣، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م، جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: قسم كربلاء، ص ١٢.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٧، ص ٢٢٩، ط ١، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م.

الحسين عليه السلام إليها عام ٦١هـ - ٦٨٠م، منها (نينوى)، و(عمورا)، و(ماريا)، و(صفورا)، و(شفية)^(١)، وكانت على مقربة من هذه القرى منطقة تدعى (النواويس) وهي مجموعة مقابر للمسيحيين الذين سكنوا هذه الأراضي قبل الفتح الإسلامي للعراق، وتقع هذه المقابر اليوم في شمال غربي كربلاء في أراضي الكمالية بالقرب من المنطقة التي يقع فيها مرقد الحر بن يزيد الرياحي^(٢).

وتشير رواية مقتل الإمام الحسين عليه السلام إلى أن قوماً من بني أسد قد تولّوا دفنه، ممّا يعني أن قبيلة بني أسد العربية كانت تسكن كربلاء قبل قدوم الإمام الحسين عليه السلام.

وقد أطلق على مدينة كربلاء الحالية بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في العام نفسه (٦١هـ) أسماء عدّة منها: (مشهد الحسين)، و(مدينة الحسين)، و(البقعة المباركة)، و(موضع الابتلاء)، و(محل الوفاء)، و(الحائر)، و(الخير) إلى غير ذلك من الأسماء. إلّا أنّ أشهر هذه الأسماء هو (الحائر) لما أحيط بهذا الاسم من الحرمة والتقديس، والجدير بالذكر أن الحائر إختص فيما بعد بالمرقد في الغالب^(٣).

وسبق للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خلال سفره إلى حرب صفين أن شاهده أنصاره يقف متأملاً ما في هذه الأرض من أطلال وآثار، فسُئل عن السبب فقال: «إن هذه الأرض شأنًا عظيمًا فيها هنا محط ركبهم وها هنا مهراق دمائهم،

(١) محمد حسن مصطفى آل كليدار، مدينة الحسين: ص ١٣-١٤، ط ١، مطبعة النجاح - بغداد، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣-١٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤، د. عبد الجواد الكليدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، ص ٢٣، ط ٢، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.

فُسِّل في ذلك فقال: «ثقل لآل محمد ينزلون هنا»^(١).

وإلى جانب تلك القرى الموغلة في القدم كانت توجد قرى أخرى عامرة بالسكان والحياة. وكانت أكبر هذه القرى المحيطة بكربلاء هي بلدة (عين التمر) والتي تضم ناحية شثاا ومنها يجلب القَسْب (التمر اليابس) والتمر^(٢).

ومن القرى المحيطة بكربلاء أيضاً قرية الغاضرية. وقد أنشئت بعد انتقال قبيلة بني أسد إلى العراق في صدر الإسلام. وعلى هذا فإنها ليست قديمة في التاريخ، وهي ما تزال معروفة باسم «الغاضريات» وهي الأراضي المنبسطة التي هي اليوم إحدى نواحي مدينة كربلاء وتعرف بمنطقة الحسينية الواقعة على طريق كربلاء - بغداد القديم عامرة ببساتين النخيل والفواكه^(٣).

وكانت توجد قرية بالقرب من كربلاء عامرة بالمساكن تسمى (العقر). وقد روي أن الإمام الحسين عليه السلام، لما انتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه: ما تسمى هذه القرية؟ وأشار إلى العقر، ف قيل له: اسمها العقر، فقال عليه السلام: نعوذ بالله من العقر، ثم قال عليه السلام: فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء، فقال عليه السلام: أرض كرب وبلاء! وأراد الخروج منها فمُنِع كما هو مذكور في مقتله^(٤).

وعلى أية حال لم تكتسب مدينة كربلاء الحالية هذه المكانة السامية والمنزلة المقدسة التي لها الآن لولا استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الكرام في اليوم العاشر من شهر محرم الحرام سنة ٦١ هـ - ٦٨٠ م، في هذه البقعة التي تقع بين

(١) الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٥٣، ط ١، القاهرة، ١٩٦٠ م. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة ج ٢، قسم كربلاء، ص ١٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ١٧٦.

(٣) د. عبد الجواد الكلدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ص ١١٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٧، ص ٢٢٩. الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٥٢.

كربلاء القديمة في التاريخ والنواويس على وجه التحديد. وقد تنبأ بذلك الإمام الحسين عليه السلام بنفسه قبل أن يرد أرض كربلاء ويلقى مصرعه فيها، إذ قال عليه السلام:
 كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقْطَعُهَا عَسَلَانِ الْفُلُواتِ بَيْنَ النّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاءَ^(١).

ولكن كلّ ما يمكن القول عن تاريخ كربلاء القديم عند الفتح الإسلامي: إنّها بقعة زراعية واقعة على ضفاف نهر الفرات، والأقوام الذين سكنوها كانوا يعولون على الزراعة لخصوبة تربتها، وغزارة مائها لكثرة العيون التي كانت منتشرة في أرجائها.

ثانياً: واقعة الطف... وكربلاء:

شهد التاريخ الإسلامي في كربلاء واقعة مروّعة تعدّ من أكبر الوقائع والأحداث المؤلمة التي شهدها العالم الإسلامي، ألا وهي واقعة الطف (عاشوراء) التي وقعت بين قوى الخير والنور والشرعية المتمثلة بالإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته وأصحابه المعدودين، وبين قوى الشر والظلام والملك العضوض المتمثلة بيزيد بن معاوية بن أبي سفيان وجيشه الكبير في شهر محرم الحرام سنة ٦١ هـ - ٦٨٠ م.

ولد الإمام الحسين عليه السلام الذي يُكنى (أبا عبد الله) في الثالث من شهر شعبان سنة ٤ هـ - ٦٢٦ م، وبعض المصادر التاريخية ومنها تاريخ الطبري، تذكر أنّه ولد في الخامس من شهر شعبان من السنة نفسها. فقد جمع الإمام الحسين عليه السلام شرف النسب من أطرافه، فأبوه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عم النبي محمد صلى الله عليه وآله ورابع الخلفاء الراشدين، وأمّه فاطمة الزهراء سيدة نساء

(١) السيد ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٢٥، دار المرتضى، بيروت - لبنان. نور الدين الشاهرودي، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء: ص ١٣، ط ١، دار العلوم، بيروت - لبنان، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

العالمين ﷺ بنت رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين وأشرف الخلق أجمعين وأمها خديجة الكبرى ﷺ.

أطلّ الحسين ﷺ على الحياة، وكان لإطلالته أجمل الأثر وأعزّ الأمل، فرح أبوه وأمه بولادته فرحاً عظيماً، ولما سمع رسول الله ﷺ بالخبر البهيج... أقبل إلى منزل ابنته فاطمة ﷺ، فاخترار ﷺ له اسماً لم يكن الناس قد تعارفوا عليه.

كان الإمام الحسين ﷺ يشبه جدّه النبي محمداً ﷺ شَبْهاً عظيماً، وكان لهذا الشبه أعمق الأثر في نفوس المسلمين، وكانت ولادته ﷺ بعد عام من ولادة أخيه الإمام الحسن ﷺ، وكانا يحتلان مركز الصدارة عند جدّهما الرسول الأعظم ﷺ.

عاش الإمام الحسين مع أخيه الإمام الحسن ﷺ في بيئة خصبة بالإيمان والتقوى بين أبوين خلدهما التاريخ الإسلامي، وأحيطا بالرعاية الفائقة وبالحنان الكامل، حفظ القرآن الكريم وهو لا يزال صغيراً، وتردّد على مسجد جدّه رسول الله ﷺ وأخذ من علمه الكثير. وطالما كان يجلس بجوار والدته وتقصّ عليه حكايات الأبطال وقصّة الدعوة الإسلامية وسيرة عظماء المسلمين وقتذاك التي كانت خير شاهد إثبات على كلّ تفاصيلها حيث تابعتها بوعي عميق منذ الصغر.

وقد أنجبت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ إلى جانب الإمامين الحسن والحسين ﷺ من الذكور مُحسناً ﷺ الذي توفي صغيراً، وزينب الكبرى ﷺ وأم كلثوم الكبرى ﷺ من الإناث ثُمَّ تزوّج الإمام علي ﷺ بعد وفاة السيدة فاطمة ﷺ من أم البنين فاطمة بنت حزام ﷺ التي يرجع نسبها إلى بني كلاب فأنجبت منه العباس ﷺ، وجعفرأ، وعبد الله، وعثمان (رضوان الله عليهم)، وقد قتلوا جميعاً مع الإمام الحسين ﷺ في واقعة الطف^(١).

(١) ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري - تاريخ الرسل والملوك: ج ٥، ص ٤٦٨-٤٦٩، دار المعارف

لقد عاش الإمام الحسين عليه السلام في كنف جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ستّ سنوات وستة أشهر، أي إلى وفاة النبي صلى الله عليه وآله يوم ٢٨ من شهر صفر سنة ١١هـ - ٦٣٣م^(١).
وينقل عن أنس بن مالك: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل: أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: الحسن والحسين. وكان يقول لفاطمة عليها السلام: ادعي إليّ ابنيّ فيشمّهما ويضمّهما إليه»^(٢).

وفيما رواه الترمذي بسند حسن: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(٣). وروى الإمام أحمد والترمذي بسندهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»^(٤).

بعد استشهاد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يوم ٢١ من شهر رمضان سنة ٤٠هـ - ٦٦١م، تسلّم زمام أمور الخلافة الإسلامية الإمام الحسن عليه السلام، وكان معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام. فبدأت بوادر الحرب تظهر بين جيش الإمام الحسن عليه السلام في الكوفة وجيش معاوية في الشام.

ووقف الإمام الحسن عليه السلام من هذه الفتنة موقف الحازم اليقظ الذي تمثلت فيه

- القاهرة، ١٩٦٣م. ابن عساكر من تاريخ دمشق، ترجمة ربحانة رسول الله الإمام الحسين عليه السلام:

ص ٢٣، ط ١، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(١) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٧٨، دار التعارف للمطبوعات، بيروت -

لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. العلّامة المجلسي، بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٥١٤، مطبعة مؤسسة

الوفاء، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) الترمذي، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٦٥٨، حديث رقم ٣٧٧٢، مطبعة دار إحياء التراث

العربي، بيروت - لبنان.

(٣) المصدر السابق: حديث رقم ٣٧٧٥.

(٤) المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٦١، حديث رقم ٣٧٨١.

الحكمة، فتمّ الصلح بينه وبين معاوية. وكان أحد شروط هذا الصلح أن يخلف معاوية في الحكم الإمام الحسن عليه السلام. ولكن معاوية اغتال الإمام بدسّ السمّ إليه، وقد توفي يوم ٧ من شهر صفر سنة ٥٠ هـ - ٦٧٠ م^(١). فكانت هذه بداية الحرب على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله من قبل معاوية وابنه يزيد.

وقد استطاع معاوية بن أبي سفيان أن يتعد كثيراً عن ملامح الدولة الإسلامية الأولى بإعلانه الحكم الفردي الوراثي، ولعله كان أول حاكم في الإسلام الذي تخطى الحدود التي رسمها القرآن الكريم، ولم يُبق حرمة لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه الأقربين إضافة إلى حروبه مع أمير المؤمنين الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمره ولده يزيد بإعمال السيف في حفيد النبي محمد صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام، كلّ ذلك كان بداية لتوظيف الدين في خدمة الحاكم، وليس العكس.

وما فعله قاده، بمكّة وأهلها أعطى لمن جاء بعده، سواء من رجال الخلافة أو من الخارجين عليها، حق اعتماد العنف والقتل والتطرف وسيلة لتحقيق أهداف السياسة للبقاء في الحكم.

دعا معاوية الناس إلى البيعة ليزيد سنة ٤٩ هـ - ٦٧٠ م، خلافاً لقيم ومبادئ الإسلام والشريعة. وقد كره الناس ذلك واستنكروه لما يعلمون من سيرة يزيد السيئة. وقد امتنع الإمام الحسين عليه السلام، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وابن عباس، وآخرون عن مبايعة يزيد بالخلافة^(٢).

وعندما ذهب معاوية إلى مكة لأداء العمرة خاطب المسلمين، وطلب مبايعة

(١) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٧٠-٥٧١. أبو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٦٠ و ٨٠، ط ٢، مؤسّسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج ٥، ص ٣٠٣.

يزيد وتحت تأثير التهديد والوعيد انصاع عدد كبير لمبايعته^(١).

فلما توفي معاوية بن أبي سفيان وذلك في رجب سنة ٦٠هـ - ٦٧٩م، كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة، وكان أمير المدينة، يأمره بأخذ البيعة من أهلها عامة، وخاصة من الحسين عليه السلام. وعندما أحسَّ الإمام عليه السلام بضغط الأمويين عليه لمبايعة يزيد خرج من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، وعند وصوله أقبل أهل مكة ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق يُختلفون إليه ويجمعون عنده^(٢).

وبلغ أهل الكوفة امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد. فكتبوا إليه الكثير من الكتب وأوفدوا إليه الرسل من العراق وخاصة من أهل الكوفة يدعونه إليهم، ويستعجلونه القدوم ليبايعوه بالخلافة عوضاً عن يزيد بن معاوية. ولم يجد الإمام الحسين عليه السلام بداً من إرسال ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام إلى أهل العراق ليكشف له حقيقة هذا الأمر، وبعث معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك^(٣).

وتوجه مسلم بن عقيل نحو الكوفة فسمع أهلها بقدومه، فجاؤوا إليه في دار هانئ بن عروة أحد أشرف الكوفة الذي استضاف مسلماً في داره، فبايعوه

(١) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ: ج ٨، ص ٧٩-٨٠، ط ١، مطبعة السعادة، مصر ١٩٣٢م. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٦، دار صادر ودار بيروت، (بيروت - لبنان)، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م. ابن عساكر، من تاريخ دمشق: ترجمة ریحانة رسول الله صلی الله علیه وآله الإمام الحسين عليه السلام، ص ١٩٧.

(٢) السيد ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠، دار المرتضى، بيروت - لبنان. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٣٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٦٤، المكتبة الإسلامية، بيروت - لبنان. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٢٠. دائرة المعارف البريطانية: ج ٦، ص ٧٤١، ط ١٥، جامعة شيكاغو، طبعت في أمريكا ١٩٨٥م.

على إمرة الحسين عليه السلام وحلفوا له لينصروه بأنفسهم وأموالهم، فاجتمع على بيعته من أهل الكوفة اثنا عشر ألفاً ثم بلغوا ثمانية عشر ألفاً^(١).

فكتب مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين عليه السلام يُخبره أن أهل الكوفة قد بايعوه وطلب منه أن يعجل في القدوم، فتجهّز الإمام من مكة قاصداً إلى الكوفة^(٢).

وعلى أثر ذلك عزل يزيد بن معاوية أمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، حيث شكّ بموقفه من الإمام الحسين عليه السلام وعيّن بدلاً عنه عبيد الله بن زياد والي البصرة أميراً على الكوفة والبصرة^(٣).

فشدد ابن زياد على أهل الكوفة وطارد أصحاب مسلم بن عقيل (وأفشى فيهم القتل والتنكيل والسجن) حتى بقي وحده ووقع أخيراً في قبضة عبيد الله بن زياد فأمر بقتله وقطع رأسه، كما أمر بقتل هانئ بن عروة^(٤). وكان ذلك بداية للأعمال المروّعة التي لم يشهد لها التاريخ الإسلامي مثيلاً.

إن مأساة مسلم بن عقيل طويلة ومشجية وفيها دلالات على تأثير استخدام العنف والقتل والقمع، وعلى طبيعة الخضوع للقوة والمادة والجاه والمنصب، وإن كان ذلك يعارض المبادئ والقيم والمثل. ولما علم الناس في مكة والمدينة خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة أشفقوا عليه وحذّروه من ذلك. وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق ومنهم عبد الله بن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري وسعيد بن المسيب.

(١) ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٧٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٢. ابن عساكر، من تاريخ دمشق: ص ٢٠٧.

(٢) ابن عساكر، من تاريخ دمشق: ص ٢٠٧. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ص ٤٨-٤٩، ط ١، الجزء الثاني من قسم كربلاء، دار التعارف بغداد، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ: ج ٨، ص ١٥٢. دائرة المعارف البريطانية، ج ٦، ص ٧٤١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٦٩. ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ: ج ٨، ص ١٥٧.

ولقيه الشاعر الفرزدق في الطريق فسأله الإمام (عليه السلام) عن أمر الناس في الكوفة فقال: «يا ابن رسول الله، القلوب معك والسيوف عليك والنصر من السماء»^(١).

فلما علم الإمام الحسين (عليه السلام) مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وهو في طريقه إلى الكوفة، جمع أنصاره ومن انضم إليه في طريقه من العرب فخطب فيهم وأبلغهم بما جرى لمسلم وقال لهم: «لقد خذلنا أنصارنا فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منّا ذمام»، فتفرّقوا يميناً وشمالاً ولم يبق معه (عليه السلام) إلا أهله وأصحابه المخلصون الذين جاؤوا معه من المدينة ونفريسير ممن انضموا إليه في الطريق^(٢).

ولما علم عبيد الله بن زياد بوجهة الإمام الحسين (عليه السلام) اتخذ احتياطات عسكرية مختلفة وحاول جاهداً مراقبة تحركات الإمام (عليه السلام). وقد أرسل أحد قادته وهو الحر بن يزيد الرياحي مع ألف فارس لهذا الغرض. والتقى بركب الإمام الحسين (عليه السلام) في منطقة (شراف). وكانت مهمّة الحر على ما يبدو قطع الطريق على الإمام (عليه السلام) وعدم مفارقتها حتى يأتي به إلى الكوفة.

ولما أحسّ الإمام الحسين (عليه السلام) بنية الحر ضده وصد أنصاره أمر أصحابه بالانصراف نحو الحجاز ولكن القائد الأموي (الحر بن يزيد) منعهم من ذلك، فقال له الحسين (عليه السلام): ما الذي تريد؟ قال: أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد، قال الإمام الحسين (عليه السلام): إذن والله لا أتبعك. قال الحر: إذن والله لا أدعك.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ: ج ٨، ص ١٦٠، ١٦١، ١٦٦، ١٦٧. الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٤٤، ط ١، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة. دائرة المعارف البريطانية الجديدة، ج ٦، ص ٧٤١.

(٢) السيد ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٣٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٤٣.

وكثر الجدل بينهما فقال الحر: إنني لم أؤمر بقتالك وإنما أمرت ألا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة، ولا تردك إلى الحجاز حتى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد، فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقنا فيه العافية ولا أبتلي بشيء من أمرك. فسار الحسين عليه السلام مع ركبته والحر بن يزيد يسايره^(١).

واتجه الإمام الحسين عليه السلام بأصحابه حتى بلغ (عذيب المهجانات). كان بها هجائن النعمان ترعى هناك فنسب إليها. والحر بن يزيد ملازم له، ثم وصل إلى (قصر بني مقاتل). وكلما أراد الحسين عليه السلام أن يميل نحو البادية ردّه الحر بن يزيد نحو الكوفة حتى انتهى عليه السلام إلى نينوى، وهي قرية تقع بالقرب من كربلاء.

وفي الثاني من محرم الحرام سنة ٦١ هـ - ٦٨٠ م حطّ رحاله عليه السلام في أرض تسمى كربلاء على مقربة من نهر الفرات^(٢). فسأل الإمام الحسين عليه السلام: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، قال عليه السلام: كرب وبلاء^(٣).

وكتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد قائد الجيش الأموي طالباً منه أن يحول بين الحسين عليه السلام وأصحابه وبين ماء الفرات وألا يذوقوا منه قطرة. وعلى أثر ذلك أرسل عمر بن سعد قائده عمرو بن الحجاج على رأس خمسمائة فارس فاحتلوا جميع الشرائع والأنهر المتفرعة من نهر الفرات وأوصدوا على الحسين عليه السلام وأصحابه سبل الوصول إلى الماء. وكان غرضه من ذلك مضايقة الإمام عليه السلام لحمله على الاستسلام وسدّ الطريق أمام من يحاول الالتحاق به عن طريق الماء والمبالغة في التشفي والانتقام. وكان ذلك قبل ثلاثة أيام من مقتل الإمام الحسين عليه السلام. وكان أعظم ما عاناه الإمام عليه السلام من المحن الشاقة مشاهدة

(١) الطبري، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤٠٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٤٧-٤٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٤٩-٥١. الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٥٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ: ج ٨، ص ١٧٦-١٧٧. السيد ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٣٣.

أطفاله وحرائر الرسالة المحمدية وهم يضجّون من ألم الظمّ القاتل فقد كان الأطفال ينادون: الماء الماء^(١).

وفي اليوم السابع من شهر محرم اشتدّ العطش بالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه فدعا أخاه العباس عليه السلام وبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً، ولما أرادوا أن يملأوا قريهم ثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه فحمل عليهم العباس عليه السلام واستطاع أن يملأ القرب بالماء ويعود بها إلى الإمام الحسين عليه السلام^(٢).

ولكنّ الماء نفذ في اليوم التالي فلم يتحمّل الأطفال مقاومة العطش وكانوا ينظرون إلى الفرات وهو فياض بمائه فيزداد صراخهم. وكان من أفجع وأقسى ما نكب به الإمام الحسين عليه السلام رزيتة بولده عبد الله الرضيع الذي اشتدّ به العطش وبلغ منه مبلغاً عظيماً، فأجلسه في حجره وقال للقوم: ما ذنب هذا الطفل الرضيع أن يُمنع عنه الماء خلافاً لجميع الشرائع، فرماه رجل من بني أسد بسهم فذبحه، فأخذ الحسين عليه السلام دمه فصبه في الأرض ثمّ قال: ربي إن تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين^(٣).

وفي صباح يوم الجمعة العاشر من شهر محرم الحرام صلى الإمام الحسين عليه السلام صلاة الصبح بأصحابه البالغ عددهم اثنين وثلاثين فارساً، وأربعين رجلاً. ثمّ امتطى الحسين عليه السلام صهوة فرسه، وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه، وشرع الإمام عليه السلام يذكر الناس فضله وعظمة نسبه، وعلوّ قدره وشرفه، ويقول: راجعوا

(١) باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج ٣، ص ١٣٦، ط ١، مطبعة الآداب، النجف الأشرف - العراق، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

(٢) لوط بن يحيى الأزدي: مقتل الحسين عليه السلام، ص ٩٩، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م. ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤١٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ص ٣٤٠.

أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا ابن بنت نبيكم...^(١).

ولكنّ القوم لم يوافقوا.. إنهم يريدون قتله بأيّ حال من الأحوال فالحقد غمر قلوبهم واستوطن فيها. وقد التحق بركب الإمام جماعة من أهل الكوفة منهم حبيب بن مظاهر الأسدي وزهير بن القين، كما التحق نفر من معسكر ابن زياد أبرزهم الحر بن يزيد الرياحي القائد الأموي الذي مرّ ذكره. وزحف عمر بن سعد بجيشه الكبير الذي تجاوز الألوف نحو الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه ثمّ رمى سهماً باتجاه الإمام (عليه السلام) إيذاناً ببدء القتال - وهو يقول مفاخراً: «اشهدوا لي عند الأمير أني أوّل من رمى القوم»^(٢).

وقام شمر بن ذي الجوشن أحد قادة عبيد الله بن زياد فحمل على أصحاب الحسين، ووقف أنصار الحسين جميعاً مواقف بطولية رائعة وهم يقاتلون الأعداء بين يدي الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو يدعو لهم ويقول: جزاكم الله أحسن جزاء المتقين، وقاتلوا بين يديه حتى فنوا عن آخرهم، وقتل أهل بيته وأنصاره كافة باستثناء نفر منهم على رأسهم الإمام علي بن الحسين (زين العابدين (عليه السلام)) لعدم قدرته على القتال لمرضه.

وروي عن محمد بن الحنفية أنّه قال: استشهد مع الحسين (عليه السلام) سبعة عشر رجلاً من أهل البيت، أبرزهم أخوه العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٣). وكان عمر الإمام الحسين (عليه السلام) يوم استشهد ستاً وخمسين سنة وشهوراً وذلك يوم

(١) ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤٢٢-٤٢٣. ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ: ج ٨، ص ١٧٨.

(٢) ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤٢٧-٤٢٨. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٦٥.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ: ج ٤، ص ١٨٨. موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي: ص ٦٩.

العاشر من شهر محرم الحرام سنة ٦١ هـ - ٦٨٠ م بعد صلاة الظهر^(١).

وأمر عمر بن سعد أعوانه بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أهل بيته وأصحابه إلى عبيد الله بن زياد، فلمّا وصل رأس الحسين عليه السلام إلى ابن زياد جعل ينكث ثنيته بقضيب في يده، فقال له زيد بن أرقم: والله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله على هاتين الشفتين (يقبلهما)^(٢).

وحين دخلت السيدة زينب الكبرى عليها السلام بنت أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّها فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مجلس ابن زياد في الكوفة وقال لها: الحمد لله الذي فضحككم... فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بالنبي محمد صلى الله عليه وآله، وطهرنا من الرجس تطهيراً وإنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا. ثمّ قال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ قالت: والله ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ وتحاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة.

وقد أخذت الرؤوس مع أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام وكان معهم علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الذي كان مريضاً إلى الشام، فلمّا نظر يزيد بن معاوية إلى السبايا والرؤوس قد وضعت على الحراب امتلاً سروراً.

أمّا الموقف الآخر للسيدة زينب عليها السلام فقد جاء في خطبتها الشهيرة حين دخلت مجلس يزيد بن معاوية في الشام، وسمعته يتمثل بأبيات وهو يقول:

(١) المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٧١. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، المصدر السابق، ص ٨٤.

(٢) ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤٥٩. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٨٠. الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٩.

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل
 لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تُشل
 فقامت ﷺ إليه وقالت: «الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على رسوله
 وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ آسَأُوا
 السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(١).

أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا
 نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأن ذلك
 لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسروراً..
 حين رأيت الدنيا لك مستوثقة، والأمور لديك متسقة.. وحين صفا لك ملكنا
 وسلطاننا.. فمهلاً مهلاً.. أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا
 نُؤْمِلُ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٢).

أمن العدل يا ابن الطلقاء تحذيرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول
 الله سبايا قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوهنّ، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى
 بلد، ويستشرفنهن أهل المناهل والمعازل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد،
 والديء والرفيع. ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتجى
 مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطل
 في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان؟.. ثم
 تقول غير متألم ولا مستعظم:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تُشل

(١) سورة الروم: الآية ١٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

منحنياً على ثنایا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة، تنكثها بمخصرتك؟.. وكيف لا تقول ذلك؟.. وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد ﷺ وسلّم، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك، زعمت أنك تناديهم، فلتردن وشيكاً مورد هم، ولتودنّ أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.. اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا واحلل غضبك على من سفك دماءنا، وقتل حماتنا. فوالله ما فريت إلّا، جلدك، ولا حزرت إلّا لحكمك، ولتردنّ على رسول الله ﷺ وسلّم بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١). وحسبك بالله حاكماً وبرسول الله خصياً، وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سؤل لك ومكنك من رقاب المسلمين ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٢)، وأيكم ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾^(٣). ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغرُ قدرك، وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك، ولكنّ العيون عبرى، والصدور حرّى.. ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بأيدي حزب الشيطان الطلقاء.. فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناها العواسل وتعفرها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلّا ما قدمت يداك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٤)، وإلى الله المشتكى، وعليه المعول.

فكد كيدك، واسع سعيك، وناصر جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تमित

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٢) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٣) سورة مريم: الآية ٧٥.

(٤) سورة فصلت: الآية ٤٦.

وحينا، ولا يرحص عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند، وأيامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي: ﴿أَلَا لَعَنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فالحمد لله ربّ العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود، و﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^{(٢)(٣)}.

أمّا الموقف الشجاع للإمام علي بن الحسين (زين العابدين عليه السلام) جاء في خطبته الشهيرة بمجلس يزيد في الشام. فقد روي أن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أمر الخطيب أن يرقى المنبر في المسجد الأموي بدمشق ويثني عليه وعلى أبيه معاوية، وينال من الإمام علي بن أبي طالب وولده الإمام الحسين عليه السلام... فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وأكثر الوقيعة في الإمامين علي والحسين عليه السلام، وأطنب في تقرّظ معاوية ويزيد فصاح به الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «ويلك أيها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق»... ثمّ التفت الإمام عليه السلام إلى يزيد وقال له: «يا يزيد، إئذن لي أن أصعد هذه الأعواد (أي المنبر) فأتكلم بكلمات الله فيهنّ رضاً وهؤلاء الجلّساء أجر وثواب».

فأبى يزيد عليه ذلك، فقال الناس: يا... ائذن له فليصعد المنبر، فعلنا نسمع منه شيئاً، فقال يزيد: إن صعد لم ينزل إلّا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان،

(١) سورة هود: الآية ١٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

(٣) العلامة الشيخ محمد جواد مغنية: مع بطلّة كربلاء زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، دار الجواد، دار التيار، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٩٨٤ م، ص ٦١. العلامة الشيخ محمد جواد مغنية: الحسين وبطلّة كربلاء عليه السلام، ط ١، ص ٢٥٦. أحمد خليل جمعة، نساء أهل البيت عليه السلام: مطبعة دار اليمامة، ١٩٩٨، ص ٦٤١.

فقيل له: وما قدر ما يُحسن هذا؟ فقال يزيد: إنه من أهل بيتٍ قد زوّ العلم زَقّاً.
قال الراوي: فما يَزَالون به حتى أذن له، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه،
ثم خطب خطبةً أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب.

ثم قال ﷺ: «أيها الناس، أعطينا ستاً وفُضّلنا بسبع، أعطينا: العلم والحلم
والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين. وفُضّلنا: بأن
منا النبي المختار محمداً، ومنا الصديق^(١)، ومنا الطيار^(٢)، ومنا أسد الله وأسد
رسوله^(٣)، ومنا سبطا هذه الأمة^(٤)، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته
بحسبي ونسبي... أيها الناس، أنا ابن مَكَّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن
من حَمَلَ الركن بأطراف الرّدا^(٥)، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من
انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ ولبّى، أنا ابن
من حُجِلَ على البُرّاق في الهوا، أنا ابن مَنْ أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى، فكان
قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه
الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابنُ علي المرتضى أنا ابن من ضَرَبَ
خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله أنا ابن من ضَرَبَ بين يدي رسول الله
بسيفين وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وقاتل ببدرٍ وحُنين، ولم
يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين^(٦)، ووارث النبيين، وقامع الملحدّين،

(١) أي الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) أي جعفر بن أبي طالب ﷺ.

(٣) أي حمزة بن عبد المطلب ﷺ عم النبي ﷺ.

(٤) أي الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

(٥) أي أنا ابن النبي ﷺ.

(٦) أي الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول ربّ العالمين.

أنا ابن المؤيّد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر مَنْ مشى من قريش أجمعين، وأوّل من أجاب واستجاب لله ورسوله من المؤمنين، وأوّل السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه، سَمَحٌ سَخِيٌّ بهي، بهلول زكي أبطحيّ رضيّ، مقدّمٌ همّام، صابر صوّام، مهذّبٌ قوّام، قاطعُ الأصلاب، ومُفرّقُ الأحزاب، أربطهم عِناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسدٌ باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنّة وقربت الأعنة، طَحَنَ الرَّحَى، ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكّي مدنيّ، خيفيّ عقبيّ، بدريّ أحديّ شَجَرِيّ مهاجريّ، من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين ذاك جدّي علي بن أبي طالب. ثُمَّ قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن محزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه على السنان يهدى، أنا ابن من حُرّمه من العراق إلى الشام تُسبى^(١). فلم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضَجَّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد لعنه الله أن ينقلب الأمر عليه، فأمر المؤذن

(١) مع بطلّة كربلاء زينب بنت الإمام أمير المؤمنين ﷺ: المصدر السابق، ص ٦٣. الحسين

وبطلّة كربلاء ﷺ: المصدر السابق، ص ٢٦٠. أحمد خليل جمعة، نساء أهل البيت ﷺ:

المصدر السابق، ص ٦٤٤.

فقطع عليه الكلام. فلَمَّا قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر... قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «لا شيء أكبر من الله، كبرت كبيراً لا يُقاس». فلَمَّا قال: أشهد أن لا إله إلا الله... قال الإمام عليه السلام: «شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي». فلَمَّا قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله... إلتفت الإمام علي بن الحسين عليه السلام من فوق المنبر إلى يزيد فقال عليه السلام: محمد هذا جدِّي أم جدك يا يزيد؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدِّي فلم قتلَ عترته؟

فنزل الإمام زين العابدين عليه السلام من المنبر، هذا وقد تفرَّق من كان في المسجد، والتفّوا حول الإمام عليه السلام، ولَمَّا خشي يزيد الفتنة وانقلاب الأمر، عجل بإخراج الإمام عليه السلام والعيال من الشام إلى وطنهم ومقرهم.

لقد تجلّت خطابات السيدة زينب الكبرى عليها السلام والإمام زين العابدين عليه السلام آثارها في نفوس الناس، وظلت أصداؤها تتداولها الأجيال على مرّ القرون، فقد جمعت بين بلاغة الكلام وشجاعة الموقف، وفصاحة الكلمة والبراعة الأدبية، حيث تبلورت فيها رسالة جدّهم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبلاغة وفصاحة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام... إذ نرى الخطابة في ذروتها حين تكون أمام عامّة الناس في تقرير الحكّام الظالمين، وفي ظروف خطيرة وحساسة.

وإنّ دور السيدة زينب عليها السلام الحقيقي قد بدأ بعد المأساة، إذ كان عليها أن تحمي السبايا من الهاشميات اللاتي ثكلن برجالهنّ، وأن تناضل مستميتة عن غلام مريض. هو الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين عليه السلام. لولاها كاد أن يذبح، فتفنى بذهابه يومئذ سلاله الإمام، ثم كان عليها بعد ذلك أن لا تدع الدم المسفوك يذهب هدرًا... وإنّ موقف السيدة زينب عليها السلام بعد الفاجعة هو الذي جعل من (كربلاء) مأساة خالدة^(١).

(١) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): السيدة زينب عليها السلام، ص ١٠، دار الكتاب العربي -

وبعد استشهاد الحسين عليه السلام وأصحابه بيومين، خرج قوم من بني أسد - كانوا قد نزلوا بالغازية - إلى الحسين عليه السلام وأصحابه، فصلّوا عليهم، ودفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه علي الأكبر عليه السلام عند رجله، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الكرام ممن استشهدوا معه في المعركة ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام، فجمعوهم ودفنوهم جميعاً معاً.

ودفنوا العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام في موضعه الذي قتل فيه حيث يبعد عن مرقد الإمام الحسين (٣٥٠) متراً على طريق الغازية^(١). وتتناول المصادر التاريخية مدفن رأس الحسين عليه السلام وأكثرها ترجيحاً تلك التي تقول أنّه: أعيد مع بقية الرؤوس مع الإمام علي بن الحسين (زين العابدين عليه السلام) إلى كربلاء ودفن مع جسده الشريف^(٢).

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام شجاعاً مقداماً، حكيماً، عظيماً، فصيحاً، بليغاً، ورعاً، عالماً، راجح العقل، وسيماً، مهيب الطلعة، كريماً، سخياً، ذكياً، فارساً بارعاً، قائداً بأسلاً، إشرافة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإنسانية، كلّ تلك الصفات تتواجد في قائدنا وسيدنا الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. وهكذا كانت النهاية المؤلمة للإمام الحسين عليه السلام الذي لقّب بسيد الشهداء. وأهل بيته وصحبه الكرام الذين ضربوا أروع الأمثلة في الثبات على المبدأ، وسموّ النفس والفداء، وإن واقعة الطف ملحمة إنسانية خالدة تركت بصمات بليغة

بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٠. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: المصدر السابق، ص ١٤٦. المرجع الفقيه الشيخ المفيد، الإرشاد: ص ٢٤٣، ط ٣، مؤسّسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٢) السبط بن الجوزي: تذكرة الخواص، ص ٢٦٥، مكتبة نينوى الحديثة، طهران. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٧٨. بحار الأنوار للمجلسي: ج ٤٤، ص ١٩٩.

وعميقة في تاريخ البشرية، ظلّت أصداؤها تتجاوب على مرّ القرون.

وعلى آية حال، لم تكتسب كربلاء هذه المكانة والمنزلة العظيمة التي لها الآن لولا استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ونفّر من أهل بيته وصحبه الأبرار في العاشر من شهر محرم الحرام سنة ٦١هـ - ٦٨٠م في هذه البقعة. وتدين المدينة الحالية بنشأتها إلى واقعة الطف، وكان نواتها قبر الإمام الحسين (عليه السلام). وتذكر بعض المصادر التاريخية أنّ المختار بن أبي عبيدة الثقفي أيام إمرة على الكوفة أقام بناء على القبر تعلوه قبة من الطابوق (الآجر)، وهذه القبة تعدّ الأولى في الإسلام وذلك سنة ٦٦هـ - ٦٨٦م. وشيّد مسجداً بجانب القبر، ويعتبر هذا البناء أولّ بناء شيّد في مدينة كربلاء الحالية، كما شيّد قرية صغيرة تحيط بالقبر.

وبدأت المنطقة تتطور رويداً رويداً؛ وذلك لكثرة الزائرين إليها واختيار بعض المسلمين - خصوصاً العلماء والرواة والمحدثين - الإقامة فيها. حتى أصبحت بمرور الزمن حاضرة إسلامية لها شأنها بين المدن الإسلامية وغدت محطّ أنظار الملايين من شعوب العالم الإسلامي.

ثالثاً: تاريخ كربلاء ما بعد واقعة الطف حتى الحكم الصفوي للعراق؛

اضطرّ الإمام الحسين (عليه السلام) تحت ضغط الجيش الأموي أن ينزل بأهله وأصحابه في أرض غير مأهولة بالسكان، وكانت تحيط بها يومئذ قرى عديدة متناثرة هنا وهناك تعرف بكربلاء. كان بعضها موغلاً في القدم لم يبق منها سوى الأطلال مثل: عمورا، وماريا، وصفورا، وبعضها الآخر قرى قديمة أو محدثة مثل: نينوى، والغازرية، وشفية^(١). وهذه القرى معروفة بخصوبتها وكثرة ما فيها من العيون والنهيرات، ومن أهم هذه النهيرات نهران كان أحدهما يتفرّع

(١) د. عبد الجواد الكلّيدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين (عليه السلام): ص ٢٣، ١١٢، ط ٢، المطبعة الحيدرية، النجف - العراق، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

من الفرات قرب مدينة المسيّب، والذي سمّي بعد ذلك بـ (العلقمي). أمّا النهر الآخر فكان يسمّى بـ (نهر نينوى) وكان يتفرع من الفرات أيضاً في المنطقة الواقعة بين سدّة الهندية الحالية والمسيّب^(١).

وبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بيومين، وضع رهط من بني أسد معالم على قبره. وأخذ الزوّار يؤمّون القبر رويداً رويداً وبأعداد تتكاثر باستمرار. وقد أدّى ذلك إلى أن يكون القبر نواة لمدينة كربلاء^(٢).

ومن أوائل الزائرين كما تروي المصادر التاريخية، عبيد الله بن الحر الجعفي، والمختار بن أبي عبيدة الثقفي، ومصعب بن الزبير، وسليمان بن صُرد الخزاعي وكثيرون آخرون في عام ٦١ هـ - ٦٨٠ م، وذلك بعد الواقعة بقليل^(٣).

وفي السنة التالية، (٢٠) صفر الخير سنة ٦٢ هـ - ٦٨١ م، قام الصحابي الجليل الضرير جابر بن عبد الله الأنصاري بزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام قادماً من المدينة المنورة مع جماعة من أهلها من المسلمين، واجتمع في السنة نفسها بالإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام. وتروي الأخبار أنّه عندما وصل إلى قبر الإمام عليه السلام قال لأصحابه: «ألمسوني القبر»^(٤).

وفي العهد الأموي كان بجانب قبر الإمام الحسين مسجد شيّده المختار بن

(١) أبو فرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ١٤٦، ط ٢، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) أي. جي. برل، دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٦٣٧، ١٩٧٨ م. السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٢٧.

(٣) ابن جرير الطبري: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ج ٥، ص ٤٧٠، دار المعارف - مصر، ١٩٦٣ م. د. عبد الجواد الكلدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ص ١٠٢.

(٤) محمد حسن مصطفى آل كليدار، مدينة الحسين عليه السلام، ص ١٩، ط ١، مطبعة النجاح - بغداد، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء: ص ٣٣.

أبي عبيدة الثقفي أيام إمرته على الكوفة سنة ٦٦هـ-٦٨٦م، وكانت على مقربة منه شجرة السدره التي كان المسلمون يتظللون بها عند زيارتهم القبر الشريف^(١).

وتذكر المصادر التاريخية أن كربلاء لم تمصّر طوال العهد الأموي. وعلى الرغم ممّا كان في نفوس الهاشمين وشيعتهم من لهفة ورغبة في العيش إلى جوار قبر الإمام الحسين عليه السلام فإنّهم لم يتمكنوا من بناء الدور والبدء بالعمران فيها خوفاً من بطش وتنكيل بني أمية. فقد انتشرت في العهد الأموي المسالحة (مخافر الشرطة) حول كربلاء لمنع الزوار من زيارة مشهد الإمام الحسين عليه السلام.

وكان الزائرون من جانبهم يتخذون من الغاضرية ونيوى ملجأً ومحطاً لرحالهم؛ لقربهما من كربلاء، ويجعلونهما بالظاهر هدفاً فيمكثون فيها حيناً لإبعاد الشبهة عنهم والتمويه على المسالحة الأموية، ثمّ يلجأون منها سرّاً إلى المرقد الشريف^(٢).

وفي أوائل حكم الخلفاء العباسيين أخذ الناس يتقاطرون على كربلاء ليتخذوا فيها سكناً. وأخذت هذه المنطقة بالتقدم وال عمران وأصبحت مأهولة بالسكان، وتذكر المصادر التاريخية أن الراوية الكبير عثمان بن عيسى الكوفي العامري كان أوّل من سكن كربلاء الحالية في عهد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أي بعد عام ١٨٣هـ-٧٩٩م مع ولديه. وكانت لهذا الراوية مؤلفات أهمّها: كتاب المياه، وكتاب القضايا والأحكام، وكتاب الوصايا^(٣).

يذكر الطبري أثناء عرضه لحوادث عام ١٩٣هـ-٨٠٩م أن والده الخليفة

(١) السيد حسن الصدر، نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين: ص ٢١، مطبعة أهل البيت عليه السلام، كربلاء، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

(٢) د. عبد الجواد الكلدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ص ٩٩، ١٩٢، ١٩٣.

(٣) النجاشي، رجال النجاشي: ص ٢١٢، ط ٢، قم - إيران، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

العباسي المهدي (أم موسى) وابنة يزيد بن منصور كانت تصرف مرتبات إلى رجال يخدمون مرقد الإمام الحسين عليه السلام. وعند بداية حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد استمرّ صرف تلك المرتبات من قبل هارون الرشيد^(١). ثمّ أخذت هذه المدينة بالتراجع بعد ذلك. فقد غيّر هارون الرشيد من سياسته في أواخر أيام حياته فأمر بحرث الأرض التي تضم قبر الإمام الحسين عليه السلام وقطع شجرة السدرة وهدم المسجد الصغير^(٢).

وعندما تولّى الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد الحكم بعد أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ - ٨١٣م، عاد الاهتمام بمدينة كربلاء بشكل عام، وأعيد بناء مرقد الإمام الحسين عليه السلام، وأخذ المأمون بإظهار الحبّ لأهل البيت عليهم السلام وبدأ المسلمون يتوافدون على المدينة والسكنى بجوار المرقد تبعاً^(٣).

وفي أواخر القرن الثاني الهجري قام رجل من بني علقمة - بطن من تميم ثمّ من دارم الذين جدّهم علقمة بن زرارة بن عدس - بحفر نهر محاذٍ لطفّ كربلاء - وكان مجرى هذا النهر موجوداً في السابق ولكنه اندثر - يمرّ بالقرب من مرقد العباس عليه السلام إلى الشرق منه عرف بنهر العلقمي^(٤).

وفي خلال فترة حكم الخليفة العباسي المتوكل (٢٣٦-٢٤٧هـ) تعرّض قبر الإمام الحسين عليه السلام إلى سياسة عدائية ظاهرة، إذ أمر المتوكل بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام ثلاث مرّات وأسأل الماء عليه، فحار الماء حول القبر الشريف وأقام

(١) الطبري، (تاريخ الرسل والملوك) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٣٥٥-٣٥٦.

(٢) د. عبد الجواد الكلدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ص ١٩٨. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢٧.

(٣) عبد الرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً، ص ١٢٩، ط ٢، مطبعة العرفان، صيدا - لبنان، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م. محمد باقر مدرس، شهر حسين عليه السلام، ص ٢٠٣.

(٤) سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، المصدر السابق، ص ٢٧.

في المسالحي (مخافر الشرطه) أناساً يترصدون من يأتي لزيارة قبر الحسين عليه السلام، والتعامل مع زائريه بكل قسوة، مما دفع المسلمين إلى الرحيل عن كربلاء^(١).

وفي سنة ٢٤٧هـ - ٨٦١م قتل المتوكل على يد ابنه المنتصر الذي أصبح الخليفة بعد أبيه، وأعاد بناء مرقد الإمام الحسين عليه السلام وأخذ المسلمون يتوافدون على أرض كربلاء، فأقاموا المباني والأسواق من حول المرقد الشريف، فاستعادت كربلاء مكانتها العمرانية والعلمية واستطاعت أن تسترجع ما كانت عليه، وإن لم يدم حكم المنتصر سوى ستة أشهر حيث توفي بعد ذلك^(٢).

ومهما يكن من أمر، فإن هذه الفترة كان لها أثر كبير في تطور المدينة واستقطاب الزائرين إليها، وكان أول من جاور الحائر الحسيني في هذا الوقت من العلويين هو إبراهيم المجاب المعروف بإبراهيم الضير الكوفي ابن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام مع ولده وذلك سنة ٢٤٧هـ - ٨٦١م وما زال قبره موجوداً في الزاوية الشمالية الغربية من الرواق المعروف باسمه في الروضة الحسينية المطهرة^(٣).

وفي عهد الخليفة العباسي المعتضد سنة ٢٧٩هـ - ٨٩٢م زار كربلاء حسن بن زيد العلوي الملقب بـ (الداعي الكبير) ملك طبرستان وديلم. فباشر ببناء الحضرة الحسينية واتخذ حولها مسجداً. ولكنه توفي قبل إنجازها وأكمل بناءها أخوه محمد بن زيد العلوي الملقب بـ (الداعي الصغير) الذي خلف أخاه واهتم

(١) ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري: ج ٩، ص ١٨٥.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٢١، المكتبة الإسلامية، بيروت - لبنان. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢٨.

(٣) محمد حسن مصطفى آل كليدار، مدينة الحسين عليه السلام: ص ٢٤. السيد حسن الصدر، نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين: ص ٣٦-٣٧.

بمدينة كربلاء ومرقد الإمام الحسين عليه السلام ^(١).

وعندما دخل البويهيون بغداد وأصبحوا الحكام الفعليين في زمن الخليفة العباسي المستكفي سنة ٣٣٤هـ - ٩٤٦م حظيت مدينة كربلاء بالاهتمام والرعاية. وكان أول من زارها من السلاطين البويهيين، السلطان معز الدولة سنة ٣٣٦هـ - ٩٧٧م ^(٢).

وفي سنة ٣٦٧هـ - ٩٧٨م أيام خلافة الطائع العباسي استولى السلطان عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة الحسن البويهي على بغداد من جديد، وعرج على مدينة كربلاء لأول مرة لزيارة مرقد الإمام الحسين، وقد أولى المدينة جلّ عنايته واهتمامه وكان يزور كربلاء كلّ عام ^(٣).

وقد بلغت كربلاء خلال هذه الفترة أوج ازدهارها، حيث شيّدت فيها المدارس الدينية، وأول مدرسة شيّدت في العراق كانت المدرسة العضدية في كربلاء سنة ٣٦٧هـ - ٩٧٨م.

وفي سنة ٣٦٩هـ - ٩٨٠م اهتمّ (عمران بن شاهين) والي إمارة البطائح، التي تقع بالقرب من واسط جنوب العراق، بمرقدي الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف والإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدّسة، حيث شيّد رواقاً في الجانب الغربي من حرم الإمام الحسين عليه السلام عُرف برواق ابن شاهين، والذي يعرف اليوم

(١) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٢٨.

(٢) ستيفن لونجريك وفرانك ستوكس، شعوب العالم الحديث - العراق، ص ٦٢، ط ١، آرنتس بن ليمنت - لندن، ١٩٥٨م. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء: ص ٧٧.

(٣) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢٨. السيد حسن الصدر، نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين، ص ٣٢. د. عبد الجواد الكلدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ص ١٧١.

برواق السيد إبراهيم المجاب وبنى بجواره مسجداً^(١).

وفي عهد الخليفة العباسي الطائع سنة ٣٦٩هـ - ٩٨٠م - أغار (ضبة بن محمد الأسدي) أمير عين التمر، الذي كان يتزعم عصابة من اللصوص وقطّاع الطرق، على كربلاء ومشهد الإمام الحسين عليه السلام. وكان هذا قد اتخذ من (عين التمر) مركزاً لنشاطه وقيامه بأعمال السلب والنهب، وشنّ الهجمات على المدن والقوافل، ومما ساعده على ذلك عدم استتباب الأمن والطمأنينة في البلاد، فأرسل عضد الدولة البويهّي في هذه السنة سرّيّة من الجند إلى عين التمر للقضاء على (ضبة بن محمد الأسدي) ولكنّ هذا الأخير هرب بعد وصول السرية إليها^(٢).

ولم يكتف عضد الدولة بذلك، بل أولى مدينة كربلاء جلّ عنايته وكان من أكثر الذين اهتمّوا بها وقام بأهم زيارة له لهذه المدينة في سنة ٣٦٩هـ - ٩٨٠م، حيث أمر بإعادة بناء مرقد الإمام الحسين عليه السلام والدور والمباني المحيطة به، وقد انتهى العمل من بناء المرقد سنة ٣٧١هـ - ٩٨٢م. وكذلك أمر قبل وفاته سنة ٣٧٢هـ - ٩٨٣م ببناء مرقد العباس عليه السلام لأوّل مرة، فازدهرت المدينة ازدهاراً واسعاً في عهده، وأقيمت المباني الجديدة ما بين المرقدين وحوّلها، فتوسعت المدينة وأصبحت مهمّة في مركزها الديني والعلمي^(٣).

وفي عهد الخليفة العباسي القادر بالله سنة ٤٠٧هـ - ١٠١٧م احترق مشهد

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٣٢٠، ط ٢، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٧١٠، دار صادر ودار بيروت، بيروت - لبنان، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م. أي. جي. برل، دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٦٣٧.

(٣) أي. جي. برل، دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٦٣٧. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢٨. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء: ص ٦٢.

الإمام الحسين عليه السلام بسبب سقوط شمعتين، فأحدث ذلك بلبلة في المدينة وظلّ القبر على هذا الحال حتى قام وزير السلطان البويهبي الحسن بن الفضل بن سهلان المعروف بأبي محمد الرامهرمزي سنة ٤١٤ هـ - ١٠٢٣ م بإرجاع الطمأنينة والسكينة إلى النفوس وأولى المدينة والمشهد اهتمامه^(١).

وقام السلطان أبو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهبي ترافقه حاشية كبيرة من أهله وأتباعه من الأتراك بزيارة مدينة كربلاء ومرقد الإمام الحسين عليه السلام وذلك سنة ٤٣١ هـ - ١٠٤٠ م ومكث فيها مدة من الزمن أجزل خلالها العطايا والنعم على الأهالي ممّا كان له أثره في تطور المدينة^(٢).

وبعد انحسار نفوذ البويهبيين سيطر السلاجقة على العراق ولم يذكر عنهم أنّهم اتخذوا موقفاً معادياً من كربلاء والحائر، بل إنهم محضوا كربلاء احترامهم. وكان أوّل من زار المدينة السلطان السلجوقي أبو الفتح جلال الدولة ملكشاه مع وزيره نظام الملك مع حاشية كبيرة سنة ٤٧٩ هـ - ١٠٨٧ م^(٣).

وفي سنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م أغارت قبيلة خفاجة على كربلاء بعد إغارتها على الحلة التي كان أميرها صدقة بن مزيد الملقب بـ (سيف الدولة) الذي لم يستطع أن يردهم أوّل الأمر. فقصدوا مشهد الإمام الحسين بن علي عليه السلام فعاثوا فيه الفساد والمنكر - من قتل الناس والاعتداء على النساء ونهب الأموال والاعتداء على

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٩، ص ٢٩٥. أي. جي. برل، دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٦٣٧. السيد عبد الحسين الكلیدار: تاريخ كربلاء المعلى، ص ١٤، المطبعة العلوية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج ١٠، ص ٢٧٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج ١٦، ص ٢٥٩. أي. جي. برل، دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٦٣٧.

الأماكن المقدسة - فوجه إليهم (صدقة) جيشاً فحاصروهم وقتل منهم خلقاً كثيراً في المشهد حتى عند الضريح^(١).

وفي سنة ٥١٣هـ - ١١٢٠م زار مدينة كربلاء الأمير ديبس بن صدقة بن مزيد أبو الأعز الأسدي، وكان شاعراً خلف أباه صدقة بن مزيد على إمارة الحلة ولم يكن على وفاق مع الخليفة العباسي المسترشد في سياسته^(٢). وقام الخليفة العباسي المسترشد سنة ٥٢٦هـ - ١١٣٢م بوضع يده على الخزائن من الأموال والمجوهرات العائدة لمرقد الإمام الحسين عليه السلام لحاجته إلى المال لصرفه على الجيش واكتفى بذلك دون أن يتعرض للمرقد بسوء^(٣).

وقد زار الخليفة العباسي المقتفي بالله كربلاء ومرقد الإمام الحسين عليه السلام سنة ٥٥٣هـ - ١١٥٨م وهو في طريقه لزيارة مدينة الأنبار بعد أن عبر نهر الفرات^(٤). وازدهرت مدينة كربلاء، وخاصة عمارة المراقد المقدسة، في أيام الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله سنة ٥٧٥ - ٦٢٢هـ وكان محباً لأهل البيت عليهم السلام وموالياً لهم بخلاف آبائه وأسلافه^(٥).

ثم تعرّضت كربلاء فيما بعد للإهمال والتقصير. وعندما استولى المغول على العراق سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م بقيادة هولاكو، كانت كربلاء ما تزال غارقة في الظلام، ترزح تحت وطأة الفقر والإهمال. وكانت مدن مثل البصرة والنجف والكوفة والحلة وواسط والموصل وكربلاء وغيرها قد أصبحت خاضعة للمغول بسقوط بغداد، ولذلك لم تتعرض للتدمير والنهب.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ١٠، ص ٢٦٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج ١٧، وج ١٨، ص ١٧٤.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٤٥، ص ٤٠١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج ١٧، وج ١٨، ص ١٢٥.

(٥) د. عبد الجواد الكلدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ص ١٨٣.

وفي سنة ٦٩٦هـ - ١٢٩٧م قدم العراق السلطان المغولي محمود غازان خان ماراً بالحلة والنجف، فتوجّه إلى كربلاء في زيارة للإمام الحسين عليه السلام وأمر للعلويين والمقيمين بهال كثير. وفي سنة ٦٩٨هـ - ١٢٩٩م قدم غازان مرةً أخرى لزيارة كربلاء والنجف ثم أمر بحفر قناة من نهر الفرات تصل إلى سهول كربلاء وسُمّي هذا النهر بـ (الغازاني الأعلى) تمييزاً للنهرين آخرين حفرهما غازان أيضاً في الحلة^(١). وقد خلف أولجايتو محمد خدابنده أخاه غازان سنة ٧٠٣هـ - ١٣٠٤م وحذا حذوه في اهتمامه بالمراقد المقدّسة ورعاية العلويين^(٢).

وأشار ابن بطوطة في رحلته إلى كربلاء سنة ٧٢٧هـ - ١٣٢٧م إلى مشهد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وقال عن كربلاء إنها: «مدينة صغيرة تحفّها حدائق النخيل ويسقيها ماء الفرات والروضة المقدّسة داخلها، وعليها مدرسة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر.

وعلى باب الروضة الحجاب والقومة، لا يدخل أحد إلا عن أذنهم. فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة، وعلى الضريح المقدّس قناديل الذهب والفضة، وعلى الأبواب ستائر الحرير.

وأهل هذه المدينة طائفتان: أولاد زحيك وأولاد فائز، وبينهما القتال أبداً، وهم جميعاً يرجعون إلى أب واحد، وبسبب فتنتهم تخربت هذه المدينة^(٣). وزار المدينة في نفس السنة تقريباً المؤرخ والعالم الجغرافي الشهير (حمد الله المستوفي) فوصف كربلاء بقوله: «وغربي الكوفة بشمانية فراسخ، في صحراء كربلاء مشهد

(١) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: ص ٣٧٦.

(٢) محمد حسن مصطفى الكليدار، مدينة الحسين عليه السلام: ص ٢٤.

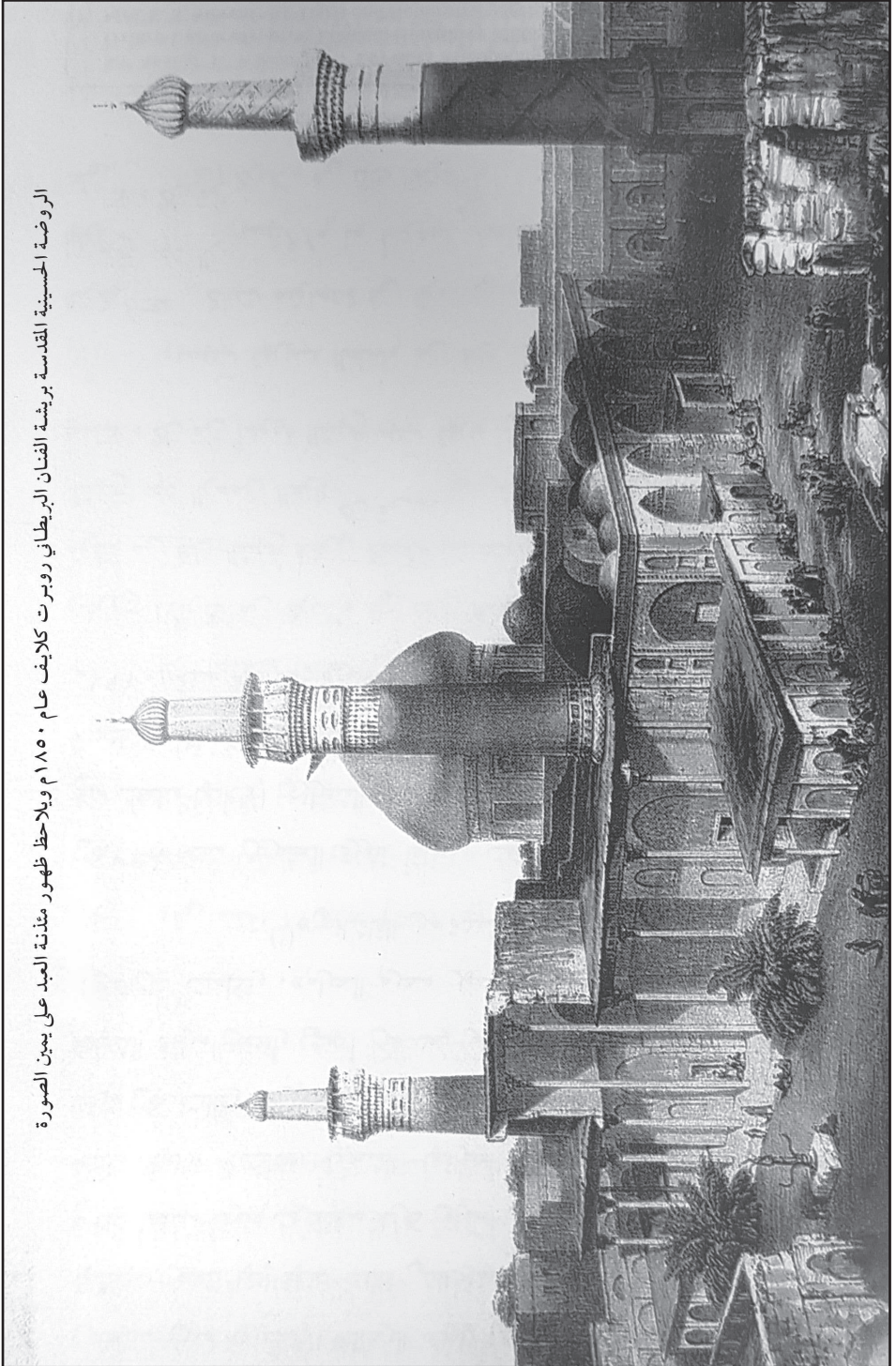
(٣) رحلة ابن بطوطة، شرح طلال حرب، ص ٢٣٣، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت،

الإمام الحسين عليه السلام المعروف بالمشهد الحائري»^(١).

لم تهدأ الأحوال السياسية في العراق في زمن الإيلخانيين، فكثرت الفتن والاضطرابات وقد مهّدت هذه الأوضاع الطريق للشيخ حسن الجلائري مؤسس الدولة الجلائرية التي كانت عاصمتها تبريز في إيران، للاستيلاء على بغداد سنة ٧٣٨هـ - ١٣٣٧م والقضاء على سلطة الإيلخانيين فيها. وبالرغم من قصر فترة السيادة الجلائرية فقد تميّزت بالاستقرار النسبي الذي ساعد على قيام نهضة عمرانية وعلمية وفنية في العراق، وخاصّة في المدن الدينية ومنها مدينة كربلاء.

وفي سنة ٧٦٧هـ - ١٣٦٦م قدم بغداد السلطان أويس الجلائري الذي أصبح سلطاناً على خراسان والعراق بعد أبيه الأمير الشيخ حسن الجلائري، ليخمد فتنة عبده الأمير مرجان الذي كان قد عينه والياً على العراق. وأراد (مرجان) هذا أن يستقل بالعراق ولذلك فإن السلطان أويس جهّز جيشاً لإخضاعه. وما إن اقترب من بغداد حتى هرب مرجان إلى كربلاء واستجار بحرم الإمام الحسين عليه السلام. وعندما علم السلطان أويس بذلك تيقّن من صدق مرجان في حبه لأهل بيت النبوة عليهم السلام فأحضره، وأكرمه، وعفا عنه، وأعادته والياً على العراق. وكان مرجان حينما استجار بالحرم الحسيني المطهر قد نذر مئذنة خاصة في الروضة الحسينية إن خرج ناجياً من هذه المحنة، ففعل ذلك وبنى حولها مسجداً. ثمّ أجرى لهما من أملاكه في كربلاء وبغداد وعين التمر والرحالية أوقافاً يصرف واردها على المسجد والمئذنة التي عرفت بـ (مئذنة العبد).

(١) أي. جي. برل، دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٦٣٧.



الروضة الحسينية المقدسة بريشة الفنان البريطاني روبرت كلايف عام ١٨٥٠م ويلاحظ ظهور منئذنة المبد على يمين الصورة

وعندما علم السلطان أويس بما قام به واليه على بغداد مرجان من تكريم وتعظيم لمرقد الإمام الحسين عليه السلام وجعل أمواله وأملاكه وقفاً عليه، أقدم هو الآخر على تجديد عمارة المرقد الشريف، وقام من بعده ابنه السلطان حسين والسلطان أحمد بهادر خان باستكمال البناء سنة ٧٨٦هـ - ١٣٨٤م، وهو البناء الذي ما زال هيكله موجوداً إلى الآن. وقد شيد أيضاً في هذه الفترة البهو الأمامي للروضة الحسينية المعروف بإيوان الذهب^(١).

قبل أن يستولي تيمورلنك على بغداد سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م ترك السلطان أحمد بهادر خان بغداد متوجهاً إلى كربلاء مع جيشه البالغ حوالي ألفي مقاتل. فقد أرسل تيمورلنك جيوشه تتعقب السلطان أحمد فدارت معركة شديدة بين الطرفين في سهول كربلاء، انهزم في آخرها السلطان أحمد وهرب إلى الشام ومنها إلى مصر محتتماً بسلطانها الملك الظاهر برقوق^(٢).

وفي سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٤م قام علي بن محمد بن فلاح الملقب بـ (المشعشي) الذي كان حاكماً على البصرة والأهواز والجزر القريبة منهما، بنهب المشهدين المقدسين في كربلاء والنجف، وقتل بعض أهلها وأخذ بعض الأسرى إلى البصرة^(٣).

وقام أوزون حسن سنة ٨٧٣هـ - ١٤٦٨م بتأسيس دولة التركمان آق قويونلي (الخروف الأبيض) التي خلفت دولة التركمان قره قويونلي (الخروف

(١) د. عبد الجواد الكلدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ص ١٨٨ - ١٨٩. موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي، ص ٢٦٦ - قسم كربلاء.

(٢) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: ج ٢، ص ٢٠٤ - ٢٠٥، ط ١، مطبعة النفيض الأهلية - بغداد، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م). د. طارق جواد الجنابي، حضارة العراق: ج ١٠، ص ٢٤٨، دار الحرية للطباعة - بغداد.

(٣) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: ج ٣، ص ١٤٤.

الأُسود)، وحكمت لمدة (٤٢) سنة في أطراف إيران والعراق، وتعاقب على حكمها ثمانية سلاطين، وإذا كانت هذه الدولة لم تستطع أن تقدّم خدمات مهمّة للعتبات المقدّسة في كربلاء وسواها؛ وذلك لانشغالها بالحروب والمنازعات الشديدة التي كانت تقع بينها وبين العثمانيين وأحياناً مع الصفويين، فيكفيها أنّها حفظت للعتبات المقدّسة أمنها وسلامتها ومنعت وقوع أي اعتداء عليها خلال حكمها الذي انتهى على يد الشاه إسماعيل الصفوي سنة ٩١٤هـ - ١٥٠٨م^(١).

رابعاً: تاريخ كربلاء خلال الحكمين الصفوي والعثماني للعراق:

بعد أن تم للشاه إسماعيل الصفوي تأسيس الدولة الصفوية في إيران سنة ٩٠٦هـ - ١٥٠١م، أرسل جيشاً كبيراً بقيادة لاله حسين للسيطرة على بغداد. وبعد أن تمّ له ذلك سنة ٩١٤هـ - ١٥٠٨م وقضى على دولة الخروف الأبيض (آق قويونلي) أصبح العراق تابعاً للدولة الصفوية، فدخل بذلك مرحلة تاريخية جديدة. وفي السنة نفسها قدم الشاه إسماعيل الصفوي بغداد، وفي اليوم الثاني من مجيئه قام بزيارة كربلاء، فأولى المراقدة المقدّسة في هذه المدينة جلّ اهتمامه ورعايته. فأنعم على مجاوري الروضة الحسينية بالمال والهدايا، وكانت السنين التي حكم بها الشاه إسماعيل الصفوي العراق سنين ازدهار وهدوء وخاصّة المدن المقدّسة^(٢).

وفي سنة ٩٣٠هـ - ١٥٢٤م توفي الشاه إسماعيل الصفوي فخلفه ابنه طهماسب الأول. وكان العراق آنذاك قد أصبح خاضعاً للعثمانيين الذين

(١) د. طارق جواد الجنابي، حضارة العراق: ج ١٠، ص ٢٤٨. د. صالح محمد العابد، حضارة العراق: ج ١٠، ص ١٤-١٥. مستر ستيفن لونجريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ص ١٦.

(٢) عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً: ص ١٣٠، ط ٢، مطبعة العرفان، صيدا - لبنان، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

استولوا عليه، فأرسل طهماسب جيشاً حاصر بغداد سنة ٩٣٦هـ - ١٥٣٠م وحاصر القلعة التي تحصّن بها حاكم بغداد ذو الفقار. واستطاع طهماسب أن يفتح القلعة وأن يقتل حاكم بغداد، وبعد أن سيطر طهماسب على بغداد والعراق قام بزيارة المراقد المقدّسة في كربلاء^(١).

وسرعان ما بدأ التنافس بين الصفويين والعثمانيين للسيطرة على العراق. وبعد اعتلاء العرش من قبل السلطان العثماني سليم ٩١٨هـ - ١٥١٢م تمت السيطرة على العراق على يد ابنه السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١هـ - ١٥٣٥م. ولقد بذل هذا السلطان ما بوسعه لاستمالة سكان مدن العتبات المقدّسة إليه وكسب ودّهم، وقرّر أن يفعل في المدن المقدّسة أكثر ممّا فعله الشاه إسماعيل الصفوي وطهماسب، وخاصّة بالنسبة إلى مدينة كربلاء، فأنقذ هذه المدينة من خطر الغرق وذلك بإنشاء سد ما زال يعرف بـ (رؤف السليمانية). وأمر بشقّ نهر يروي أراضي مدينة كربلاء سنة ٩٤١هـ - ١٥٣٥م سمّي بـ (النهر السليمانى) نسبة إلى السلطان سليمان، ويسمّى حالياً بـ (نهر الحسينية) الذي ما زالت مياهه تروي مدينة كربلاء^(٢).

وينقسم هذا النهر عند دخوله المدينة إلى فرعين: الأوّل يسير باتجاه الشمال الغربي من المدينة ويسمّى بـ (الرشيدية)، والثاني يسير باتجاه جنوب مدينة كربلاء ويسمّى بـ (الهنيدية).

وفي سنة ٩٨٠هـ - ١٥٧٣م استطاع الشاه طهماسب الأوّل بن إسماعيل

(١) د. صالح محمد العابد، حضارة العراق: ج ١٠، ص ١٦، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥م. محمد باقر مدرس، شهر حسين ﷺ: ص ٣٠٤.

(٢) أي. جي. برل، دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٦٣٨. مستر ستيفن لونجريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ص ٢٥، جامعة أوكسفورد ١٩٢٥م.

الصفوي أن يسيطر على بغداد من جديد، بعد أن كان العثمانيون قد سيطروا عليها. وبعد أن عقد مع الدولة العثمانية معاهدة صلح قام للمرة الثانية بزيارة كربلاء والمراقد المقدسة فيها، وأمر في هذه الزيارة بالاهتمام بالمدينة والمرقد الحسيني الشريف^(١).

وفي سنة ٩٨٤ هـ - ١٥٧٦ م توفيّ الشاه طهماسب وتولّى الحكم ابنه إسماعيل الصفوي الثاني إثر اغتيال أخيه حيدر ميرزا في نفس العام. وأمر بالاهتمام بمدينة كربلاء وبمرقد الإمام الحسين عليه السلام^(٢).

سيطر العثمانيون بعدئذٍ على العراق. وتذكر بعض المصادر التاريخية أن الوالي العثماني على بغداد علي باشا الوند زادة من قبل السلطان العثماني مراد الثالث قام سنة ٩٨٤ هـ - ١٥٧٦ م بتعمير مرقد الإمام الحسين عليه السلام^(٣).

وفي ٢٥ أيلول ١٦٠٤ م وصل إلى كربلاء الرحالة البرتغالي المعروف (بيدرو تكسيرا) وتكمن أهمية هذه الرحلة في أنّها مبكرة جداً وتحدث عن أحوال كربلاء في القرن السابع عشر الميلادي بمختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية.

ويصف تكسيرا سكان هذه المدينة بأنهم من العرب والإيرانيين وقليل من الأتراك. وبعضهم كان من بقايا الذين جاءوا لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام واستوطنوا المدينة، وقسم آخر خلفتهم الحروب التي اندلعت بين الصفويين والعثمانيين، ممن لاذ بأمان المرقد وسلام المدينة المقدسة.

(١) محمد باقر مدرس، شهر حسين عليه السلام: ص ٣٠٥.

(٢) سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء: ص ٤٤.

(٣) مرتضى نظمي زادة، گلشن خلفا: ترجمة موسى كاظم نورس، ص ٢٠٨، مطبعة الآداب - النجف، ١٩٧١ م.

وأسواق هذه المدينة مبنية بناءً محكمًا وهي مملأى بالموءن والبضائع التجارية. وعندما يتطرق إلى الروضة الحسينية يقول: إن المسلمين يتوافدون لزيارتها من جميع الأنحاء. ويتحدث تكسيرا عن الفوضى التي كانت تضرب أطناها في كربلاء والنجف تحت حكم الأمير ناصر المهنا الذي كان يعتبر نفسه سلطاناً^(١).

والجدير بالذكر أن هذا الأمير هو شيخ قبيلة آل مهنا، وهي من عشائر جشعم العربية. وكان قد قام في سنة ١٠١٣هـ - ١٦٠٤م بغزو مدينة كربلاء وبسط زعامته عليها، وقد انتهت هذه الزعامة إثر السيطرة على العراق من قبل الشاه عباس الكبير الصفوي سنة ١٠٣٢هـ - ١٦٢٣م^(٢).

وكان الشاه عباس الكبير قد توجه بعد سيطرته على بغداد سنة ١٠٣٢هـ - ١٦٢٣م، لزيارة كربلاء وزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام. ثمَّ توجه عن طريق الحلة إلى النجف الأشرف لزيارة مشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣). وبعد وفاة الشاه عباس سنة ١٠٣٨هـ - ١٦٢٩م خلفه الشاه صفي الدين الأول حفيد الشاه طهماسب.

واستطاع السلطان العثماني مراد الرابع بعد حصاره بغداد في نفس السنة أن يستولي عليها وعلى العراق. وكان هذا السلطان سفاكاً للدماء وقام بمجزرة قتل خلالها زهاء ثلاثين ألف شيعي^(٤)، ممَّا حمل الشاه صفي الدين الأول على أن يسترجع العراق من العثمانيين سنة ١٠٤٢هـ - ١٦٣٣م.

(1) the travels of pedrs teixeeira, second series, no. ix - p.xxii, p.p. 51, 52, 53.

(٢) سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء: ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٣) أي. جي. برل، دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٦٣٧. محمد حسن مصطفى الكليدار، مدينة الحسين عليه السلام: ص ٣٧-٣٨.

(٤) ستيفن لونغيريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ص ٧٤. محمد باقر مدرس، شهر حسين عليه السلام، ص ٣١٧.

وقد قام في هذه السنة بزيارة كربلاء وبذل الكثير من الأموال من أجل ذلك... لكن العثمانيين عادوا من جديد إلى العراق فسيطروا عليه وقتلوا خلال ذلك في معركة واحدة ألفي جندي إيراني ممن يسمّون بـ (قزلباش) - وهي كلمة تركية تعني أصحاب الرؤوس الحمراء، أو العمام الحمراء، وهم نخبة من الجيش الذي أسّسه الصفويون - وكان ذلك في سنة ١٠٤٨هـ - ١٦٣٨م^(١).

وعندما بلغ الشاه صفي الدين هذا الخبر الذي أثاره كثيراً، جهّز جيشاً وحاصر بغداد واستولى على العراق من جديد، وقام بزيارة كربلاء والمراقدة المقدّسة فيها وأنعم على فقراء المدينة بالأموال والهبات الكثيرة^(٢).

وعاد العثمانيون إلى العراق مرةً أخرى. وتم تعيين الوزير قبلان مصطفى باشا والياً على بغداد، ولكن لم يُعرف عن هذا الوالي سوى أنّه في مطلع سنة ١٠٨٨هـ - ١٦٧٧م زار كربلاء وأنعم على القائمين على خدمة مرقد الإمام الحسين عليه السلام^(٣).

أمّا الوالي العثماني على بغداد الوزير حسن باشا، فقد قام بإصلاحات يمكن القول بسببها أن العراق دخل في عهده مرحلة جديدة. ولقد قام بزيارة مشهد الإمام الحسين عليه السلام سنة ١١١٦هـ - ١٧٠٤م وأجزل العطاء على القائمين على الحرم وعلى الفقراء. ثمّ زار كربلاء مرةً أخرى سنة ١١٢٧هـ - ١٧١٥م وأمر بتعمير الطارمة الحسينية، وبنى في كربلاء خان الباشا الذي كان يقع مقابل (باب

(١) مرتضى نظمي زادة، گلشن خلفا: ترجمة موسى كاظم نورس، ص ٢٣٣.

(٢) السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، ص ٧٣، مطبعة الإرشاد - بغداد. محمد باقر مدرّس، شهر حسين عليه السلام: ص ٣١٨.

(٣) مرتضى نظمي زادة، گلشن خلفا: ترجمة موسى كاظم نورس، ص ٢٨٢. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: ج ٥، ص ١١٣، شركة التجارة والطباعة المحدودة - بغداد، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

الرجاء) أحد أبواب الروضة الحسينية^(١).

وفي سنة ١١٣٨ هـ - ١٧٢٦ م استطاع نادر شاه الأفشاري أن يقضي على الدولة الصفوية ويتسّم عرش إيران ويمد نفوذه إلى العراق، حيث سيطر عليه بعد أن قام بحصار بغداد، ثمّ توجه لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ومرقد الإمام علي عليه السلام في النجف. وقامت زوجته وهي كريمة الشاه سلطان حسين الصفوي بإنفاق أموال كثيرة لتعمير الحائر الحسيني سنة ١١٥٣ هـ - ١٧٤٠ م^(٢).

وزار نادر شاه الأفشاري كربلاء مرة أخرى سنة ١١٥٦ هـ - ١٧٤٣ م مع وزرائه وعساكره. وقد أولى مرقد الإمام الحسين عليه السلام والمراقد الأخرى في المدينة عنايته وساهم في تحسين المدينة^(٣).

ويقدم لنا الرحالة الألماني كارستن نيبور الذي وصل كربلاء يوم ٢٧ كانون الأوّل سنة ١٧٦٥ م، ضمن الرحلة الدنماركية، وصفاً ممتعاً عن المدينة. فقد ذكر كثرة النخيل في كربلاء، ويقول إن: عدد سكانها يفوق عدد سكان النجف، ويتحدّث عن سور كان يحيط بكربلاء له خمسة أبواب، ولكن خلال زيارته وجده مهتدماً.

ويتحدّث نيبور مبهوراً بالروضة الحسينية التي تتألف من الحضرة والصحن (الفناء المكشوف) الذي يحيط بالحضرة التي كانت تشع منها الأنوار ومضاءة

(١) عباس العزاوي، المصدر السابق:، ص ١٦٤، ١٩٣. گلشن خلفا: المصدر السابق، ص ٣١٨.

(٢) محمد حسن مصطفى الكليدار، مدينة الحسين عليه السلام: ص ٣٨. محمد باقر مدرس، شهر حسين: ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٣) جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ص ٢٢٣، ط ٢، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: ص ٧٣.

كلها في منظر فريد أخذ لكثرة الشبايبك الزجاجية التي كانت موجودة فيها. ويذكر أيضاً أن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام قد شيد له مرقد وجامع كبير تقديراً لبطولته التي أبداها في يوم عاشوراء سنة ٦١هـ - ٦٨٠م، وذكر كذلك مبنى المخيم الذي كان في تلك الفترة حسب ما يصفه حديقة واسعة الأرجاء في نهاية البلدة^(١).

وفي سنة ١٢١٦هـ - ١٨٠١م انتشر خبر اقتراب الوهابيين من كربلاء بقيادة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بجيش يقارب الستمائة همجان وأربعمائة فارس، عندما كان معظم سكان مدينة كربلاء في النجف يقومون بالزيارة. فسارع من بقي في المدينة لإغلاق الأبواب. غير أن الوهابيين نزلوا فنصبوا خيامهم وقسموا قواتهم إلى ثلاثة أقسام، وهاجموا أقرب باب من أبواب المدينة فتمكّنوا من فتحه ودخلوا البلدة فدهش السكان وأصبحوا يفرون بكلّ الاتجاهات خوفاً، أمّا الوهابيون فقد شقّوا طريقهم إلى الأضرحة المقدّسة وأخذوا يخربونها فاقتلعوا القضبان المعدنية والسيّاح والمرايا ونهبوا النفائس والأشياء الثمينة من هدايا الأمراء والملوك والسلاطين.

وكذلك سلبوا زخارف الجدران وقلعوا ذهب السقوف وقتلوا بالقرب من الضريح حوالي خمسين شخصاً وخسمائة شخص خارج الضريح في صحن المرقد. أمّا مدينة كربلاء نفسها فقد عاث الغزاة فيها فساداً وتخريباً، وقتلوا من دون رحمة جميع من صادفوه كما سرقوا البيوت والأسواق، ولم يرحموا أحداً لا الشيخ ولا الطفل، ولم يحترموا النساء ولا الرجال، فلم يسلم من في المدينة من وحشيتهم. ولقد قدّر بعضهم عدد القتلى بألف نسمة وقدّروا آخرون بخمسة

(1) Niebuhr, carsten: voyage en arbaie et en d'autre pays circonvoisins (amsterdam 1776).

آلاف^(١).

وفي أوائل القرن التاسع عشر الميلادي زار كربلاء يمين الدولة علي خان الحاكم السادس من ملوك مملكة أودة في الهند الذي حكم ما بين ١٢١٣-١٢٢٩ هـ (١٧٩٨-١٨١٤ م) فأشفق على حالتها، وبنى فيها أسواقاً حسنة وبيوتاً قوراء، أسكنها بعض من نكبوا، وبنى للمدينة سوراً حصيناً وأقام حوله الأبراج والمعازل، فأمنت على نفسها وعاد إليها بعض الرقي والتقدم^(٢).

وفي سنة ١٢١٧ هـ-١٨٠٢ م زار مدينة كربلاء الرحالة الهندي أبو طالب خان والتقى بعمته التي كانت تسكن بجوار مرقد الإمام الحسين عليه السلام، فوصفت له أحداث غزو الوهابيين بتفاصيلها. فذكر في رحلته ما حلّ بالروضتين عند الغزو. كما ورد لدى وصفه للصحن الحسيني الشريف قوله: «وفي وسط الصحن مقام إبراهيم المجاب» ممّا يدل على أن مرقد إبراهيم لم يكن ضمن الرواق الحسيني حتى ذلك الحين^(٣).

بدأت الدولة العثمانية تنهار فاستقل كل والٍ بولايته ومنهم والي العراق داود باشا الذي دعا الناس لبيعته، فخضعت مدن العراق جميعها لطاعته ما عدا الحلة وكربلاء، فأرسل جيشاً كبيراً فدخل الحلة ثم توجه إلى كربلاء سنة

(١) أي. جي. برل، دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٦٣٨. ستيفن لونغيرك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ص ٢١٧. كيفن يونك، العراق بلاد ما بين النهرين: ص ١٢٣، كولنيز - لندن، ١٩٨٠ م.

(٢) السيد عبد الحسين الكلدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: ص ٤٠. د. عبد الجواد الكلدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ص ٢٣٨. محمد صادق الكرباسي، دائرة المعارف الحسينية، تاريخ المراقدة: ج ٢، تحت الطبع.

(٣) سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء: المصدر السابق، ص ٣٧١. السيد عبد الحسين الكلدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: المصدر السابق، ص ١٧٩.

١٢٤١هـ - ١٨٢٦م فلم يستطع دخولها؛ لأنّها كانت محصّنة بسور محكم متين البنيان، وحاول مراراً فلم يفلح وقد حاصرها أربع سنوات من سنة ١٢٤١ - ١٢٤٥هـ (١٨٢٦ - ١٨٣٠م) ومع ذلك بقيت المدينة صامدة، فقام بقطع الماء والمؤونة عنها، فاضطر سكان المدينة إلى إبرام معاهدة صلح فيما بينهم وبين الوالي داود باشا. وبذلك سلمت المدينة والمراقد المقدّسة من الهدم والدمار، وسمّيت هذه الواقعة بواقعة المناخور^(١).

بعد تولي الوالي العثماني نجيب باشا الحكم في بغداد سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م لم تكن كربلاء خاضعة للسلطة العثمانية. لذلك جهّز جيشاً أوائل عام ١٨٤٣م لفرض سيطرة الحكومة العثمانية على مدينة كربلاء. وبعد حصار للمدينة دام خمسة وعشرين يوماً استطاعت قوات نجيب باشا، بعد قصفها لسور المدينة بالمدافع، من إحداث ثغرة واسعة فيه. وعند ذلك دارت معركة حامية اشتركت فيها - إلى جانب أهالي كربلاء - قوّة من بعض العشائر المحيطة بالمدينة. لكن الجيش العثماني تغلّب في النهاية ودخلت قواته إلى المدينة. فقامت هذه القوات بقتل المئات من الذين استجاروا بمرقد العباس عليه السلام وتقذّر بعض الروايات أن عدد القتلى بلغ أربعة آلاف نسمة من المدافعين عن المدينة^(٢).

وفي سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م) زار كربلاء عالم الآثار الإنكليزي لوفتس، وقد أبدى إعجابه بمدخل كربلاء قائلاً: «إنه أكثر جمالاً من مدخل النجف لوجود غابة كثيفة من أشجار النخيل والبساتين حول المدينة». ويقول: «إن

(١) السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: ص ٤١. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء: ص ٣٧٣.

(٢) ستيفن لونغريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ص ٢٨٨. أي. جي. برل، دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٦٣٨. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة: ج ٢ من قسم كربلاء، ص ٢٧٦ - ٢٧٩.

الأبنية الكثيرة المشيّدة خارج أسوار المدينة توحى بالأمان من خطر القبائل البدوية». ويشير إلى وجود كور في ضواحي كربلاء لصنع الطابوق (الآجر) ويقول إنه يشابه طابوق بابل في شكله وحجمه».

ويتحدث لوفتس عن الروضة الحسينية قائلاً: «إنها كثيرة الشبه في تصميمها بمشهد الإمام علي عليه السلام وإن قبة الحسين عليه السلام وحدها هي المكسوة بالذهب في كربلاء، وإن إحدى المآذن الثلاث تبدو متداعية وتوشك على السقوط (على ما يبدو كان يتكلم عن مئذنة العبد)».

ويذكر أيضاً أن قبة مرقد العباس عليه السلام كانت مكسوة بالبلاط المزجج (القاشاني) الأزرق المعتم، ويقول: إن أسواق كربلاء كانت ممتلئة بالبضائع والسلع. ويذكر لوفتس ما حدث بعد واقعة نجيب باشا لكربلاء أن الكثير من الدور المقابلة للسراي قد تهدمت ولم يتم ترميمها أو بناؤها من جديد^(١).

وزار المستر جون أشر، عضو الجمعية الجغرافية الملكية في لندن، كربلاء سنة ١٢٨١هـ - ١٨٦٤م، وأبدى إعجابه بمدخل كربلاء الذي تقع على جانبيه البساتين الجميلة بمحاذاة نهر الحسينية. ويستطرد جون أشر في وصفه لكربلاء قائلاً: «إنها كانت تتميز بحركتها ونشاطها الملموس وإن أسواقها كانت مزدحمة بالزوار».

وإنه لم يجد فيها ما وجده في سواها من علامات الركود والانحطاط خلال رحلته. ويشير إلى وجود عدد من مسلمي الهند في كربلاء ومشاهدته لزوار قادمين من إيران وأفغانستان، ويصف أيضاً قبة مرقد الحسين عليه السلام والمآذن المذهبة، والجدران والأفاريز المزينة بالقاشاني الجميل. ويقول عن مرقد العباس عليه السلام إنه

(1) Travels and researches in chaldaea and susiana, by william kennett loftus, f.g.s. - pages: 59, 60, 61, 64, 65, london, james nisbet and co.

كثير الشبه بمرقد الحسين عليه السلام ^(١).

وزار مدينة كربلاء سنة ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م والي بغداد العثماني مدحت باشا وأقام خمسة أيام فيها، وبعد أن شعر بأن المدينة لا تتسع لأهلها والوافدين إليها، قرّر توسيع المدينة من الناحية الجنوبية الغربية فسمّيت المنطقة بمحلّة العباسية ^(٢).

وفي سنة ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م زار ناصر الدين شاه القاجاري حفيد فتح علي شاه العتبات المقدّسة في كربلاء بدعوة رسمية من الحكومة العثمانية، فأنعم على المجاورين للروضة الحسينية بالهدايا واهتم بالمرقد الشريف. كما تبرّعت زوجته السيدة أنيس الدولة بضريح فضي لقبر الشهداء في الروضة الحسينية والذي لا يزال موجوداً إلى الآن ^(٣).

وفي سنة ١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م قام محمد علي شاه - ملك أود سلطان الهند - بزيارة مدينة كربلاء وزيارة مرقد الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام ^(٤).

وزارت الرّحالة المعروفة مدام ديولافوا الفرنسية مع زوجها كربلاء سنة ١٢٩٩هـ - ١٨٨١م، وأشادت بالمدينة ومعاهدها العلمية الدينية وقالت: «إنها مدينة تعد من مراكز الشيعة المهمة، وهي عبارة عن جامعة دينية كبيرة تضم عدداً من المدارس الدينية الكبيرة التي يقصدها طلبة العلم من أنحاء العالم

(1) John ussher, f.r.g.s.: a journey from london to persepolis, including wanerings in daghestan, georgia, armenia, kurdistan, mesopotamia, and persia, pages: 454, 457, 458, 460. london 1865.

(٢) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة - قسم كربلاء: ص ١٣٢.

(٣) د. عبد الجواد الكلدار: تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٤) السيد عبد الحسين الكلدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: ص ٧٧.

الإسلامي كافة فيقضون معظم سني حياتهم فيها»^(١).

وفي سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م قام جون بيزرز رئيس بعثة بنسلفانيا للتنقيب عن الآثار القديمة، في نفر (منطقة عفج) في العراق بزيارة كربلاء، وكتب عنها قائلاً: «إنها تقع على حافة سهل رسوبي خصب يتصل بصحراء الجزيرة العربية. ويبلغ عدد نفوسها حوالي ستين ألف نسمة وإنها بلدة تبدو عليها مظاهر الازدهار». أمّا القسم الجديد من هذه المدينة الذي أنشئ حديثاً خارج السور القديم فيتميز بشوارع واسعة وأرصعة منتظمة بحيث تبدو ولها مظهر أوروبي. ومع أن معظم أسوارها القديمة مهدمة إلا أن أبوابها كانت ما تزال قائمة^(٢).

وفي سنة ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م زارت المس غيرترود بيل (Gertrude Bell) المستشرقة والرحالة البريطانية المشهورة التي عيّنت فيما بعد سكرتيرة لدار الاعتماد البريطاني في بغداد، مدينة كربلاء، حيث مكثت فيها اثني عشر يوماً. وتذكر أن كربلاء بلدة عريقة في التقاليد الشرقية المتصلة بالأماكن المقدسة، وقد نشأت حول جامع الحسين عليه السلام الذي يضم الضريح المطهر في داخله، ولقد أصبحت المدينة بالنسبة للمسلمين مزاراً يزورونها باستمرار^(٣).

وفي سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م زار عمانوئيل فتح الله عمانوئيل (وهو أديب ورحالة وباحث بغدادي معروف) مدينة كربلاء وأبدى إعجابه بها، ولاسيما (كربلاء الجديدة) وقال عنها: إن طرقها مُنارة كلها بوساطة القناديل والمصابيح

(١) جعفر الخليلي، المصدر السابق: ص ٣٠١، ٣٠٥ - قسم كربلاء.

Madame j. dieulafoy-la porse; la chaldeé, et la susiane (paris 1887).

(2) John punnett peters: nippur or explorations and adventures on the euphrates 1880 - 1890, page: 331, volume II - second compaign 1897.

(3) Bell gertrude: amurath to amurath, page: 10, second edition, macmillan and co. ltd. - london 1924.

ذات الزيت الحجري. أمّا القسم القديم منها، ضيق الشوارع والأزقة والأسواق. وأورد عن كربلاء أن ثروتها واسعة وتجارها فائقة، وزراعتها متقدمة وصناعتها رائجة شهيرة. وفي كربلاء مستشفى عسكري ودار حكومة (سراي) وثكنة للجند وصيدلية وحمامات كثيرة، ودار برق وبريد، وبلدية وقيساريات عديدة، وفيها قنصلية إنكليزية، ويبلغ عدد سكان المدينة نحو (١٠٥) ألف نسمة. أمّا التقسيم الإداري للواء كربلاء، فإنه مقسّم إلى ثلاثة أقضية وهي: مركز قضاء كربلاء، ومركز قضاء الهندية، ومركز قضاء النجف، وإلى سبع نواحٍ وهي ثلاث منها في مركز القضاء وأسماءها: المسيب، والرحالية، وشثاء، وواحدة في الهندية وهي: الكفل، وثلاث في النجف وهي: الكوفة، والرحبة، والناحية^(١).

وفي سنة ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م ثارت مدينة كربلاء بأهاليها وزائريها على الحكومة العثمانية وهدموا مراكزها، فوقع بينهم قتال وانتصر الأهالي في هذه المعركة، وقد دُمّرت الكثير من البيوت وتصدّع الكثير من المباني في المدينة بما فيها الروضتان^(٢).

إثر احتلال بغداد من قبل الإنكليز في ١١ آذار ١٩١٧م وخروج الأتراك من كربلاء في نفس الفترة، تمّ تصريف شؤون إدارة المدينة مؤقتاً من قبل الشيخ فخري كمونة يساعده أخوه الشيخ محمد علي... وتولّى الشيخ عبد الرحمن العوّد مسؤولية تصريف شؤون أمن المدينة والحفاظ عليها، يساعده كلّ من أخويه الشيخ عبد الكريم والشيخ عبد الجليل.

(١) عمانوئيل فتح الله عمانوئيل، مجلّة لغة العرب: ج ٥، ص ١٥٦-١٦٠، ١٣٢٩هـ - ١٩١١م.

(٢) عبد الحسين الكلدار، تاريخ كربلاء المعلن: ص ٢٨-٢٩، المطبعة العلوية - النجف، سنة

وبسبب تهريب الطعام من قبل الأخوين آل كمونة لتموين الجيوش التركية التي كانت متواجدة في الرمادي وعانة غضب عليهم الإنكليز. وفي أيلول ١٩١٧م تم أسرهما وإبعادهما إلى الهند. وبذلك تم القضاء على (استقلال) كربلاء في تلك الفترة^(١).

وفي سنة (١٣٣٧هـ - ١٩١٩) زارت الرحالة الإنكليزية مس ستيفنس كربلاء وأبدت إعجابها بأبنية هذه المدينة التي قالت عنها: إنها تتميز بجمالها الرائع وألوانها وزخارفها، وتحدثت عن أسواق كربلاء فذكرت سوقاً مسقفاً يبتاع منها الناس سلعهم، وتكلمت عن أسواقها الشعبية فقالت: «إنها مليئة بالخضروات والفواكه وأنواع التمور إلى جانب اللوز والجوز». وقالت عن مرقد الإمام الحسين (عليه السلام): «إنه تعلوه قبة ذهبية وهو يُعد من أغنى وأقدس مراقد الشيعة في العالم، وأهم مواسم زيارته هو في شهر محرم الحرام». وتكلمت عن مرقد العباس (عليه السلام) فقالت: «إنه يقوم تحت قبة مشيدة من القاشاني»^(٢).

وبالرغم من أن كربلاء كانت منطلقاً لثورة العشرين سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م بقيادة المرجع الديني الكبير محمد تقي الشيرازي إلا أنها سلمت مع المراقد المقدسة فيها من التعرض لأي سوء. وكانت مدينتا كربلاء المقدسة والنجف الأشرف قد أسهمتا إسهاماً كبيراً في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠م، وفي تأسيس الدولة العراقية سنة ١٩٢١م.

(١) د. وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠: ص ٣٤٣، المكتبة العالمية - بغداد، ١٩٨٥م.
Sir Arnold t. wilson mp.: loyalties mesopotamia 1914-1917, page: 257- 258, volume 1, Oxford university, press london, humphrey milford.

(2) Mrs. e. s. Stevens: by tigris and euphrates, pages: 39-42, london 1923.



شارع الإمام العباس عليه السلام في كربلاء المقدسة عام ١٩٣٠م
يظهر في الصورة أحد الربلات التي كانت منتشرة في كربلاء في تلك الفترة، حاملاً معه ما يستطيع
حملة من الركاب، يتنقلون به من منطقة إلى أخرى ومن شارع إلى آخر، داخل المدينة أو حتى
خارجها.. من الميسورين مَنْ كان يستخدم الرّبل عند زفاف أولادهم أو بناتهم بعد أن يتم
الاتفاق على أجرة الرّبل والتي لا تتجاوز في كثير من الأحيان الدينار الواحد

خامساً: تاريخ كربلاء منذ تأسيس الدولة العراقية سنة ١٩٢١م:

كان لكربلاء دور بارز في ثورة العراق والمطالبة بحريته واستقلاله سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م؛ وذلك لأن المرجع الديني الأكبر الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي أثر الإقامة في كربلاء لقيادة الحركة المناهضة لسلطة الاحتلال^(١). وبذلك أصبحت هذه المدينة المقدسة العاصمة لحكومة الثورة التي امتدت سلطتها إلى جميع المدن والقصبات والأرياف في عموم مناطق الفرات الأوسط. وفي غمرة الأحداث التي تطوّرت نتيجة استياء الشعب من سلطة الاحتلال البريطاني رأت الحكومة البريطانية أن تمتص غضب المعارضين، فأصدرت لهذا الغرض أوامرها لوكيل الحاكم الملكي العام في بغداد ليقوم بالتعرّف على آراء العراقيين في شكل الحكم الذي يريدونه، وذلك بإجراء استفتاء عام^(٢). وحاولت سلطة الاحتلال أن تُجري الاستفتاء طبقاً لرغبتها. ولكنها فشلت في المدن المقدسة ولاسيما كربلاء، نتيجة الفتوى الشهيرة التي أصدرها المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي وتأييد العلماء المجتهدين في كربلاء والنجف والكاظمية لها، والتي نصّت على أنّه: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين»^(٣).

وأخذ جمع كبير من علماء الدين وزعماء العشائر يؤمّون هذه المدينة لتلقي التعليمات والأوامر من القيادة الدينية وتدارس الوضع في العراق، وكانت

(١) عبد الرزاق آل وهاب، كربلاء في التاريخ: ص ٢٤، مطبعة الشعب، بغداد ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م.

(٢) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة - قسم كربلاء، ج ٢، ص ٣٣٥-٣٣٦. السير آر نولد ويلسون، ولاء سكان بلاد ما بين النهرين ١٩١٧-١٩٢٠: ج ١١، ص ١٠٨، طباعة جامعة أوكسفورد، لندن، همفري ميلفورد.

(٣) د. وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠: ص ٣٠٨، المكتبة العالمية - بغداد، ١٩٨٥م. غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢٠: ص ٣٥٥.

الاجتماعات تعقد لهذا الغرض، وعقد أحد الاجتماعات السرية في دار المرجع الديني الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي لتداول أمر الثورة، ممّا كان له أثره البعيد في اتساع نطاقها واستمرارها في أكثر المدن العراقية^(١).

ولكن بعد بضعة أشهر، بدأت الثورة تحمّد رويداً رويداً لأسباب عديدة من أهمها: وفاة المرجع الديني الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي في ١٤ آب ١٩٢٠م وقيام سلطة الاحتلال بمناشدة الثوار التفاوض معها، ممّا أدّى إلى اختلاف في وجهات النظر. وحدث في هذا الوقت بالذات أمر خطير آخر وهو أن الذخيرة بدأت تنفذ، ممّا كان له أثره البعيد في إضعاف الثورة ثمّ توقف القتال^(٢).

ولم تجد سلطة الاحتلال بُدّاً تحت تأثير وضغط الجماهير المطالبين باستقلال العراق من ترشيح الأمير فيصل بن الحسين شريف مكة المكرمة لعرش العراق. وقد حملته طرادة بريطانية إلى البصرة فوصل إليها في ٢٣ حزيران ١٩٢١م، ومنها تحرّك بوساطة القطار فنزل مدينة الحلة ومنها ذهب إلى الكوفة والنجف. وفي صباح ٢٧ حزيران ١٩٢١م توجه الأمير فيصل وحاشيته من مدينة النجف إلى كربلاء، ولم يكن في استقباله علماء الدين البارزون، وقد قضى يوماً واحداً في كربلاء زار فيه مرقدي الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام.

وفي صباح ٢٨ حزيران ١٩٢١م غادر كربلاء إلى بغداد وبعد ثلاثة أسابيع من وصوله نادى به مجلس وزراء الحكومة المؤقتة التي كانت برئاسة عبد الرحمن النقيب ملكاً على العراق بالإجماع^(٣).

(١) خالد عبد المنعم، موسوعة العراق الحديث: ج ١، ص ١٨٩، ط ١، الدار العربية للموسوعات - بغداد، ١٩٧٧م.

(٢) د. وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(٣) جبر الددي گوري، ثلاثة ملوك في بغداد ١٩٢١-١٩٥٨: ص ٤٤. عبد الرزاق الحسيني، تاريخ

وفي ١١ آذار سنة ١٩٢٢م، أي: بعد حوالي ٧ أشهر من تتويج الملك فيصل ملكاً على العراق، أغارت قوة كبيرة من الوهابيين على بعض العشائر في الناصرية جنوب العراق فقتلت حوالي سبعمائة شخص ونهبت الكثير من البيوت ودمرتها.

وعلى أثر ذلك دعا علماء الدين الشيعة إلى عقد مؤتمر في كربلاء المقدسة في نيسان ١٩٢٢م، وبمناسبة زيارة النصف من شعبان، للاحتجاج على غارات الوهابيين. وقد صدرت عن المؤتمر مقررات أهمها المطالبة بالجلء البريطاني التام عن العراق وإلغاء الانتداب. وكان من أبرز علماء الدين الذين دعوا إلى هذا المؤتمر الشيخ مهدي الخالسي^(١).

وفي ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٢م صادق مجلس الوزراء برئاسة عبد المحسن السعدون على عقد أول معاهدة عراقية - بريطانية. وما إن أعلنت على الناس حتى بادرت الحكومة إلى انتخاب المجلس التأسيسي، فصدرت الإرادة الملكية لهذا الغرض في ٢٤ تشرين الأول من نفس السنة.

ولقد اتخذ رجال الدين والوطنيون موقفاً موحداً في معارضة تنفيذها، وصدرت الفتاوى من قبل العلماء في كربلاء والنجف والكاظمية بتحريم

الوزارات العراقية: ج ١، ص ١٨، مطبعة العرفان (صيدا - لبنان)، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.
(١) العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل، عن مؤسسة الدراسات الإسلامية: ص ٨٧٩، طباعة مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان.

- Stephen Hemsley Longrigg: Iraq 1900 to 1950, apolitical, social, and economic history. page: 140, Oxford university press - London New York Toronto, 1953.
- M. m. al Basser: history of the Iraqi question, page: 196, second edition, printed in Great Britain by Dotesios Printers Ltd, 1990.

الاشتراك في الانتخابات^(١). وحينما حاولت الحكومة البدء بالانتخابات من جديد في ١٢ تموز سنة ١٩٢٣ م لم تنجح أيضاً بسبب رفض الشيعة تشكيل اللجان الانتخابية. ولذلك استقالت وزارة عبد المحسن السعدون، فألّف الوزارة الجديدة جعفر العسكري في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ م، وكانت تضم بين وزرائها الثمانية وزيرين من كربلاء^(٢).

وفي السابع من أيلول سنة ١٩٣٣ م توفي الملك فيصل الأول في سويسرا حيث ذهب إليها لغرض العلاج. وفي اليوم التالي لوفاته توجّ ابنه الوحيد غازي ملكاً على العراق وقد شهدت فترة حكمه ١٩٣٣-١٩٣٩ م اضطرابات وانتفاضات عشائرية وانشقاقات عسكرية متعددة^(٣).

وفي سنة ١٩٣٦ م قامت عشائر الفرات الأوسط بحركتها ضد وزارة ياسين الهاشمي. وكان لكربلاء دور مهم في اجتماعات قادة الحركة ورؤساء العشائر. ونتيجة لتلك الاجتماعات خرج ميثاق أسموه (ميثاق الشعب) يدعو إلى المطالبة بحقوقهم، وقد بارك هذا الميثاق الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ووقع عليه عدد كبير من رؤساء عشائر الفرات الأوسط في الحلة وكربلاء والديوانية والناصرية^(٤).

وعلى أثر هذه الحركات قام الجيش بانقلاب عسكري بقيادة الفريق بكر

(١) خالد عبد المنعم، موسوعة العراق الحديث: ص ٢٠٦. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة - قسم كربلاء: ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٢) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة - قسم كربلاء، ص ٣٦٠.

(٣) د. مظفر عبد الله أمين، ود. جهاد صالح العمر، العراق في التاريخ: ص ٦٨٢، المجمع العلمي العراقي - بغداد، ١٩٨٣ م.

(٤) محمود الدرة، الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١: ص ٦٠، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ١٩٦١ م. د. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء: ص ٤٠٣-٤٠٤.

صدقي في ٢٩ تشرين الأوّل سنة ١٩٣٦ م لتغيير حكومة ياسين الهاشمي وقد وافق الأخير على تقديم استقالته بعد ضغوط كثيرة من الانقلابيين^(١).

وفي ٣ نيسان سنة ١٩٣٩ م أعلن عن مصرع الملك غازي بحادث اصطدام سيارة كان يقودها بنفسه، وقد وقع الحادث في ظروف غامضة، وقد تقرر في نفس الليلة تنصيب ابن الملك غازي الوحيد فيصل الثاني ملكاً على العراق ونُصّب خاله الأمير عبد الإله وصياً على العرش وذلك لصغر سن الملك^(٢).

وفي هذه الفترة أخذ قادة الجيش يتدخلون في شؤون البلاد وسياسة الحكومة. وقد نجح رشيد عالي الكيلاني في كسب ودّهم، وقام بحركة عسكرية على حكومة نوري السعيد وشكّل حكومة الائتلاف الوطني في ٣١ آذار سنة ١٩٤١ م. وفي هذا الوقت حدثت أزمة بين الحكومة الجديدة والحكومة البريطانية أدّت إلى نشوب الحرب العراقية - البريطانية، وقد خرجت المظاهرات في كربلاء تؤيد هذه الحكومة وقيام الجيش العراقي بحركته الوطنية ضد مطامع الإنكليز^(٣).

وفي وثبة كانون سنة ١٩٤٨ م كان لكربلاء دور في هذه الوثبة، حيث قامت المظاهرات الطلابية مختربة شوارع المدينة هاتفة بسقوط وزارة صالح جبر ومعاهدة بورتسموث.

وأثناء تشييع جثمان جعفر الجواهري في كربلاء، قامت الشرطة باعتقال عدد كبير من أهالي المدينة^(٤).

(١) د. مظفر عبد الله أمين، ود. جهاد صالح العمر، المصدر السابق: ص ٦٨٧.

(٢) عبد الرزاق الحسيني، تاريخ العراق السياسي: ج ٣، ص ٢٠٣-٢٠٤، ط ٦، مطبعة دار الكتب - بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(٣) د. مظفر عبد الله أمين، ود. جهاد صالح العمر: المصدر السابق، ص ٦٩٦.

(٤) د. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء: ص ٤٠٥.

وأثناء انتفاضة الشعب العراقي في تشرين سنة ١٩٥٢م ضد حكومة نور الدين محمود العسكرية التي أعلنت الأحكام العرفية فور تسلمها الحكم، كان كربلاء دور أيضاً في هذه الانتفاضة حيث خرجت المظاهرات في شوارع المدينة تأييداً لها، وبفعل الضغط الكبير من أبناء الشعب قدمت حكومة نور الدين محمود استقالتها وألغيت الأحكام العرفية^(١).

وعلى أثر الاعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م هبّت جماهير الشعب العراقي لنجدة مصر وشعبها، وكانت كربلاء في مقدمة تلك المدن التي أسهمت في هذا الشأن، وقاومت السلطة الحاكمة آنذاك فقامت فيها مظاهرة كبيرة اشترك فيها أبناء المدينة بفئاتهم كافة، وكانوا يهتفون بسقوط الحكومة العراقية والمطالبة بمساندة مصر، ممّا أدّى إلى اعتقال عدد كبير من أهالي المدينة^(٢).

واندلعت في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨م ثورة كانت نتيجة حتمية لنضال الشعب العراقي بكلّ فصائله السياسية والمهنية ضد السلطة الحاكمة آنذاك^(٣). وحظيت كربلاء بعناية الثورة، فزارها رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم وعدد كبير من المسؤولين، كما زارها رؤوساء وملوك الدول الإسلامية؛ وذلك لمنزلتها العظيمة في نفوس المسلمين^(٤).

على أنّه إلى جانب الآثار والنتائج الإيجابية والسلبية التي تمخّضت عنها هذه الثورة، فإن الدول الاستعمارية والمجاورة كانت تتوجّس الخيفة من هذا الحكم، لذلك أخذت تبذل قصارى جهودها للإطاحة به، وفي الوقت نفسه لم يستطع

(١) د. سلمان هادي آل طعمة، المصدر السابق.

(٢) د. سلمان هادي آل طعمة، المصدر السابق: ص ٤٠٦.

(٣) د. مظفر عبد الله أمين، ود. جهاد صالح العمر، المصدر السابق: ص ٧٣٨-٧٣٩. حنا بطاطو، العراق: ص ١١٦، الكتاب الثالث، ط ١، مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت، ١٩٩٢م.

(٤) د. سلمان هادي آل طعمة، المصدر السابق: ص ٨٥.

عبد الكريم قاسم السيطرة التامة على الوضع الداخلي، ولذلك أصبح الطريق ممهداً لحدوث الحركة الانقلابية التي قام بها عدد من ضباط الجيش العراقي بدعم من حزب البعث ومساندة أمريكا، وذلك في ٨ شباط سنة ١٩٦٣م، حيث تسنّم رئاسة الجمهورية عبد السلام محمد عارف وتولّى أحمد حسن البكر منصب رئيس الوزراء، وأعدم الزعيم عبد الكريم قاسم ورفاقه^(١).

وبعد بضعة أشهر قام عبد السلام محمد عارف بحركة انقلابية أخرى في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣م تخلّص على أثرها من البعثيين^(٢)، واستطاع أن يفرض هيمنته على السلطة بمساعدة عدد من كبار الضباط في غياب كامل للمؤسّسات الدستورية، وبذلك ساد التوتر في العلاقات بين الطرفين، حيث أخذ كلّ طرف يتحيّن الفرص للإيقاع بالطرف الآخر.

وفي هذا الجو المشحون بالعداء، سقطت الطائرة التي كان يستقلها عبد السلام محمد عارف الذي كان في زيارة إلى البصرة جنوب العراق في ١٤ نيسان ١٩٦٦م وقتل في ظروف غامضة^(٣)، وخلفه أخوه عبد الرحمن عارف الذي عرف بضعفه، فاتسم حكمه بالضعف وعدم السيطرة ممّا مهّد للانقلاب البعثي الثاني في ١٧ تموز ١٩٦٨م.

وقام البعثيون خلال حكمهم بتسيير البلاد حسب آرائهم وعقيدتهم السياسية القائمة على التعصّب الذي يحملهم على اتخاذ مواقف طائفية وعنصرية، وفرض أيديولوجيتهم على الجميع، وإجبار العراقيين على الدخول في حزب البعث، فجرى (تبعيث) الوظائف والدراسات والجيش وكل الهيئات

(١) حنا بطاطو، العراق: المصدر السابق، ص ٢٩٦-٣٠٠.

(٢) د. مجيد خدوري، العراق الجمهوري: ص ٢٨٦، ط ١، الدار المتحدة للنشر - بيروت، ١٩٧٤م.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٤٩-٣٥٠.

العراقية العسكرية والمدنية، ممّا كان له أثره السيئ على كربلاء وباقي المدن الدينية الأخرى في العراق، وفرضت القيود على حلقات الدراسات الشيعية والمسيرات الدينية^(١). وارتكبوا أبشع الجرائم بحق هذه المدينة المقدّسة وأهلها، واعتقلوا العديد من رجالها وعلمائها أبرزهم خطيب المنبر الحسيني الشهير الشيخ عبد الزهراء الكعبي (قارئ المقتل) والرادود الحسيني المعروف الملا حمزة الصغير.

وفي ١٧ تموز ١٩٧٩م أزاح صدام حسين أحمد حسن البكر عن رئاسة الجمهورية - وكان نائباً له - وجلس مكانه، وانتهج سياسة العنف والقسوة والبطش تجاه شعبه طوال سنيّ حكمه، الذي استهله بإعدام الكثير من خيرة أبناء العراق، وخاصّة من أبناء مدينتي كربلاء والنجف، وكان على رأسهم المرجع الديني آية الله السيد محمد باقر الصدر^(٢) صاحب المؤلفات الشهيرة.

ثم أصدر صدام حسين قراراً عنصرياً عام ١٩٨٠م وذلك بتهجير حوالي نصف مليون مواطن عراقي من العوائل العربية والكردية إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وقسم منهم من مدينتي كربلاء والنجف بذريعة أن أصولهم إيرانية. لكن مشكلة المهجّرين عرباً وأكراداً، كونهم من المسلمين الشيعة، وقد ترك أعمق الأثر في التركيبة السكانية والحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدن العراقية، ومدينة كربلاء بوجه الخصوص.

وفي أيلول ١٩٨٠م أعلن صدام حسين الحرب على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ودامت هذه الحرب حوالي ثماني سنوات حيث انتهت في آب ١٩٨٨م، ممّا كان له أثره السيئ على كربلاء وبقية أجزاء العراق.

وخلفت هذه الحرب آثاراً اجتماعية وإنسانية واقتصادية وسياسية خطيرة،

(١) حنا بطاطو، المصدر السابق: ص ٤٠٥.

(٢) د. وليد الحلي: حقوق الإنسان في العراق ١٩٦٨-١٩٨٨م، ص ١١.

مما حمله على غزو دولة الكويت في الثاني من آب ١٩٩٠م وعرض العراق إلى أخطار جسيمة أدت إلى تحالف أكثر دول العالم في حربٍ ضد العراق، وإجبار نظام صدام على الخروج من الكويت في شباط ١٩٩١م، بعد أن أدّى ذلك إلى تدمير وخراب العراق^(١).

ونتيجة للأوضاع المتردية وما تراكم من استياء شعبي لسياسة الحكومة القائمة على الظلم والقهر والاضطهاد والتعصب الطائفي، انتفض الشعب العراقي في آذار ١٩٩١م ضد النظام القائم آنذاك، وكان لكربلاء إسهاماتها الكبيرة في هذه الانتفاضة المباركة.

وبتاريخ ٥/٣/١٩٩١م تحرّرت المدينة بالكامل وأصبحت بيد المتفضين، وأصبح المرقدان الشريفان مقراً لقيادة المجاميع الثائرة ضد النظام، وكانت مكبرات الصوت من مآذن الروضتين بمثابة إذاعة يحصل من خلالها بث البيانات والبلاغات وإعطاء التوجيهات، وكذلك أصبحت الجوامع والحسينيات مقرات للمجاميع الثائرة لتقديم المعونات والمساعدات للمحتاجين من أهالي المدينة.

ولكن المدينة حوصرت من قبل قوات النظام بعد أيام من تحريرها، وطلب من أهلها أن يتركوا البلدة باتجاه بحيرة الرزازة التي تقع إلى الشمال الغربي منها بحوالي (١٢) كلم ورشقت البلدة برشقات متوالية من الصواريخ والمدافع، ثمّ اشتدّ القصف، ممّا اضطر السكان إلى مغادرة بيوتهم باتجاه البحيرة.

وكانت القوات المتقدمة نحو المدينة من جميع محاورها تتألف من فرقة مدرعة ووحدات متفرقة من الحرس الجمهوري والحرس الخاص وعناصر الأمن الخاص وبقايا المخابرات والأمن العام وعدد من المرتزقة الحزبيين.

(١) د. وليد الحلي: العراق وآفاق المستقبل، ص ٦١-٢٢، ١١١، ١١٧، ١٥٣، دار الفرات -

بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

وبتاريخ ١٨/٣/١٩٩١م اقتحمت المدينة من قبل قوات البعث ودُخلت من محاور عدّة، وتصدّى لها الثوار بعمليات تعرضية جريئة، وحدث قتال عنيف داخل شوارع المدينة وتكبّدت قوات النظام خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، ثم اضطر الأهالي إلى الاعتصام داخل مرقد الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام فأمرت قوات النظام بتوجيه مدافع الدبابات والقاذفات إلى المرقدين الشريفيين، غير مباليين بقدسية المكان، فأصيب المرقدان ببعض الأضرار نتيجة الرمي الكثيف. واقتحم المرقدان الشريفان ودارت داخلهما معارك عنيفة وشديدة القسوة بين الثوار وقوات النظام، قتل جميع من كان داخل الروضتين المقدستين من أهالي المدينة على إثر ذلك.

وقامت وحدات من قوات النظام بحملة تفتيش واسعة للدور داخل المدينة بحثاً عن الثوار، وألقي القبض على الآلاف من شباب مدينة كربلاء المقدّسة بشكل عشوائي، وصدرت الأوامر بقتل أكبر عدد ممكن منهم فوراً، ورمي المئات من الأحياء في مقابر جماعية بمنطقة بحيرة الرزازة، وأخرى في منطقة الحر قريباً من مرقد الشهيد الحر بن يزيد الرياحي عليه السلام، وسيق الآلاف من شباب المدينة إلى معتقلات الرضوانية في بغداد، وطورد بقايا الثوار الذين لجأوا إلى البساتين المحيطة بالمدينة.

وقد تركت قوات النظام وراءها أثراً دموياً مروّعة، وبقيت المدينة تنّ من وطئة ما أصابها من دمار، حيث بقيت الجثث لأيام منتشرة في الشوارع والأزقة وتحت أنقاض الأبنية المدمّرة^(١).

(١) ينظر: العميد الركن نجيب الصالح: صحيفة الحياة، العدد ١٢٨١٠، ص ١٨، ٣٠/٣/١٩٩٨م. الأمم المتحدة: المجلس الاقتصادي والاجتماعي، لجنة حقوق الإنسان الدورة: ٤٨، ١٨/١٢/١٩٩١م، ص ٣٩-٧٠.

وقد تأثرت مدينة كربلاء كبقية المدن العراقية الأخرى بالسياسات الجائرة الحمقاء التي انتهجها النظام المجرم الفاسد المستبد، التي تسببت في فرض حصار قاسٍ على العراق من قبل مجلس الأمن الدولي دام لأكثر من عشر سنوات.

وبتاريخ ١٨/٣/٢٠٠٣م، وجّه الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش إنذاراً إلى صدام حسين وولديه يأمرهم بمغادرة العراق خلال ٤٨ (ساعة أو يواجه حرباً مع الولايات المتحدة الأمريكية).

وبتاريخ ٢٠/٣/٢٠٠٣م أعلن الرئيس الأمريكي الحرب على العراق وبدأ القصف الجوي على القوات العراقية، وتحركت القوات المتعددة الجنسيات والمتحالفة مع أمريكا باتجاه العراق من الجنوب.

وفي ٩/٤/٢٠٠٣م سيطرت القوات الأمريكية على بغداد، وتمّ الإعلان عن سقوط نظام صدام، وحدثت خلال هذه الفترة عمليات النهب وحرق العديد من مؤسّسات الدولة من قبل عناصر النظام المباد، وذلك على مرأى من القوات الأمريكية التي لم تفعل شيئاً.

وقد شهد العراق سلسلة من الانتخابات عقب الإطاحة بالنظام المباد، حيث جرت أوّل انتخابات برلمانية بتاريخ ٣٠/١/٢٠٠٥م لانتخاب (٢٧٥) عضواً من أعضاء الجمعية الوطنية الانتقالية، وكانت إحدى مسؤوليات هذه الجمعية كتابة الدستور الدائم للعراق.

وقد كان للمرجع الديني الأعلى في العراق سماحة آية الله السيد علي السيستاني (دام ظله) دورٌ مهمٌ في هذه الانتخابات، من خلال إصراره على إجرائها ودعوته أبناء الشعب جميعاً للمشاركة فيها، والحيلولة دون أن يكتب الدستور بأيدي غير عراقية.

وفي شهر آيار ٢٠٠٥م تم تشكيل الوزارة الثالثة (الحكومة) الانتقالية برئاسة الدكتور إبراهيم الإشيقر الجعفري، بعد انتخاب الدكتور حاجم الحسني رئيساً للجمعية الوطنية، والسيد جلال الطالباني رئيساً للجمهورية من قبل أعضاء الجمعية الوطنية.

وفي هذه المرحلة التاريخية حدثت أمور خطيرة كادت أن تؤدي بالبلد إلى حرب طائفية ومذهبية عارمة، نتيجة سوء الإدارة والتراخي من قبل الحكومة العراقية في إتخاذ التدابير الوقائية لمنع وقوعها، وذلك عندما قام الإرهابيون في شهر محرم الحرام عام ١٤٢٧هـ (الموافق ٢٢ من شهر شباط عام ٢٠٠٦م) بتفجير قبة ومئذنتي الروضة العسكرية (جامع ومركدي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليه السلام) في مدينة سامراء.

وفي هذه المرحلة التاريخية أيضاً وقعت فاجعة جسر الأئمة في الأعظمية ببغداد وراح ضحيتها أكثر من ألف شخص من زوّار الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

وبتاريخ ١٥ تشرين الأول ٢٠٠٥م صادق العراقيون على مشروع الدستور الدائم في الاستفتاء وبنجاح منقطع النظير، حيث كانت نسبة المشاركة أكثر من عشرة ملايين نسمة.

وبتاريخ ١٠ حزيران ٢٠١٤م سقطت مدينة الموصل الواقعة في شمال العراق على أيدي مسلحي التنظيمات الإرهابية التكفيرية الإجرامية وعلى رأسها منظمة داعش (دولة العراق والشام الإسلامية) الإرهابية... حيث أعطيت الأوامر للقطعات العسكرية الموجودة بالانسحاب الكامل من المدينة دون معرفة الأسباب، وحُمل رئيس الوزراء السيد نوري كامل المالكي المسؤولية المباشرة عن هذه الكارثة، حسب تقرير اللجنة البرلمانية المختصة، بصفته القائد

العام للقوات المسلحة. وكذلك مسؤوليته عن جريمة معسكر سبايكر التي راح ضحيتها أكثر من (١٧٠٠) عسكري متدرّب على أيدي مسلحي منظمة داعش الإجرامية عند سيطرتها على مدينة تكريت، البعض منهم من محافظة كربلاء.

ويمثل سقوط مدينة الموصل وتوابعها حدثاً استثنائياً بالنسبة إلى الوضع الأمني المتردّي في العراق، ممّا أدّى أيضاً إلى سقوط مدن وقصبات أخرى، كتكريت وبيجي والشرقاط وغيرها. وقد مارس عناصر منظمة داعش الإرهابية، التي تضم في صفوفها معظم رجال الحرس الجمهوري للنظام المباد وفدائي صدام، أشدّ أنواع الجرائم والتنكيل بحق سكان المناطق التي أصبحت تحت سيطرتهم ما لم يشهد مثيلاً لها في العصر الحديث، من سبي للنساء وقتل وتشريد لأبناء الأقليات الدينية وتهديم المنازل والقرى والأرياف وأماكن العبادة والمعالم الدينية والتاريخية والآثارية، وارتكبت مجازر مروّعة بحق العراقيين من مختلف المذاهب والطوائف، وخاصة المسيحيين والإيزيديين في مدينتي الموصل وسنجار.

وبتاريخ ١٢ حزيران ٢٠١٥م أعلنت المرجعية الدينية العليا في العراق الجهاد الكفائي ووجوب الدفاع عن العراق وشعبه لمواجهة مسلحي منظمة داعش الإرهابية، بعد أن استشعرت أن هذه المنظمة تشكل خطراً كبيراً على البلد، واعتبرت أن من يقتل من العراقيين دفاعاً عن بلده شهيداً.

ومع أن الحكومات التي أعقبت النظام المباد بعد عام ٢٠٠٣م واجهت المشاكل الموروثة وفلول الإرهاب بكلّ حزم وشدة، إلّا أنّ عدم قيامها بإصلاح وتحديث وإعادة هيكلة مؤسسات الدولة وفق أسس علمية سليمة ومتطورة، واعتمادها لأسلوب نظام المحاصصة الحزبية والطائفية والقومية المقيت، وتهميشها للطاقات الفكرية والعلمية والمهنية المتخصصة الكفوءة والنزيهة

الموجودة في داخل العراق وخارجه من الإسهام والمشاركة في بناء العراق وتطويره، أثر سلباً وبشكل واضح على تقدّم البلد ونمائه وتطوره، وتسبّب في استشراف ظاهرة الفساد المالي والإداري بصورة خطيرة، ووصل الحال بالعراق، إلى أن يُعد في طليعة الدول الأكثر فساداً ونهباً للمال العام حسب تصنيف المنظمات العالمية، ومنها منظمة الأمم المتحدة... إلى الحد الذي يعجز معه المرء عن تقديم بيانات حقيقية وواقعية بحجم الأموال التي نهبت من خزانة الدولة، بحيث أصبح الفساد جزءاً من الثقافة السائدة في أوساط المجتمع ويعكس أزمة خلقية في السلوك وانحرافاً في الاتجاهات الفكرية والسياسية.

وقد وجّه المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله السيد علي السيستاني (دام ظله) توجيهاته السديدة إلى السيد رئيس مجلس الوزراء آنذاك الدكتور حيدر العبادي يطالبه بالإسراع في اتخاذ الخطوات الإصلاحية للقضاء على الفساد وملاحقة رؤوسه الكبيرة واسترجاع الأموال المنهوبة منهم.

وهذا ما ورد خلال الخطبة الثانية لصلاة الجمعة بتاريخ ٩ / ٤ / ٢٠١٥ م، التي ألقاها في الصحن الحسيني الشريف ممثل المرجعية في كربلاء السيد أحمد الصافي، حيث جاء فيها: «إن من أهم مظاهر الفساد في البلد هو تكاثر الذين أثروا على حساب الشعب واستحوذوا على المال العام بأساليب ملتوية وطرق غير مشروعة مستغلين مواقعهم أو مستفيدين من مواقع معارفهم لتحقيق مآربهم... مشيراً إلى أن أهم الخطوات الأساسية للإصلاح هي البدء بملاحقة ومحاسبة الرؤوس الكبيرة من هؤلاء الفاسدين، وأن تسترجع منهم الأموال المنهوبة، وهذه في الدرجة الأساس مسؤولية هيئة النزاهة والسلطة القضائية، والكثيرون يتساءلون هل هما على قدر هذه المسؤولية؟ وهل سيقومان بهذه المهمة من دون مزيد من التأخير والتسويق؟

وقال السيد الصافي أيضاً: «إن الشعب العراقي الكريم الذي عانى طويلاً من الفساد وازدادت معاناته سنة بعد أخرى يترقب أن تتسارع الخطوات الإصلاحية وأن تكون حقيقية تمس جوهر مطالبه، وأن تكون شاملة تعم مختلف مؤسسات الدولة وتطهيرها من هذا البلاء الماحق».

وقد جدّدت المرجعية الدينية العليا توجيهاتها السديدة للملاحقة ومحاسبة الفاسدين الذين ضيّعوا أموال الشعب أو استحوذوا عليها، وأن تسترجع منهم، وأن ينالوا عقابهم على جرائمهم بما يناسبها.

وهذا ما جاء خلال الخطبة الثانية لصلاة الجمعة بتاريخ ٢/١٠/٢٠١٥م التي ألقاها في الصحن الحسيني الشريف ممثل المرجعية في كربلاء السيد أحمد الصافي، حيث جاء فيها: «إن الإصلاح الحقيقي يبدأ بمحاسبة من ضيّع أموال الشعب خلال السنوات الماضية ومحاسبة المسؤولين عمّا جرى من ضياع مئات المليارات من الدولارات في مشاريع وهمية ومقاولات مبنية على المحاباة والفساد وملاحقة ومحاسبة من أفسدوا وضيّعوا أموال الشعب أو استحوذوا عليها، فما لم يطبق القانون بحق هؤلاء وتسترجع منهم الأموال ويعاقبوا على جرائمهم بما يناسبها فإنه سيستمر الفساد ولن يرتدع الفاسدون عن ممارساتهم».

وبتاريخ ٩/١٠/٢٠١٥م جدّدت المرجعية الدينية العليا - خلال الخطبة الثانية لصلاة الجمعة التي ألقاها في الصحن الحسيني الشريف ممثلها في كربلاء الشيخ عبد المهدي الكربلائي - دعوتها هيئة النزاهة أن لا تتأخر طويلاً في الكشف عن ملفات كبار المتهمين بالفساد وإحالتها إلى القضاء، كما دعت القضاء أن يكون قوياً لا يدهن ولا يُجّابي أحداً ولا يخضع لأيّ ضغط من أيّ جهة مهما كانت.

وبتاريخ ٦/١١/٢٠١٥م طالبت المرجعية الدينية العليا في العراق الحكومة

العراقية بإنهاء المحاصصات الحزبية والطائفية ومكافحة الفساد. وقد جاء ذلك خلال الخطبة الثانية لصلاة الجمعة التي ألقاها في الصحن الحسيني الشريف ممثل المرجعية الدينية العليا الشيخ عبد المهدي الكربلائي، حيث قال: «إنَّ إصلاح المنظومة الحكومية في البلد يستدعي اعتماد مبدأ الكفاءة والخبرة والنزاهة في تسنُّم المواقع والوظائف الرسمية بدلاً عن المحاصصات الحزبية والطائفية والاثنية، إضافة إلى مكافحة الفساد ومحاسبة المفسدين وتخفيض النفقات غير الضرورية التي هي كثيرة ومتنوعة، كلّ ذلك مطالب شعبية محقّة وأمور أساسية لا غنى عنها لمعالجة الأوضاع المتأزّمة والمشاكل الكبيرة التي يعاني منها الشعب العراقي كالبطالة وسوء الخدمات وازدياد نسبة الفقر وغيرها».



وثائق وصور
من أرشيف العراق والموروث الشيعي

دائرة متصرفية لواء كربلاء
- قلم المحاسب -
المدد ٥٠ / ٥٠ الى - وزارة الداخلية -
التاريخ ١٩٢٨/٦/١١

١٤٦٥٩
٥٧ ٢/١٤

ان دائرة مالية كربلاء تملك من الخان المرقم ٩/١٥٣ والعلوه المرقمه ٩/١٥٥ والحانوت المرقم ٩/١٥١ الواقعات في محلة المباسم سهمين من اصل ١٠ / اسهم ونظرا لاحتياج الاملاك المذكورة الى التعميرات الضرورية فقد رفع شريك دائرة المالك عريضة يطلب فيها قيام المالية بالتعميرات بنسبة حقا منها وعليه قد احيلت عريضته الى بلدية كربلاء لاجراء الكشف عليها وتقدير مجموع النفقات اللازمة باعتبار المجموع ولدى اجراء الكشف تبين ان مقدار المصاريف المحتاجة الى التعميرات مبلغ ٥٠٠ / ريه كما يظهر مندرجات صورة الكشف المتقدم طها مع المريضة المذكورة فما يصيب دائرة المالية عن حقا مبلغ ١٠٠ / ريه نرجو التفضل بالمصادقة على صرفه ليمتصني قيام دائرة المالية مع شريكها بحسب استحقاقها ؟

(مصدق)
متصرف لواء كربلاء

كتب في
٥٧ ٢/١٤

٠ ح ١

كتاب دائرة متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص بعض الأبنية التي تحتاج إلى تعميرات في اللواء عام ١٩٢٨م

١٤ / حزيران سنة ١٩٢٨

وزارة المالية

الموضوع : — التعميرات

نرسل لكم طياً صورة كتاب متصرفية لواء كربلاء الرقم ٢٥٩٤ والمرخ
في ١١ حزيران سنة ١٩٢٨ مع منطويات واجبين احراز اللازم .

وزير الداخلية

ع . س

كتاب وزارة الداخلية العراقية إلى وزارة المالية بخصوص بعض التعميرات في اللواء عام ١٩٢٨ م

لقد كشفنا على الخان المذكور مع العلوه والحانوت فوجدناه متاجن الى تعميرات
طفيفه واما داخل الخان في الطوابل بعض الجدران والعقاد لاسما منهدمه وقسمها
مائل للاهتدام وفي حولى الخان يقضى الى بعض النوازيرت مع بناء السلم واما
الغرف الذى فوق باب الخان هي مائلة للاهتدام وتحتل تعميرات ضروريا—
واليقضى الى الترميمات والتعميرات على الاقل خمس مائة لاجله نظمنا هذا الكشف

— هـ حزيران / ١٩٢٨

للق الاصل ١٩٢٨/٦/٦

كشف دائرة متصرفية لواء كربلاء والمرسل إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص بعض تعميرات
قضاء النجف عام ١٩٢٨ م

١١٧٤٦
٢٧/٥/١٢

دائرة متصرفية لواء كربلاء
- قلم المحاسب -
العدد ٢١٢١
التاريخ ١٩٢٨/٥/١٥

الى " - وزارة الداخلية - "

نقدم بطلبه اصل ورقة الكشف الواردة على كتاب قائم مقام قضاء النجف المؤرخ ١٣ مارس ١٩٢٨
والمرقم ١٧٩٣ المحتوية على المصاريف المقتضية لتعمير الجدار الواقع في الجانب الغربي
من غرفة قلم التحوير في دار الحكومة حيث مائل الى الانهدام الرجاء الموافقة على صرف -
المبلغ المذكور ؟

منص
مستوفى

منصرف لواء كربلاء

طادة المكرّم

قد تأخرون بالتحديق

٢٨/٥/١٢
٢٧/٥/١٢

ح ١

نسب
١٧

تب منينه
٥/١٧

كتاب دائرة متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص بعض التعميرات الطفيفة
في قضاء النجف التابع للواء كربلاء عام ١٩٢٨ م

صورة كتاب وزارة المواصلات والاشغال والعمرق ٢٢٩٣ والعورق في ٧ امار
سنة ١٩٢٨ . العورق الى وزارة الداخلية .

الموضوع :- توسيع مستشفى النجف .

- عظما على كتابكم رقم ١٩٩٣ العورق ٧ شهاط سنة ١٩٢٨ .
لنا ان نعلمكم بما انه لم يرصد اعتماد في جدول وزاراتكم للاعمال الاسبقية
توسيع مستشفى النجف لا يمكن القيام سوى بالترميمات الطفيفة فيها
للص

وزارة داخلية العراق

العدد ٧٤٤٩

التاريخ ٩ مارس / ١٩٢٨ .

صورة للاطلاع الى :-

مديرية الصحة العامة

بالاشارة الى كتابها العورق ٩٦٢ والعورق

في ٢٣ / ١ / ١٩٢٨ .

من وزير الداخلية .

صورة كتاب وزارة المواصلات والأشغال العراقية إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص توسيع
مستشفى النجف عام ١٩٢٨م

العراق
وزارة المواصلات والأشغال
بغداد

١٠٨٩٩
٢٨/٥/٧
عدد الحظفة

MINISTRY OF COMMUNICATIONS
AND WORKS, 'IRAQ.

Telephone } MINISTER - SERAI ... 19.
ADVISER ... 21.
SECRETARY ... 8

Telegram - "COMWORKS" BAGHDAD.

To The Ministry of Interior, وزارة الداخلية
Baghdad. بغداد

No. CW/ 41/73/ 2293
BAGHDAD 5th May, 1928.
٧ أيار / ١٩٢٨

العدد
التاريخ
ملكرة

MEMORANDUM.

RE: EXTENSION TO NAJAF HOSPITAL.

توسيع مستشفى النجف
١٥٧
عظفا على كتابكم رقم/١٩٩٣
الموئخ ٧ شباط / ١٩٢٨ . لنا ان
نعملكم ^{بأمره} لم يرصد اعتماد فسي
جدول وزارتم للاعمال الاسبقه لاجل
توسيع مستشفى النجف ولا يمكن القيام
سوى بالترميمات الخفيفه فيها .

With reference to your memorandum No. 1993, dated the 7th February, 1928 - I have to inform you that no provision for extension to Najaf Hospital having been made in your List of Priority Works, only Minor Repairs can be carried out.

١٥٧
١٩٩٣
٧ شباط / ١٩٢٨ . لنا ان
نعملكم ^{بأمره} لم يرصد اعتماد فسي
جدول وزارتم للاعمال الاسبقه لاجل
توسيع مستشفى النجف ولا يمكن القيام
سوى بالترميمات الخفيفه فيها .

Minister of Commns: and Works.

وزير المواصلات والأشغال

ق

HMS/

مسند للوزارة
١٩٢٨

كتاب وزارة المواصلات والأشغال إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص توسيع مستشفى النجف عام ١٩٢٨ م

متصرفية لواء كربلاء

العدد ١٢٩٤
التاريخ ١٩٢٨/٩/٧المحاسب
قلماللائحة الجديدة
الوضوع:

الى - وزارة الداخلية -

بلاشارة الى كتابكم المؤرخه نيسان / ١٩٢٨ والمرقم ٥٣١٦
ان اللائحة الجديدة (سراي الحسينية وسراي شفاثة) في هذا اللواء تمت قبل
ختم السنة المالية المنصرمة بصورة لم يبق شيء من التسلطات المطاعة لعميرها
وقد ارسلت مستندات الصرف فيها الى المهندس الاجرائي للاشفال في البصرة -
وجرت تسويتها في حساباته وارسل حوالات بها وجرى تسديدها تماماً ،،


متصرف لواء كربلاء


٥٣٠١
١٩٢٨

كتاب متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص (سراي الحسينية وسراي
شفاثة) في لواء كربلاء عام ١٩٢٨ م

٣٦ تاريخ / ١٩٢٨ .

متصرفية لواء كربلاء

الموضوع :- إنشاء دار الحكومة في كربلاء .

بلاشارة الى كتابكم المرمم ٩٧٩ المؤرخ في ١٤ / ١٩٢٨ .
 لا يمكننا الموافقة على الاقتراح الوارد بكتابكم المشار اليه نظرا لاحتياج البلدية لهذه
 المباني لشراء ماكنة جديدة واخذ مشروع الكهرباء في كربلاء على عاتقها وانما كان لدى
 البلدية مطالب زائدة فبسبب ان تصرف على المشاريع التي تعود على المدينة بالمساعدة
 كمشروع الدارق والمستشفيات وغيرها وان في مدينة كمدينة كربلاء لها اسوال خاصة بحسب
 العمل قدر الامكان لا مستكمال اسباب الراحة الضرورية للاهلين قبل كل شئ .

وزير الداخلية .

كتاب وزارة الداخلية العراقية إلى متصرفية لواء كربلاء بخصوص إنشاء دار للحكومة في لواء
 كربلاء عام ١٩٢٨ م

متصرفية لواء كربلاء

العدد ٢/٩٧٩

التاريخ ١٤٢٨/٣/١٤

الوضوح: إنشاء دار للحكومتية كربلاء

٢٢٢٥
٢٢/٤/١٣

الي وزارة الداخلية

إشارة لكتابكم المرقم (٣٨٦٩) والموضوع ١٠ مارت ١٩٢٨

لا يخفى علي معاليكم ان الدرامم التي لدى بلدية كربلاء تنوف علي السهمين الفريسة (٧٠٠٠٠) مودوعة في المصارف .

فهي والحالة هذه تساعد علي شراء ماكينة كهرباء جديدة وإنشاء دار للحكومة .

وبالتقدير لو فرضنا ان المبلغ المذكور لا يسد نفقات المشروع فيمكننا ان نسقروض الثلاثين الفريسة (٣٠٠٠٠) العائدة الي ناحية شفاءه - والموجودة في المصارف أيضاً ونكون بذلك قد شهدنا محلاً فحماً لائقاً بمنزلة الحكومة وكرامتها .

وعليه فان وافقت وزاركم الجليله علي هذا الاقتراح يرجى ارسال مهندس لي يجرى الكشف علي احدى المرصتين المذكورتين في كتابنا المرقم ٤٠٩ / والموضوع ٣٠ / كانون الثاني ١٩٢٨ والثاني قدمنا خيوطهما طي كتابنا المرقم ١٥٤ / والموضوع ١٤ / كانون الثاني ١٩٢٨ .

لكي يقدم المهندس الموحي اليه تقريراً بمقدار المصارفات اللازمة ليمسني لنا ادخالها في ميزانية البلدية للسنة القادمة .

وطلي كل فالامر لوزاركم الجليله التي لاخالها تغض طرفها عن هذا المشروع لما له من الاهمية بمكان .

متصرف لواء كربلاء

١٩٢٨

كتاب متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص إنشاء دار للحكومة في كربلاء
عام ١٩٢٨م

متصرفية لواء كربلاء

العدد ٩٠١ / ٤
التاريخ ١٩٢٨ / ٣ / ٧

الموضوع: إنشاء دار للحكومة

رقم النسخة	٥٥٥٥
التاريخ	٢٩ / ١٠
عدد الأوراق	

إلى وزارة الداخلية

نرجس الاجابة علي كتابنا الموزع ٣٠ كا نون الثاني ١٩٢٨
والعرق ٤٠٩ حول انشاء دار للحكومة في كربلاء .

منصرف لواء كربلاء

الجواب رقم ١٨٦٦ بحفظ

ك
١١ / ٥

لواء
١١ / ٤

كتاب متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص إنشاء دار للحكومة في اللواء
عام ١٩٢٨ م

بمات / ١٩٢٨

مصرفية لواء كربلاء

الموضوع :- إنشاء دار للحكومة في كربلاء

جواباً عن كتابكم المرقم ٤٠٩ / ٣ والموثق نفسى ٣٠ كانون الثاني / ١٩٢٨
لأنوافة على ما اقترحتوه في كتابكم المعجب عنه من إنشاء دار للحكومة في كربلاء من
فضلة واردات البلدية لأن في النية شراء ماكينة كهرباء جديدة بالمبالغ الموجودة الآن لدى
البلدية

وزير الداخلية

كتاب وزارة الداخلية العراقية إلى مصرفية لواء كربلاء بخصوص إنشاء دار للحكومة في كربلاء
عام ١٩٢٨م

Translation of a letter, No. 15409, of 30/1/28, from the
Mutassarif, Kerbela Liwa, to the Ministry of the Interior.

Subject:- Construction of Govnt. Building at Kerbela.

Reference your letter, No. 1502, of 28/1/28.

Whereas the Government is not this year in a position
to construct a Government building at Kerbela, I suggest that
the Municipality of Kerbela should undertake the construction
of a spacious out of the excess of its revenues; provided the
building be erected on one of the two Government sites, - the
maps of which were sent to you under cover of my letter, No.
154, of 14/1/28, - and ~~xxxxxx~~ be let to the Government for
a reasonable rent. The Municipality will thereby served both
itself, and the Government, simultaneously.

In case you approve of my above proposal, please send
an engineer to inspect one of the above mentioned sites, and
prepare an estimate of the expenditure, so that necessary
provisions be made in the next year's budget of the Municipality.

SA
15/2.

Spoken to S.A.
15/2

SA
Submitted.

Mr.
15.2.28

15/2
Saw W.E.
15/2

SA
I don't agree,
the money is required
for electric light
1912.

ترجمة كتاب متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص تعميرات بعض الأبنية
في اللواء عام ١٩٢٨ م

دائرة متصرفية لواء كربلا

قلم التحريرات

العدد ٤٠٩

التاريخ / ٣٠ / كانون الثاني / ١٩٢٨

الى " —————

وزارة الداخلية

الموضوع :- إنشاء دار للحكومة في كربلاء *

١٤٩
بالاشارة لكتابكم المرقم ١٥٠٢ والمؤرخ ٢٨/ كانون الثاني / ١٩٢٨ .
لما لم يكن في وسع الحكومة في هذه السنة انشاء دار للحكومة في كويلا
ففرى ان تقوم بلدية كويلا بانشاء دار واسعة من فضلة وارادتها على ان يكون ذلك في
احدى العرصتين العاليتين للحكومة اللتين قدمنا خريطتهما لمعاليكم على كتابنا
المرقم ١٥٤ والمؤرخ ١٤/ كانون الثاني / ١٩٢٨ . وتو جهوا للحكومة بايجار مناسب
وتو من من ذلك منفعة لها والى الحكومة .
فان وافقت وزارتكم الجلملة على هذا الاقتراح . نرجو ارسال احد المهندسين لاء جراء
الكشف على احدى العرصتين الاتقى الذكر . وتقديم تقرير بالمعارفات المقتضية
لتتمكن من ادخالها في ميزانية البلدية للسنة القادمة .

متصرف لواء کرلا •

۱۱۱

صدیقہ سے مدد ملے؟

(c)

~~SECRET~~

•

كتاب دائرة متصرفية لواء كربلاء (قلم التحريات) إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص مبالغ
تعمير سراي الحسينية عام ١٩٢٨م

٢٨ شباط سنة ١٩٢٨

مديرية المحاسبات العمومية •

الموضوع - التعميرات الطفيفة •

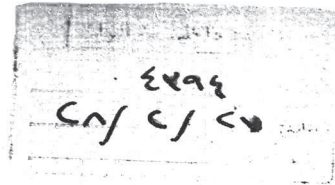
بالإشارة الى كتابكم المرقم ١٨٤٦ والمؤرخ في ١٨ شباط سنة ١٩٢٨ •
ان الالف روبية كانت قد صودق على صرفها من ميزانية دائرة الاشغال لتشييد
البناء في ناحية الحسينية وان ال (٢٥٠) روبية صودق على صرفها لاجراء
بعض التعميرات التي لا علاقة لها بالبناء الجديد فعليه نرى لزوم قيد المبلغ
الثاني على المادة ١١ من الفصل ٣٤ هذا ونرسل اليكم في طيه صورة من
كتاب المرقم ١٦٨٦٥ والمؤرخ في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ •

وزير الداخلية •

ر.ع

كتاب وزارة الداخلية العراقية إلى مديرية المحاسبات العمومية بخصوص التعميرات الطفيفة في
ناحية الحسينية عام ١٩٢٨ م

كتاب دائرة متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص مبالغ تعمیر سرائ
الحسينية عام ١٩٢٨ م



دائرة متصرفية لواء كربلاء

- قلم المصارفات -

العدد ٢٧٦

التاريخ ١٩٢٨/٢/١٨

الى - المهندس الاجرائي للاشغال العمومية في منطقة
البصرةالموضوع - ارسال مستند بمبلغ / ١٥٠٠ / روبه مصاريف ترميم
سراي ناحية شقانةبالاشارة الى كتاب مدير الاشغال العمومية المؤرخ ١١ تشرين الاول / ١٩٢٧ والمرقم
٦٨٩٢ارسل اليكم بمبلغ ٨ مستندات بمبلغ قدره / ١٥٠٠ / الف وخمسة روبه عن مصاريف ترميم
سراي ناحية شقانة لاجراء ترميمها في حساباتكم وارسال حواله بالمبلغ المذكور لاجل
تسديد السلفة المدفوعة لذلك .

صورة منه الى - وزارة الداخلية - للعلم ان بناء سراي ناحية شقانة قد تم

F.A. [Signature]
S.A. [Signature]
S.A. [Signature]
[Signature]

Intt. Kertala states that the
repairs of Shiqat al-Sarai have
been completed at a cost of Rs. 1500/-
for information pl.

كتاب دائرة متصرفية لواء كربلاء إلى المهندس الإجرائي للأشغال العمومية في منطقة البصرة
بخصوص مصاريف ترميم سراي ناحية شقانة (عين التمر) عام ١٩٢٨ م

DIRECTORATE GENERAL OF POLICE
BAGHDAD.

مديرية الشرطة العامة
في بغداد

الرقم: ٧٤٢
التاريخ: ٢٨/١/٩٠
محدد الشرطة

رقم التتبع: ٩٧٦
رقم: ١٥/٥/
التاريخ: ٢ كانون الثاني ١٩٢٨
الى

Telephone No. Serai 52.
No.....
Dated.....
To

وزارة الداخلية

الموضوع - سراي الكوفة

اشارة الى كتابكم الرقم ٦٣ والمؤرخ ١٩٢٨/١/٢
ان التسميات التي تكلف -/٢٥٠ روبية او اقل يمكن ان تحسب فقط على المادة (١١)
من الفصل (٤٣) لميزانية الشرطة وما ان من المؤكد ثمن انشاء اصطبل في الكوفة سيكلف
اكثر من -/٢٥٠ روبية فلا يمكن ملاقاته من ميزانية الشرطة • وجميع التعميرات والانشاءات
الطائفية التي تكلف اكثر من -/٢٥٠ روبية تقيد على ميزانية دائرة الاشغال العمومية التي
كما علمنا انه لم يبق لها ايضا مخصصات خلال السنة المالية الحالية •


مدير الشرطة العام

٥٠ ت

كتاب مديرية الشرطة العامة في بغداد إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص تعميرات سراي الكوفة عام ١٩٢٨ م

٧ شباط / ١٩٢٨

وزارة المواصلات والأشغال

الموضوع «توسيعات المستشفى الملكي في النجف»

بالإشارة الى كتابكم المرقم ٣١٣ / ٧٣ / ٤١ والمورخ في ١٧ كانون الثاني / ٢٨
نوسال اليكم في طيه صورة من كتاب مديرية المحسة العاصمة المرقم ٩٦٢ والمورخ في
٢٣ كانون الثاني / ١٩٢٧ المتعلقة بتوسيع بناء المستشفى الملكي في النجف راجين احراء
اللازم واعلامنا النتيجة .


وزير الداخلية

كتاب وزارة الداخلية العراقية إلى وزارة المواصلات والأشغال بخصوص توسيعات المستشفى
الملكي في قضاء النجف عام ١٩٢٨ م

١٢٧٩

٢٩ كانون الثاني / ١٩٢٨

اشط

متصرفية لواء كربلاء

الموضوع :- التعميرات الطفيفة

بالإشارة الى كتابكم المرقم ٢٣٥ والمورق في ١٨ كانون الثاني / ١٩٢٨
نوافذ على دفتر المبلغ (٢٥٠) مائتين وخمسين ربيعة لاكمال بناء ناحية الحسينية
من الطادة ال ١١ من الفصل ال ٢٤ القسم الثالث الباب السادس من مبرانية الإدارة
الخاصة للوائكم لسنة ١٩٢٧ .
هذا ولعدم صدور التعميرات نرجو اعطاء التعميرات لمحاسنة لوائكم لسك الحساب
والمستندات لكل مبلغ على حدة اعني الآلف ربيعة المصادق عليها في كتابنا المرقم
١٦٨٦٥ والمورق في ١٧ تشرين الثاني / ١٩٢٧ وال (٢٥٠) ربيعة المصادق عليها
اعلاه على ان تقدموا المستندات بالآلف ربيعة الى دائرة الاشغال العمومية
حين اكمال البناء .


وزير الداخلية

ورة الى مديرية الحسابات - المبرمجة

كتاب وزارة الداخلية العراقية إلى متصرفية لواء كربلاء بخصوص التعميرات الطفيفة في اللواء
عام ١٩٢٨ م

كتاب دائرة متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص تعمير سراي الحسينية
عام ١٩٢٨م

5025...440...825...1,000 Pages...25-10-87.

From دائرة متصرفية لواء كربلاء من قلم المصارفات -

To وزارة الداخلية الى: وزارة الداخلية

Dated 1928/1/18 the 18 الموافق 1928/1/18

Memorandum.

الموضوع - الأبنية الجديدة

بالأشارة لكتابكم المؤرخ ١٦/١/١٩٢٨ والمرقم ٨١٤
 كما قد صادقت وزارتكم بكتابها المؤرخ ١٠ تشرين الثاني/١٩٢٧ والمرقم ١٦٥٥١
 على تخصيص (١٥٠٠) الف وخمسمائة ربية لإنشاء محلات جديدة لناحية شقائه
 على أن ينفذ العمل من قبل هذه المتصرفية وعلى كتابكم المؤرخ ٨ كانون الأول ١٩٢٧
 والمرقم ١٧٩٤٧ بداءة بالاعمال غير انه في القائمة الواردة على كتابكم المجاب عنه
 لم يذكر ذلك فارجو الا مبرم باضافة العمل المذكور الى دفتر الأبنية الجديدة التي
 يقوم بها المتصرفون واخبار وزارة المواصلات والأشغال بذلك ٤٤٠

متصرف لواء كربلاء

كتب الجواب
 ١٨/١/٢٨

٥٠١

كتاب دائرة متصرفية لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص بعض الأبنية الجديدة في
 ناحية شقائه عام ١٩٢٨ م

٢٦ كانون الثاني / ١٩٢٨

متصرفية لواء كربلاء

الموضوع :- الأبنية والتعميرات

بلاشارة اليكم الكتاب رقم ٢٣٧ والمورخ في ١٨ / ١ / ١٩٢٨
ان المبلغ (١٥٠٠) ربة المبحوث عنه لنا سرائ ناحية شذاعة هو اضافة على الابنية
الواردة في الجدول المرفق بكتابنا المرقم ٨١٤ والمورخ في ١٦ كانون الثاني / ١٩٢٨
لذلك يجب اعتبار التصديق الوارد في كتابنا المرقم ١٦٥٥١ والمورخ في ١٠ تشرين
الثاني / ١٩٢٧ نافذا ٤٠

وزير الداخلية

26th September 1927

اليلول سنة ١٩٢٧

٢٩

To

مديرية الأشغال العمومية

The Director of Public Works,
BAGHDAD.

Memorandum.

I forward the attached copy of letter from Administrative Inspector, Diwaniya relative to the Shithatha Serai.

نرسل في طيه حوزة الكتاب الوارد من مفتش لواء الديوانية الاداري المتعلق بسراي شفافنة .

I entirely agree with the views put forward -

وانا نوافق كل الموافقة على :

- (1) to dismantle the three rooms on the first floor of the serai;
- (2) to build fresh accommodation on the ground floor for the Mahiya.

- (١) هدم الغرف الثلاث الموجودة في الطابق الاول من السراي .
- (٢) تشييد محلات جديدة على الارضية لاجل الناحية .

The cost of this work is estimated at Rs. 1,500/- and it is requested that funds may be allotted from the Minor Works estimates.

وتضمن نفقة هذا العمل بمبلغ (١٥٠٠) رتبة فالرحاء تخصيص الدراهم لذلك من تخمينات الاشغال الضئيفة .

It is proposed subject to funds being available to carry out the work by contract through the Mutasarrif under supervision of - your Engineers.

ويقترح القيام بالعمل بالتعهد بتوسط المتصرف وتحت اشراف مهندسيكم على شرط وجود المبالغ اللازمة .
نرجو سرعة جوابكم على هذا .

An early reply is requested.

وزور الداخلية

Minister of Interior.

L.

ع

كتاب وزارة الداخلية العراقية إلى مديرية الأشغال العمومية بخصوص سراي شفافنة (عين التمر)

عام ١٩٢٨ م

متصرفية لواء كربلاء

فلم المحاسبة

العدد ٥٠٩٤

تاريخ ٩٢٧/١١/٦

٥١٦٩

٢٧/١١/٨

عدد النقط

الموضوع - - المصادقة علي صرف ٢/٢ روبية اجرة تعمير
باب دار الحكومة في النجف

الي قائممقام قضاء النجف

حوايل لتتابع الموضع ٩٢٧/١١/٢ والمرقم ٤١٩٧

استنادا على منشور وزارة الداخلية المؤرخ ٢٠ آب ١٢٤٦ والمرقم ١٢٠٧٦ تصادق على

صرف (٢/٢) روبيتين واثنين اجرة تعمير باب دار الحكومة في النجف خصما على المادة

١١ (التعميرات الطفيفة) في الفصل ٢٤ (الادارة السامة في الالوية) ونسب اليكم -

المستند المرسل في تتابعه المهجابه

مصرف لواء كربلاء

دورة الي وزارة الداخلية

المدير العام للمحاسبات السومية

المعلومات

المستند

١١/٨

تقيدت بحفظ

١١/٨

١١/٨

كتاب متصرفية لواء كربلاء إلى قائممقام قضاء النجف بخصوص اجرة تعمير باب دار الحكومة
في النجف عام ١٩٢٧م

٣ تشرين الاول / ١٩٢٧

وزارة المواصلات والاشغال

الموضوع - توسيع بناء المستشفى في النجف

نرسل اليكم في طيه صورة كتاب بديهة الصحة العامة الرقم ٤٨٧ والموذج فسي
١٧ ايلول / ١٩٢٧ للاطلاع واجراء مايجب عمله في هذا العدد وانما لنا النتيجة


وزير الداخلية

خ . ت

كتاب وزارة الداخلية العراقية إلى وزارة المواصلات والأشغال بخصوص توسيع بناء المستشفى
الملكي في النجف عام ١٩٢٧ م

٢٠٨٤٩
٧/٩/١٣
مدير المنطقة

الرقم اج ١٠ / ٨٧

وزارة الداخلية - مديرية الصحة
بغداد ١٧٤ ايلول / ١٩٢٧

الى

وزارة الداخلية
بغداد (صورتان)

الموضوع « - توسيع بناء المستشفى الملكي
في النجف »

ان المستشفى الملكي في النجف هو المؤسسة الوحيدة التي يؤمها الفقراء والاغنياء
مما الذين في النجف والكوفة وما حوالهما من القبائل ونظرا للاحصائيات وخاصة -
التفتيشات التي قمت بها في هاتين السنتين الاخيرتين مع المفتش العام تحقق ان وضعه
الحالي لا يتناسب مع كثرة المراجعين ولا بد من التمشيت باسرع وقت بتوسيع البناء وتزويد
عدد السريره الى ما لا يقل عن اربعين سورا .
وما ان قطعة الارض الواقعة امام جبهة المستشفى الحالي هي ملك للمستشفى وتصح
ان يشيد عليها جناح واسع وملائم وهم الى صدر المستشفى طابق ثاني ايضا فيرجى من
معالكم التفضل بالمفاوضة مع وزارة الاشغال لاجراء الكشف اللازم على المستشفى المذكور
بواسطة المهندس الاجرائي لتلك المنطقة وتخصيص ما يحتاجه هذا التوسيع من المبالغ


مدير الصحة العامة

الى مدير الصحة العامة
بغداد
١٧٤ ايلول / ١٩٢٧
١٠ / ٨٧

ك . ش

كتاب مديرية الصحة العامة إلى وزارة الداخلية العراقية بخصوص توسيع بناء المستشفى الملكي
في النجف عام ١٩٢٧ م

SGPS...74 6.0...3.000...27-7-27

MINISTRY OF COMMUNICATIONS AND WORKS, 'IRAQ.

Telephones } MINISTER-SERAI ... 19. U R G E N T.
ADVISER ... 21.
SECRETARY ... 8.

Telegram--"COMWORKS" BAGHDAD.

To: الوزارة العراقية
الوزارة العراقية
BAGHDAD.

No. CW/41/92/5477 العدد
BAGHDAD ٢١ October, 1927.
التاريخ ٢ تشرين الاول / ١٩٢٧
مفكرة

MEMORANDUM.

Further to my memo No. CW/41/92/5304, dated the 21st September, 1927.

The Ministry of Interior have now asked for an additional three Government Offices as follows :-

Al Ataish.....	Rs. 850/-	في المديريات
Imam Qasim.....	Rs. 3,000/-	" امام قاسم
Muhairiyah.....	Rs. 4,900/-	" المحيريه
	Rs. 8,750/-	

The sum of Rs. 8,750/- may therefore be added to item (d) in the list as given in my above quoted memo making the total required Rs. 1,21,750/- and raising the probable deficit to Rs. 43,750/-.

لاحقا بكتابنا المرقم ٤٣٠٤ المؤرخ ٢١ ايلول / ١٩٢٧ .
جاءت وزارة الداخلية الآن بطلبات للحكومة كما يلي :

٨٥٠ روبية	في المديريات
٣٠٠٠ "	" امام قاسم
٤٩٠٠ "	" المحيريه
٨٧٥٠ روبية	

وطمه نرجوا اضافة المبلغ وقدره ٨٧٥٠ روبية الى النقطة (د) في الجدول الولد في كتابي الجسيم عنه اعلاه وبذلك يصبح مجموع المبلغ الضروري ٨٠٠٠ روبية والمجزر المتوقع حصوله ٤٣٠٧٥٠ روبية .

310 Minister of Communs: and Works.

Copy to :-

1. The Ministry of Interior, Baghdad, with reference to their memo: Nos: 13917 of 21st September, 1927, 13923 of 21st September, and 9719 of 4th July, 1927.

These works being of a purely temporary nature it is understood that if, the necessary funds are allotted, the work will be carried out by the local authorities.

2. The Director of Public Works, Baghdad, reference his memo No.PW/61/6419 of 21st September, 1927, together with copies of correspondence referred to above.

صورة الى :
١ - وزارة الداخلية اشارة الى كتابها المرقمة ١٣٩١٧ تاريخ ٢١ ايلول / ١٩٢٧ و ١٣٩٢٣ تاريخ ٢١ ايلول / ١٩٢٧ و ٩٧١٩ تاريخ ٤ تموز / ١٩٢٧ .
لما كانت هذه الاعمال مؤقتة سيقام بتنفيذها فيما اذا ارسدت المبالغ لها مسبقا قبل السلطات المحلية .
٢ - مدير الاشغال العمومية مع صورة من المخابرات اشارة الى كتابه المرقم ٦٤١٩ المؤرخ ٢١ ايلول / ١٩٢٧ .

3

كتاب وزارة المواصلات والأشغال إلى وزارة المالية بخصوص تكاليف بعض البنايات عام ١٩٢٧م

No. 3/1/ 913

Office of the Administrative Inspector
Diwaniyah dated the 14th September, 27.

وزارة الداخلية العراقية

٥٧٣١
١٧-٩-٩٢٧

To
The Adviser, ✓
Ministry of Interior,
Baghdad.

See 15343
D 20 to 27
to Finance

Memorandum:

Subject: Shitatha Serai.

Reference Mut. Kortelet's No. 27

I inspected the Shitatha Serai on 9/9/27, in company with the new Mutasarrif. The nahiyah headquarters were formerly accommodated on the first floor, but the rooms concerned are now uninhabitable, and appear on the verge of collapse. On the other hand, the police accommodation, which is on the ground floor, appears to be sufficient for present requirements, and in good repair. The courtyard of the Serai is spacious, and the Mutasarrif and I agreed that the following measures were essential:-

(1) To dismantle the three rooms on the first floor, formerly occupied by the nahiyah headquarters. These rooms are in a dangerous condition, and moreover their continued existence imposes an unnecessary burden on the ground floor walls and ceilings.

(2) To build fresh accommodation on the ground floor for the nahiyah. Ample room is available.

The nahiyah is at present very badly accommodated in a private house in the bazaar, for which government pays rent.

Juss and natural stone exist in the vicinity, at a very cheap price. It is estimated that the proposed work which can be carried out by contract under the aegis of the Mutasarrif, will cost about Rs. 1,500/-. I would urgently request the sanction of the expenditure of this sum, be

SR
See p. 71
Where is the letter
referred by C.A?
At the
Mutasarrif's
72. M. K.
18/9

71A

18/9

J. A

M. K. of the
to P. M. D. C. A.
21-5

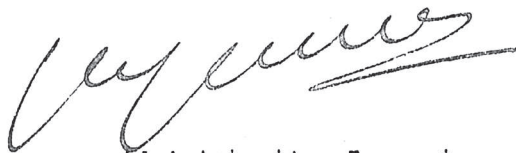
Draft put up
The
24/9

(١) كتاب مكتب المفتش الإداري في الديوانية إلى مستشار وزارة الداخلية العراقية بخصوص
سراي قضاء شفاتا (عين التمر) عام ١٩٢٧م

the arrival of the rainy season.

I would point out that Shitatha is visited by numerous caravans from Syria and Najd, for the purchase of dates. Many of these caravans penetrate no further into 'Iraq. The idea which they must form of the prestige of the 'Iraq government, from the sight of the present miserable government accommodation in that town, must be far from favourable.

I am informed that Kerbela has now been placed under the Executive Engineer, P.W.D., Baghdad, and I should therefore be most grateful if you could arrange for the allotment of the above mentioned sum direct with him.



Administrative Inspector,
Diwaniyah.

Copy to:

The Mutasarrif, Kerbela.

(٢) كتاب مكتب المفتش الإداري في الديوانية إلى مستشار وزارة الداخلية العراقية بخصوص
سراي قضاء شفاتا (عين التمر) عام ١٩٢٧ م

العدد ١٣٩٢٣

٢٠ ايلول سنة ١٩٢٧

وزارة المواصلات والأشغال

الموضوع - تشييد سراي صغير في العطيشي

نصحب بهذا صورة المخبرات المذكورة فيما يأتي المتعلقة بنقل مركز ناحية الحسينة الى خان العطيشي

٠١ كتاب متصرفية لواء كربلاء المرقم ٣٥٥٥ والمؤرخ في ١٦ آب سنة ١٩٢٧

٠٢ " " " " " " ٣٨٨٧ والمؤرخ في ٧ ايلول سنة ١٩٢٧

٠٣ " مفتش لواء الديوانية الاداري المرقم ٩٣٢ والمؤرخ في ١٥ ايلول سنة ١٩٢٧

وستلاحظون ان المتصرف محمّن كلفة البناء بمبلغ (٨٣٠) رمية فتقوّد هذه الوزارة الاقتراح كل التأييد وترجوا علما اذا كان يمكن ملافاة مبلغ الـ ٨٣٠ رمية المطلوب من اعتماد الاشغال الحاففة في ميزانية دائرة الاشغال العمومية لسنة ١٩٢٧/٢٨

واذا لم تكن ملافاة المبلغ من المادة المنوه عنها اعلاه ممكنة فترجوان تدرجوا انشاء سراي في خان العطيشي في جدول السرايات المذكورة في كتاب هذه الوزارة المرقم ١٣٢٨٧ والمؤرخ في ٧ ايلول سنة ١٩٢٧ ليتسنى القيام بالعمل هذه السنة

رشيد عالي

(وزير الداخلية)

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى وزارة المواصلات والأشغال بخصوص تشييد سراي صغير في خان العطيشي بلواء كربلاء عام ١٩٢٧ م

٣ تشرين الأول سنة ١٩٢٧

متصرفية لواء كربلاء .

الموضوع - تشييد سراي صغير في
خان العطيشي

بالإشارة الى كتابكم المرقم ٤٢٦٢ والمؤرخ في ٢٧ ايلول سنة ١٩٢٧ .
نرسل اليكم في هذه المراسلة هذه الوزارة المرقم ١٢٩٢٣ والمؤرخ في ٢٠ ايلول / ١٩٢٧
الخاصة عن تشييد سراي صغير في خان العطيشي للاطلاع .

هـ وزير الداخلية .

٢٤

كتاب وزارة الداخلية العراقية إلى متصرفية لواء كربلاء بخصوص تشييد سراي صغير في خان العطيشي بلواء كربلاء عام ١٩٢٧ م

20th September 1927

٢٠ ايلول سنة ١٩٢٧

To

Ministry of Comms. and Works,
BAGHDAD.

وزارة المواصلات والأشغال

Memorandum.

Subject: Building of a small Se-
rai at Al Ataishi

الموضوع - تشييد سراي صغير
في العطيشي .

I enclose herewith copies of
the under-noted correspondence re-
lating to the removal of the Head-
quarters of Hussainiyah Nahiyah to
Khan al Ataishi.

نحسب بهذا صورة المخابرات المذكورة
فيما يأتي المتعلقة بنقل مركز ناحية
الحسينية السى خان العطيشي :

1. Mutasarrif, Kerbala's memo No.
3555 dated 16th August 1927.
2. Mutasarrif, Kerbala's memo No.
3887 dated 7th September 1927.
3. Administrative Inspector, Diwa-
niya's memo No. 933 dated 15th
September 1927.

١. كتاب متصرفية لواء كربلاء الرقم ٣٥٥٥
والمؤرخ في ١٦ آب سنة ١٩٢٧ .
٢. كتاب متصرفية لواء كربلاء الرقم ٣٨٨٧
والمؤرخ في ٧ ايلول سنة ١٩٢٧ .
٣. كتاب مفتش لواء الديوانية الادارى
الرقم ٩٣٣ والمؤرخ في ١٥ ايلول
سنة ١٩٢٧ .

You will observe that the Mu-
tasarrif estimates the cost of the
building to Rs. 830/-.

وستلاحظون أن المتصرف يضمن كلفة
البناء بمبلغ (٨٣٠ رمية) فتوهمد
هذه الوزارة الاقتراح كل التأييد وتزجو
اعلامنا اذا كان يمكن ملافاة مبلغ الـ ٨٣٠
رمية المطلوب من اعتماد الاشغال
الدقيقة في ميزانية دائرة الاشغال
الشمومية لسنة ١٩٢٧ - ٢٨ .

This Ministry strongly supports
the proposal and I shall be glad to
know if the sum of Rs. 830/- involv-
ed can be met from the Minor Works -
grant of the Public Works Department
Budget for 1927-1928.

In the event of funds not being
available from the above Article I -
would request you to include the
construction of the Serei at Khan al
Ataishi in the list of Serais men-
tioned in this Ministry's memo No.
13287 dated 7th September 1927, so
that the work may be carried out this
year.

واذا لم تكن ملافاة المبلغ من السادة
المنوه عنها اعلاه ممكنة فمرجوا تدرجوا
انشاء سراي في خان العطيشي في جدول
السرمايات المذكورة في كتاب هذه الوزارة
الرقم ١٣٢٨٧ والمؤرخ في ٧ ايلول
سنة ١٩٢٧ ليتسنى القيام بالعمل
هذه السنة .

Minister of Interior.

L.

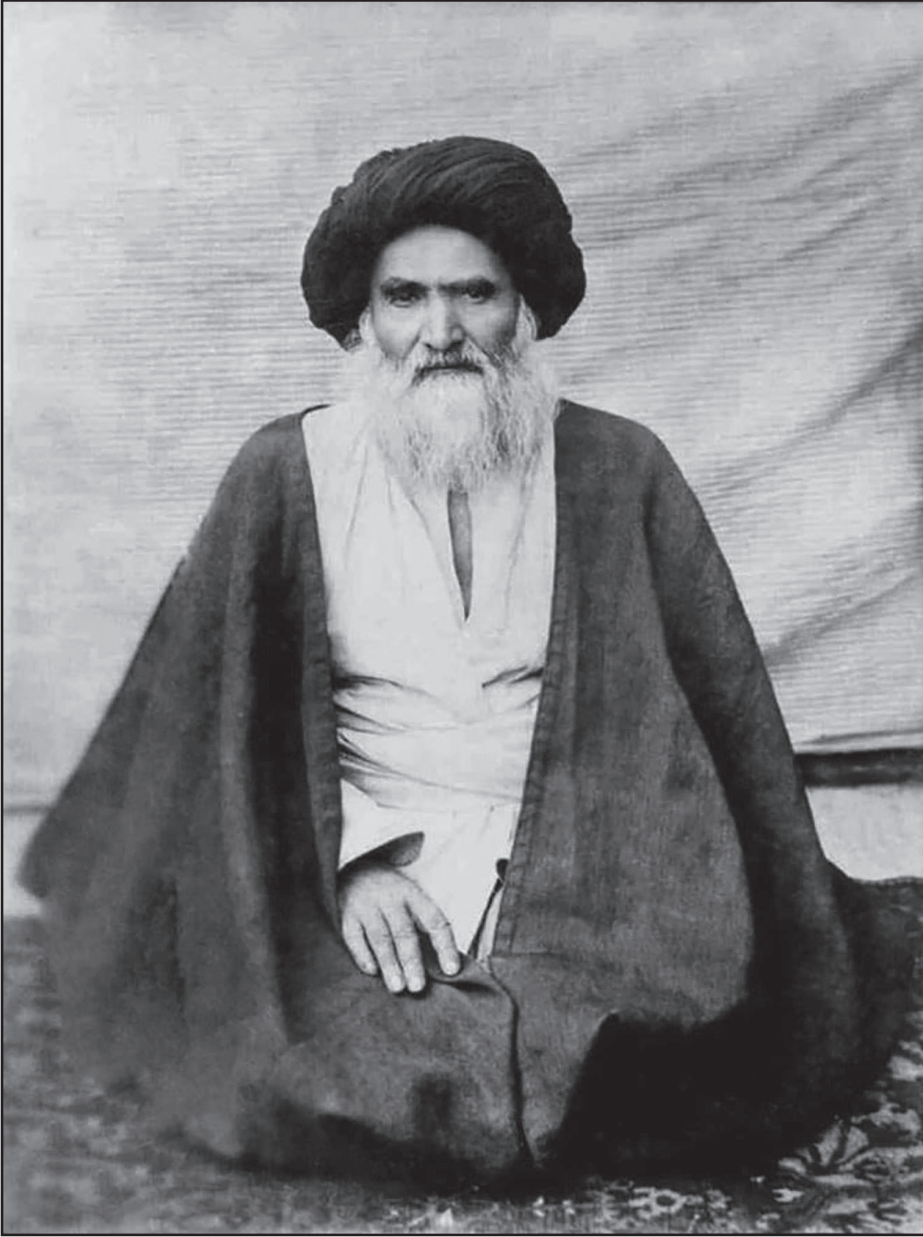
وزير الداخلية

ع

See 23/K

كتاب وزارة الداخلية العراقية إلى وزارة المواصلات والأشغال بخصوص تشييد سراي صغير في
خان العطيشي بلواء كربلاء عام ١٩٢٧ م

كتاب متصرفية لواء كربلاء إلى مديرية الأشغال العمومية ببغداد بخصوص بناء مركز في ناحية الحسينية عام ١٩٢٧ م



السيد أبو الحسن الأصفهاني (١٢٧٧-١٣٦٥هـ). هو مرجع وفقه كبير، تسلم المرجعية بعد وفاة الشيخ محمد حسين النائيني، فصار أكبر مراجع الشيعة وقياداتهم الدينية والسياسية في إيران والعراق في حينه. هاجر الأصفهاني إلى مدينة النجف الأشرف وتعلم عند رجال الدين والمراجع الموجودين آنذاك أمثال: حبيب الله الرشتي، ومحمد كاظم الخراساني، ومحمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب كتاب «العروة الوثقى»، وقد تبوأ هناك المرجعية والقيادة الدينية والسياسية، وقد عارض تنصيب فيصل الأول ملكاً على العراق.



السيد شهاب الدين المرعشي النجفي في شبابه (١٣١٨-١٤١١هـ). هو السيد محمد حسين بن محمود بن علي الحسيني المرعشي النجفي المعروف بالسيد شهاب الدين المرعشي أحد مراجع الدين المعروفين، وهو فقيه جليل القدر، وعالم نحرير متضلّع في الأنساب والرجال. من أساتيد: الشيخ ضياء الدين العراقي، والسيد حسن الصدر، والشيخ مهدي الخالصي، والشيخ محمد جواد البلاغي، والشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، وبعد وفاة الأخير تصدّى للمرجعية والتدريس وإمامة الجماعة ورعاية شؤون الحوزة في قم المشرفة.



السيد محسن الأمين العاملي (١٢٨٤-١٣٧١هـ). فقيه، وأديب، ومحقق شيعي من جبل عامل، ويرجع نسبه إلى حسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد. ويعدّ كتاب (أعيان الشيعة) أحد أهم مؤلفاته، وهو عبارة عن موسوعة كبيرة تتضمن ترجمة لحياة علماء الشيعة، وكان يهدف من خلالها إلى تعريف الهوية الثقافية للشيعة الإمامية، والتذكير بدور الإمامية في رفع راية الحضارة الإسلامية. وقد تحمّل المشاقّ الكثيرة لتدوين هذه الموسوعة الكبيرة، فقد سافر إلى مناطق عديدة كسوريا، والأردن، وفلسطين، ومصر، والعراق، وإيران لجمع مصادر كتابه. توفي في مدينة دمشق، ووري الثرى في الطرف الجنوب الشرقي، مقابل الباب الكبير لمرقد السيدة زينب عليها السلام.



الشيخ مرتضى الأنصاري، ولد يوم عيد الغدير من عام ١٢١٤ هـ في ديزفول شمال خوزستان، يرجع نسبه إلى الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، كان رحمه الله في حياته الشخصية زاهداً جداً، فعندما توفي لم يخلّف مالا ولا عقاراً ولا بيتاً ولا أي شيء من أموال الدنيا، رغم أنّه كان المرجع الأعلى في زمانه وما زالت مؤلفاته تدرّس في الحوزة، لكنه مات ولم يخلّف إلاّ بنتين فقط وهاتان البنتان من شدة فقرهما لم تتمكنّا من إقامة مجلس الفاتحة للشيخ، فقام بعض المؤمنين وتكفلوا بمصاريف مجالس الفاتحة. توفي عام (١٢٨١ هـ) في النجف الأشرف ودفن في باب القبلة من الصحن العلوي الشريف.



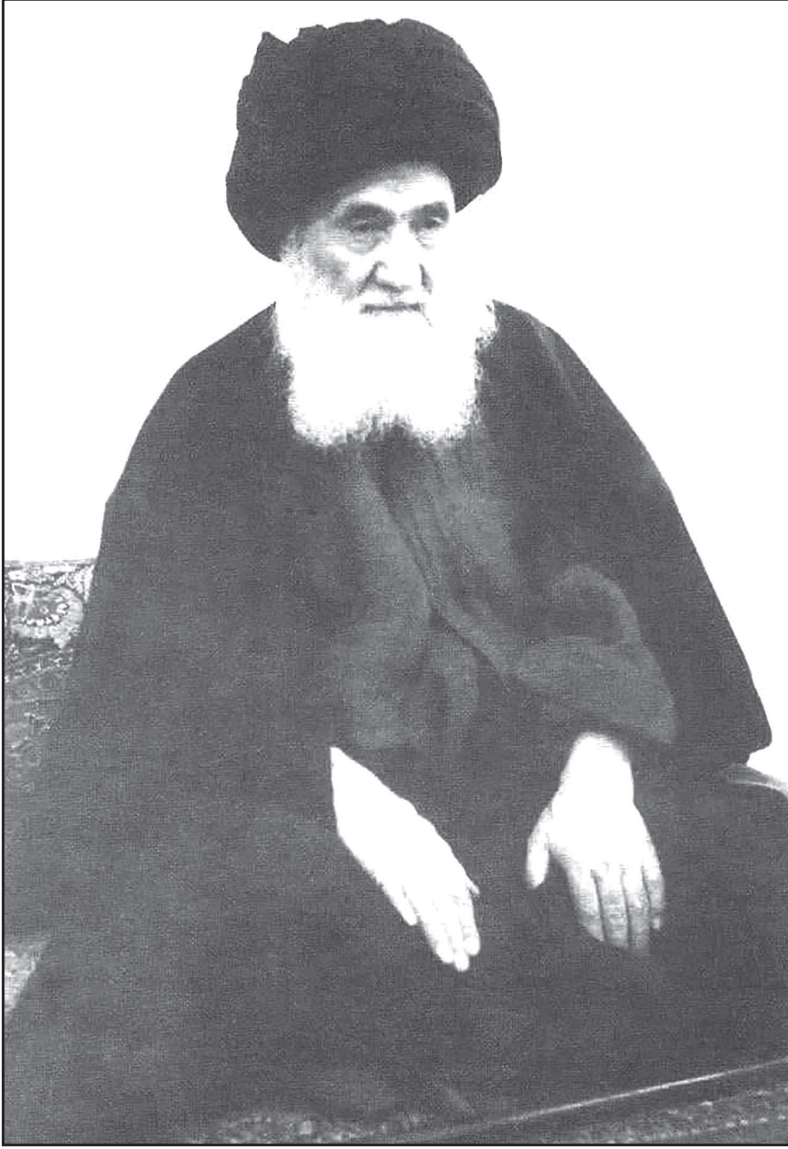
المرجع الفقيه السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي (١٢٨٥-١٣٦٦هـ)، من أساتذته: محمد كاظم الخراساني (الأخوند الخراساني)، مرتضى الأنصاري، ميرزا موسى التبريزي، ميرزا محمد تقي التبريزي، فتح الله شريعة أصفهاني (شيخ الشريعة)، حسين طهراني، محمد حسن المامقاني، محمد كاظم اليزدي، فاضل شرباني، أحمد الكربلائي وغيرهم، ومن طلابه: محمد حسين الطباطبائي، محمد حسن الطباطبائي، عبد الحسين دستغيب، محمد تقي بهجت، محمد تقي الآملي، أبو القاسم الخوئي، محمد رضا المظفر وغيرهم الكثير.



الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء (١٢٦٨-١٣٥٠ هـ)



السيد مصطفى بن سيد روح الله الخميني، المولود في مدينة قم المقدسة يوم ١٢ رجب ١٣٤٩هـ،
والمسموم في مساء السبت ٢٢/١٠/١٩٧٧م والمدفون في اليوم العاشر من ذي القعدة في صحن
أمير المؤمنين عليه السلام بجوار قبر العلامة الحلي



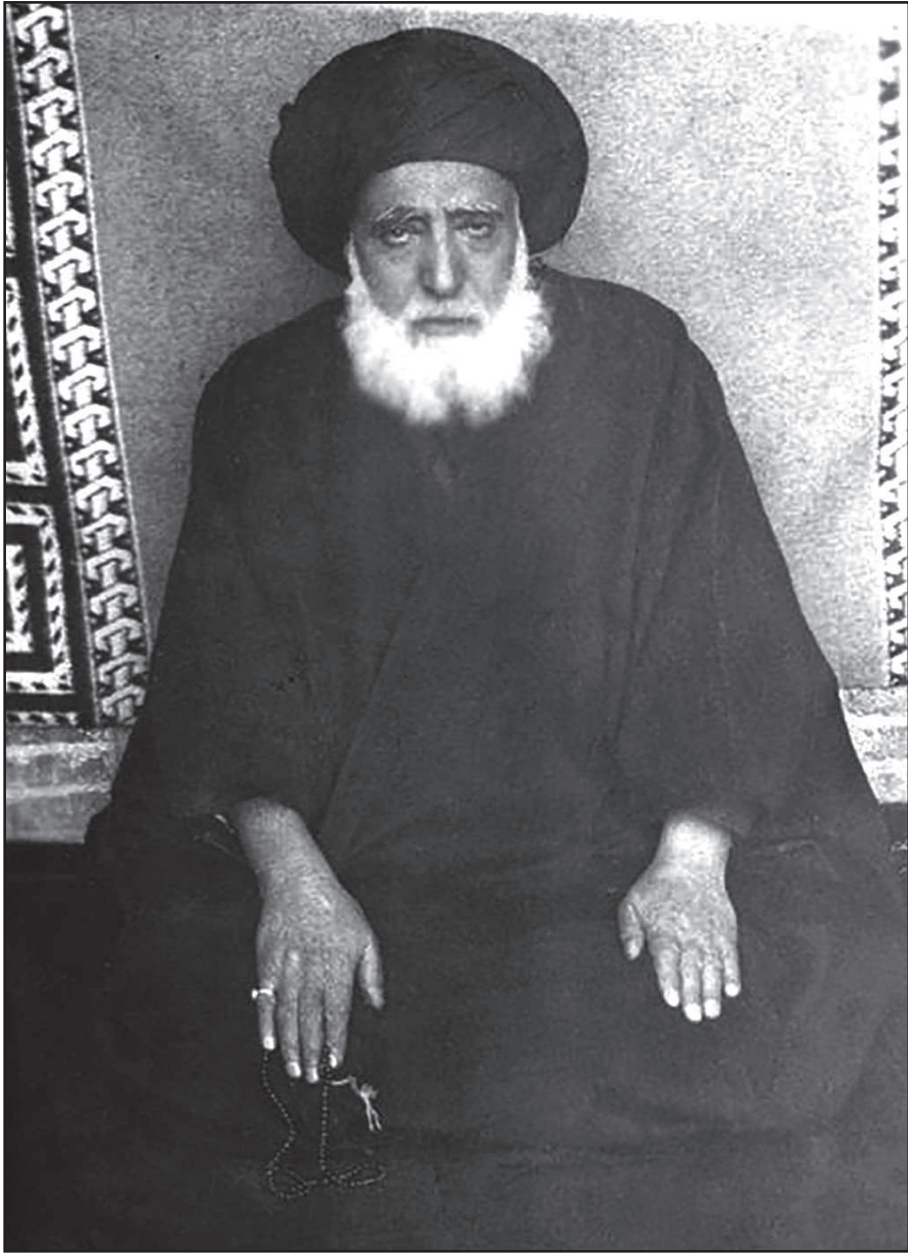
السيد حسين بن علي بن هاشم الموسوي الحماي (١٢٩٨-١٣٧٩هـ)، وينتهي نسبه إلى السيد إبراهيم المُجاب ابن السيد محمد العابد ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ومن أساتذته: الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بـ (الأخوند الخراساني)، السيد محمد كاظم اليزدي، الشيخ فتح الله الأصفهاني المعروف بـ (شيخ الشريعة)، الشيخ علي الشيخ باقر الجواهري وغيرهم، ومن تلامذته: الشيخ حميد نجف، السيد حسين مكّي العاملي، الشيخ محمد جواد مغنية، الشهيد السيد محمد طاهر الحيدري، الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي، الشيخ حسين الراستي الكاشاني، الشيخ موسى العصامي، الشيخ علي القسام، السيد محمد باقر الخونساري وغيرهم. كان يقيم صلاة الجماعة في الصحن الحيدري الشريف. تُوفي في مدينة بغداد ودُفن في مسجد مراد في النجف الأشرف.



الشيخ رحمه الله ابن الشيخ جواد ابن الشيخ علي ابن الشيخ حمود ابن الشيخ محسن ابن الشيخ علي الكبير الظالم النجفي، ولد (١٢٧١هـ) وهو الذي أثار الحماس الديني في عشائر السماوة وما والاها، ونظم منها جيشاً جرّاراً. كان صالحاً، نقيّاً، دائم الذكر، تُرى آثار الأبرار بارزة عليه، وقف سداً منيعاً قبال الإنكليز سنة ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م، وكبّد لهم خسائر كثيرة في العدة والعدد، وكان في غاية الجرأة والبراعة والشجاعة، ولما انقضت الحرب لاحقه الإنكليز أشد الملاحقة، فلم يظفروا به. تُوّي يوم الأحد ٢٢ من المحرم سنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، وشُيع جثمانه تشييعاً فخماً ضمّ جميع طبقات المجتمع؛ وذلك لما له من اليد البيضاء في تشييد أركان الدين، ومقاومة الكافرين، ودُفن في الصحن العلوي الشريف في الحجرة التي تكون عن يسار الخارج من الصحن من باب الطوسي.



المحقق الأصولي الكبير آية الله العظمى الشيخ ضياء الدين العراقي (١٢٧٨-١٣٦١هـ)



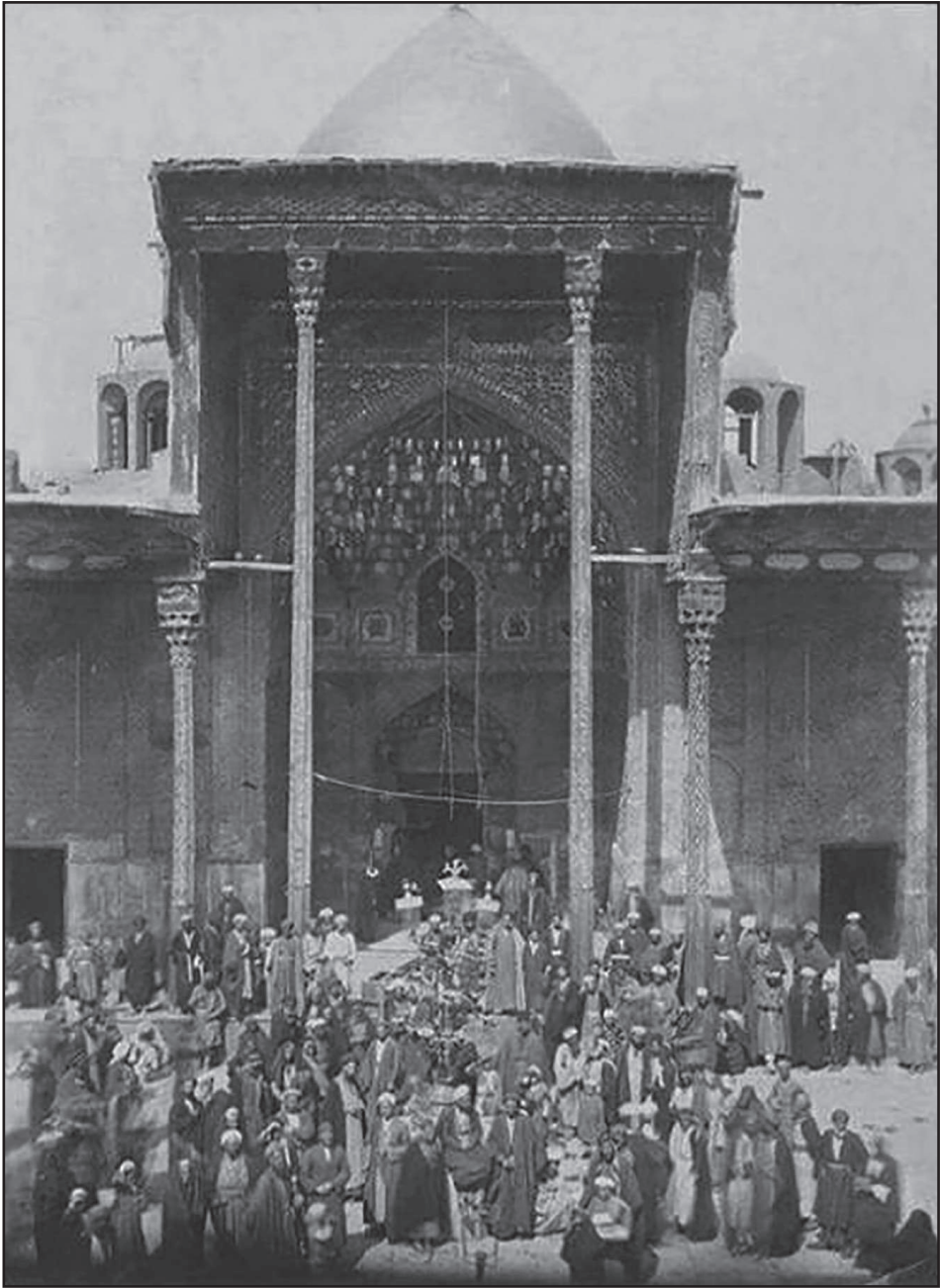
السيد جمال الدين الكلبيكاني (١٢٩٥-١٣٧٧هـ) ولد في قرية سعيد آباد في كلبايكان لعائلة اشتهرت بالعلم والفضل والأدب، ويرجع نسبه إلى إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن موسى الكاظم عليه السلام. من أساتذته الأخوند الملا محمد كاظم الخراساني صاحب كفاية الأصول، والحاج الآغا رضا الهمداني صاحب حاشية المكاسب، ومن تلاميذه الشيخ إسحاق الفياض والشيخ لطف الله الصافي الكلبيكاني والشيخ محمد رضا المظفر (حضر بعضاً من دورته الفقهية في بحث الخارج).



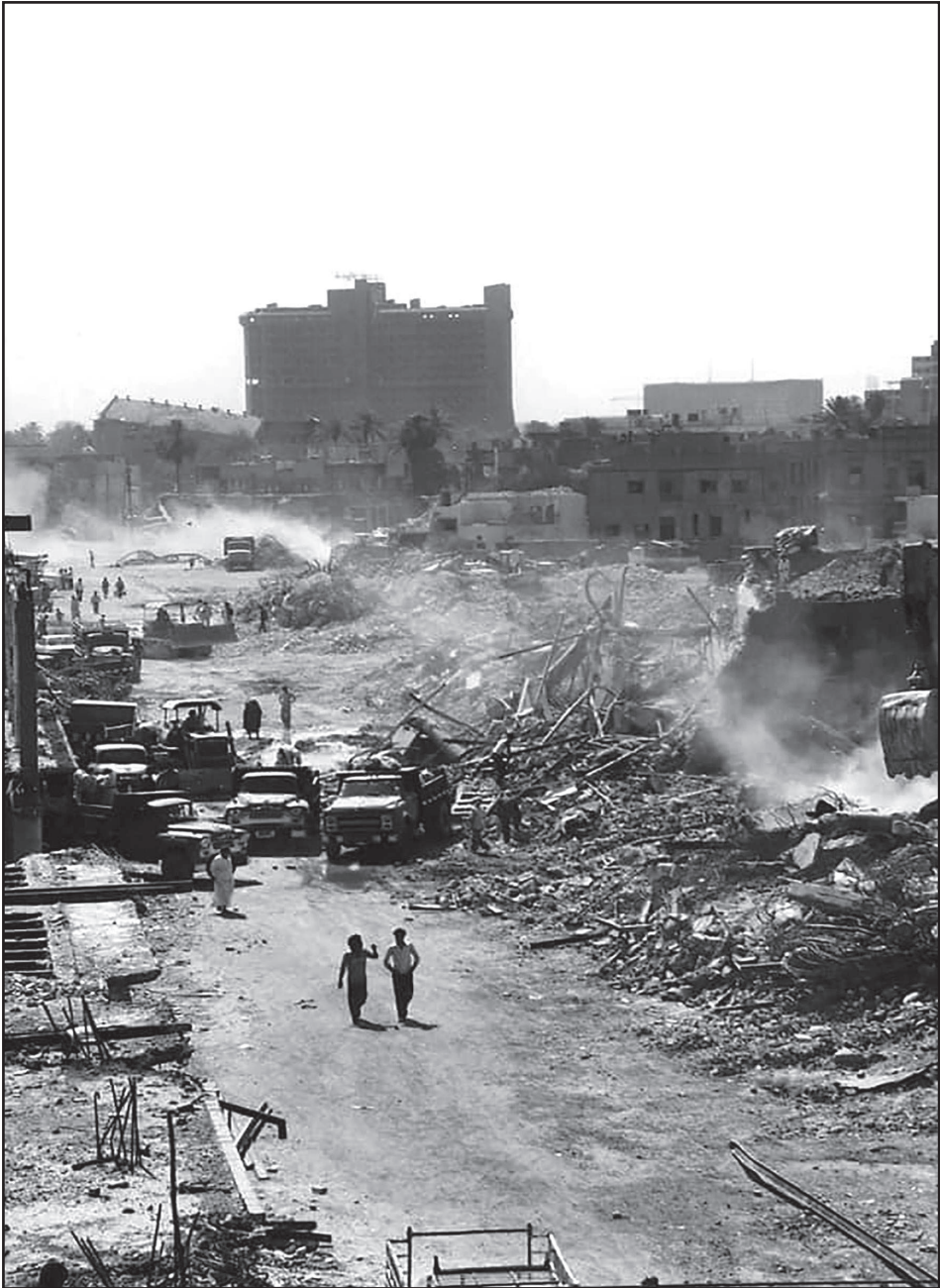
طه باقر (١٩١٢-١٩٨٤) عالم عراقي، ولد في محافظة بابل، كان مؤلفاً ومسارياً ولغوياً ومؤرخاً وأميناً سابقاً لمتحف العراق الوطني، يعتبر باقر من أبرز علماء الآثار في العراق، من أبرز أعماله ترجمته من الأكادية إلى العربية للحمة جلجامش، وفك رموز الألواح الرياضية البابلية، واكتشاف قانون إشنونا، وحفرياته عن المواقع البابلية والسومرية القديمة. بما في ذلك مدينة شادوبوم السومرية القديمة في بغداد. كان باقر يتقن اللغات العراقية التاريخية الأربع (العربية والآرامية والأكادية والسومرية)، وكذلك الإنجليزية والفرنسية والألمانية.



الشاعر عبد الرسول محيي الدين، ولد في النجف الأشرف ١٣٤١هـ وتوفي في ١٩ صفر ١٤٢٣هـ، وهو من أسرة آل محيي الدين هذه الأسرة العلمية الأدبية العريقة في العلم والأدب. وفي السأوة التقى الرادود القدير المرحوم ياسين الرميثي وصار بينهما تعاون، إذ قرأ ياسين الرميثي أروع قصائد الحاج عبد الرسول منها: (خذ يا محمد) و(هذي تربية حيدر) و(يحسين بضمنايرنا). وتمتاز قصائده بأن المستهل هو الموضوع الرئيسي للقصيدة وتأتي القصيدة كأنها شرح للمستهل. هذا وتعرض الحاج عبد الرسول لمضايقات عدة من أعوان النظام المقبور بل للسجن والتعذيب. دفن في جامع له يد في تشييده وهو جامع آل محيي الدين وطلب أن تدفن معه قصيدته الخالدة (يحسين بضمنايرنا) وهي أول ما كتبها بيده.



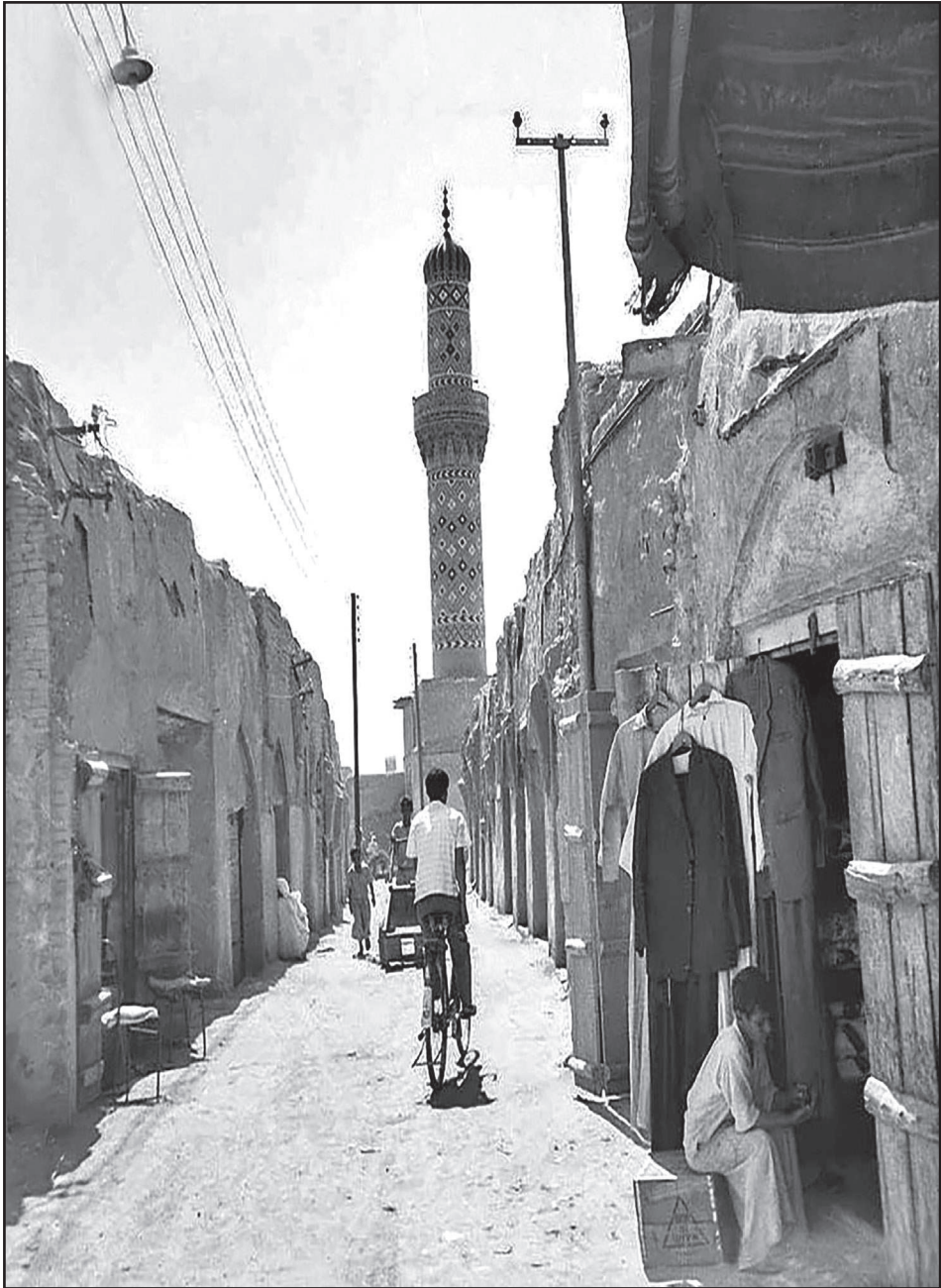
الصحن الحسيني الشريف في كربلاء المقدسة عام ١٩١٢م



صوره توثيقية يعود تاريخها إلى بداية الثمانينيات من القرن الماضي وتظهر فيها الآليات وهي تقوم بهدم البيوت القديمة تمهيداً لبناء عمارات شارع حيفا ببغداد، ويظهر في الخلف فندق المنصور ميليا



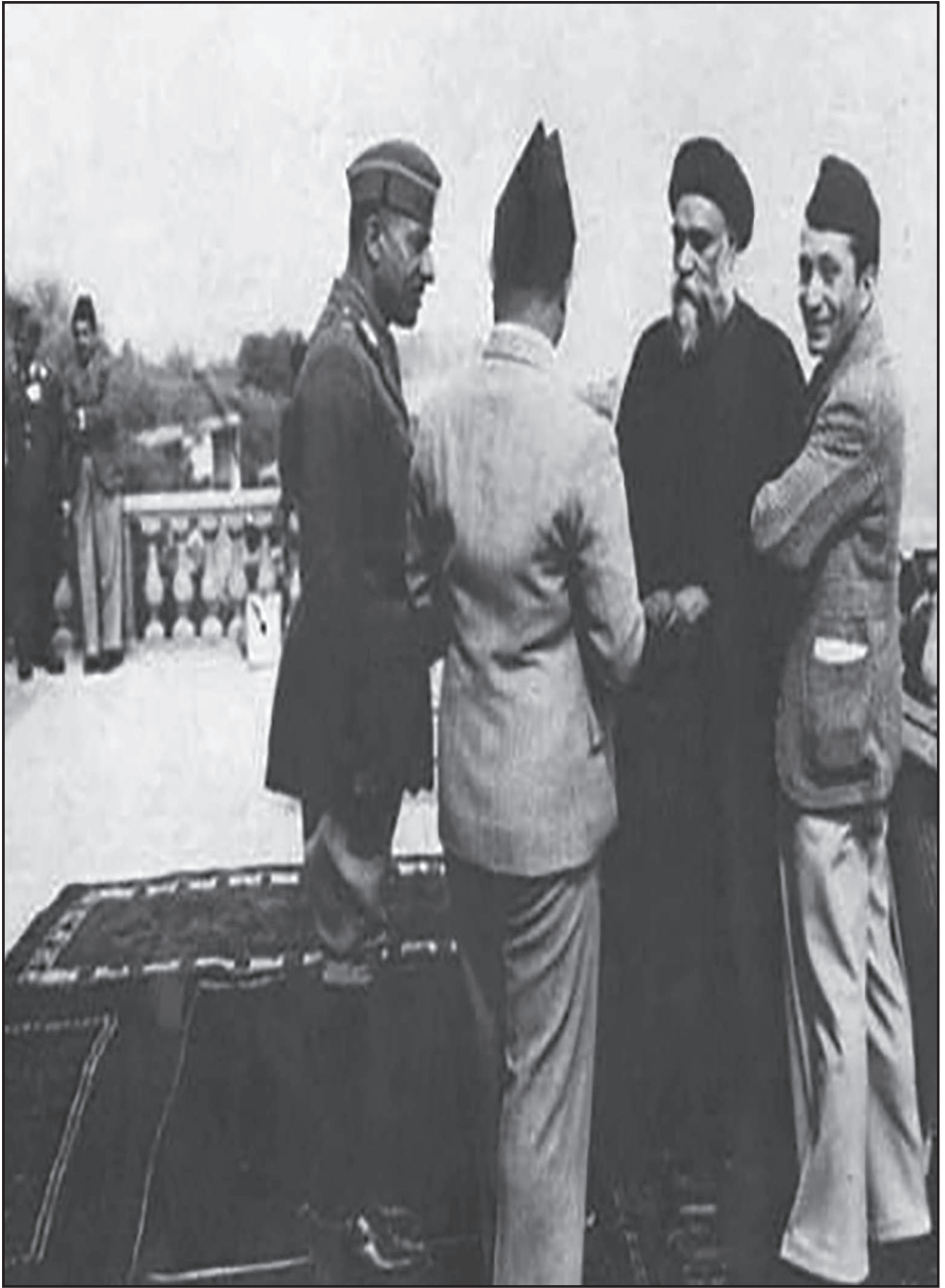
صورة نادرة لأحد شوارع بغداد مطلع القرن الماضي حينما كانت بغداد تحتوي على البساتين الخضراء في مختلف مناطقها، وكان الناس يتنقلون على الدواب من منطقة إلى أخرى أو يستخدمون (الكاري) إذا لزم الأمر.



أحد الأزقة في البصرة - قضاء الزبير في ستينيات القرن الماضي



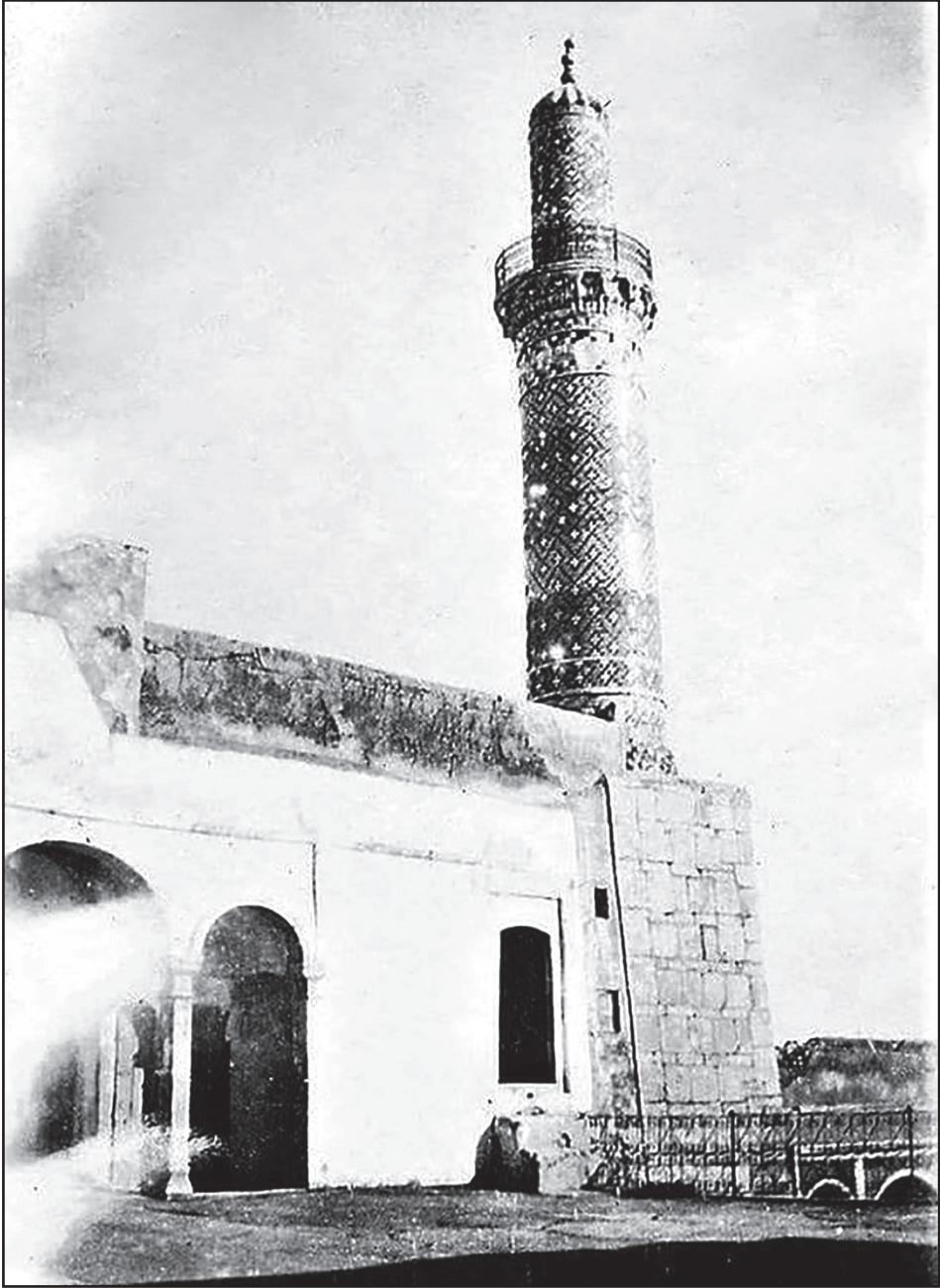
تتماز كربلاء المقدّسة بمعالم حضارية أصيلة تُنبئ عن فترات تاريخية مختلفة حاكية عن أزمنة مرّ بها تاريخ كربلاء، فمن مواقعها الأثرية المنارة الموقدة أو ما تعرف بـ «منارة موجدة». تقع على يسار الطريق الرابط بين كربلاء وقضاء عين التمر وتبعد عن كهوف الطار «وهو موقع أثري معروف» حوالي (١٤) كيلومتراً جنوباً. وتبعد عن حصن الإخضر الشهير حوالي (١٥) شمالاً وعن خان عطشان (١٠) كيلومتر. قيل في وجه تسميتها إنّها كانت توقد فيها النار إشعاراً لحصن الإخضر إزاء التحديات والمخاطر، أو لإرشاد القوافل بين بلاد الشام والحجاز مروراً بالحيرة، فبواسطتها يُرشد الضال في الصحراء الكبرى ويهتدي إلى مأمن. يوجد للمنارة سلم حلزوني داخلي يبدأ الارتقاء إليه من القاعدة المربعة وصولاً إلى أعلى المنارة التي تُرى منه مناظر خلابة لامتداد الصحراء حولها.



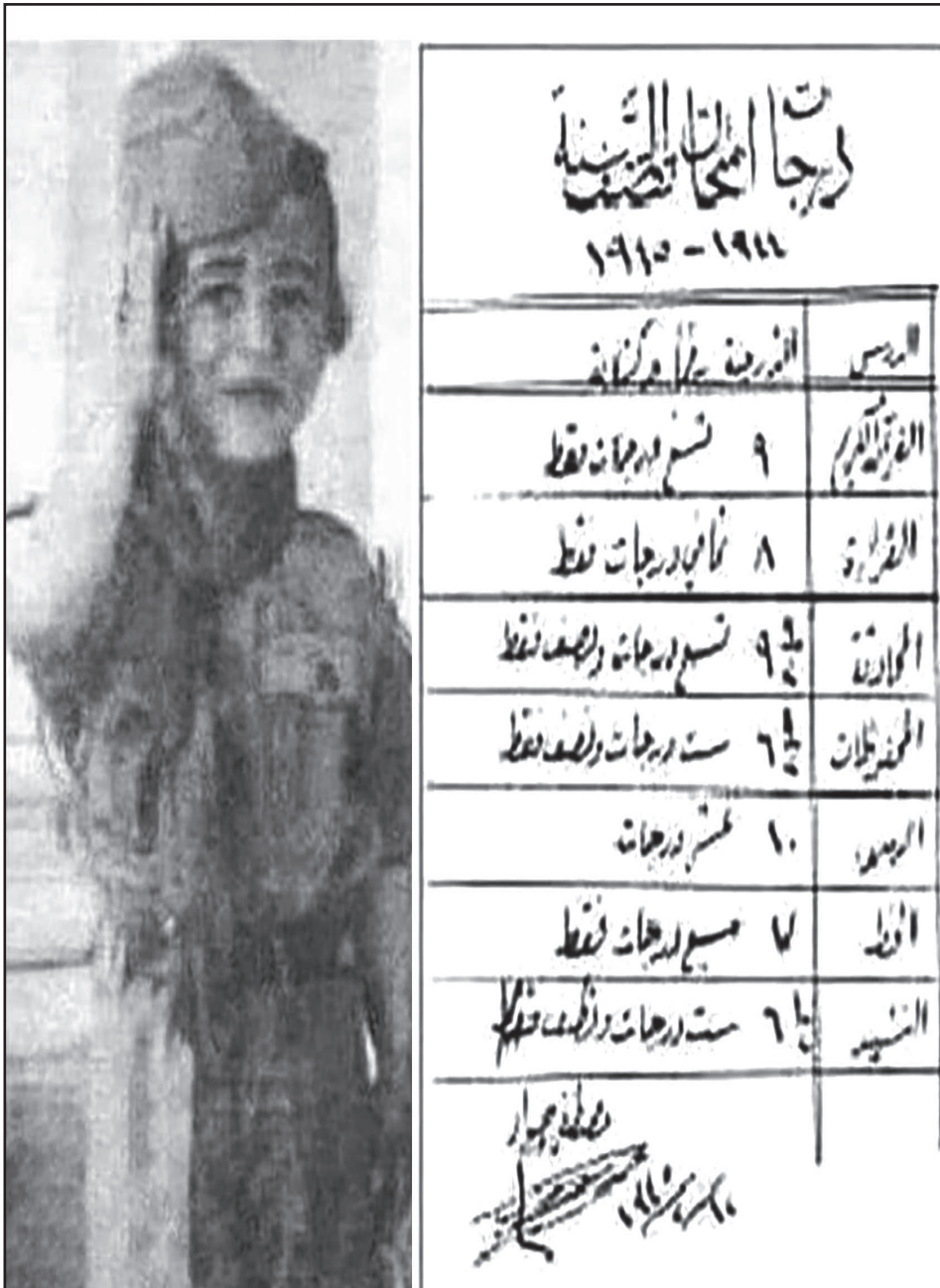
الملك غازي بن الملك فيصل الأول في لقطة عفوية برفقة السيد محمد الصدر قبل وفاته في حادث
السيارة الشهير بعدة أيام عام ١٩٣٩م



جسر الكطعة الرابط بين الكرخ والرصافة في بغداد في صورة تراثية عام ١٩٣٠م ويظهر فيها الناس وهم يعبرون راجلين ذهاباً وإياباً



جامع نبي الله يونس ﷺ في الموصل عام ١٩١٨م



شهادة نصف السنة للملك فيصل الثاني عندما كان طالباً في الابتدائية للعام الدراسي ١٩٤٤-١٩٤٥ م ويلاحظ في الشهادة توقيع الدكتور مصطفى جواد



يظهر في الصورة أحد الشباب البغداديين وهو يقوم بتلميع مطارق الأبواب المصنوعة من النحاس عام ١٩١٩م. يذكر أن الأبواب الخشبية في ذلك الزمان كان فيها نوعان من المطارق (صغيرة وكبيرة) فعندما يأتي زائر ما إلى البيت ويطرق الباب بالمطارق الصغيرة فهذا يعني أن الطارق هو امرأة فتقوم إحدى نساء البيت وتفتح لها الباب وهكذا بالنسبة للرجال يستخدمون المطارق الكبيرة فيعرفون بها فيفتح لهم الرجال، وكانت أيضاً توضع طاقة ورد حمراء على الباب للدلالة على وجود مريض في هذا البيت ليعلم المارة والباعة المتجولون فلا يصدرون الأصوات العالية والمزعجة.



صورة نادرة للملك فيصل الأوّل مع ابنه وولي عهده الأمير غازي في ثلاثينيات القرن الماضي



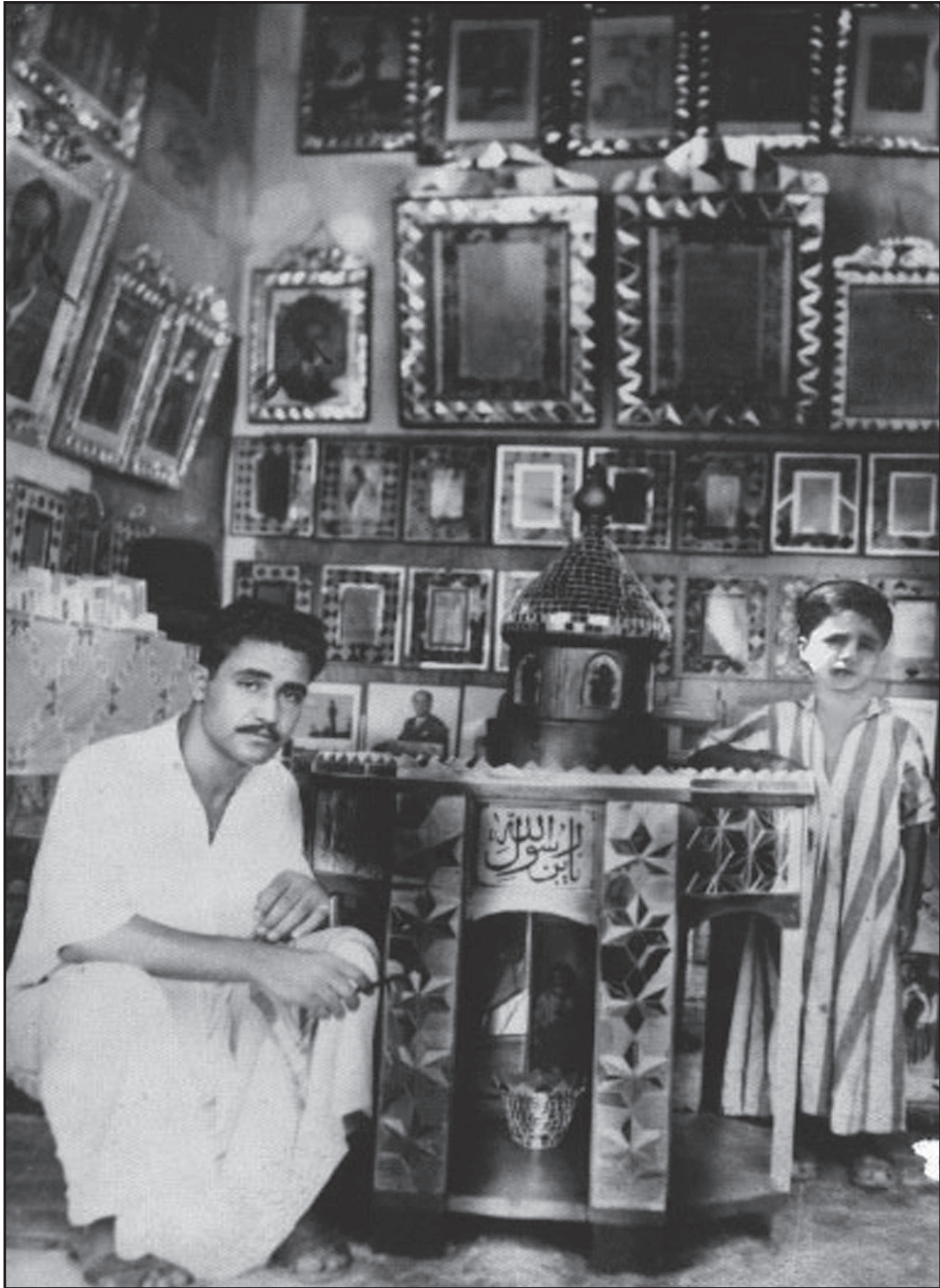
منارة الجامع النوري في مدينة الموصل عام ١٩١٨م



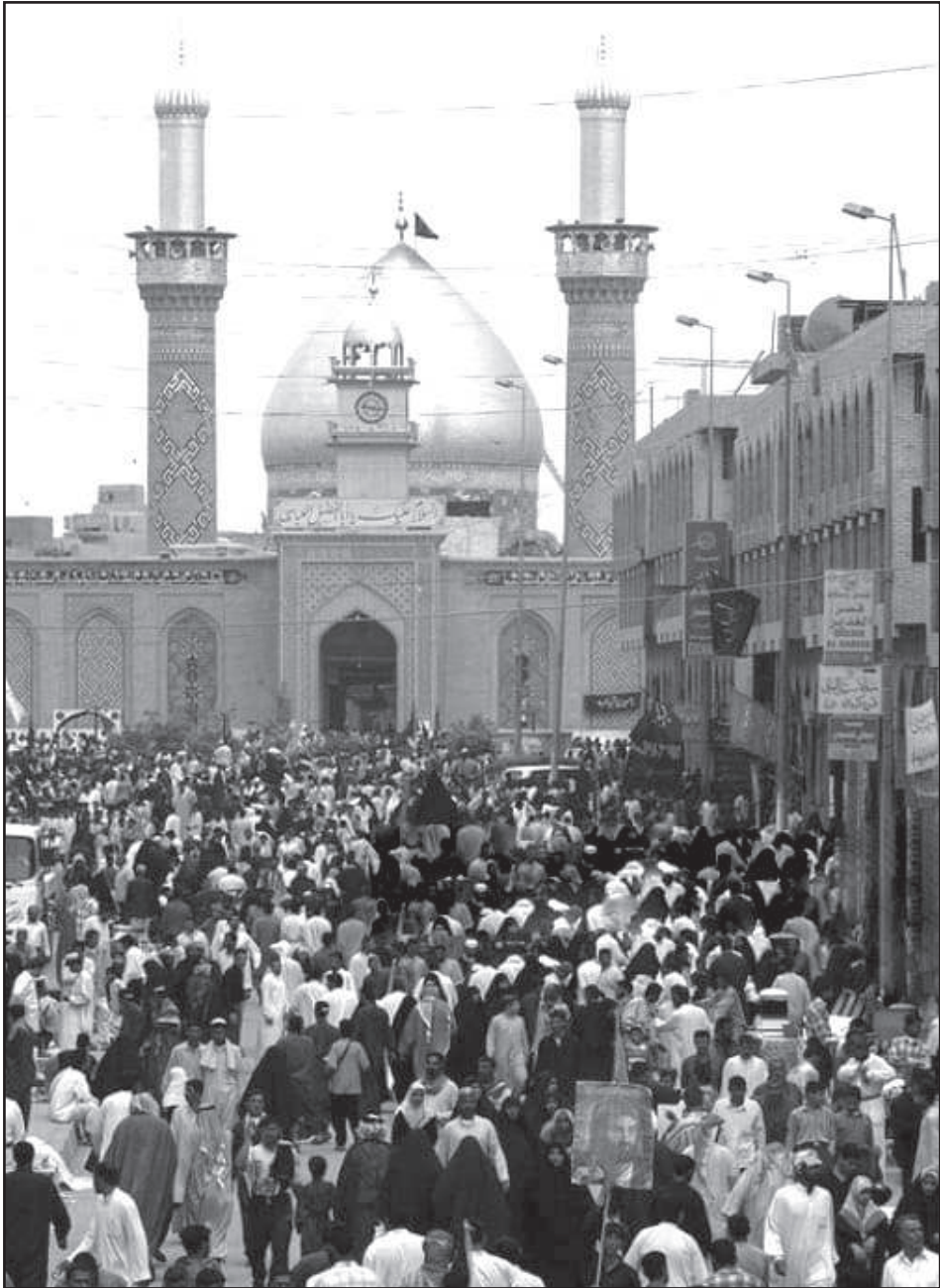
بوابة خشبية تراثية تعود إلى دار عائلة (عبد الرزاق السبتي) في البصرة. في عام ١٩٧٦م قامت عائلة السبتي بإهدائها إلى أمانة العاصمة كتقدير لجهودها في المحافظة على التراث العراقي، وتستخدم حالياً كبوابة للمتحف البغدادي. الصورة تعود إلى سبعينيات القرن الماضي.



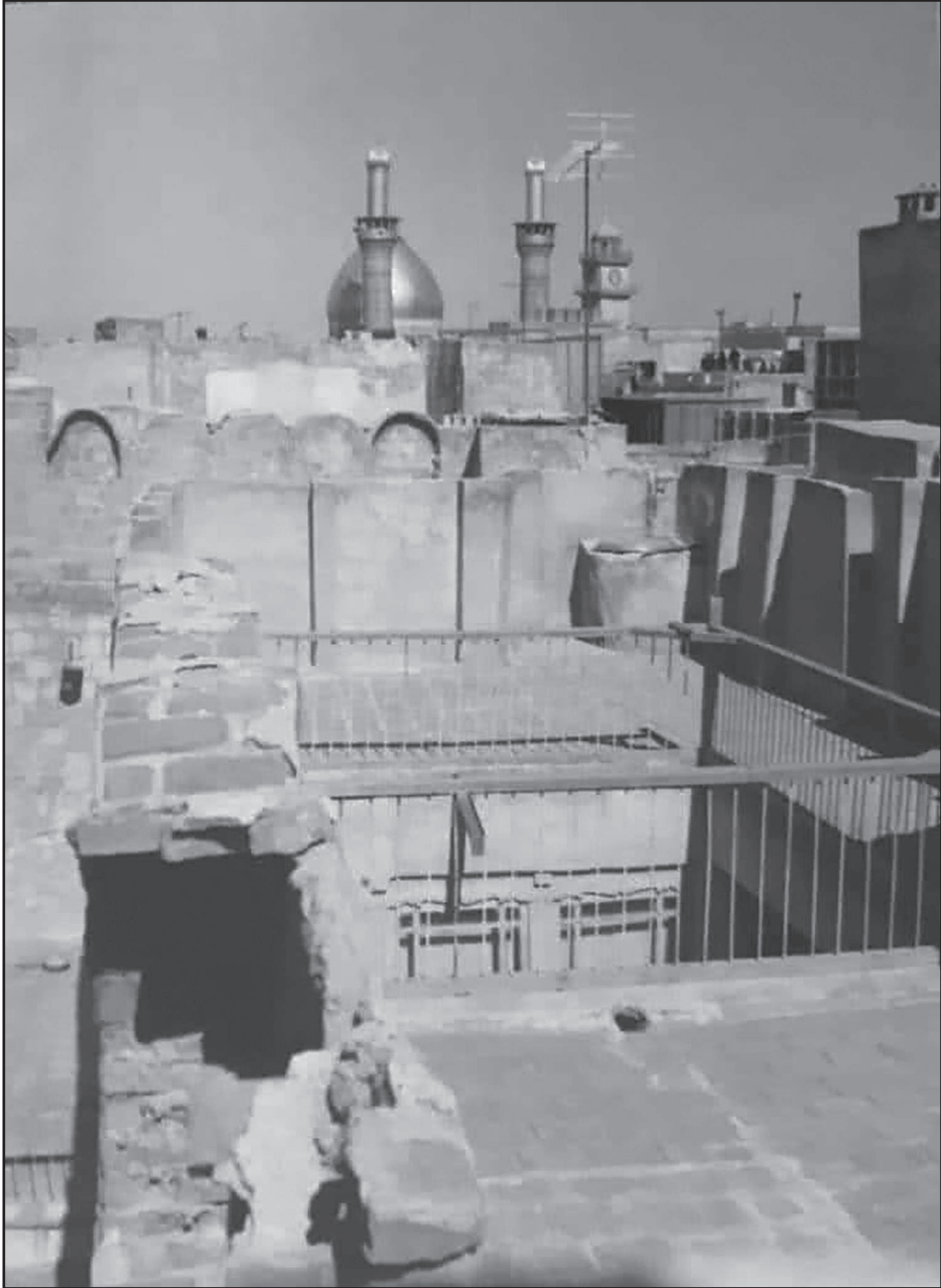
من أقدم الصور لقصر الإخضر في صحراء كربلاء المقدسة التقطت في مارس ١٩١١م، يلاحظ مدى تدهور الجدران والإهمال لهذا المعلم الأثري



أقدم مزخرف مرايا في كربلاء المقدسة المرحوم السيد هاشم نصر الله النقاش وولده المرحوم السيد أمين نصر الله عام ١٩٥٨م، وكان عمله في الأربعينيات والخمسينيات في العتبات المقدسة ومن بعده خلفه ابنه السيد أمين بهذا المجال في بغداد



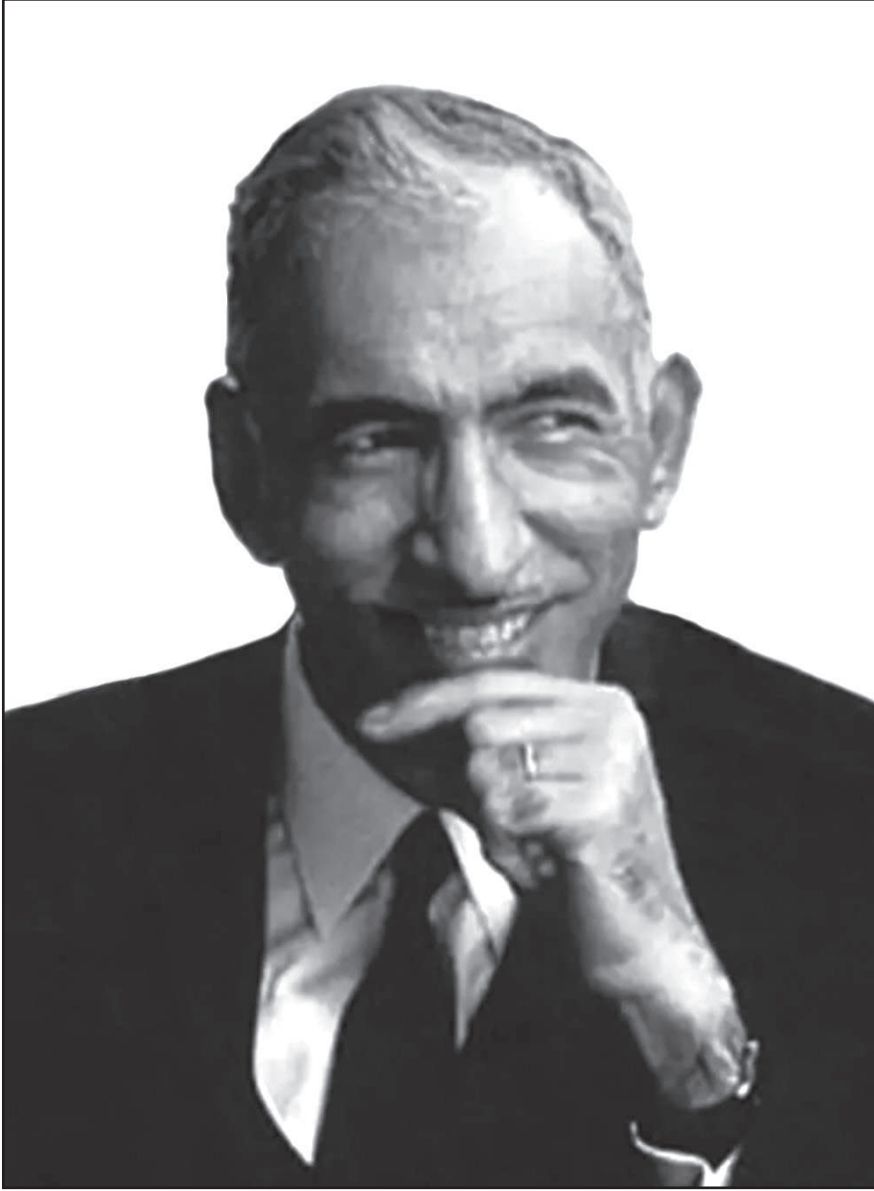
الصورة أخذت في يوم ٢١/٤/٢٠٠٣م، والذي يوافق أول زيارة أربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) بعد سقوط النظام في يوم ٢٠ صفر ١٤٢٤هـ



منارة الإمام العباس عليه السلام عندما كانت مرصوفة بالقاشاني، ويظهر في الصورة أحد البيوت الكربلائية القديمة في أيام كان سطح البيت يحتوي على البيتونة التي تستخدم كمخزن، والمحجر وأريل التلفزيون، والتيغة والبادكير والآرسي والتنور الطيني بزاوية السطح، وكذلك المرزاب الحديدي الذي يصب مياه الأمطار إلى ساحة البيت.



بغداد عام ١٩٢٨م ويظهر في الصورة بعض العاملين على مكائن النسيج اليدوي في تلك الأيام



هاشم محمد درباس خليل القيسي البغدادي (١٩٢١-١٩٧٣م)، خطاط عراقي معروف على المستوى العربي والإسلامي بإتقانه التام للخط العربي وبرونقه الجميل الذي خط به حروف القرآن الكريم، اشتغل خطاطاً في مديرية المساحة العامة في بغداد، وله من الآثار الفنية الكثيرة سواء في المساجد أو على المسكوكات العراقية والتونسية والمغربية والليبية والسودانية. وأُرسل مُوفداً إلى ألمانيا من قبل وزارة الأوقاف العراقية للإشراف على طبع القرآن في إحدى مطابع ألمانيا عام ١٩٧٩م. واستطاع أن يعيد لبغداد مجدها القديم في الخط العربي. من تلاميذه: الخطاط الشاعر وليد الأعظمي والخطاط صادق الدوري، والخطاط عبد الغني العاني والخطاط طه البستاني، والخطاط جمال الكباسي.



صورة توثيقية تاريخية لمنطقة العشار في البصرة - التقطت في عام ١٩٥٨م



صورة نادرة للملك فيصل الأوّل خلال زيارته للنجف الأشرف بعد تنويجه ملكاً على العراق
١٩٢١م



صورة نادرة لمنطقة ما بين الحرمين الشريفين ومرقد الامام الحسين (عليه السلام) التقطت الصورة بتاريخ
١٩٩٧/١٠/١٧م من سطح العتبة العباسية المقدّسة

المحتويات

كيف تأسست

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي؟ ٥

إيمان مصطفى المحمدي

تاريخ مطبعة الحكومة في الموصل ١٣

رفائيل بطي

صرعى الكتب والمكتبات في العراق ١٩

الشيخ محمد رضا الشيباني

الكاظمية توأم بغداد وفلذة من أفلاذها ٢٧

د. حسين علي محفوظ

١٠٠ عام على تأسيس الشرطة العراقية:

بريطاني يكتب عن بدايات الشرطة في العراق ٣٥

ترجمة د. أكرم المشهداني

الوثائق العربية وتحديات العصر الإلكتروني ٤٣

أ.د. أوديت مارون بدران

م.م. عبد اللطيف هاشم خيرى

أمالي مصطفى جواد

قواعد في تحقيق المخطوطات (دراسة تاريخية) ٦٣

أ.د. طارق زيدان خلف

تحقيق النصوص بين عبد السلام هارون

وصلاح الدين المنجد (دراسة مقارنة في منهجية التحقيق) ٨٧

أ. عصام محمد الشنطي

م. عمر عبد عواد الدليمي

جهود الدكتور صلاح الدين المنجد في

وضع كتاب (قواعد فهرسة المخطوطات العربية) ١١٩

م. كفاح صابر رشيد

النائب والعين السيد عبد المهدي المتفكي

رؤية جديدة في ضوء الوثائق غير المنشورة ١٥١

أ.م.د. بثينة عباس صفر

تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ١٧٣

د. عماد عبد السلام رؤوف

المخطوطات العربية في خزائن كربلاء ٢٦٥

السيد سلمان هادي آل طعمة

٣٠٩ خصائص الخطّ العربي

الخطاط وليد الأعظمي

٣٦١ ضبط النص والتعليق عليه

بشار عواد معروف

٣٨٩ نظام التعليم في المدرسة المستنصرية

السيد حسين أمين

٤٠٩ كربلاء المراحل التاريخية

د. رؤوف محمد علي الأنصاري

٤٨١ وثائق وصور من أرشيف العراق والموروث الشيعي

